تمام الطالب بعمل التصويبات المطلوبة

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى - مكة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا الحضارية والتاريخية

نظام البريد في الدولة العباسية حتى منتصف القرن الخامس الهجري

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الحضارة والنظم الإسلامية

مقدمة من الطالب

طلال جميل عبد العاطي رفاعي

إشراف الأستاذ الدكتور

حسام الدين قوام الدين السامرائي

١٤٠٦هـ - ١٤٠٧هـ / ١٩٨٥م - ١٩٨٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

الفهرســــــت

صفحـــة

صفحـــــة

كلمة شكر وتقدير

"" كلمة شكر وتقدير""

الحمد والشكر لله ذى العزة والملكوت ملهم الاذهان الى الاستدلال على قدمه ومعجزها بعظيم قدرته على ما منحها من لطيف الفكرة ودقيق النظره والعبره ، نحمده على توفيقه وعونه وهداه ثم الصلاة على عبده المصطفى ورسوله المقتضى سراجنا المنير الثاقب ونبينا الخاتم العاقب سيدنا محمد الفاتح لما أغلق الخاتم لماسبق ناصر الحق بالحق الهادى الى صراط مستقيم وعلى آله وصحابته الطيبين الطاهرين والتابعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا .

فالشكر لله سبحانه وتعالى أولا وآخيرا ثم لفضيلة استاذى الاستاذ الدكتور **حسام الدين قوام الدين حسن السامرائى** على مابذله من جهد حميد فى اشرافه وتوجيهه الدائب المتواصل حيث أمدتنى طيلة مرحلة البحث بغزير علمه وسديد رأيه وتوجيهاته العلمية الدقيقة وهذا أقل مايمكن أن أقدمه لشخصه العزيز وأسأل الله العلى القدير أن يثيبه وافر الجزاء على مابذله من جهد فى مساعدتى بعد الله لانجاز هذا البحث واخراجه على الهيئة التى هو عليها.

كما لايفوتنى فى هذا المقام بالتنويه بما لوالدى جزاه الله خيرا من دور فى حثى على متابعة تحصيلى العلمى حتى بلغت هذه المرحلة فله جزاه الله خير الجزاء جليل الشكر وعظيم الامتنان وانى اتوجه الى الله العلى القدير أن يثيبه خير ما أثاب والد عن ولده.

كما لايفوتنى ايضا أن اسجل شكرى لسعادة الدكتور عويد المطرفى الذى كان خير عون لى بعد الله سبحانه وتعالى فى تذليل عده عقبات مما سهل لى مواصلة دراستى الجامعية فجزاه الله خير الجزاء .

وفى ختام كلمة الشكر هذه اسطر امتنانى وشكرى الى جامعة أم القرى بكل عام ممثل ذلك فى مديرها معالى الدكتور راشد بن راجح الشريف والى كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بشكل خاص ممثل ذلك فى عميدها سعادة الدكتور على عباس الحكمى ، وعميدها الحالى سعادة الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد .

كما أسطر امتنانى وشكرى لكل من قدم لى يد العون من اساتذتى الفضلاء وزملائى الاعزاء بأى صوره من الصور وأدعو الله العلى القدير أن يتقبل عملى هذا قبولا حسنا لوجهه سبحانه والله الهادى الى سواء السبيل .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . ،،،،

الباحث

طلال جميل رفاعى

المقدّمة

المقدمـــة :

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ،ونعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا ،من يهد الله فلا مضل له ،ومن يضلل فلا هادى له واشهد ان لااله الا الله وحده لاشريك له ،واشهد ان سيدنا محمد عبدالله ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه الى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا .

اما بعد : فان بناء المجتمع الاسلامى المعاصر يحتم النظر الى امرين اساسيين اولهما المفاهيم والقيم والخبرة المتمثلة فى التراث الحى ،وثانيهما الافادة من المناسب فى النظم المعاصرة . ومن هنا تأتى اهمية دراسة المواضيع المتصلة بالادارة الاسلامية .

ان اهمية دراسة الادارة الاسلامية تتمثل فى الكشف عن طبيعة الاعمال التى مارستها المؤسسات الادارية المختلفة للدولة الاسلامية عبر العصور،وحسن ادائها والترابط الوثيق فيما بينها لتحقيق الهدف المنشود . ذلك ان الغرض من وجود الحكومة الاسلامية هو تطبيق شريعة الله سبحانه وتعالى فى الارض ،واتاحة الفرص المتماثلة للمسلمين للخدمة من جهة ،وللافادة من الخدمات التى تهيؤها الحكومة الاسلامية من جهة اخرى . ودراسة البريد مع تشابك علاقاته يعطى صورة واضحة للعمل الجاد ويعكس مدى الدقة والضبط واحكام الرقابة ،ومدى تحمل المسئولية الى غير ذلك من الميزات التى تتمتع بها الادارة الاسلامية .

لقد جرى التركيز على دراسة تاريخ الادارة الاسلامية فى الاطار الاكاديمى ،من نقطة بداية افتراضية هى بداية القرن التاسع عشر الميلادى ،على اعتبار ان هذا التاريخ يمثل من وجهة النظر الاستشراقية

والغربية بداية الفكر الاداري في التاريخ الانساني . باستثناء بعض الاشارات العابرة الى قليل من الممارسات الادارية التي كانت قائمة في الحضارات القديمة . وهكذا يغفل الباحثون ،عفوا او عمدا ،دراسة تاريخ الادارة الاسلامية كنمط متميز في الادارة ،بل انهم لايشيرون اليها اصلا . على الرغم من ان الفكر الاداري في الحضارة الاسلامية من المصادر الاساسية لارساء اسس قوية وثابتة في نظم الادارة ،ولوضع مفاهيم او نظريات ثابتة تستوعب واقع المجتمع الاسلامي ،ولعل في ابراز هذا الجانب مايسهم بشكل جاد في اثراء الدراسات الادارية العامة الحديثة بمبادىء ونماذج ادارية اصيلة مستوحاة من الفكر الاسلامي وتطبيقاته العملية .

ان اساليب الادارة الحديثة هي في الواقع عيال على انماط الادارة العربية الاسلامية ،وهكذا فان دراسة نظام البريد في الدولة الاسلامية ،يكشف عن مدى الانحراف في الدراسات الادارية الاستشراقية والغربية ،كما يعكس حالة التجني الذي تواجهه الادارة الاسلامية في اطار الدراسات الاكاديمية المعاصرة .

ان الادارة الاسلامية : طبيعتها ،ومكوناتها ،وقيمها ،وتناول التكوين التاريخي لها ،وواقعها ،لم تدرس بصورة شاملة ،وان هناك جوانب كثيرة منها لم تبحث حتى الان. ثم ان مابحث منها قد قدمه في الاعم الاغلب باحثون من بين المستشرقين او تلاميذهم او ممن تأثر بهم ،الا النزر اليسير . والمؤمل ان يتخصص في نطاق هذه الدراسات المهمة باحثون مسلمون في عقيدتهم ووجهتهم ولهم المام جيد بلغة القرآن لكي يتهيأ لهم استبطان وتصور وفهم واقع الادارة الاسلامية ولكي يصبحوا قادرين على تقديم صورة صادقة ودقيقة لها . ولاينبغي ان تكون مثل هذه الدراسات

موضوعية وتحليلة وموثقة فقط ،بل ينبغى ان تكون اضافة الى ذلك انعكاسا لفهم المسلم لجوانب عقيدته واستيعابه الدقيق لمعطيات اللغة وآفاقها الرحبة . ولاشك فى ان دراسة نظام البريد فى الدولة الاسلامية هو احد الاسهامات فى ابراز جوانب مشرقة من الحضارة الاسلامية .

وغنى عن البيان ان دراسة نظام البريد فى الدولة الاسلامية يحقق الكشف عن جانب من جوانب الادارة الاسلامية ،وهو بالاحرى يعبر عن جانب من جوانب التطور الشامل فى المجتمع الاسلامى . وهو التطور الادارى بفروعه المختلفة ،فمن خلال هذه الدراسة امكن التوصل الى معلومات غاية فى الاهمية عن الادارة العربية الاسلامية ،وعن سير الاعمال فى الدولة ،وعن مؤسساتها وتنظيماتها الدقيقة .

ومما لاشك فيه ان دراسة نظام البريد يكشف عن التنظيمات الادارية التى كانت قائمة فى الدولة الاسلامية وعن مدى ترابط الاجهزة الحكومية المختلفة وتعاونها فى تنفيذ مايرى الامام او الخليفة صلاحه من اجراءات من خلال مرافق الدولة المختلفة . ولقد كان لولاة البريدمكانتهم الخاصة المتميزة ذلك انهم كانوا " بمثابة العيون الباصرة والاذان السامعة للملوك ،فان اهمل ذلك لم يكشف عن حال اوليائه او اعدائه . وانطوت عنه الاخبار ولم تستقم له السياسة "(١) . كما انهم كانوا فى كل الاقاليم بمثابة عيون للخليفة يكتبون اليه بكل ماتقع عليه ابصارهم او يصل الى آذانهم من اخبار(٢) .

---

(١) الحسن بن عبدالله – اثار الاول (ص ٨٥) .

(٢) ابن طيفور – بغداد(ص ٦٤)، التنوخى – الفرج (٣٠٢/١) .

ولقد استخرت الله سبحانه وتعالى واخترت دراسة تاريخ " نظام البريد فى الدولة العباسية حتى نهاية القرن الرابع الهجرى" عنوانا تقدمت به الى قسم الدراسات العليا للتاريخ والحضارة الاسلامية فى كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة ام القرى،لمشروع مقترح للبحث اتقدم به للحصول على الدكتوراه ٠

وكان السبب الذى دفعنى الى ذلك بجانب الرغبة الجامحة فى خدمة العقيدة الاسلامية الحقة والكشف عن كنوزها ونتاجها وخبرات الامة وفكرها ،هو اننى قد فضلت مواصلة البحث ضمن اطار تخصص موحد، ذلك ان الله تعالى قد يسر لى دراسة وتحقيق نص مهم فى الادارة الاسلامية وهو " المنزلة الخامسة من كتاب الخراج لابى الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادى المتوفى سنة ٣٣٧هـ" ،واثناء توافرى على انجاز ذلك امكننى الاطلاع على جوانب عمل البريد المختلفة واخذت بسعة اختصاصاته والدقة فى التنظيم وفى اجراءاته ،وتعلق فكرى بالكشف عن ذلك ،وقد استعرضت ماكتب حديثا حول الموضوع فما وجدت سوى بحث واحد مرت عليه حقبة طويلة من الزمن ، اضافة الى مايعتوره من النقص ذلك ان الكاتب - رحمه الله - لم يستوف جميع المعلومات التى كانت متاحة له حينذاك كما انه قد ظهرت اعداد كبيرة من النصوص التى كشفت النقاب عن معلومات اساسية مهمة فى اضافة جوانب عديدة كانت غائبة ،وفى توضيح وتعديل جوانب اخرى منه ٠ وهى فى مجموعها تسهم فى اعطاء تصور واضح ومكتمل عن البحث ٠ وهكذا فقد استقرت الفكرة وكان توفيق الله فى اختيارى للموضوع ٠

وتشتمل خطة الموضوع على مقدمة وتمهيد واربعة فصول اساسية وخاتمة اضافة الى الملاحق وجريدة شاملة للمصادر والمراجع التى قامعليها

البحث .

لقد تعرضت المقدمة الى تبيان اهمية دراسة الادارة الاسلامية ،واوضحت الاسباب التى دفعت الى اختيار الموضوع . كما تعرضت الى التعريف بنطاق البحث مع دراسة نقدية موجزة لاهم المصادر التى استند عليها البحث فى قيامه .

اما التمهيد ،فقد عالج نشأة ديوان البريد خلال الفترة السابقة للاطار الزمنى للبحث دون ان يهمل البدايات الاولى التى اشارت اليها النصوص والتى تخص المراسلات ونظم نقل الاخبار ومدى ترابط اقاليم الدولة فى هذا الاطار فى عصر صدر الاسلام الاول وصولا الى العصر الاموى حيث تولى الخليفة معاوية بن ابى سفيان رضى الله عنه ،تأسيس البريد ووضع تنظيماته الاولى ،ثم الى دور عبدالملك بن مروان فى احكام امره واستمرار خلفاء بنى امية فى تعاهد نظمه وتيسير اعماله وتوسيع اختصاصاته . وقد شمل التمهيد كذلك قائمة مستوفية بالمعانى التقنية للمصطلحات الفنية الحضارية المستعملة فى ديوان البريد ،ذلك ان معرفة هذه المصطلحات يحتل اهمية كبيرة فى فهم النصوص وفى متابعة اعمال الديوان وسير العمل فيه . اضافة الى الاهمية الاساسية لها فى ضبط البحث واستيعاب القارىء لمضامينه . ومن الطبيعى ان يجرى ترتيب قائمة المصطلحات الفنية وفق الترتيب الابجدى .

يشتمل الفصل الاول على دراسة تشكيلات ديوان البريد ،وتسهيلا للبحث وتوضيحا لجوانبه ،فقد جرى تقسيم الفصل الى اربعة مباحث ،حيث تعرض اولها الى دراسة مقومات الديوان حيث استعرض المجالس التى يشتملها الديوان ،وهى على صنفين مجالس كتابية ،واخرى ادارية

يختص بالشئون التنظيمية الداخلية ،كما تتولى تنسيق علاقة الديوان بالدواوين الاخرى فى الدولة.

اما المبحث الثانى فانه اختص بدراسة الجانب الادارى للديوان حيث جرى البحث فيه عن الوظائف الادارية فى ديوان البريد ومراتبها واعمالها ،ولعل ابرز واهم الوظائف الرئيسية التى يتكون منها الديوان هى وظيفة متولى البريد . وقد استقصى البحث فى تتبع الصفات التى كان يشترط توافرها فيمن يشغل هذا المنصب ،واهميته بين العاملين فى الدولة ،كما انه تتبع مهماته وعرف بمن شغل هذا المنصب خلال فترة البحث .

ومن الوظائف الرئيسية ايضا التى جرى البحث عنها وظيفة " خليفة صاحب البريد" ،وكذلك عن " ولاة البريد فى الاقاليم" وقد تتبع البحث بالتفصيل مهماتهم واعمالهم الادارية وتسلسلهم الوظيفى وكيفية تعيينهم والشروط التى ينبغى ان تتوافر فيمن يرشح لتولى هذه المناصب . كما شمل البحث تشخيص الانحرافات التى وقعت بينهم .بالاضافة الى التعريف بمن شغل هذه المناصب فى اقاليم الدولة الاسلامية المختلفة .

ومن الوظائف الرئيسية التى جرى الحديث عنها ،وظيفة " اصحاب الاخبار" وفيها تتبع البحث تاريخ ظهور هذه الوظيفة وتطورها والمهمات الموكلة الى من يتولاها وكيفية نقلهم للاخبار وكذلك تصنيف فئاتهم واخيرا تشخيص الفائدة المرجوة من وجودهم .

ومن الوظائف الرئيسية التى شملها البحث وظيفة " ولاة الطرق " فقد جرى تتبع واجباتهم التى كان عليهم القيام بها،واستعراض ماتقدمه المصادرعمن ولى مناصب ولاة الطرق فى الدولة الاسلامية.

وبجانب الوظائف الرئيسية فقد اهتم البحث بتتبع عدد آخر من الوظائف الفرعية والمساعدة التى اسهمت بدورها فى قيام البريد بالمهام الموكلة اليه ٠ ومن بين تلك الوظائف : كتاب البريد فى الديوان وكتاب البريد فى الاقاليم ،والمرتبون ،والموقعون ،والفروانقيون والوكلاء والنظار ،والمنهون ،والكوهبانية ،والشعاوذة ،والراصدون ،واصحاب المرور ،والامناء ،والركابية ،والفيوج ،والسعاة ،والطراد،والبراجون ونظار المناور ٠

وبالاضافة الى ذلك فقد تعرض البحث لدراسة عدد آخر من الوظائف التكميلية ،شملت : السراجون ،والبياطرة ،والعلافون ،والسواس ،والراضة واصحاب الجوازات ومتولى نفقات المصانع والمشرفون عليها ٠

وقد تناولت الرسالة بالبحث فى هذا المبحث ايضا موضوع "البزة الرسمية" التى خصصت لولاة البريد بمختلف فئاتهم ،وكذلك موضوع الملابس الخاصة بالفيوج وعلامات اصحاب البرد ٠ كما اشار البحث الى الآلات التى كان رجال البريد يستعملونها فى الاغراض المختلفة ٠

كما تعرض البحث الى رسوم مكاتبات اصحاب البريد ذلك انهم كانوا موزعين الى فئات مختلفة بحسب الاعمال التى تناط بهم ،وتجرى رسوم مكاتباتهم على ضوء ذلك ٠

اما المبحث الثالث فقد جرى الحديث فيه عن اختصاصات ديوان البريد حيث كشفت المصادر عن اختصاصات عديدة ومتنوعة كانت تقع ضمن دائرة مسئولياته ٠

وفى المبحث الرابع والاخير من الفصل الاول عالج البحث موضوع مالية البريد ومايتصل بذلك من نفقاته الراتبة والطارئة فى عاصمة

الخلافة ،وفى الاقاليم المختلفة.

واختص الفصل الثانى بدراسة وسائل البريد فى نقل المعلومات والمراسلات .

وفيه اربعة مباحث افرد الاول منها لفرقة الرجالة،وقد شمل البحث فيه عن الفيوج والفروانقيون والسعاة حيث جرى تتبع نشأة كل منها وتطورها التاريخى .

اما المبحث الثانى فقد خصص لمتابعة المعلومات الواردة عن الخيالة والركابية من العاملين فى ديوان البريد وقد استلزم البحث الافادة من النصوص الواردة عن انواع الدواب التى كانت مستخدمة لاغراض البريد .

اما المبحث الثالث فقد خصص للحديث عن الحمام الرسائلى المشهور بالزاجل فقد تطرق البحث الى دراسة انواعه وتدريبه وكيفية حمله للرسائل كما تتبع دراسة التطور التاريخى لاستخدامه فى الدولة الاسلامية وتقصى المعلومات الخاصة بمراكزه (مطاراته) ،وخطوط انتقاله (مسارحه) فى الاقاليم المختلفة من الدولة الاسلامية .

وفى المبحث الرابع ،جرى الحديث عن الوسائل الاخرى التى كانت تستعمل لنقل الاخبار كالمناور والمراكب والكلاب وغيرها .

اما الفصل الثالث فقد افردته لدراسة الطرق وتفريعاتها ومنشآتها وتنظيمها وبذرقتها . ولقد واجه البحث فى المبحث الاول الخاص بمتابعة الطرق الخاصة بالبريد اختيارين صعبين :

اولهما ان يستعرض كافة الطرق كما وردت عند اقدم الجغرافيين المسلمين ثم يتبع ذلك بايراد ما اضافه غيره ممن جاءوا بعد ذلك تباعـ×

واما ان يجرى تتبع دراسة الطريق الواحد ومفرداته عندجميع الجغرافيين بشكل موحد ومتكامل مع الاشارة الى الفروق الواقعة بينهم . وهذا ما استقر عليه الرآى وجرى به العمل .

وقد ادى ذلك الى اختصار كبير للمساحة التى تحتلها الطرق فى هذه الدراسة . على ان البحث قد لاحظ التطورات الحاصلة فى الطرق والتى انعكست على شكل ظهور تفريعات جديدة او طرق بديلة او اختلافات فى تحديد المسافات بين نقطتين او فى ظهور مراكز جديدة واوضح كل ذلك فى مواضعه .

اما المبحث الثانى من الفصل فقد افرد لدراسة تنظيم الطرق والبذرقة . ففى تنظيم الطرق جرى الحديث عن الخدمات التى قدمتها الادارة الاسلامية للطرق كالرصف وانشاء الاميال ووضع المنارات ،وانارة الطرق وتوفير الضروريات للمجتازين ،وانشاء اماكن للاستراحة وتوفير الاسواق ،والتزاما بالامانة العلمية فقد استفادت هذه الدراسة من جملة من المرتسمات والمخططات الخاصة بمراكز البريد وغيرها من المبانى التى كشف النقاب عنها من قبل البعثات الاثارية على امتداد طرق البريد والتى كان من المهم الحاقها بالرسالة لغرض التوضيح وتعميما للفائدة علما بان هذه المرتسمات قد جرى وضعها من قبل جهات متخصصة وقد جرى العزو الى مصادرها عند ايرادها .

وفى متابعة دراسة البذرقة ،عالج البحث الاجراءات الامنية التى اتخذتها الادارة الاسلامية لضمان امن الطريق وسلامته وصلاحه لمواصلة انتقال الافراد والاموال والمعلومات ،وماحققته البذرقة فى هذا المجال .

وقد افرد الفصل الرابع والاخير من البحث لدراسة دور ديوان البريد واثره فى ادارة الدولة الاسلامية ،ومسئولياته فى ضمان الامن الداخلى والخارجى ،اضافة الى دراسة واقع العلاقات والترابط الوثيق بين ديوان البريد ،وبين المؤسسات المختلفة فى الدولة الاسلامية سواء كانت ادارية او مالية ام كانت امنية عسكرية او اجتماعية اقتصادية .

والفصل مقسم الى ثلاثة مباحث . المبحث الاول منها خاص بدور البريد فى ادارة الدولة وامنها،كما جرى الحديث فيه عن اثر البريد فى المجتمع .

اما المبحث الثانى فقد افرد لدراسة علاقات البريد بالمؤسسات الاخرى وكيفية تنسيق العمل بينها .وفيه تتبع البحث علاقة البريد بكل من الوزارة ،وديوان الجيش،وديوان الخراج ،وديوان بيت المال ،وديوان النفقات ،وديوان المصادرين ،ودار المعونة ،والقضاء ،والحسبة ودار الضرب .

اما المبحث الثالث فقد اختص بدراسة اثر البريد فى الحياة الاقتصادية ،وفيه جرى الحديث عن دور البريد فى مراقبة واردات الخراج وحالة عمارة البلاد ،والضياع وارزاق الاولياء ،والاسعار ،وكذلك مسئولياته فى مراقبة دور الضرب ومايجرى فيها ،ومراقبة حالة المناجم وكمية الذهب والفضة الواردة الى دور الضرب ،وكذلك مراقبة البريد للاسواق وحركة التجارة العامة .

اما الخاتمة فقد احتوت على خلاصة موجزة لاهم النتائج التى توصل اليها البحث والاضافات التى قدمتها الرسالة من خلال ماورد فى ثنايا الرسالة .

ولقد كان من الضرورى،من اجل اعطاء فرصة كاملة للقارىء فى متابعة فصول الرسالة وفقراتها ان يلحق بالبحث مجموعة ملاحق لغرض توضيح مايحتاج الى ذلك من امور فى ثناياه ،وقد تمثل ذلك فى ملاحق اربعة .

وقد احتوى الملحق الاول على نص عهد تولية والى البريد،وهو وان سبق وان حققه كاتب البحث ضمن رسالة الماجستير غير انه لم يسبق ان نشر . اضافة الى اهميته الكبيرة وعلاقته الوثيقة بموضوع البحث .

اما الملحق الثانى فقد اشتمل على نص رسالة وجهها والى البريد الى الخليفة المتوكل على الله عن مراقبة والى بغداد .

فى حين احتوى الملحق الثالث على نصوص توضح الكيفية التى كان يجرى بها مراقبة الوزراء ونقل اخبارهم بشكل مفصل ودقيق ،فان ارتباطها الوثيق بموضوع الرسالة واهميتها فى توضيح جوانب موضوعية منها قد الزمت الباحث بضرورة الحاقها اتماما للفائدة .

ان دراسة طرق البريد لايمكن ان تفهم بشكل دقيق او تحرى متابعتها متابعة علمية متفحصة دون ان يكون معها الخرائط المتكاملة ومع ان نصوص الطرق قد نشرت فى الاعم الاغلب غير ان مانشر فى مجموعه يحتاج الى خرائط تفصيلية وهذا جزء مما اضافة البحث فى هذا النطاق فقد الحق بالرسالة الملحق الرابع الذى يحتوى على مجموعة متكاملة من خرائط طرق البريد فى الدولة الاسلامية اجتهد الباحث ان تكون دقيقة وواضحة وبمقياس رسم معلوم وان تكون مراكز البريد المرسومة عليها مطابقة لواقع الحال وقد اوضحت مع كل خارطة المصدر الذى اعتمد عند اعدادها اعترافا بالفضل والتزاما بالامانة العلمية .

وفى الختام قدمت جريدة مفصلة بالمصادر والمراجع التى بنى عليها البحث .

وحيث ان اهمية هذه المصادر والمراجع متباينة فى اهميتها بالنسبة لبناء هيكل البحث فلابد والحال هذه من تقديم دراسة نقدية للتعريف باهم المصادر التى بنى عليها البحث والتى حصلت افادة كبيرة منها فى ثناياه وهو ماسنستعرضه فى الصفحات التالية .

دراسة تحليلية لأهم المصادر

دراسة نقدية لاهم مصادر البحث

" كتاب الخراج" :

لابي يوسف يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن خنيس بن سعد بن حبتة الانصارى الكوفى ،عاش رحمه الله بين سنتى ١١٣ – ١٨٢هـ ، نشأ فى بيئة علمية اذ ان مدينة الكوفة كانت فى عصره احد المراكز العلمية الرائدة . فكان رحمه الله يؤم مجالس العلماء ،حتى تفقه وحفظ التفسير والمغازى وايام العرب . كان احد تلاميذ ابى حنيفة لزمه وتفقه عليه حتى صار المقدم بين تلامذته ،وكان ابو حنيفة يتعاهده . وكان سريع الحفظ حاضر البديهة ،وصفه طلحة بن محمد بن جعفر بقوله " ابويوسف مشهور الامر ظاهر الفضل وهو صاحب ابى حنيفة وافقه اهل عصره ،ولم يتقدمه احد فى زمانه ،وكان النهاية فى العلم والحكم والرياسة والقدر واول من وضع الكتب فى اصول الفقه على مذهب ابى حنيفة واملى المسائل وبث علم ابى حنيفة فى اقطار الارض"[١] . اختلف فيه العلماء فعدله قسم منهم وهو الثابت ،وجرحه بعضهم فى روايات مختلفة ،فقد قال عنه ابو حاتم " يكتب حديثه"[٢] وقال عنه الامام احمد " صدوق"[٣] وقال عنه ابن قتيبة " كان صاحب حديث حافظا ثم لزم ابا حنيفة فغلب عليه الرأى"[٤] ،ونقل الخطيب البغدادى قول يحيى بن معين " ابو يوسف انبل من ان يكذب"[٥] ونقل

---

(١) الخطيب البغدادى – تاريخ بغداد (٢٤٥/١٤– ٢٤٦) .

(٢) ابن ابى حاتم – الجرح والتعديل (٢٠٢/٦) .

(٣) ن . م . س (٢٠١/٦) .

(٤) ابن سعد – الطبقات (٢٣٠/٧) .

(٥) الخطيب – م.س (٢٥٩/١٤) .

ايضا قوله " ليس احد من اصحاب الرأى اثبت عندى من ابى يوسف ولافى اصحاب ابى حنيفة احفظ للفقه عندى منه" (١) ،ونقل ايضا قوله " كان ابويوسف ثقة الا انه ربما كان غلط" (٢) .

هذا وبجانب شهرة ابى يوسف فى العلم فقد اشتهر بولايته للقضاء فقد ولى القضاء لثلاثة من الخلفاء العباسيين وهم المهدى والهادى وهارون الرشيد الذى كان حظيا عنده قريبا منه . وهو اول من لقب بقاضى القضاة .

ولابى يوسف مصنفات عديدة طبع منها كتاب الاثار،وكتاب الرد على سير الاوزاعى ،وكتاب الخراج (٣) وهو الذى نتناوله بالدراسة .

اما عن سبب وضع ابو يوسف لكتابه الخراج فقد ذكر ابو يوسف فى مقدمة كتابه بانه وضعه بناء على طلب الخليفة هارون الرشيد فى "ان يضع له كتابا جامعا يعمل به فى جباية الخراج والعشور والصدقات والجوالى

---

(١) ن . م . س (٢٥٩/١٤) .

(٢) ن . م . س (٢٥٩/١٤) .

(٣) ولمعلومات اوفى عن ترجمة ابى يوسف انظر ابن النديم ــ الفهرست (ص ٢٥٦ ــ ٢٥٧)، الخطيب البغدادى ــ م.س (٢٤٢/١٤ ــ ٢٦٢) ،وكيع اخبار القضاة (٢٥٤/٣ ــ ٢٦٤)، ابن خلكان ــ وفيات الاعيان (٣٧٨/٦ ــ ٣٩٠)، ابن الاثير ــ الكامل (٥٣/٩)، ابن تغرى بردى ــ النجوم الزاهرة (١٠٧/٢ ــ ١٠٩)، الذهبى ــ تذكرة الحفاظ (٢٩٢/١ ــ ٢٩٤)، ابن كثير البداية والنهاية (١٨٠/١) ،طاش كبرى زادة ــ مفتاح السعادة ومصباح السيادة (١٠٠/٢ ــ ١٠٧)، الزركلى ــ الاعلام (١٩٣/٨) .

وغير ذلك مما يجب النظر فيه والعمل به ،وانما اراد بذلك رفع الظلم عن رعيته والصلاح لامرهم" (١) • هذا ولايعتبر كتاب الخراج الذى صنفه ابو يوسف اول مؤلف فى موضوعه ،فقد اشارت المصادر الى عدد من المؤلفات اختصت بالدراسات المالية والخراجية فى الدولة الاسلامية والتى سبقت ابا يوسف فى وضعه لكتاب الخراج ،الا ان كتابه يعتبر اقدم واشهر المؤلفات التى وصلتنا مما يختص بالدراسات المالية ،وقد ظهرت بعده مؤلفات متعددة فى اطار تخصصه سواء كانت تلك المؤلفات اهتمت بالناحية الادارية او تحدثت فى الجانب الفقهى (٢) •

اما بالنسبة لمنهج ابى يوسف فى كتاب الخراج فقد صنفه على مقدمة واربعة وثلاثين فصلا ،وكان على هيئة اجابات لاسئلة وفى الثنايا استطرادات قيمة ضمنها مقترحات مفيدة وخطة عمل بناءة ،اقترح على الخليفة فيها العمل بها • وفيها ايضا نصائحه بشأن ادارة الدولة ومحاسبة العمال والموظفين فى كثير من مرافق الدولة • كما انه وضح الى جانب الخراج وموارد الدولة المالية الاخرى ،واجبات الدولة فى اصلاح الادارة ومحاسبة العمال ،واقامة الحدود ونشر العدل وقتال اهل الشرك والبغى واستدل بآيات من القرآن الكريم واحاديث النبى الكريم صلى الله عليه وسلم ،وعمل الخلفاء الراشدين وعمر بن عبدالعزيز ،وهو فى ذلككله يناقش آراء العلماء الذين سبقوه والذين هم من طبقته كما انه رجح رأيه احيانا على رأى شيخه ابى حنيفة • اما عن اسلوبه

---

(١) ابو يوسف ـ كتاب الخراج (تحقيق محمد ابراهيم البنا) (ص ٣١) •

(٢) د•السامرائى ـ مصادر دراسة النظم (مقال تحت الطبع فى مجلة كلية الشريعة (ص ٥) ،انظر السلومى ـ ديوان الجند (ص ١٥) •

روايته فقد حرص علي ايراد السند سواء كانت الرواية متصلة او منقطعة او مرسلة او مقطوعة (١) .

والخلاصة فان ابا يوسف قد قرن فى كتابه هذا الدراسة الشرعية الفقهية بالدراسات التاريخية ، وتطرق فيه لبعض الانحرافات التى كانت سائدة فى الدولة آنذاك ، وقدم الى الخليفة مقترحات عملية باصلاحها على مايوافق العدل .

اما عن مدى استفادة البحث من كتاب الخراج ، فقد جرت الافادة من مبحث (الزيادة والنقصان فى الخراج) ، ومن (اتخاذ العيون على العمال وحسن اختيارهم) من بين فصول الكتاب حيث افاد منها البحث فى الفصل الاول فى ذكر ولاة البريد فى الاقاليم . وفى الفصل الرابع فى ذكر علاقات البريد بديوان بيت المال ، حيث كانت المعلومات اساسية ولها اهميتها الخاصة .

---

(١) المتصلة وهى التى اتصل سماع سندها كل راو ممن فوقه الى منتهاه سواء كان الى الرسول صلى الله عليه وسلم او الى الصحابى .
والمنقطعة وهو الذى سقط من راوييها راو واحد على الا يكون صحابيا .
والمرسل وهو مارفعه التابعى الى النبى صلى الله عليه وسلم .
والمقطوعة وهو الحديث المضاف الى التابعى سواء كان متصل الاسناد ام لا .
انظر محمد الحسنى ـ القواعد الاساسية فى علم مصطلح الحديث (ص ٣٠، ٣٢، ٣٣، ٣٥) .

كتاب المسالك والممالك :

لابى القاسم عبيدالله بن احمد بن خرداذبة المتوفى سنة ٢٧٢هـ ينتسب المؤلف الى اسرة فارسية كان جده مجوسى واسلم على يد البرامكة (١) . تولى والده حكم طبرستان (٢)، تتلمذ عبيد الله على اسحاق الموصلى فاخذ عنه الموسيقى (٣)، وصفه المسعودى بانه " كان اماما فى التأليف بارعا فى التصنيف " (٤) . تولى البريد فى اقليم الجبال (٥)، ثم ولى ديوان البريد فى العاصمة (٦) . نادم الخليفة المعتمد فى سر من راى (٧) . له من المصنفات كتاب التاريخ الكبير وهو مفقود ، وكتاب المسالك والممالك وهو موضوع دراستنا (٨) .

اما عن سبب وضعه لمؤلفه فقد ابان فى مقدمة كتابه بانه قد عمل ذلك استجابة لطلب احد اصدقائه وذلك بقوله " فهمت الذى سألت افهمك الله جميع الخيرات واسعدك الى الممات وافلح فى الدارين سهمك ووفر فيهما قسمك من رسم ايضاح مسالك الارض وممالكها وبعدها وقربها " (٩) .

---

(١) ابن النديم ـ الفهرست (ص ٢١٢) .

(٢) بروكلمان ـ تاريخ الادب العربى (٢٣٤/٤) .

(٣) ن . م . س (٢٣٤/٤) .

(٤) المسعودى ـ مروج الذهب (١٤/١) .

(٥) ابن النديم ـ م.س (ص ٢١٢) .

(٦) بروكلمان ـ م.س (٢٣٤/٤) .

(٧) ابن النديم ـ م.س (ص ٢١٢) .

(٨) لمعلومات اوفى عن ترجمته انظر الفصل الثالث من هذا البحث .

(٩) ابن خرداذبة ـ المسالك (ص ١) .

والكتاب يقع فى مقدمة واربعة مباحث تحدث فى المقدمة عن صفة الارض وقبلة كل بلد ،كما تحدث عن السواد ومبلغ جباية الاموال .

والمبحث الاول تحدث فيه عن خبر المشرق وذكر فيه المسافات حتى بلغ بها حدود الصين،ثم ذكر فى المبحث الثانى خبر المغرب وتحدث فيه عن المسالك حتى بلغ الاندلس ،وفى المبحث الثالث تحدث عن خبر الشمال وذكر المسالك فيه حتى بلغ حدود الدولة الاسلامية الشمالية ثم تابع ذكر المسالك حتى بلاد الروم . وفى المبحث الرابع تحدث عن خبر الاجزاء الجنوبية والتى تمثل جزيرة العرب وذكر فيه المسالك الى مكة وانحاء الجزيرة العربية حتى بلغ اليمن . وهو فى هذا يذكر المسافات بالاميال فى الجهة الغربية وبالفراسخ فى الجهة الشرقية من العالم ،وفيه ايضا استطرادا عنمصادر المياه فى بعض الطرق ،وذكر لسكك البريد التى كانت موزعة فى الدولة الاسلامية ،وقد ذكر بانها بلغت ٩٣٠ سكة (١) . وقد ختم المؤلف كتابه بذكر العجائب التى شاهدها . ويعتبر كتاب ابن خرداذبة هذا اول مؤلف استقى معلوماته من وثائق رسمية فى ذكر طرق البريد ومسالك الدولك الاسلامية وهو فى مجمله يقدم معلومات اولية اساسية . استفاد البحث منها عند معالجة مسألة نفقات البريد فى الدولة الاسلامية ،اضافة الى ان جل المعلومات التى اوردها ابن خرداذبة عن الطرق قد حصلت الافادة منها فى الفصل الثالث عند متابعة طرق البريد فى الدولة الاسلامية .

---

(١) ابن خرداذبة ـ المسالك (ص ١٥٣) .

كتاب " المناسك واماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة " :

للامام ابى اسحاق ابراهيم بن اسحاق بن ابراهيم بشير بن عبدالله ابن ديسيم الحربى والذى عاش بين سنتى ١٩٨ - ٢٨٥هـ . وقدوصف بانه كان عارفا بالفقه بصيرا بالاحكام حافظا للحديث (١) ،صحب الامام احمد بن حنبل عشرين عاما ودرس عليه علم الحديث (٢) ،له من المؤلفات سبعة عشر مؤلفا منها كتاب المناسك وهو الذى نتناوله بالدراسة .

اما منهج الحربى فى كتابه ،فانه قد صنفه على اساس ذكر الطرق مبتدئا فيه بذكر طريق الكوفة - مكة والذى عرف بطريق الجادّة ،والقسم المنشور منه يبدأمن القاع ويستمر الى مكة وذلك لضياع الجزء الاول من المخطوط الاصل . ثم يذكر طريق البصرة الى مكة والمدينة ثم يتطرق الى ذكر الطرق التى تربط كل من اليمامة واليمن وحضرموت ومصر والشام والطائف وجدة بمكة المكرمة ،وهو فى خلال ذلك يذكر المسافات بالاميال ويحدد مصادر المياه ،ويذكر مراكز البريد الموجودة فى الطريق .

ويعتبر الحربى ادق من وصف طريق الجادة ،وذكر مراكز البريد .

اما عن مدى استفادة البحث من الكتاب ،فالواقع انه قد افاد من مجمل الكتاب ،وقد جرت الاستفادة منه فى الفصل الثالث فى ذكر طرق البريد فى الجزيرة العربية وفى ذكر البريد بين الكوفة ومكة . وفى

---

(١) الخطيب البغدادى - م.س (٦/٢٧ - ٤٠) .

(٢) ابن ابى يعلى - طبقات الحنابلة (١/١٧)، الجاسر - مقدمة كتاب المناسك للحربى (ص ٢٢) .

ذكر مراكز البريد ،حيث قدم معلومات اساسية لاغنى عنها فى مجال هذه الدراسة .

كتاب التاريخ :

لاحمد بن واضح بن ابى يعقوب اسحاق بن جعفر بن وهيب بن واضح اليعقوبى مولى صالح بن ابى جعفر المنصور المتوفى سنة ٢٨٤هـ ،كان المؤلف قريبا من البلاط العباسى رغم كونه من الشيعة الامامية الاثنى عشرية (١) وقد ارتحل كثيرا وطوف فى البلدان وكتب عنها . وقد اعانته خبراته العملية من تلك الرحلات وحصيلة معلوماته فى عمله الادارى فى تنظيم معلوماته وعرضها،له مؤلفات عديدة منها : مشاكلة الناس لزمانهم وكتاب التاريخ الذى هو موضوع دراستنا ،وكتابه " البلدان" وسنتناوله بالدراسة .

اماكتابه التاريخ فهو يتألف من جزئين اختص اولهما بتاريخ العالم من بدء الخليقة من آدم عليه السلام الى قبيل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم باسلوب مختصر مقتضب اعتمد فى ذلك بشكل اساسى على الاسرائيليات والمصادر النصرانية والقصص الشعبية . اما الجزء الثانى فقد بدأه بالحديث عن مولد النبى صلى الله عليه وسلم وهو يشتمل على بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ورسالته ،ثم يتطرق بشكل موجز الى عصر الخلفاء الراشدين حتى ايام امير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه حيث يتوسع فيها الى درجة كبيرة لكنه يعرض بصورة مقتضبة الى الخلافة الاموية منسجما مع عقيدته ،قبل ان ينتقل بعد ذلك الى الحديث عن خلفاء بنى العباس .

---

(١) ياسين الجعفرى ـ اليعقوبى المؤرخ والجغرافى (ص ٢٩)، محمد السلمى منهج كتابة التاريخ الاسلامى (ص ٣٧٨) .

ومنهجه فى هذا الكتاب يسير وفق تسلسل الخلفاء وذلك بذكر الحوادث المهمة فى حياة كل خليفة،ومعلوماته التاريخية غير دقيقة فهو يخطىء فى تحديد بعض التواريخ التى حدثت فيها الحوادث . ويوضح اليعقوبى منهجه فى الكتاب حيث يقول : " انه لما انقضى كتابنا الاول الذى اختصرنا فيه ابتداء كون الدنيا واخبار الاوائل فى الامم المتقدمة والممالك المفترقة والاسباب المتشعبة،الفنا كتابنا هذا على مارواه الاشياخ المتقدمون من العلماء والرواةواصحاب السير والاخبار والتأريخات ولم نذهب الى التفرد بكتاب نصنفه وبتكلف منه ماقد سبقنا اليه غيرنا لكنا قد ذهبنا الى جمع المقالات والروايات لانا قد وجدناهم اختلفوا فى احاديثهم واخبارهم فى السنين والاعمال" (١) . ومن خلال دراسة مؤلفه هذا تنعكس صورة معتقده الامامى الاثنى عشرى ذلك انه حين يأتى على ذكر خلافة كل من ابى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم فانه يمر بها بشكل مقتضب دون ان يسميها بالخلافة وعند مايعرض على ايام خلافة على بن ابىطالب رضى الله عنه فانه يفصل فى ذلك ويسميه امير المؤمنين . ويتكرر نفس الامر فى عصر بنى امية ، اما فى العصر العباسى فالراجح انه قدلجأ الى عقيدته فى التقية ،ذلك انه اطلق عليها تسمية " الخلافة المباركة" غير انه يتعرض لعدد من الاحداث التى تعكس وجهته الشيعية ،هذا بالاضافة الى انه قد يختلق بعض الاخبار والروايات (٢) .

اما عن مدى استفادة البحث من تاريخ اليعقوبى فقد جرت الافادة منه بشكل محدود وحذر فى اخباره التى اوردها عن خلافة المأمون ومابعد ذلك

---

(١) اليعقوبى ـ كتاب التاريخ (٥/٢) .

(٢) محمد بن صامل السلمى ـ منهج كتابة التاريخ الاسلامى (ص ٣٧٩) .

كتاب تاريخ الامم والملوك :

لابى جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الاملى الطبرى البغدادى ،ولد سنة ٢٢٤هـ ،عرف منذ صغره بالذكاء الحاد وسرعة الحفظ وقوة الذاكرة ،ولعل هذا كان السبب الذى دفعه الى حضور مجالس العلماء حيث ارتحل الى مختلف مدن الدولة الاسلامية ،فرحل الى الرى ،ثم الى مدن العراق ثم الى مصر ثم الى الشام حيث درس هناك الفقه الشافعى واخيرا عاد الى بغداد واستقر فيها للتدريس والانتاج العلمى وكان محورا من محاور الفقه حيث كون مذهبا خاصا عرف به • وقد حرص والده على سد كفايته من الناحية المالية منذ نعومة اظفاره ،ليتفرغ للعلم وقد وصف بشرف النفس وعلو الهمة والميل الى العلم والعفة والحفظ وقد قال عن نفسه "حفظت القرآن ولى سبع سنين وصليت بالناس وانا ابن ثمانى سنين وكتبت الحديث وانا ابن تسع "(١) ،وقد كان الطبرى على قدر من العلم فقد وصفه احد العلماء بقوله "كان كالقارئ الذى لايعرف الا القرآن وكالمحدث الذى لايعرف الا الحديث وكالفقيه الذى لايعرف الا الفقه وكالنحوى الذى لايعرف الا النحو ،وكالحاسب الذى لايعرف الا الحساب وكان عالما بالعبادات جامعا للعلوم واذا جمعت بين كتبه وكتب غيره وجدت لكتبه فضلا على غيرها"(٢) •

اما مصنفاته فهى كثيرة منها كتاب التفسير ،وكتاب تاريخ الامم

---

(١) مقدمة تاريخ الامم والملوك (٦/١) •

(٢) مقدمة محقق كتاب تاريخ الامم والملوك (١/١٠ - ١١) •

فى ثنايا الفصل الاول والثالث من البحث .

اما كتابه " البلدان" :

فقد اشار انه قد ذكر فيه " اسماء الامصار والاجناد والكور ومافى كل مصر من المدن والاقاليم والطساسيج ومن يسكنه ويغلب عليه ويتراس فيه من قبائل العرب واجناس العجم ومسافة مابين البلدان والبلد والبلد والمصر والمصر ومن فتحه من قادة جيوش الاسلام وتاريخ ذلك فى سنته واوقاته ومبلغ خراجه وسهله وجبله وبره وبحره وهواءه فى شدة حره وبرده ومياهه وشربه" .

وقد بدأ ذلك بالحديث عن مدينة بغداد وفصّل الحديث عنها اذ يعتبر افضل من تحدث عنها فى المصادر التى بين ايدينا ثم تلا ذلك بالحديث عن مدينة سر من راى ثم تلا ذلك بالحديث عن مدن المشرق الاسلامى . وتلا ذلك بالحديث عن الطريق من الكوفة الى مكة واستطرد بعد ذلك بالحديث عن المدينة المنورة وعن اعمال مدينة مكة ثم تلا ذلك بالحديث عن اليمن واعماله . وتلا ذلك بالحديث عن المناطق الشمالية من الدولة الاسلامية. ثم تلا ذلك بالحديث عن منطقة الشام ومصر والاندلس وهو فى هذا كله لم يكمل ماتعهد به فى مقدمته ،باستثناء ماذكره عن بغداد وسر من راى وولاه خراسان وبعض الحوادث البسيطة . هذا اما ذكره للمسافات والطرق فانه تطرق فى ذلك الى ذكر بعض طرق البريد (١) . وقد استفاد البحث منه فى ذكر الطرق فقد جرت الاستفادة منه فى الفصل الثالث من الرسالة فى ذكر طرق البريد حيث تمت مقارنة معلوماته عنها بالمعلومات التى قدمها من سبقه من الجغرافيين المسلمين .

---

(١) اليعقوبى ـ البلدان (ص ٣٢٥) .

والملوك وهو موضوع دراستنا[1] .

اما عن منهجه الذى اتبعه فى كتابه فقد ضمنه معلومات غزيرة من علمه ذلك انه كان من كبار علماء الشريعة وائمة الفقه متضلعا فى كثير من العلوم مثل التفسير والقراءات والعربية ومذاهب الفقهاء والسير والاخبار لذا كان كتابه فى التاريخ صورة حية لهذه الثقافة[2] فقد بدأ فيه بمقدمة عن الكون ثم مضى يستعرض التاريخ البشرى منذ هبوط آدم عليه السلام وماكان فى عهده وعهد ابنائه من احداث[3] ،وفى هذا القسم نجد ان الطبرى يجعل من تاريخ الانبياء المحور لتاريخ البشرية ذلك انه يذكر النبى ومن يعاصره من الامم والملوك[4] . وقد تطرق الى ذكر اخبار بنى اسرائيل والروم ،وتعرض لذكر " تاريخ العرب قبل

---

(١) انظر ترجمة محمد بن جرير الطبرى فى الخطيب البغدادى ـ تاريخ بغداد (١٦٢/٢ ـ ١٦٩)، ابن خلكان ـ وفيات الاعيان (١٩١/٤ ـ ١٩٢) ، النووى ـ تهذيب الاسماء واللغات (٧٨/١ ـ ٧٩)، ابن النديم ـ الفهرست (ص ٢٩١)، ابن الجوزى ـ المنتظم (١٧٠/٦ ـ ١٧٢)، ياقوت ـ معجم الادباء (٤٢٣/٦)، ابن الاثير ـ اللباب (٨١/٢)، السبكى ـ طبقات الشافعية (١٣٥/٢)، الخوانسارى ـ روضات الجنات (١٦٣/٤)، ابن كثير البداية والنهاية (١٤٥/١١ ـ ١٤٧)، ابن تغرى بردى ـ النجوم الزاهرة (٢٠٥/٣)، الذهبى ـ ميزان الاعتدال (٣٥/٣)، ابن الجزرى ـ طبقات القراء (١٠٦/٢ ـ ١٠٨)، ابن حجر ـ لسان الميزان (١٠٠/٥ ـ ١٠٣) الصفدى الوافى بالوفيات (٢٨٤/٢ ـ ٢٨٧)، السيوطى ـ طبقات المفسرين (ص ٣٠) ، ابن العماد ـ شذرات الذهب (٢٦٠/٢)، الزركلى ـ الاعلام (٦٩/٦)، رضا كحالة ـ معجم المؤلفين (١٤٧/٩ ـ ١٤٨)، محمد بن صامل السلمى منهج كتابة التاريخ الاسلامى (رسالة ماجستير ـ جامعة ام القرى سنة ١٤٠٤هـ) (ص ٣٨٤ ـ ٣٩٥) .

(٢) محمد السلمى ـ منهج كتابة التاريخ الاسلامى (ص ٣٨٦) .

(٣) ن . م . س (ص ٣٨٧) .

(٤) ن . م . س (ص ٣٨٧) .

البعثة النبوية من خلال مانقله عن تاريخ الانبياء[(١)] • ومصادره فى ذلك القرآن الكريم واقوال علماء التفسير • واقوال من اطلق عليهم اهل العلم باخبار الماضين وامور الامم السالفة[(٢)] •

اما القسم الثانى من كتابه فقد خصصه لتاريخ المسلمين ورتب حوادثه على اساس الحوليات مبتدئا فيه من الهجرة النبوية وحتى سنة ٣٠٢هـ ،وتختلف لديه حجم المعلومات الواردة عن الحوليات بحسب الحوادث التى تقع فيها[(٣)] ،ومصادر الطبرى فى هذا القسم كثيرة ومتعددة[(٤)] استوعب فيها غالب المؤلفات التى سبقت عصره[(٥)] ،اما الطريقة التى اتبعها فى كتابه فقد سلك طريقة المحدثين فى ذكر الاحداث مروية بطرق مختلفة مع ذكر الاسانيد حتى يصل الى صاحب الخبر ،وهو فى هذا يقدم الرواية الراجحة والاقوى سندا عن غيرهامن الروايات ،ذلك هو اسلوبه الذى شرحه فى مقدمة كتابه ،اذ يتضمن تقديم الرواية الراجحة لديه والتى استقاها من مصادر معاصرة للحدث ،ثم يأتى بالروايات الاخرى المدعمة للرواية الاولى والتى تمثل مايعتقده ثم يكمل الصورة بالروايات التكميلية وهو فى ذلك قد يورد روايات متناقضة ويتيح للقارىء مجال تدقيق الروايات من اجل الوصول الى الحقائق[(٦)] •

---

(١) ن • م • س (ص ٣٨٧)•

(٢) ن • م • س (ص ٣٨٧– ٣٨٨)•

(٣) ن • م • س (ص ٣٨٩) •

(٤) ن • م • س (ص ٣٨٩) •

(٥) ن • م • س (ص ٣٨٩) •

(٦) ن • م • س (ص ٣٩٢،٣٩٣)، السلومى – ديوان الجند (ص ٣٧) •

وكتاب التاريخ هذا يعتبر من بين المصادر الاساسية فى التاريخ التى قام عليها بناء هذه الرسالة وذلك لما ضمنه الطبرى فيه من معلومات مهمة .

كتاب اخبار القضاة :

لابى بكر محمد بن خلف بن حيان بن صدقة بن زياد الضبى المعروف بوكيع (١). كان المؤلف عالما فاضلا عارفا بالسير وايام الناس واخبارهم وله مصنفات كثيرة وكان حسن الاخبار (٢)، تقلد القضاء فى كور الاهواز توفى فى مدينة بغداد سنة ٣٠٦هـ (٣)، قرظه الدارقطنى بقوله " ابو بكر محمد بن خلف بن حيان بن صدقة الضبى البغدادى ،كان فاضلا نبيلا فصيحا من اهل القرآن والفقه والنحو" (٤)، وقال عنه الذهبى " هو صدوق انشاء الله " (٥) ، وصفه الخطيب بانه كثير التصنيف ،واورد من مؤلفاته " كتاب الطريق " و "كتاب الشريف " ، " وكتاب عدد آى القرآن والاختلاف فيه " ، "وكتاب اخبار القضاة" "وكتاب المكاييل والموازين " ،وقد طبع من مؤلفاته " كتاب الزهد" "وكتاب اخبار القضاة " (٦) وهو موضوع دراستنا .

---

(١) الخطيب البغدادى – م.س (٣٦/٥)، السلمى – م.س (ص ٣٣٢) .

(٢) الخطيب – م.س (٢٣٧/٥)، السلمى – م.س (ص ٣٣٢) .

(٣) الخطيب – م.س (ص ٢٣٧)، السلمى – م.س (ص ٣٣٢) .

(٤) ابن حجر – لسان الميزان (١٥٧/٥)، السلمى – م.س (ص ٣٣٢) .

(٥) الذهبى – ميزان الاعتدال (٥٣٨/٣)، السلمى – م.س (ص ٣٣٢) .

(٦) انظر ترجمته فى الخطيب البغدادى – م.س (٢٣٦/٥)، ابن حجر – لسان الميزان (١٥٦/٥ – ١٥٧)، الذهبى – ميزان الاعتدال (٥٣٨/٣)، السلمى م.س (ص ٣٣٢ – ٣٣٥) .

اما منهجه فى كتابه الاخير فقد جمع فيه اخبار القضاة ابتداء من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى نهاية القرن الثالث الهجرى ،وقد جعله من مقدمة ابان فيها الغرض من تأليفه الكتاب ثم قفى بذكر مسئولية القاضى ثم بدأ فى الموضوع ،وقد التزم فيه بالاسناد،[1] وكان غالبه بصيغة التحديث او الاخبار،[2] وخاصة فى الاحاديث النبوية مثل "حدثنا – اخبرنا"[3] . اما الاحداث التى تتعلق بالقاضى واسمه فانه لايلتزم على الدوام بالاسناد فهو يسند بعضها ويترك بعضها[4] . كما انه يعلق على بعض الاخبار من عنده ويسبق ذلك بقوله " قال ابو بكر "[5] وقد يرجح بعض الروايات اذا صادفته روايات متعددة ،وهو ينقد الاحاديث ويبين عللها ،كما انه ينتقد الرجال ويوضح رأيه فيهم ،وقد ينقل اقوال علماء الجرح والتعديل فيهم[6] .

وقداستفاد البحث من المعلومات التى اوردها عن القضاة فى عهد الخلفاء المنصور والمهدى والرشيد ودور البريد فى مراقبتهم ونقل اخبارهم وكذلك عناوقات دوام صاحب البريد ،وقد تركزت الافادة منه فى الفصل الاول عند بحث اختصاصات والى البريد .

---

(١) السلمى – م.س (ص ٣٣٣) .

(٢) ن . م . س (ص ٣٣٣) .

(٣) ن . م . س (ص ٣٣٣) .

(٤) ن . م . س (ص ٣٣٣) .

(٥) ن . م . س (ص ٣٣٣) .

(٦) ن . م . س (ص ٣٣٣) .

كتاب الوزراء والكتاب :

لابى عبدالله محمد بن عبدرس الجهشيارى الكوفى المتوفى سنة ٣٣١هـ/٩٥٦م ،وهو مؤرخ قديم من طبقة الطبرى والمسعودى[(١)] ،قرظه ابن النديم بقوله "احد الكتاب الاخباريين المترسلين"[(٢)] كانت صلته بالوزير ابن مقله انيط به حمل كسوة الكعبة فى سنة ٣١٧هـ[(٣)] ،قبض عليه وصودر عدة دفعات[(٤)] له من المؤلفات "كتاب ميزان الشعر والاشتمال على انواع العروض"[(٥)] وهو مفقود ،وكتاب الوزراء وهو موضوع دراستنا . وقد ترجم فيه للمشهورين من وزراء الدولة الاسلامية او من الكتاب وغيرهم حيث سار فى تعرضه لهم وفق تسلسل الخلفاء فى الدولة الاسلامية ابتداء من عهد ابى بكر رضى الله عنه وحتى عصر المأمون ،وقد قدم معلومات مهمة فى الادارة وخاصة عن البريد خلال حديثه عن خلافة المنصور ،وخلافة هارون الرشيد . وقد جرت الافادة منها عند تعرض البحث لذكر ولاة البريد فى الاقاليم ،وفى الفصل الرابع فى مراقبة اصحاب البريد للولاة .

كتاب الخراج وصنعة الكتابة :

لابى الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب البغدادى

---

(١) مقدمة كتاب الوزراء والكتاب ص (ز) .

(٢) ابن النديم ـ الفهرست (ص ١٤١) .

(٣) ابن مسكويه ـ تجارب الامم (٢٦٩/١)، ابن الاثير ـ الكامل (٢٠٧/٦) .

(٤) الصولى ـ كتاب الاوراق (ص ٨٣، ١٠١، ١٤٤) .

(٥) ابن النديم ـ م.س (ص ١٤١)، بروكلمان ـ تاريخ الادب العربى (٥٥/٣) .

والذى عاش بين سنتى ٢٥٥ – ٣٣٧هـ [1]،كان نصرانيا واسلم على يد الخليفة المكتفى بالله ،ووصف بانه من الفضلاء والفلاسفة وممن يشار اليهم فى علم المنطق ،منح بكلتا يديه فى علوم العربية وعلوم الشريعة وارتفع امره حتى ولى امر تدريب الكتاب ،وضع اكثر من عشرين مؤلفا ،طبع منها "كتاب جواهر الالفاظ" ،"وكتاب نقد النثر"،"وكتاب نقد الشعراء" [2]،وقد يسر الله لى تحقيق المنزلة الخامسة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة غير انه لم ينشر لحد الان ٠

اما منهج قدامة فقد كانت له طريقة مثلى فى التأليف وهو بارع فى التصنيف ،قسم كتابه الى منازل ثمانية لم تزل الاربعة الاولى منها مفقودة [3]،وماوصلنا منه هو المنازل من الخامسة وحتى الثامنة [4] ٠ تحدث قدامة فى المنزلة الخامسة عن الدواوين ومجالسها ومهماتها فى الدولة وهو المصدر الوحيد الذى يقدم مثل هذه التفصيلات [5]، وفى المنزلة السادسة تحدث عن امر الارض والفتوحات وارتفاع الاموال ٠ اما المنزلة السابعة فقد تحدث فيها عن وجوه الاموال ،فى حين خصص المنزلة الثامنة للمباحث الخاصة بدراسة المجتمع وهو فى هذا يسبق ابن خلدون بعدة قرون [6] ٠

---

(١) مقدمة المنزلة الخامسة من كتاب الخراج (ص ٧)٠

(٢) لمعلومات اوفى عن ترجمته انظر مقدمة المنزلة الخامسة من كتاب الخراج (ص ٧ – ١٣٠) ٠

(٣) مقدمة المنزلة الخامسة من كتاب الخراج (ص ١٢٥) ٠

(٤) ن ٠ م ٠ س (ص ١١٦) ٠

(٥) ن ٠ م ٠ س (ص ١٠٧) ٠

(٦) ن ٠ م ٠ س (ص ١١٧ – ١١٨) ٠

ولقد استفاد البحث كثيرا من المعلومات الواردة فى الكتاب عن ديوان البريد ،وكذلك من المعلومات الواردة فيه عن ديوان الانشاء والتفصيلات التى قدمها فى ذكر طرق البريد وسككه الى نواحى المشرق وقد تحدث عنها بشكل مفصل تميز فى بعض الطرق عن كثير من الجغرافيين الذين سبقوه . وقد انفرد بمعلومات عن طرق بريد لم يذكرها غيره ،ويمتاز قدامة بانه يستند فى مايقدمه الى المعلومات الرسمية عن طرق البريد وقد بسطت القول فى هذا فى الفصل الثالث ،وقد استفاد البحث كثيرا من المعلومات التى وردت عن ديوان البريد ،كما اعتمد كثيرا على معلوماته الموثقة عن الطرق فى الفصل الثالث من الرسالة .

كتاب صفة جزيرة العرب :

للحسن بن احمد بن يعقوب الهمدانى المعروف بابن الحائك الذى عاش فيما بين سنتى (٢٨٠ - ٣٣٧هـ) ،وكان من العلماء الذين اسهموا بنصيب وافر فى علوم شتى كالعربية والفلك والطب والجغرافية والنسب . وصفته المصادر بتعصبه للقحطانية غير ان ذلك لم يثبت عليه .

اما منهجه فى مؤلفه فقد قسمه الى واحد وتسعين مبحثا بدأ فيه بذكر معرفة افضل البلاد المعمورة . ثم تلا ذلك بالحديث عن اقاليم الارض ،وقفى ذلك بدراسة مفصلة عن اليمن مدنها واوديتها ومسافاتها وغير ذلك ،ويعتبر الهمدانى فى هذا ادق من تحدث عن اليمن من الجغرافيين المسلمين وذلك لانه بنى كتابه على اساس تجربته وخبراته الذاتية وتجوله فى المناطق التى كتب عنها فى جزيرة العرب موطنه

فقد اعتمد فيها على مشاهدته الشخصية وخبراته التى اكتسبها من تلك الرحلات التى قام بها ،كذلك معرفته بقبائل اليمن ومناطقها مما مكنه من التوسع فى ذكر كثير من المواقع الجغرافية بشكل دقيق مما لم نجد مثيلا له عند غيره ،وعليه فان كتاب الهمدانى من الكتب الجغرافية التى لها اهميتها فى التعريف بالمدن والطرق وقد استفاد البحث منه فى ذكر الطرق من بغداد الى مكة ،وفى ذكر الطرق الى اليمن وكانت فائدته كبيرة فى توثيق المعلومات الواردة عند بعض الجغرافيين بشأن بعض طرق الجزيرة وتدقيق مسافاتها .

كتاب الولاة وكتاب القضاة :

لابى عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندى الذى عاش بين سنتى (٢٨٣ ــ ٣٥٠هـ)(١) . وصف الكندى بانه كان عارفا باحوال الناس وسير الملوك(٢) وكان من جملة اهل العلم بالحديث سمع من النسائى وغيره وحدّث فى آخر عمره(٣) ،وكان عالما بالنسب وعلوم العربية(٤) ،كما كان يتفقه على مذهب العراقيين(٥) ،وقد وصف بانه كان اعلم الناس بمصر واهلها وثغورها واعمالها(٦) ،له مصنفات فى تاريخ مصر واحوالها منها " كتاب الخطط" "وكتاب

---

(١) مقدمة كتاب الولاة والقضاة (ص ٤) .

(٢) ن . م . س (ص ٤) .

(٣) ن . م . س (ص ٥) .

(٤) ن . م . س (ص ٥) .

(٥) ن . م . س (ص ٥) .

(٦) ن . م . س (ص ٥) .

الموالى" ،"وكتاب الاجناد العربية" ،"وكتاب سيرة مروان الجعدى "
"وكتاب اخبار قضاة مصر "(١) وهو موضوع دراستنا .

اما منهجه فى كتابه فانه قد قسمه الى سبعة ابواب تحدث فى الباب الاول عن القضاة الذين ولوا القضاء فى مصر بين سنة ٢٣هـ الى سنة ٩٠هـ ، وفى الباب الثانى تحدث عن قضاة مصر بعد ذلك الى سنة ١٢٨هـ ،وفى الباب الثالث وصل فى تاريخ قضاة مصر الى سنة ١٦٨هـ ، اما فى الباب الرابع فقد ارخ لهم حتى سنة ١٩٤هـ ،وفى الباب الخامس الى سنة ٢١١هـ ، وفى الباب السادس الى سنة ٢٣٠هـ ،وفى السابع الى سنة ٢٤٦هـ .

اما طريقته التى اتبعها فى تقديم المعلومات فقد سلك طريقة المحدثين فى ذكر الروايات مسندة . وقد استفاد البحث من المعلومات التى ضمنها كتابه عند حديثه عن القضاة فى عهد الرشيد والمأمون وموقفهم منولاة البريد فى مصر وجرت الفائدة من المعلومات التى ذكرها فى الفصل الاول عند الحديث عن اختصاصات والى البريد فى القسم الخاص بمراقبة القضاة وكذلك عند التعرض لبحث انحرافات ولاة البريد .

كتاب المسالك والممالك :

لابى اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسى الاصطخرى(٢) ،المتوفى سنة ٣٤٠ هـ

---

(١) ن . م . س (ص ٤) .

(٢) نشر الكتاب عدة نشرات الاول منها نشره دى غويه تحت اسم "مسالك الممالك" فى سنة ١٨٧٠م ضمن المجموعة الجغرافية ،ونشر ثانية بتحقيق محمد جابر الحينى سنة ١٣٨١هـ .

وقد اغفلت المصادر الاشارة الى ترجمة حياته [١]، التقى به ابن حوقل في سنة وفاته .

اما منهجه الذى اتبعه فى كتابه فقد جعله مقسما على اقاليم الارض واختص به بلاد الاسلام اذ اشار الى ذلك فى مقدمة كتابه فقال : "فانى ذكرت فى كتابى اقاليم الارض على الممالك وقصدت منها ديار الاسلام بتفصيل مدنها وتقسيم مايعود بالاعمال المجموعة عليها ،ولم اقصد الاقاليم السبعة التى قسم عليها المعمور بل جعلت كل قطعة افردتها مصورة تحكى موضع ذلك الاقليم ،ثم ذكر مايحيط به من الاماكن ومافى اضعافه من المدن والبقاع المشهورة والبحار والانهار ومايحتاج الى معرفته من جوامع مايشتمل عليه ذلك الاقليم" [٢]،وقد بدأ بذكر ديار العرب ،ثم تلا ذلك ذكر بحر فارس ،ثم ديار المغرب والاندلس ،ثم ديار مصر ثم الشام ،وارض الجزيرة ،والعراق ،وخوزستان ،وفارس ،وكرمان وبلاد السند ،وارمينية ،والجبال ،والديلم ،ومفازة خراسان وسجستان وخراسان ،وماوراء النهر ،وخوارزم ،وقد اتبع فى ذكر المعلومات ثلاث اسس الاول منها المشاهدة ،والثانى منها تحرى الدقة ،والثالث سماع الاخبار والاقتصاد فى روايتها .

وقد استفاد البحث من معلوماته التى قدمها عن الطرق فى المشرق الاسلامى حيث انه ذكر المسافات فى كثير من الطرق الواردة فى الكتاب وقد حصلت الافادة منها فى الفصل الاول عند الحديث عن الملابس الخاصة بالبريديين . وفى الفصل الثالث عن الحديث عن طرق البريد حيث جرت الافادة من معلوماته فى المجال الاخير لزيادة التوثيق .

---

(١) كراتشكوفسكى ــ تاريخ الادب الجغرافى (١٩٩/١)،مقدمة الحينى (ص ٩) .

(٢) انظر مقدمة كتاب المسالك والممالك (ص ١٠) .

كتاب صورة الارض :

لابى القاسم محمد بن على الموصلى الحوقلى ،والذى انتهى من وضع كتابه فى سنة ٣٦٧هـ ،كان من التجار المثقفين بدأ رحلاته من مدينة بغداد فى سنة ٣٣١هـ ،وزار الكثير من مدن الدولة الاسلامية،وقد التقى بابى اسحاق الاصطخرى فى سنة ٣٤٠هـ ،ختم رحلاته فى سنة ٣٦٢هـ ، اعتمد فى وضعه لكتابه على اسس ثلاثة . الاول منها ما ادركه وشاهده بالعيان والثانى منها ما استقاه من اهل البلدان والمناطق المختلفة ،والثالث منها ما اعتمد عليه من المصادر الجغرافية التى سبقته ككتاب ابن خرداذبة وكتاب الجيهانى ،وكتاب قدامة بن جعفر .

وقد افاد البحث من مجمل الكتاب ،وتركزت فائدته فى الفصل الثانى فى تحديد موضع المناور ،وفى الفصل الثالث فى تحديد المواضع فى طرق المغرب ،وكذلك فى توثيق كثير من المعلومات الواردة عن الطرق الاخرى فى مصادرنا الجغرافية الاسلامية .

كتاب احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم :

لشمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد بن ابى بكر البشارى البناء الشهير بالمقدسى ،تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن منذ نعومة اظفاره ،تفقه على مذهب الامام ابى حنيفة ،وقام برحلات كثيرة بنى عليها اساس الخبرات التى انعكست فى كتابه الذى اكمل تأليفه فى حدود سنة ٣٧٥هـ ،كما انه اعتمد ايضا على المصادر الجغرافية الاخرى الموضوعة فى مجال تأليفه .

امامنهجه الذى اتبعه فى كتابه فقد قسمه الى مقدمة وجزئين تحدث فى المقدمة عن ديار الاسلام واشتمل الجزء الاول منه على سبعة مباحث اختص فيها بدراسة الاقاليم التى يقطنها العرب ، اما الجزء الثانى فقد اشتمل على احدى عشر مبحثا ،تناول فيها دراسة الاقاليم التى يقطنها الاعاجم ،وهو فى هذا كله يذكر الاقليم ثم يتحدث عن اشهر مدنه ،ثم يتبع ذلك بدراسة عن جملة شئون الاقليم يذكر فيها مناخه وعادات اهله ومذاهبهم وقراءاتهم ،ومعادنهم ،وزروعهم ،ولباسهم ،ونقدهم ومقدار خراجهم ،ثم يقفى ذلك بذكر المسافات التى بين مدن الاقليم والطرق الموجودة والطرق التى تؤدى اليه من الاقاليم الاخرى والطرق التى تخرج منه كذلك . وقد اعتمد البحث على معلومات المقدسى التى قدمها فى هذا الكتاب فى مجمل البحث ،غير انه اعتمد عليه كثيرا فى توشيق طرق البريد وخصوصا من معلوماته الخاصة بذكر اجمالى المسافات الفاصلة بين المدن المختلفة . وذلك ماعالجه البحث فى القسم الاول من الفصل الثالث .

كتاب نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة :

لابى على المحسن بن على التنوخى والذى عاش فيما بين سنتى (٣٢٧ - ٣٨٤هـ) الذى ولد بالبصرة ،وكان ابوه قاضى عسكر مكرم والسوس وتستر وجنديسابور ،وقد نشأ منذ صغره محبا للعلم ،سمع من ابى بكر (١) الصولى ،وابى العباس الاثرم والحسين بن محمد النسوى ،وتولى فى سنة (٢)

(١) مقدمة محقق الكتاب (ص ١٩) .

(٢) ابن خلكان - وفيات الاعيان (٣٠١/٣) .

٣٤٩هـ قضاء القصر وبابل وسقى الفرات،ثم ولاه المطيع قضاء عسكر مكرم وايذج ورامهرمز كما تولى فى سنة ٣٦٣هـ قضاء واسط ،ثم لجأ الى[(١)] البطيحة هربا من ابن بقية وزير عز الدولة بختيار بن بويه[(٢)] ،ولعل خوفه من ابن بقية هو الذى دفعه الى التقرب الى عز الدولة فقد تقدم فى ايام عز الدولة وولى القضاء فى عدة اماكن ،واتخذه عضد الدولة نديما[(٣)] ثم عزله عن جميع مناصبه وحبسه فى داره[(٤)] .

وقد بدأ التنوخى فى وضع كتابه هذا منذ سنة ٣٦٠هـ ،واكمل تأليفه فى سنة ٣٨٠هـ[(٥)] .

اما منهجه فى الكتاب فقد سار فيه على اساس سرد اخبار متفرقة دون ان ترتبط بتنظيم معين او بحادثة معينة ودون ارتباط بالسنين ايضا ويبدو انه فى ذلك كان يعمد الى كتابة كل مايحضره من الاخبار ،لذا نجد كتابه عبارة عن مجموعة من الاخبار المتفرقة المتناثرة التى لاترابط بينها . الا ان المؤلف قد التزم بالاسناد عند ايراده للاخبار حتى انه يوصل الرواية الى شاهد العيان او الى من سمعه ممن حضره وقد استفاد البحث فى مجمله من عدد كبير من الاخبار التى وردت فى اجزاء الكتاب الثمانية .

---

(١) التنوخى ـ نشوار المحاضرة (١٩/٥ ـ ٢٠)، ابن الجوزى ـ المنتظم (١٧٨/٧) .

(٢) مقدمة المحقق (ص ٢٤) .

(٣) ن . م . س (٨٢/٧ ـ ٩٢) .

(٤) الروذراورى ـ ذيل تجارب الامم (ص ٢٠ ـ ٢١) .

(٥) مقدمة محقق الكتاب (ص ٢٣) .

اما كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي :

فقد بدأ في تأليفه في سنة ٣٧٣هـ (١) ،وسار فيه على نفس نهج كتاب النشوار بذكر الاخبار متفرقة، الا انه خصصه للامور التي تعقدت ثم اعقبها الفرج من الله سبحانه وتعالى . فقد افاد البحث من المعلومات التي وردت في هذا الكتاب عن التنظيمات بالبريد في فترة البحث وخاصة تلك التي كانت في القرنين الثالث والرابع الهجري ،وقد جرت الافادة في الفصل الاول من الرسالة عند الحديث عن اصحاب الاخبار ،وفي الفصل الثاني عند الحديث عن خدمات الفيوج ،وفي الفصل الرابع عند الحديث عن دور البريد في الادارة والامن .

كتاب مفاتيح العلوم :

لابي عبدالله محمد بن احمد بن يوسف الخوارزمي المتوفى سنة (٣٨٧هـ/٩٩٧م) ،والذي يعتبر بحق اقدم دائرة معارف اسلامية ،فقد ضم الكتاب في جنباته تراجم لعدد كبير من المصطلحات وخاصة تلك التي تتعلق بالجانب الاداري في دواوين الدولة ،وقد استفاد البحث منه في ذكر المصطلحات المستعملة في ديوان البريد كما جرت الافادة منه في الفصل الاول عند الحديث عن مجالس الديوان .

---

(١) ن . م . س (ص ٢٧) .

كتاب الـــوزراء او "تحفة الامراء فى تاريخ الوزراء" :

لابى الحسن هلال بن المحسن بن ابراهيم بن هلال بن ابراهيم بن زهرون بن حبون الصابى الحرانى ،والذى عاش بين سنتى (٣٥٩ – ٤٤٨هـ) (١) كان جد ابيه هلال طبيبا ،وكان اسحاق جده اديبا وهو احد كتاب الدولة العباسية (٢) ،تقلد ديوان الرسائل و امتنع عن الاسلام (٣) ،وقد اعتنق هلال ابن المحسن الاسلام بعد ان تجاوز الاربعين من عمره (٤) ،وكان اديبا سمع من ابى على الحسن بن احمد الفارسى ومن على بن عيسى الرمانى،وابى بكر محمد الخراز ،وصف بانه صدوق .

اما كتاب الوزراء فقد كان عبارة عن ترجمة لحياة عدد من الوزراء واستطرد فى خلال ذلك فذكر كثيرا من الامور المتعلقة بادارة الدولة . وقد حصلت الافادة منه فى الفصل الاول من الرسالة عند الحديث عن رسوم مكاتبات اصحاب البريد اضافة الى بعض الاخبار المتفرقة التى اوردها الصابى عن البريد،وكذلك فى الفصل الثانى عند الحديث عن نفقات البريد واجراءات الوزير على بن عيسى المالية اضافة الى الفصل الرابع عند الحديث عن مراقبة العمال .

---

(١) لمعلومات اوفى عن ترجمته انظر ابن خلكان – وفيات الاعيان (١٠١/٦ – ١٠٥)،ابن الانبارى – نزهة الالباء (ص ٣٥١)،ابن الجوزى – المنتظم (١٧٦/٨ – ١٧٩)،ابن تغرى بردى – النجوم الزاهرة (٦٠/٥)،ابن العماد – شذرات الذهب (٢٧٨/٣) .

(٢) مقدمة المحقق ص (ج) .

(٣) ابن الجوزى – المنتظم (ص ١٧٧)،مقدمة المحقق ص (د) .

(٤) ابن الجوزى – م٠س (ص ١٧٧)،ابن العماد – م٠س (٢٧٨/٣) .

كتاب تجارب الامم :

لابى على احمد بن محمد بن يعقوب المعروف بمسكويه . المتوفى سنة (٤٢١هـ/١٠٣٠م) ، مؤرخ اصله من الرى ، سكن اصفهان وبها توفى ، اشتغل بالكيمياء والمنطق والفلسفة مدة ثم اتجه الى دراسة التاريخ والادب ، عمل قيما على مكتبة ابن العميد ، ثم كاتبا لعضد الدولة بن بوية فلقبه بالخازن ، ثم اختص ببهاء الدولة بن بويه وعظم شأنه عنده . له مؤلفات كثيرة والذى يعنينا منها هو كتاب تجارب الامم ، وهو كتاب تاريخى سار فيه المؤلف على طريقة الحوليات الا انه ضمنه الكثير من المعلومات الادارية . وقد اورد فى كتابه نصوصا جيدة عن البريد ، وقد افاد البحث منه فى الفصل الاول ، عند الحديث عن اصحاب الاخبار وكذلك فى الفصل الثانى والرابع من الرسالة .

(١) (٢) (٣)

كتاب معجم البلدان :

لشهاب الدين ابى عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموى الرومى البغدادى المتوفى سنة (٦٢٦هـ/١٢٣٢م) ، كان غلاما روميا ثم تهيأ له القيام برحلات كثيرة الى مختلف اصقاع العالم الاسلامى . استفاد منها فى تأليف كتابه الذى صنفه على حروف المعجم ، وقد جعل له مقدمة ابان فيها مصادر معلوماته التى اوردها فى كتابه فكانت على اساسين الاول منهما خبراته الشخصية والثانى المصادر الجغرافية التى اشار اليها عند نقله للمعلومات اذ انه يحرص فى كل خبر يورده ان يحيل

---

(١) الزركلى ـ الاعلام (٢١١/١) .
(٢) ن . م . س (٢١٢/١) .
(٣) ن . م . س (٢١٢/١) .

القارئ الى مصدره • ويعتبر كتابه هذا من اجل الكتب الجغرافية فائدة في التعريف بالمواضع مرتبا بذلك ترتيبا ابجديا ،وقد افاد البحث منه في الفصل الثالث في تعريف المواضع التي وردت في الطرق وفي توثيق بعض المعلومات التي وردت عن مسافات الطرق في الفصل الثالث من الرسالة •

كتاب الكامل في التاريخ :

لابي الحسن علي بن محمد بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الملقب بعز الدين ابن الاثير الجزري المتوفي سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م ، وهو كتاب في التاريخ العام تطرق فيه الى ذكر الاحداث التي كانت في العالم ،وفق الحوليات ،واعتمد في ذلك على مصادر موثقة كالطبري ،وهو يحتوي على معلومات ذات قيمة كبيرة لدارسي التاريخ والحضارة الاسلامية اختصر المعلومات التي اوردها الطبري في تاريخه ثم اضاف اليها من حيث توقف الطبري،وهو يورد جملة من المعلومات الادارية والاجتماعية والاقتصادية ،وقد افاد البحث منه في توثيق المعلومات التي وردت في المصادر الاخرى في تدقيق بعض الروايات وبشكل خاص في معلوماته عن الاحداث التي جرت بعد وفاة الطبري •

كتاب الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية :

لمحمد بن علي بن طباطبا العلوي المعروف بابن الطقطقي المتوفي سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م وفيه يعالج الامور السلطانية والسياسات الملكية ثم يقفي بالحديث عن الدولة الاسلامية مبتدئا في ذلك بالخلفاء الراشدين

فالامويين فالعباسيين ويتوقف فى معلوماته عند خلافة المستعصم بالله سنة ٦٤٠هـ ،وقد نهج فى ذكره للاحداث وفق تسلسل الخلفاء الزمانى ،وقد افاد البحث منه فى مواضع مختلفة ولعل اهمها فى ذكر البريد فى العصر الاموى فى مقدمة الرسالة ،وفى الفصل الرابع عند معالجة دور البريد فى الاقتصاد .

كتاب التعريف بالمصطلح الشريف :

لابى العباس شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله المجلى بن دعجان بن خلف بن نصر القرشى العدوى العمرى الدمشقى الشافعى ، الذى عاش بين سنتى (٧٠٠ – ٧٤٩هـ/١٣٠٠ – ١٣٤٨م) . كان اديبا ناظما للشعر والنثر مؤرخا ولد بدمشق وتولى القضاء بها وتوفى بها يوم الوقوف فى عرفات (١) وقد تناول فى كتابه هذا الحديث عن الامور السلطانية اذ بدأ فيه بذكر نماذج من المكاتبات المختلفة ثم قفى ذلك بذكر العهود والتقاليد والتفاويض والتواقيع والمراسيم والمناشير . ثم قفى ذلك بذكر نطاق الممالك من المدن والقلاع وغيرها ثم قفى بذكر مراكز البريد والحمام وهجن الثلج والمناور ،ثم تلاه بذكر اوصاف ماتدعو الحاجة اليه. وهو فى هذا قد جعل الكتاب سبعة ابواب ،قسم السابع منها الى سبعة فصول . وقد

---

(١) لمعلومات اوسع عن ترجمته انظر ابن حجر – الدرر الكامنة فى اعيان المئة الثامنة (٣٣١/١ – ٣٣٣)، ابن تغرى بردى – النجوم الزاهرة (٢٣٤/١٠ – ٢٣٥)، الدليل الشافى على المنهل الصافى (٩٦/١) ، ابن العماد – شذرات الذهب (١٦٠/٦)، السيوطى – حسن المحاضرة (٣٢٩/١) ، محمد كرد على – كنوز الاجداد (ص ٣٧٥ – ٣٨٠)، رضا كحالة – معجم المؤلفين (٢٠٤/٢ – ٢٠٥) .

استفاد البحث من معلوماته فى ذكر مراكز البريد ،كما افاد البحث منه فى جوانب كثيرة ،خاصة فيما يتعلق بالوسائل التى كانت مستعملة فى نقل المراسلات الرسمية فى الفصل الثانى من الرسالة .

صبح الاعشى فى صناعة الانشا :

لابى العباس احمد بن على بن احمد بن عبدالله الشهاب بن الجمال ابن ابى اليمن القلقشندى . الذى عاش بين سنتى (٧٥٦ - ٨٢١هـ) ،وقد درس الفقه فى اول امره ثم تعانى الادب ،ثم خاض غمار الوظائف الحكومية حتى اصبح نائبا فى الحكم ،توفى ليلة السبت عاشر جمادى الاخرة عن عمر يناهز الخامسة والستين .(١)

اما كتابه والذى يقع فى اربعة عشر جزءا فقد قسمه الى عشر مقالات ،ثم قسم المقالات الى ابواب ثم قسم الابواب فى فصول،وقد جعل للكتاب مقدمة قسمها الى ابواب خمس تحدث فيها عن فضل الكتابة وديوان الانشاء وقوانينه ،ثم ختم الكتاب بخاتمة قسمها الى اربعة ابواب تحدث فيها عن البريد ومطارات الحمام ومراكز الثلج ،ومواضع المناور وهى مجالات استفاد منها البحث كثيرا ،فقد جرت الافادة منه فى مواضع شتى من البحث ،وعلى الاخص عند الحديث عن تشكيلات ديوان البريد ،وعن وسائل نقل المعلومات .

---

(١) لمعلومات اوفى عن ترجمته انظر : السخاوى - الضوء اللامع فى اعيان القرن التاسع (٨/٢)، ابن تغرى بردى - المنهل الصافى (٣٣٠/١) الدليل الشافى على المنهل الصافى (٥٥/١)، ابن العماد - شذرات الذهب (١٤٩/٧)، طاش كبرى زاده - مفتاح السعادة ومصباح السيادة (١٨٢/١) ، كحالة - معجم المؤلفين (٣١٧/١) .

ومن الجدير بالذكر ان هذه المصادر لم تكن وحدها التى شكلت المادة العلمية للبحث . ولكنها اهم تلك المصادر التى بنى عليها هيكل البحث واسهمت كثيرا فى اخراجه الى النور .

ومما لاشك فيه ان البحث قد استقى معلومات اخرى من مؤلفات كثيرة سواء كانت مصادر مخطوطة او مطبوعة، او مراجع حديثة كتبت باللغة العربية او غيرها من اللغات الاخرى،هذا بالاضافة الى عدد من الدوريات ولعل من المفيد ان اذكر من بين تلك المراجع كتاب نظام البريد فى الدولة الاسلامية للدكتور نظيرحسان سعداوى رحمة الله،فقد افاد البحث من هذا الكتاب فى الحديث عن ديوان البريد ،على الرغم مما اعتوره من نقص الا ان كاتبه اجتهد على قدره .

ومن المراجع التى افاد البحث منها كتاب " تاريخ العراق الاقتصادى فى القرن الرابع الهجرى" للدكتور عبدالعزيز الدورى ،فقد استفاد البحث منه فى الحديث عن المواصلات الداخلية ،وجرت الافادة منه عند الحديث عن ديوان البريد وعند الحديث عن وسائل نقل المعلومات وكذلك فى ذكر الطرق .

ومنها ايضا كتاب "المؤسسات الادارية فى الدولة العباسية خلال الفترة (٢٤٧ - ٣٣٤هـ / ٨٦١ - ٩٤٥م) لاستاذى الدكتور حسام الدين قوام الدين السامرائى الذى افدت منه عند الحديث عن مقومات ديوان البريد وتنظيماته ووظائفه ،وكذلك عند البحث فى نفقات ديوان البريد ،وكذلك فى اختصاصات البريد ،كما جرت الافادة منه فى مواضع شتى من البحث .

وفى الختام لابد من الاشادة بالجهد الكبير الذى بذلته اللجان المتخصصة فى ادارة الآثار بالمملكة العربية السعودية حيث عملت ضمن

مشاريعها العلمية على الكشف عن عدد كبير من الطرق وآثار العمائر الممتدة على طولها والتى افاد منها الباحث كثيرا فى ربطه لمعلومات التاريخ بالواقع المعاصر مما عزز ووثق المعلومات التى وردت فى مصادرنا المختلفة كما افاد من اعمال المهندسين الخاصة برفع العمائر وعمل المرتسمات للآثار المتبقية بمحاذاة الطرق والتى اعانت كثيرا فى تحديد وتعيين مراكز البريد وقد افاد البحث من هذه الجهود كثيرا فى الفصل الثالث بعامة حيث متابعة الطرق فى القسم الاول،وخدمات الطريق فى القسم الثانى منه.

والله الموفق ومنه نستمد العون والسداد والرشد ..

التمهيد ..

نشأة البريد في الإسلام وتطوره حتى نهاية العصر الأموي

- عصر النبوة والراشدين
- العصر الأموي

تشير المصادر الى ان البريد فى صدر الاسلام كان يطلق على الرسل اى على كل من يرسل بمهمة محدودة معلومة ،ويؤيد ذلك ما اورده ابوداود فى سننه قال : " حدثنا احمد بن صالح (١) ،حدثنا عبدالله بن وهب (٢) ، اخبرنى عمرو (٣) ،

---

(١) ابو جعفر احمد بن صالح الطبرى المصرى ،ولد فى سنة سبعين ومائة بمصر ،سمع سفيان بن عيينة وعبدالله بن وهب وابن ابى فديك وطبقتهم حدث عنه البخارى وابو داود وصالح جزرة والترمذى . اتفق العلماء على ثقته ،قال ابو حاتم ثقة ،وقال البخارى ثقة مارأيت احدا يتكلم فيه بحجة ،وقال العجلى ثقة صاحب سنة ،وقال الذهبى الرجل حجة ثبت لاعبرة بقول من نال منه ،توفى سنة ثمانى واربعين ومائتين انظر البخارى ـ التاريخ الكبير (٦/٢) ، العجلى ـ الثقات (ص ٤٨) ، ابن عساكر ـ المعجم المشتمل على ذكر اسماء شيوخ الائمة النبل (ص ٤٧ ـ ٤٨) ، الذهبى ـ تذكرة الحفاظ (ص ٤٩٥ ـ ٤٩٦) .

(٢) الامام الحافظ ابو عبدالله بن وهب بن مسلم الفهرى احد الائمة الاعلام ولد سنة خمس وعشرين ومائة حدث عن يونس بن يزيد وابن جريج وحنظلة بن ابى سفيان وحيوة بن شريح وغيرهم ،وروى عنه احمدبن صالح وغيره ،كان ثقة حجة حافظا مجتهدا زاهدا توفى رحمه الله فى شهر شعبان سنة سبع وتسعين ومائة ، انظر الذهبى ـ تذكرة الحفاظ (٣٠٤/١) .

(٣) ابو امية عمرو بن الحارث بن يعقوب الانصارى ،حدث عن ابى يونس مولى ابى هريرة وابن ابى مليكة وعمرو بن دينار وقوم غيرهم ،وروى عنه مالك والليث وبكر بنمضر وابن وهب وآخرون ، انظر الذهبى ـ تذكرة الحفاظ (١٨٣/١ ـ ١٨٤) .

عن بكير بن الاشج (١) ،عن الحسن بن على بن ابى رافع (٢) ،ان ابا رافع اخبره قال بعثتنى قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم القى فى قلبى الاسلام ،فقلت يارسول الله انى لاارجع اليهم ابدافقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" انى لاخيس العهد ولااحبس البرد،ولكن ارجع فان كان فى نفسك الذى فى نفسك الان فارجع " (٣) .

وروى الطبرانى رحمه الله عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال

---

(١) بكير بن عبدالله الاشج المدنى ترجم له البخارى وقال عنه " كان من صلحاء الناس" ،وذكر العجلى انه ثقة، انظر البخارى - التاريخ الكبير (١١٣/٢)، التاريخ الصغير (٣١٣/١، ٤٢)، العجلى - الثقات (ص ٨٦)، ابن شاهين - الثقات (ص ٧٨)، الذهبى - دول الاسلام (ص ٨٤) .

(٢) ابو رافع القبطى مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال ان اسمه ابراهيم او اسلم . كان مولى للعباس بن عبدالمطلب فوهبه للرسول صلى الله عليه وسلم فاعتقه لما بشره باسلام العباس ،روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ونقل عن عبدالله بن مسعود،وروى عنه اولاده رافع والحسن وعلى وغيرهم،واحفاده الحسن وصالح وعبيدالله اولاد على انظر ابن حجر - الاصابة فى تمييز الصحابة (٦٥/٧) .

(٣) ابو داود - السنن (٨٣/٣) رقم الحديث (٢٧٥٨)، النسائى - السنن الكبرى (حديث رقم ٧٠ باب السير)، احمد - المسند (٨/٦)، اسناده صحيح كما قال محقق جامع الاصول (شعيب الارناؤوطى) (٦٥٢/٢)،وانظر المزى - تحفة الاشراف (١٩٩/٩) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم :" اذا ابردتم الى بريدا فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم" (١) . مما يدل على ان المقصود بالبريد هنا هو الرسول ولكن اللفظ اطلق بجانب ذلك على مسافة معلومة استخدمت كمقياس لتقدير الاطوال والابعاد (٢) . فقد ذكر البخاري رحمه الله ان ابن عمر وابن عباس

---

(١) ذكر الهيثمى ان فى اسناد الطبرانى " عمر بن راشد" وثقه العجلى وضعفه جمهور الائمة ، اما بقية رجاله فثقات ، انظر ابن حجر الهيثمى مجمع الزوائد (٤٧/٨)،وعمر هو عمر بن راشد اليمامى ،ذكره البخارى فقال " يضطرب فى حديثه عن يحيى" ،وذكره النسائى فقال :"عمر بن راشد يمامى ليس بثقة"،وذكر ابن حبان فقال : " وهو الذى يقال له عمر بن عبدالله بن ابى خثعم كنيته ابو حفص ،يروى عن يحيى بن ابى كثير،واياس بن سلمة ،روى عنه وكيع وزيد بن حباب ،كان ممن يروى الاشياء الموضوعات عن ثقات ائمة ،لايحلذكره فى الكتب الاعلى سبيل القدح فيه ،ولاكتابة حديثه الاعلى جهة التعجب،روى عن يحيى كثير عن ابى سلمة عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال "من قرأ الدخان فى ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك" وباسناده عن النبى عليه الصلاة والسلام قال " اذابعثتم الى بريدا فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم" ولمعلومات اوفى عنه انظر البخارى - التاريخ الكبير (١٥٥/٦)، العجلى - الثقات (ص ٣٥٧)، النسائى - الضعفاء والمتروكين (ص ٨٤)، ابن حبان - كتاب المجروحين من المحدثين (٨٣/٢ - ٨٤)، العقيلى - الضعفاء الكبير (١٥٧/٣)، الدارقطنى الضعفاء والمتروكين (ص ٢٩٨)، الذهبى - ميزان الاعتدال (٢١٠/٣)، ابن حجر - تهذيب (٤٤٥/٧) ومن الملاحظ ان منصور الابى قد اورد الحديث بصيغة " اذا ابردتم الى بريدا فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم"، انظر نثر الدر (١٧٦/١) .

(٢) مالك - الموطأ (١٤٧/١- ١٤٨)، احمد بن حنبل - المسند (٢٧٢/٦)، البخارى الجامع الصحيح (٩٦/١،١٩٢)، ابو داود - السنن (٢١٧/٢) .

رضى الله عنهم كانا " يقصران ويفطران فى اربعة برد وهى ستة عشر فرسخا"[(١)] . وروى ايضا عن عبدالله بن عمر رحمه الله " ان النبى صلى الله عليه وسلم كان ينزل تحت سرحه ضخمة دون الرويثة عن يمين الطريق ووجاه الطريق فى مكان بطح سهل حتى يفضى من اكمه دوين بريد الرويثة بميلين وقد انكسر اعلاها"[(٢)] . وروى ابو داود عن عدى بن زيد قال :" حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ناحية من المدينة بريدابريدا لايخبط شجره ولايعضد الامايساق به الجمل"[(٣)] . ومن هذا نجد ان البريد كان معروفا عند العرب فى صدر الاسلام . ومن ذلك المراسلات التى جرت على عهد النبى صلى الله عليه وسلم والتى يمكن تصنيفها الى ثلاث مجموعات هى :

(١) مراسلاته صلى الله عليه وسلم لملوك الدنيا وذلك عندما بلغهم بدعوته ودعاهم صلى الله عليه وسلم الى الدخول فى الاسلام[(٤)] .

(٢) المراسلات التى كان يوجهها صلى الله عليه وسلم الى القبائل التى يرسل اليهم من يعلمهم شعائر الدين[(٥)] .

(٣) الرسائل التى كان يبعثها ولاة الرسول صلى الله عليه وسلم عندما

---

(١) البخارى ـ الجامع (١٩٢/١) .

(٢) ن . م . س (٩٦/١) .

(٣) ابو داود ـ السنن (٢١٧/٢) .

(٤) البخارى ـ الجامع الصحيح (١٥٩/٢)، (٩٠/٣)، الطبرى ـ تاريخ (٨٤/٣ ـ ٩٠)، التلمسانى ـ تخريج الدلالات السمعية (ص ١٨٣، ٢٠٠، ٢٠١ـ ٢٠٢) .

(٥) البخارى ـ الجامع (٧٢/٣، ٧٣، ٧٤)، الطبرى ـ تاريخ (١٥٦/٣، ١٥٧، ١٥٩) .

يستجد لهم امر يريدون ان يتعرفوا على رأى النبى صلى الله عليه وسلم فيه (١) .

اما عن البريد فى عهد الخلفاء الراشدين فان اول اشارة وردت عنه ترجع الى اواخر عهد الخليفة ابى بكر الصديق واول عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنهما، فقد تواترت الروايات فى المصادر بان البريد نقل فى سنة ١٣هـ / ٦٣٤م من المدينة المنورة الى خالد بن الوليد قائد جيش المسلمين فى بلاد الشام خبر وفاة ابى بكر الصديق واستخلاف عمر رضى الله عنهما، فقد اورد الطبرى ذلك برواية السرى (٢) عن شعيب عن سيف عن ابى عثمان يزيد بن اسيد الغسانى عن عباده وخالد قال :"فانهم على

---

(١) البخارى ــ م٠س (٧٣/٣، ٧٤)، الطبرى ــ م٠س (١٨٥/٣، ١٨٧، ٣١٨)، وانظر الابى ــ نثر الدر (١٧٦/١) .

(٢) السرى بن يحيى التميمى الكوفى روى عنهم جماعة منهم عثمان بن ابى زفر وقبيصة وابى غسان وهو اكثر الشيوخ الذين روى عنهم الطبرى وثقه ابن ابى حاتم بقوله " وكان صدوق" انظر ابن ابى حاتم الجرح والتعديل (٢٨٥/٤)، محمد السلمى ــ منهج كتابة التاريخ (ص ٤٠٧) .

شعيب بن ابراهيم الكوفى ، روى عنه الطبرى بواسطة شيخه السرى اكثر من مائتين وخمسين رواية ، تكلم فى عدالته عدد من علماء الجرح فقد ذكره ابن عدى بقوله " ليس بالمعروف وله احاديث واخبار، وفيه بعض النكره ، وفيها مافيه من تحامل على السلف " وقال عنه الذهبى " فيه جهالة" انظر الذهبى ــ ميزان الاعتدال (٢٣٥/٢)، ابن حجر لسان الميزان (١٤٥/٣)، السلمى ــ م٠س (ص ٤١٠) .

سيف بن عمر التميمى البرجمى، روى عن هشام بن عروة ومحمد بن اسحاق ومحمد بن السائب الكلبى وجماعة غيرهم، اعتمده الطبرى فى اخبار الفتوح، وهو عمدة فى التاريخ الا انه ضعيف فى الحديث ، قال عنه يحيى بن معين " وهو ضعيف "، وقال عنه النسائى " ضعيف" وقال عنه =

ذلك قدم البريد من المدينة فاخذته الخيول وسألوه الخبر فلم يخبرهم الاسلامه واخبرهم عن امداد،وانما جاء بموت ابى بكر رحمه الله وتأمير ابى عبيدة .فابلغوه خالدا فاخبره خبر ابى بكر اسره اليه ، واخبره بالذى اخبر به الجند ،قال احسنت فقف واخذ الكتاب وجعله فى كنانته وخاف ان هو اظهر ذلك ان ينتشر له امر الجند فوقف محميه بن زنيم مع خالد وهو الرسول "(١) . ونص الكتاب الذى حمله البريد هو :

= ابن ابى حاتم "متروك الحديث يشبه حديثه حديث الواقدى" وقال عنه ابن حبان " يروى الموضوعات عن الاثبات واتهم بالزندقة" وقال ابن حجر عنه "افحش ابن حبان القول فيه" توفى زمن الرشيد ،انظر يحيى ابن معين - التاريخ (٤٦٠/٣)، النسائى - الضعفاء والمتروكين (ص ٥١) ابن ابى حاتم - الجرح (٢٧٨/٤)، ابن حبان - المجروحين (٣٤٥/١) ، الدارقطنى - الضعفاء والمتروكين (ص ٢٨٣)، الذهبى - ميزان الاعتدال (٣٥٦/٢)، ابن حجر - تهذيب التهذيب (٢٩٥/٤)،تقريب التهذيب (٣٤٤/١)، محمد السلمى - م.س (ص ٤٠٩) .

عبادة بن نسى الكندى قاضى طبرية كان شريفا جليل القدر موصوفا بالصلاح روى عن شداد بن اوس جماعة كان ثقة انظر ابن سعد- الطبقات (٤٥٦/٦)، البخارى - التاريخ الكبير (٩٥/٦)، الذهبى - سير اعلام النبلاء (٢٣/٥)، العبر (١١٤/١) .

خالد بن معدان الكلاعى الحمصى ، الفقيه العابد ،وصف بالصلاح وكثرة العبادة ولزوم العلم ،نقل الذهبى بانه لقى سبعين من الصحابة وثقه ابن سعد وقال بانه توفى سنة ثلاث ومائة ،انظر ابن سعد الطبقات (٤٥٥/٧)، الذهبى - سير اعلام النبلاء (٥٣٦/٤)، العبر (٩٦/١)، ابن حجر - لسان الميزان (٥١٦/٧) .

(١) الطبرى - تاريخ (٤٣٥،٣٩٨/٣)، ابن الاثير - الكامل (٢٨٢/٢ - ٢٨٣) ، ابن كثير - البداية والنهاية (١٢/٧) .

" بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله عمر اميرالمؤمنين الى ابى عبيدة بن الجراح سلام عليك فانى احمد اليك الله الذى لااله الاهو اما بعد .فان ابا بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفى فانا لله وانا اليه راجعون ورحمة الله وبركاته على ابى بكر الصديق العامل بالحق والآمر بالقسط،والآخذ بالعرف اللين (الستير) الوادع السهل القريب الحكيم نحتسب مصيبتنا فيه ومصيبة المسلمين عامة عند الله تعالى وارغب الى الله فى العصمة بالتقىفى مرحمته والعمل بطاعته ما احيانا والحول فى جنته اذا توفانا وهو على كل شئ قدير وقد بلغنا حصاركم لاهل دمشق وقد وليتك جماعة المسلمين فبث سراياك فى نواحى اهل حمص ودمشق وماسواها من ارض الشام وانظر فى ذلك برأيك ومن حضرك من المسلمين ولايحملنك قولى هذا على ان تغرى عسكرك فيطمع فيك عدوك ولكن من استغنيت عنه فسيره ومن احتجت اليه فى حصارك فاحتبسه وليكن فيمن يحتبس خالد بن الوليد فانه لاغنى بك عنه" (١) .

ومن خلال هذا يمكن القول ان البريد كان منتظما بين المدينة المنورة عاصمة الخلافةوبين ساحات القتال،ينقل اليهم التوجيهات من المركز ،وكذلك ينقل الى الخليفة اخبار المسلمين وسير الجيوش فى

---

(١) ابن عساكر ــ تاريخ دمشق الكبير (تهذيب عبدالقادر بدران)(١٥٢/١) ، من الملاحظ ان هناك ثمة اختلاف بين رواية الطبرى والتى اغلب رواتها ثقات وبين نص الكتاب اذ ورد فى رواية الطبرى ان البريد قدم على المسلمين وهم فى معركة اليرموك والصواب ماورد فى رواية الطبرى وذلك لان فتح دمشق كان فى سنة ١٤هـ/٦٣٥م وحصارها كان تاليا للمعركة . والله اعلم بالصواب .

المناطق المختلفة ،ويدعم هذا ما اورده ابن عساكر من ان بريد ابى عبيدة والذى كان عليه عقبة بن عامر الجهنى رضى الله عنهما نقل الى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه خبر فتح مدينة دمشق فىسنة ١٤هـ/٦٣٥م (١). ومنه ايضا مااورده الطبرى فى احداث سنة ١٧هـ/٦٣٨م من ان خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه اجاز الاشعث بن قيس بعشرة آلاف فاخبر عمر رضى الله عنه فدعى البريد وارسله الى خالد ليعلم علم تلك الاجازة وذلك بقوله "فى هذه السنة - اعنى سنة سبع عشرة ادرب خالد بن الوليد وعياض بن غنم .. فسارا فاصابا اموالا عظيمة .. ولما قفل خالد وبلغ الناس ما اصابت تلك الصائفة انتجعه رجال،فانتجع خالدا رجال من اهل الافاق فكان الاشعث بن قيس ممن انتجع خالدا بقنسرين فاجازه بعشرة آلاف ،وكان عمر لايخفى عليه شىء فى عمله ،كتب اليه من العراق بخروج من خرج من الشام وبجائزة من اجيز فيها - فدعا البريد وكتب معه الى ابى عبيدة انيقيم خالدا ويعقله بعمامته ،وينزع منه قلنسوته حتى يعلمهم من اين اجازة الاشعث ،امن ماله ام من اصابة اصابها ؟ فان زعم انها من إصابة اصابها فقد اقر بخيانة،وان زعم انها من ماله فقد اسرف واعزله على كل حال ،واضمم اليك عمله. فكتب ابو عبيدة الى خالد،فقدم عليه ثم جمع الناس وجلس لهم على المنبر،فقام البريد فقال ياخالدامنمالكاجزتبعشرة الاف ام من اصابة ؟ فلم يجبه حتى اكثر عليه ،وابو عبيدةساكت لايقول شيئا فقام بلال اليه فقال ان امير المؤمنين امر فيك بكذاوكذا ،ثم تناول قلنسوته فعقله بعمامته وقال ماتقول ؟ امن مالك ام من اصابة ؟

---

(١) ابن عساكر - م.س (١٥٩/١) .

قال لابل من مالى ،فاطلقه واعاد قلنسوته ثم عممه بيده" (١) .

ومن رواية الطبرى هذه نجد ان البريد قد اصبح اكثر تنظيما حيث ان الاوضاع قد استقرت واصبح صاحب البريد معروفا لدى الناس فى تلك الفترة . كما ان دور البريد او سكك البريد قد انشئت فى الامصار الاسلامية فقد روى البخارى رحمه الله تعالى باب ابوال الابل والدواب والغنم ومرابضها انه " صلى ابو موسى فى دار البريد والسرقين (٢) والبريه الى جنبه فقال ههنا وثم سواء" (٣) . وقد ذكر ابن حجر ان دار البريد هذه فى الكوفة وان الرسل كانت تنزل فيه اذا حضرت من الخلفاء الى الامراء (٤) وذلك بقوله "دار البريد المذكورة موضع بالكوفة كانت الرسل تنزل فيه اذا حضرت من الخلفاء الى الامراء" (٥). واضاف ان ابا موسى الاشعرى رضى الله عنه كان اميرا على الكوفة فى زمن عمر وفى زمن عثمان ،وذكر ايضا "ان الدار كانت فى طرف مدينة الكوفة لهذا كانت البريه جنبها" (٦) . وعلى هذا فان الراجح ان دور البريد او سكك البريد قد انشئت فى امصار الدولة

---

(١) الطبرى – م٠س (٦٧/٤) ، ابن كثير– البداية والنهاية (٨٠/٧) .

(٢) السرقين بكسر السين المهملة واسكان الراء هو الزبل، انظر ابن حجر فتح البارى (٣٣٥/١) .

(٣) البخارى – الجامع الصحيح (٥٣/١) .

(٤) ابن حجر – فتح البارى بشرح صحيح البخارى (٣٣٦/١) ،شمس الدين الكرمانى – الكواكب الدرارى فى شرح صحيح البخارى (٨٥/٣) ، الكتانى التراتيب الادارية (١٩٢/١) .

(٥) ابن حجر – م٠س (٣٣٦/١) ، الكرمانى – م٠س (٨٥/٣) ، الكتانى – م٠س (١٩٢/١) .

(٦) ابن حجر – م٠س (٣٣٦/١) ، الكرمانى – م٠س (٨٥/٣) ، الكتانى – م٠س . (١٩٢/١) .

الاسلامية قبل عام ٢٢هـ / ٦٤٢م ،وذلك لان ولاية ابى موسى رضى الله عنه على الكوفة من قبل عمر كانت سنة ٢٢هـ / ٦٤٢م (١) ٠

والثابت ان البريد فى عهد عمر رضى الله عنه كان يقوم برحلات منتظمة بين المدينة المنورة والامصار المختلفة ،فقد ذكر ابن الجوزى ان البريد نقل من البصرة الى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتاب نصر بن الحجاج ضمن جملة الكتب التى كان يحملها،والذى يسأل فيه عمر رضى الله عنه السماح له بالعودة الى المدينة ،وذلك فى قوله :"ان عمر كتب الى عامله بالبصرة كتابا فمكث الرسول عنده اياما ثم نادى مناديه الا ان بريد المسلمين يريد ان يخرج فمن كانت له حاجة فليكتب فكتب نصر بن حجاج كتاب ودسه فى الكتب" (٢) ٠ وذكر الرقام البصرى ايضا ان البريد نقل من المدينك كتاب من شخص الى اخوته فى البعث يخبرهم بامر جعد السلمى ومحادثته للنساء،وكما نقل البريد شكوى اولئك الاخوة جعده الى عمر وذلك فى قوله " كان اربعة اخوة على عهد عمر بن الخطاب ضرب عليهم البعث فخرجوا واوصوا بعيالهم جارا لهم من بنى سليم يقال له جعده،وخلفوا عند نسائهم اخا لهم صغيرا فكان جعده يكثر الدخول عليهن ويكثر محادثتهن ويأمرهن فيعقلن ارجلهن ويحجلن معقلات فاتهمه الغلام واشتد عليه ماكان يعاين من امره وامرهن فمكث يقاسى ذلك حينا حتى عيل صبره ،وامر عليه دهره كتب كتابا الى اخوته يعلمهم ذلك واتى به عمر بن الخطاب رضى الله عنه فوضعه فى كتبه ووجه به مع البريد وكذلك كان عمر يفعل بالغزاةواهلهم فى ايصال كتبهم وانهاء اخبارهم اليهم

---

(١) الطبرى – تاريخ (١٦٣/٤)،زامباور – معجم الانساب (ص ٦٧) ٠

(٢) ابن الجوزى – سيرة عمر بن الخطاب (ص ٨٧)، الكتانى – م٠س (١٩٢/١)٠

فى الشهر والشهرين فلما وصل الكتاب الى الفتية ارمضهم ذلك وساء ظنهم ودخل منهم كل مدخل وارادوا ان يخلوا بمركزهم فتخوفوا سخط عمر وكرهوا ان يكتبوا اليه مفسرا فيفتضحوا فاجمعوا ان يكتبوا الى عمر بابيات شعر يكنون فيها عن ذكر النساء فكتبوا :

الا ابلغ ابا حفص رسولا ... فدى لك من اخى ثقة ازارى

وختموا الكتاب ،وكتبوا عنوانه الى عمر بن الخطاب امير المؤمنين فلما قرأ الكتاب اشتد غمه ،وسأل بعض جلسائه عن جعده السلمى فعرفه".(١)

ومن خلال هذا يمكن القول ان البريد فى عهد عمر رضى الله عنه كان يضطلع بمهمات متعددة اولها انه كان ينقل الى الخليفة عمر رضى الله عنه اخبار الامصار والولاة وتصرفاتهم فى الاموال وعطاياهم وسيرهم.(٢) وكذلك عن وفاة من يتوفى من القادة وكبار الصحابة فقد ذكر التلمسانى ان البريد نقل الى عمر خبر وفاة يزيد بن ابى سفيان وذلك بقوله : "ورد البريد على عمر بموت يزيد بن ابى سفيان ،وابو سفيان عنده ،فلما قرأ الكتاب قال لابى سفيان احسن الله عزاءك فى يزيد ورحمه ثم قال من وليت مكانه ياامير المؤمنين قال اخاه معاوية ،قال وصلت رحمك يا امير المؤمنين".(٣) ثانيها انه ينقل الكتب الرسمية من الخليفة الى العمال وكذلك من العمال الى الخليفة.(٤) وثالثها انه كان يقوم بنقل المراسلات

---

(١) الحسن بن محمد بن عمران العبدى المعروف بالرقام البصرى ـ كتاب العفو والاعتذار (٢٩٦/٢)،وانظر ابن سعد ـ الطبقات (٢٨٥/٣ ـ ٢٨٦) .

(٢) الطبرى ـ تاريخ (٦٤/٤) .

(٣) التلمسانى ـ تخريج الدلالات السمعية (ص ١٦٠) .

(٤) ابن سعد ـ الطبقات (٢٨٥/٣) ، ابن الجوزى ـ م.س (ص ٨٧) .

العامة التى تجرى بين ابناء الامة وخاصة بين المقاتلين فى سوح الجهاد وبين اهليهم وذراريهم[1] . رابعها انه كان يقوم بنقل التظلم والشكاوى الى الخليفة[2] . وخامسها انه كان يقوم بنقل اخبار بعوث المسلمين وجيوشهم الى الخليفة وكذلك ينقل توجيهات الخليفة اليهم[3] . كما انه يتولى انفاذ اوامر الخلافة باستدعاء بعض العاملين فى الدولة فقد ذكر ابن كثير ان السائب بن الاقرع قدم على الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد فتح نهاوند ـ وكان قد جعله عمر صاحب الاقباض فى الجيش ـ بسفطين فيهما كنوز ال كسرى ثم خرج من المدينة الى الكوفة فارسل عمر البريد فى طلبه فلم يدركه الافى مدينة الكوفة فاعاده الى الخليفة عمر رضى الله عنه فى المدينة وذلك فى قوله " وجاء رجل يقال له الهرند ـ وهو صاحب نارهم ـ فسأل من حذيفة الامان ويدفع اليهم وديعة عنده لكسرى ادخرها لنوائب الزمان فأمنه حذيفة وجاء ذلك الرجل بسفطين مملوءتين جوهرا ثمينا لايتقوم غير ان المسلمين لم يعبئوا به واتفق رأيهم على بعثه لعمر خاصة وارسلوه صحبة الاخماس والسبى صحبة السائب بن الاقرع ثم امر عمر بقسمة الخمس على عادته وحملت ذانك السفطان الى منزل عمر

---

(١) الرقام البصرى ـ م٠س (٢٩٦/١)،محب الدين ابى العباس على الطبرى مجلة الحنفا لوحة (٨٩) .

(٢) ابن سعد ـ م٠س (٢٨٥/٣)، الرقام البصرى ـ م٠س (٢٩٧/١)، ابن الجوزى م٠س (ص ٨٧) .

(٣) ابن اعثم ـ الفتوح (٤٤/١)، الطبرى ـ م٠س (٣٩٨/٣)، ابن عساكر ـ م٠س (١٥٩/١)، ابن الاثير ـ م٠س (٢٨٢/٢ ـ ٢٨٣)، ابن كثير ـ البداية والنهاية (١٢/٧) .

ورجعت الرسل فلما اصبح عمر طلبهم فلم يجدهم فارسل فى اثرهم فما لحقهم البريد الا بالكوفة ،قال السائب فلما انخت بعيرى بالكوفة اناخ البريد على عرقوب بعيرى وقال اجب امير المؤمنين فقلت لماذا قال لادرى فرجعنا على اثرنا حتى انتهيت اليه" (١) . اما عن البريد فى عهد الخليفة عثمان بن عفان وعلى بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهما فالراجح انه قد استمر على ماكان عليه فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

اما فى العصر الاموى فقد ذكرت بعض المصادر المتأخرة بان معاوية بن ابى سفيان رضى الله تعالى عنه هو " اول من وضع البريد" ولعل اقدم من ذكر ذلك ابو هلال العسكرى الذى عاش فى القرن الرابع الهجرى وذلك فى قوله "اول من وضع البريد فى الاسلام معاوية واحكم امره عبدالملك" (٢) وتابعه فى ذلك ابن الاثير المتوفى سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م اذ قال :"ومعاوية اولخليفة بايع لولده فى الاسلام واول من وضع البريد" (٣) . ونقل عنهم ايضا ابن طباطبا المتوفى سنة ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م فقال " وهو اول من وضع البريد لوصول الاخبار بسرعة " (٤) ،ومن نقل هذه الرواية ايضا ابو الفدا المتوفى سنة ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م . قال :"ومعاوية اول خليفة بايع لولده واول من وضع البريد" (٥)

---

(١) ابن كثير – البداية والنهاية (١١١/٧ – ١١٢) .

(٢) ابو هلال العسكرى – الاوائل (٣٣١/١ – ٣٣٢) .

(٣) ابن الاثير – الكامل (٢٦٣/٣) .

(٤) ابن طباطبا المعروف بابن الطقطقى – الفخرى (ص ١٠٦) .

(٥) ابو الفدا– المختصر (١٨٩/١) .

وممن ذكر ذلك النويرى المتوفى سنة ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م وذلك بقوله : "اول من وضع البريد معاوية" (١) وكذلك العمرى المتوفى سنة ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م بقوله "فاما اول من وضع البريد فى الاسلام فمعاوية بن ابى سفيان رضى الله تعالى عنه، حين استقرت له الخلافة ومات امير المؤمنين على رضى الله عنه وسلم اليه ابنه ،وخلا من المنازع ،فوضع البريد لتسرع اليه اخبار بلاده منجميع اطرافها،فامر باحضار رجال من دهاقين الفرس واهل اعمال الروم ،وعرفهم مايريد فوضعوا له البرد،واتخذوا لها بغالا باكف كان عليها سفر البريد ،وقيل انما فعل ذلك زمن عبدالملكبن مروان حين خلا وجهه من الخوارج عليه كعمرو بن سعيد الاشدق وعبدالله بن الزبير والمختار بن ابى عبيد" (٢). وقد نقل ذلك ابن الوردى المتوفى سنة ٧٥٠هـ / ١٣٤٩م اذ قال :" ومعاوية اول من وضع البريد" (٣) . وذكره ايضا القلقشندى المتوفى سنة ٨٢١هـ / ١٤١٨م وصرح بنقله عن ابى هلال العسكرى قال : "ذكر ابو هلال العسكرى اناول من وضعه فىالاسلام معاوية بن ابى سفيان رضى الله عنه ،قال فى التعريف وذلك حين استقرت له الخلافة ومات امير المؤمنين على رضى الله عنه وسلم له ابنه الحسن عليه السلام وخلا من المنازع فوضع البريد لتسرع اليه اخبار بلاده من جميع اطرافها فأمر باحضار رجال من دهاقين الفرس واهل عمال الروم وعرفهم مايريد فوضعوا له البريد"،(٤) وممن ذكر ذلك ايضا السيوطى المتوفى سنة ٩١١هـ/١٥٠٥ م

---

(١) النويرى ـ نهاية الارب (٣٧٢/٢٠) .

(٢) العمرى ـ التعريف (ص ١٨٥) .

(٣) ابن الوردى ـ تتمة المختصر (١٧١/١) .

(٤) القلقشندى ـ صبح الاعشى (٤١٤/١)،(٣٦٧/١٤ ـ ٣٦٨) .

وذلك بقوله :"اول من وضع البريد فى الاسلام معاوية"(١) . وقد تناقل ايضا هذه الرواية عدد كبير من الباحثين المحدثين دون ان يدققوا فى الخبر(٢) والواقع ان جميع هذه الروايات ترجع الى مصدر واحد مفرد تستقى منه الخبر وهو العسكرى صاحب الاوائل الذى لم يحدد مصادر معلوماته اضافة الى انه عاش متأخرا عن تاريخ الحدث مايزيد على ثلاثة قرون . وهكذا فان روايته ليست قطعية الثبوت . فمن الثابت ان البريد قد وجد منذ عهد مبكر فى الدولة الاسلامية ترجع اوائل نصوصه الى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد جرى تنظيمه ووضع قواعد عمله فى العاصمة والامصار فى عهد امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقد سبقت الاشارة الى ذلك. والراجح ان الخليفة معاوية بن ابى سفيان قد اعاد تنظيم البريد وذلك بعد فترة الفتنة التى حدثت فى الدولة الاسلامية والتى شغلت المسلمين فترة من الزمن لذا نجد العمرى يؤكد على ان وضع البريد قد حصل بعد استقرار الامور السياسية فى الدولة(٣) . ومن الجدير بالذكر ان البريد

---

(١) السيوطى - تاريخ الخلفاء (ص ٢١٩)، الوسائل لمعرفة الاوائل (ص ١٠٣).

(٢) حسينى - الادارة العربية (ص ١٦٩)، الكتانى - التراتيب الادارية (١٩٢/١)، جرجى زيدان - تاريخ التمدن (٢٣٩/١)، رفيق العظم - اشهر مشاهير الاسلام (ص ٣٧٠)، لويس شيخو - مجانى الادب (٣١٥/٤)، نعمان ثابت - الجندية (ص ٤٤)، حسن ابراهيم - النظم الاسلامية (ص ٢١١)، انور الرفاعى - النظم (ص ٩١)، صبحى الصالح - النظم الاسلامية (ص ٣٣٠)، سعداوى - نظام البريد (ص ٥٢)، نجده خماش - الادارة فى العصر الاموى (ص ٢٨٢)، الساكر - العرب وتطور البريد (ص ٦)، الشبانى - نظام الحكم (ص ١٢٥)، محمد طاهر الكردى - التاريخ القويم (١٦٢/٢)، عبد السلام الترمانينى - ازمنة التاريخ الاسلامى (٨٧٧/٣) .

(٣) العمرى - م.س (ص ١٨٥) .

فى عهد معاوية رضى الله عنه قد سار على ماكان عليه فىعهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ذلكانه لم يكن قاصرا على الاستعمالات الرسمية بل ان عامة الناس كان بامكانهم استخدام البريد فى مراسلة الخليفة وابلاغه بحاجاتهم ،فقد ذكر الطبرى ان عمال معاوية كانوا اذا حان وقت خروج البريد من اقاليمهم الى العاصمة دمشق امروا مناديا ينادى فى الناس بذلك . وذلك بقوله " كان عامل معاوية على المدينة اذا اراد ان يبرد بريدا الى معاوية امر مناديه فنادى من له حاجة يكتب الى امير المؤمنين" (١) . وقد ادرج فى اختصاصات البريد فى عهد الخليفة معاوية رضى الله عنه اضافة الى ماسبقت الاشارة اليه من اختصاصات ،انه استخدم لنقل عمال الاقاليم فى رحلات سريعة كما حدث مع المغيرة بن شعبة رضى الله عنه وزياد بن ابيه (٢) . اضف الى ذلك انه جرى خلال هذا العصر ظهور بعض التنظيمات مثل عمليات استبدال السعاة والخيول فى الطرق (٣) .

اما عن البريد فى عهد الخليفة يزيد بن معاوية (٦٠ - ٦٤هـ / ٦٧٩ - ٦٨٣م) فان المصادر لاتكاد تفصل فى ذكره بما يساعد على توضيح مسارات واستعمالات البريد فى عهده ،وربما يكون الوضع قد استمر على ماكان عليه فى خلافة ابيه .

اما فى فترة امارة عبدالله بن الزبير التى بدأت فى ربيع الثانى سنة ٦٤هـ / ٦٧٩م فتشير المصادر الى انه ايضا رحمه الله استخدم البريد

---

(١) الطبرى - تاريخ (٣٣٥/٥) .

(٢) الاسكافى - لطف التدبير (ص ٣٥ - ٣٦).

(٣) ابن طباطبا - م.س (ص ١٠٦)، الصالح - م.س (ص ٣٣١)،حسينى - م.س (ص ١٧٠) .

وخاصة فيما له اتصال فى اخذ البيعة من الامصار (١) .

اما فى عهد الخليفة عبدالملك بن مروان فقد اشارت المصادر الى انه قد احكم امر البريد (٢) ،ذلك انه انشئت فىعهده الصوى ووزعت على الطرق مما جعلها اكثر تنظيما من المراحل السابقة (٣) . كما انه ظهر فى عهده العيون والمخبرين ذلك ان الحجاج كان قد استعان بمجموعة كبيرة منهم فى العراق والمشرق وذلك من اجل حفظ امن الدولة من المتربصين بها ومدبرى الفتن والدسائس ،وقد كان هؤلاء يوافونه بكل المعلومات للكشف عن الاعداء والمتربصين واحباط خططهم (٤) . ويبدو ان استخدام العيون والمخبرين لم يقتصر على اجراءات الحجاج بن يوسف فى العراق والمشرق الاسلامى بل انه اصبح امرا شائعا فى جميع ولايات الدولة الاسلامية (٥) . ومن الامور التى ظهرت فى البريد فى عهد الخليفة عبدالملك والتى جعلت المصادر تصفه بانه قد " احكم امر البريد" ،ماتواتر عن تعيين عدد من العاملين فى البريد فى مناطق الثغور الاسلامية فى عهده ،حيث انهم كانوا

---

(١) فى ذلك قال عمر بن مخلاه الحمار الكلبى:

ردنا لمروان الخلافة بعدما — جرى للزبيرين كل بريد

فلايكن منه الخليفة نفسه — فمانالها الا ونحن شهود

المسعودى ـ التنبيه والاشراف (ص ٢٨٣) .

(٢) العمرى ـ م٠س (ص ١٨٥)، القلقشندى ـ صبح الاعشى (٣٦٧/١٤)،مآثر الاناقة (١٣٧/١)،حسينى ـ م٠س (ص١٧٠)، الصالح ـ م٠س (ص ٣٣٠) .

(٣) احمد رمضان ـ الصوه وصناعة الاميال (ص ٩٣ ـ ٩٦).

(٤) نجده خماش ـ الادارة فى العصر الاموى (ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦) .

(٥) ن ٠ م ٠ س (ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧) .

يكلفون بالكشف عن الجواسيس الذين قد يتسللون الى داخل الدولة. كما كان عليهم نقل جميع اخبار تلك الثغور الى الخليفة (١) . اما فى عهد الوليد بن عبدالملك فقد اشارت المصادر الى انه اهتم بالبريد وطرقه بانه قد وضع المنار فى الطرقات (٢)، كما انه اتم بناء الاميال والصوى التى بدأها والده عبدالملك (٣). اضافة الى ذلك فقد اشارت المصادر الى ان البريد قد اشتغل خلال هذه المرحلة بالكشف عن مواقف عدد من التابعين ونقلها الى الخليفة، ومن ذلك موقفهم من مشروع توسعة المسجد النبوى الذى تضمن استهجانهم هدم بيوت نساء النبى صلى الله عليه وسلم وادخالها فى المسجد (٤) . ولعل ذلك يمثل تطورا فى استخدام العيون والمخبرين وعدم الاقتصار فى استخدامهم على المناطق المهددة او الخطيرة على امن الدولة، فقد نقل الطبرى قول عثمان بن حيان والى المدينة بعدعزل عمر بن عبدالعزيز عنها (٥) حيث قال : " ايها الناس انا والله مارأينا شعارا قط مثل الامن ولارأينا حلسا قط شرا من الخوف فالزموا الطاعة فان عندى يا اهل المدينة خبره من الخلاف والله ما انتم باصحاب قتال فكونوا من احلاس بيوتكم وعضوا على النواجذ فانى قد بعثت فى مجالسكم من يسمع فيبلغنى عنكم وانكم فى فضول تلزم غيره الزم لكم فدعوا عيب الولاة فان الامر انما ينقض شيئا فشيئا حتى تكون الفتنة" (٦) . ولعل من المفيد ان نذكر

---

(١) التنوخى ـ الفرج بعد الشدة (١٩١/٢) .

(٢) مؤلف مجهول ـ العيون والحدائق (١١/٣) .

(٣) ن . م . س (١/٣)، احمد رمضان ـ الصوه (ص ٩٦) .

(٤) مؤلف مجهول ـ العيون (٤/٣) .

(٥) نجده خماش ـ م.س (ص ٢٣٧) .

(٦) الطبرى ـ م.س (٤٨٦/٦)، خماش ـ م.س (ص ٢٣٧) .

ان العمرى والقلقشندى قد ذكرا ان الوليد بن عبدالملك قد حمل على البريد الفسيفساء من القسطنطينية الى دمشق وذلك لتزين حوائط مساجد كل من مكة والمدينة والقدس ودمشق قال العمرى : " كان الوليد بن عبد الملك يحمل عليه الفسيفساء وهى الفص المذهب من القسطنطينية الى دمشق حتى صفح منه حيطان المسجد الجامع ومساجد مكة والمدينة والقدس"(١) •

ومن الجدير بالذكر انه قد حصل توسع فى مسئوليات البريد فى عهد الخليفة الوليد بن عبدالملك ذلك انه قد توسعت رقعة ديار الاسلام فامتدت بذلك طرق البريد وترابطت مع المناطق المفتوحة وقد حصل ذلك بشكل واضح فى الساحة الشرقية من العالم الاسلامى، اضافة الى انه استخدم لنقل الاخبار بين معسكر الجيش وبين المناطق الاخرى التى فتحها المسلمون • وقد اشار الطبرى الى ذلك فقال " وجه الحجاج عبدالرحمن بن محمد بن الاشعث الى سجستان لحرب رتبيل صاحب الترك •• فخرج بهم حتى قدم سجستان سنة ٨٠هـ •• واخذ الناس بالجهاز والهيئة وبآلة الحرب فبلغ ذلك رتبيل فكتب الى عبدالرحمن بن محمد يعتذر اليه من مصاب المسلمين ويخبره انه كان لذلك كارها وانهم الجأوه الى قتالهم ويسأله الصلح ويعرض عليه ان يقبل منه الخراج فلم يجبه ولم يقبل منه ولم ينشب عبدالرحمن ان سار فى الجنود اليه حتى دخل اول بلاده •• وطفق ابن الاشعث كلما حوى بلدا بعث اليه عاملا وبعث معه اعوانه ووضع البرد فيما بين كل بلد وبلد وجعل الارصاد على العقاب والشعاب ووضع المسالح بكل مكان مخوف "(٢) • ولعل من المفيد ان نذكر انه قد ظهرت فى عهد الوليد

---

(١) العمرى ـ م•س (ص ١٨٥)، القلقشندى ـ صبح الاعشى (٣٦٧/١٤) •

(٢) الطبرى ـ م•س (٣٢٩/٦) •

عدد من وظائف البريد منها وظيفة الارصاد وقد سبقت الاشارة اليها في ذكر المصطلحات كما سيرد التفصيل عنها في الفصل الاول من هذه الرسالة كما ظهرت في هذه الفترة "الجوازات" اذ اشار الطبري الى ان قتيبة بن مسلم الباهلي قد استخدم الجوازات في اثناء فتحه لمناطق المشرق وذلك في قوله "غزا قتيبة في سنة ٩٦هـ وحمل مع الناس عيالهم وهو يريد ان يحرز عياله في سمرقند خوفا من سليمان فلما عبر النهر استعمل رجلا من مواليه يقال له الخوارزمي على مقطع النهر وقال لايجوزن احدا الابجواز ومضى الى فرغانه .. قال اياس بن زهير لما عبر قتيبة النهر اتيته فقلت له انك خرجت ولم اعلم رأيك في العيال فنأخذاهبه ذلك وبني الاكابر معي ولي عيال قد خلفتهم وام عجوز وليس عندهم من يقوم بامرهم فان رأيت ان تكتب لي كتابا مع بعض بني اوجهه فيقدم على بأهلي فكتب فاعطاني فانتهيت الى النهر وصاحب النهر من الجانب الاخر فالويت بيدي فجاءقوم في سفينة فقالوا من انت واين جوازك" (١) .

ومن الملاحظ ان البريد كان يتصل بالعاصمة عادة ،ولكنه قد يتواصل بين مختلف الولايات ،ومن ذلك ان البريد قد قدم من اليمن الى الحجاج في واسط حيث نقل اليه خبر وفاة اخيه محمد . وقد ذكر ابن عبد ربه ذلك فقال اراد الحجاج بن يوسف الثقفي الحج واستخلف ابنه محمد على ولاية العراق وخطب فيهم . ثم نزل فلما كان من غداة الجمعة مات محمد بن الحجاج فلما كان بالعشي اتاه بريد من اليمن بوفاة محمد اخيه ففرح اهل العراق وقالوا انقطع ظهر الحجاج وهيض جناحه " (٢) .

---

(١) الطبري ـ م.س (٦/٥٠٠)،وسوف يرد الكلام مفصلا في شأن ذلك في الفصل الاول .

(٢) ابن عبد ربه ـ <u>العقد الفريد</u> (٥/٢٨١).

اما الخليفة عمر بن عبدالعزيز رحمه الله فقد ورد عنه انه اصلح بعضا من انظمة البريد التى كان يتداخل بعضا منها الشذوذ فقد ورد انه اسقط اجور الفيوج (١) ،ذكر ابو يوسف ذلك بقوله "وامرك ان لاتأخذ فى الخراج الاوزن سبعة ليس فيها تبر ،ولااجور الضرابين ولااذابة الفضة ولاهدية النيروز والمهرجان ولاثمن الصحف ولااجور الفيوج "٠ كما ورد انه منع استخدام البريد لاغراضه الشخصية ،ومنع نقل احد على البريد بدون اذنه وقد ذكر ابو يوسف ان احد موالى الخليفة عمر بن عبدالعزيز نقل رجلا بغير اذنه فقوم اجرة النقل واغرمها مولاه وادخلها بيت المال وذلك بقوله " ان عمر بن عبدالعزيز كان يبرد فحمل مولى له رجلا على البريد بغير اذنه قال فدعاه فقال لاتبرح حتى تقومه ثم تجعله فى بيت المال" (٢) ٠ كما ورد ايضا انه نهى عن ان يجعل العاملين فى البريد فى طرف اسواطهم حديدة من اجل نخس الدواب مما يشير الى حس مرهف وتوجه واضح للرأفة بالحيوان ومنع العدوان والقسوة ٠ ذكر ابويوسف ذلك فقال "ان عمر بن عبدالعزيز نهى ان يجعل البريد فى طرف السوط حديدة ينخس بها الدابة،ونهى عن اللجام الثقيل " (٣) ٠ كما ورد انه رفض استخدام البريد لاغراضه الشخصية فقد اشار ابن عبدالحكم انه رفض اخذ سلتين من الرطب بعث بها امير الاردن على البريد وذلك بقوله " اتت عمر بن عبد العزيز سلتا رطب من الاردن فقال ماهذا قالوا رطب بعث بها امير

---

(١) ابو يوسف ــ الخراج (ص ١٨٦ ــ ١٨٧)،ابن عبدالحكم ــ سيرة عمر بن عبدالعزيز (ص ١٣٦)،الطبرى ــ م٠س (٥٦٩/٦) ٠

(٢) ابو يوسف ــ م٠س (ص ٣٦٢) ٠

(٣) ن ٠ م ٠ س (ص ٣٦٢) ٠

الاردن قال علام جئ به قالوا على دواب البريد قال فما جعلنى الله احق بدواب البريد من المسلمين اخرجوهما فبيعوها واجعلوا ثمنها فى علف الدواب " (١) .

وبخلاف هذه الاصلاحات فان البريد فى عهده قد سار على ماكان عليه فى عهد الخليفة الوليد اذ وردانه امر بنقل شخص على البريد من الكوفة لاستلام جاريته التى اهدتها له زوجته فاطمة بنت عبدالملك بن مروان (٢) . وورد ايضا انه كان يبرد البريد من الشام للسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر السمهودى ذلك بقوله "وقد استفاض عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه انه كان يبرد البريد من الشام يقول سلم لى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك فى زمن صدر التابعين" (٣) .

اما فى عهد الخليفة يزيد بن الوليد فقد استمر البريد فى اداء مهامه على ماكان عليه من قبل فقد ورد فى المصادر انه حمل عمر بن هبيرة الفزارى على خيل البريد وذلك عندماولاه على العراق فى سنة ١٠٢هـ / ٧٢٠م (٤) .

اما فى عهد الخليفة هشام بن عبدالملك فقد حصل تطور طارئ فى اعمال البريد فقد كلف بنقل شارات الخلافة مع خبر البيعة لولى عهد المسلمين عقب وفاة الخليفة القائم بالامر، فقد ذكر صاحب كتاب العيون

---

(١) ابن عبدالحكم ـ م٠س (ص ٤٦) .

(٢) ابن الجوزى ـ سيرة عمر بن عبدالعزيز (ص ١٣١) ، الاربلى ـ خلاصة الذهب (ص ١٧) .

(٣) السمهودى ـ وفاء الوفا (١٣٥٧/٤) ، عبدالرؤوف المناوى ـ الجواهر المضيئة فى بيان الاداب السلطانية لوحة (٥٠) .

(٤) مؤلف مجهول ـ العيون والحدائق (٧٥/٣) .

والحدائق ان "الخلافة اتت لهشام بن عبدالملك وهو بالرصافة فجاءته خيل البريد وسلم عليه بالخلافة وسلم اليه القضيب وخاتم الخلافة"(١) . ولعل من المفيد ان نذكر ان الخليفة هشام قد اولى البريد عناية خاصة تجلت فى اهتمامه بامر العيون والمخبرين فقد اوردت المصادر انهم كانوا ينقلون اليه الاخبار من جميع ارجاء الدولة ،ذكر ابن قتيبة ذلك فقال " وقد وسع العباد امنه واشعرهم عدله ،وصارت البلاد المتنائية الشاسعة كدار واحده ترجع الى حاكم قاض يرقبه الناس فى المواضع الغائبة عنه كما يرقبه من معه وقد وضع العيون والجواسيس من خيار الناس وفضلاء العباد فى سائر الامصار والبلدان يحصون اموال الولاة والعمال ويحفظون اعمال الاخيار والاشرار وقد صار هؤلاء اعقابا يتعاقبون ،ينهض قوم باخبار مايلوا فى المصر الذى كانوا فيه ويقبل آخرون يدخلون مسترقين ويخرجون متفرقين لايعلم منهم واحد ولايرى لهم عابر فلاخبر يكون ولاقصة تحدث فى مشرق الارض ومغربها الا وهو يتحدث به فى الشام وينظر فيه هشام وقد قصر نفسه على هذه الحال وحببت اليه هذه الفعال"(٢) . ان هذا الخبر على الرغم من المبالغة الواضحة فيه ،الا انه يدل على مدى اهتمام الخلافة بامر البريد ونقل الاخبار(٣) . ويؤيد هذا ماذكره الطبرى من ان البريد نقل الى هشام فى سنة ١١٩هـ / ٧٣٧م خبر خروج بهلول بن بشر عليه وقتله عامل السواد(٤) . اضف الى ذلك ماورد فى المصادر حول حمل

---

(١) مؤلف مجهول – العيون والحدائق (٨٢/٣) .

(٢) ابن قتيبة – الامامة والسياسة (١٠٨/٢)،خماش – م.س (ص ٢٣٧) .

(٣) خماش – م.س (ص ٢٣٧) .

(٤) الطبرى – م.س (١٣/٧) .

هشام لعدد من القواد امثال الجنيد بن عبدالرحمن عندما ولاه خراسان (١) وسعيد الحريشى الذى بعثه قائدا لجيش الجراح الحكمى بعد استشهاد الاخير امام جموع الترك . وقد استخدم البريد لنقل قوات عسكرية من مختلف المدن الى ساحات القتال وذلك عندما اجتاحت قبائل الاتراك الحدود الشماليه الشرقية للدولة الاسلامية (٢) . اضف الى ذلك الى انه كان للبريد مركز معلوم فى عهد خالد بن عبدالله القسرى فى العراق بواسط . اذ ورد ان هشام لما عزل ابن هبيرة عن ولاية العراق دخل الموكلون بامر عزله على البريد واقاموا من يحفظه ذكر صاحب العيون والحدائق ذلك بقوله " حكى اياس بن معاوية قال كنت عند ابن هبيرة فى يوم جمعة وقد اذنوا فجاء غلام له يعدو فقال ان قوما دخلوا على البريد ووكلوا بالباب من يحفظه قال اياس فقمت فخرجت فمنعنى الحرس فقال ابن هبيرة وهو فزع منبهر هكذا تقوم القيامة ،واقيمت الصلاة فصلى خالد بالناس وقرأ عهده وكتبه " (٣) .

اما فى عهد الخليفة الوليد بن يزيد فقداستمر البريد فى القيام بمهامه فى نقل علامات الخلافة الى ولى العهد وامر توليته الخلافة (٤) ،كما استمر ايضا فى القيام بتأمين انتقال عدد من الشخصيات التى يأمر الخليفة

---

(١) ابن خلدون - تاريخ (٨٨/٣) .

(٢) الطبرى - م.س (٢٠٥/٨)،ابن خلدون - م.س (٨٨/٣ - ٨٩) .

(٣) مؤلف مجهول - العيون والحدائق (٨٣/٣) .

(٤) التنوخى - الفرج بعد الشدة (١/)،مؤلف مجهول - العيون والحدائق (١٢٠/٣ - ١٢١) .

بنقلها الى المواضع المطلوبة (١) .

ويبدو من خلال متابعة فترى حكم الخليفة الوليد بن يزيد انه ،خلافا لمن سبقه قداهمل امر نقل الاخبار،واستمر ذلك حتى كان واحدا من الاسباب التى ادت الى ضعف الدولة الاموية وسقوطها فقد ذكر الطبرى ان "المنصور ظفر برجل من كبراء بنى امية فقال انى اسألك اشياء فاصدقنى ولك الامان قال نعم قال من ابن اتى بنو امية حتى انتشر امرهم قال من تضيع الاخبار قال فأى الاموال وجدوها انفع قال الجوهر قال فعند من وجدوا الوفاء قال عند مواليهم ،فاراد المنصور ان يستعين فى الاخبار باهل بيته ثم قال اضع من اقدارهم ،فاستعان بمواليه " (٢) .

---

(١) مؤلف مجهول ـ العيون والحدائق (١٢٩/٣) .

(٢) الطبرى ـ م٠س (٨٠/٨) ،خماش ـ م٠س (ص ٢٣٧) .

التعريف بالمصطلحات التى وردت فى ثنايا الرسالة

وردت فى ثنايا البحث جملة مصطلحات فنية كان من المهم حصرها والتعريف بها وهى كما يلى :

اصحاب الاخبار :

وهم الذين يوكل اليهم مراقبة العاملين فى مؤسسات الدولة ،وقد كانوا موزعين فى العاصمة والاقاليم على حد سواء .

اصحاب خبر التطواف :

وهم الذين يوكل اليهم جمع المعلومات الخاصة بالاراجيف والاشاعات والغرائب ومايتردد بين الناس من اخبار .

اصحاب المراصد :

وهم الذين يقامون فى المسالح لمراقبة الطرق والقبض على الخارجين على الدولة والمطلوبين للسلطة .

اصحاب المرور :

ومهمتهم التدقيق فى امر الجوازات وحامليها .

الاحساء :

جمع حساء ،وهو الماء تنشفه الارض من الرمل فاذا صار الى صلابة امسكته فيحفر عنه فيستخرج .

الاراجيف :

مايتولد من الاخبار التى يكون معها اضطراب بين الناس ،وقد يقصد بها مايتردد بين الناس من الاشاعات ،وقيل هى الخوض فى الشىء.

الازكان :

التفرس فى الشىء ظنا فيصيبه اى الفراسة الصادقة.

الاصبع :

من وحدات القياس التى استخدمت فى تحديد طول الميل ،والفرسخ والبريد وقد اختلف العلماء فى عرض الاصبع فمنهم من اعتبره ست شعيرات معتدلات معترضات ،ومنهم من اعتبره ست شعيرات بطن احداها الى بطن الاخرى ،ومنهم من اعتبره ست شعيرات بطن احداها الى ظهر الاخرى (١) .

الاطماع :

مفردها طمع وهى رزق الجند ،واطماعهم اوقات قبوضهم .

الاقطاع :

ان يقطع السلطان رجلا ارضا فتصير له رقبتها .

الاستان :

الاستان والكوره واحد،وهو ينقسم الى رساتيق ،والرستاق ينقسم الى طساسيج ،وكل طسوج ينقسم الى عدد من القرى (٢) .

---

(١) احمد الحسينى ـ دليل المسافر (ص ٧) .

(٢) ياقوت ـ معجم البلدان (٣٧/١) .

الاشريجة :

وهي العرى التى تكون فى اعلى الخريطة لتشرج فيها الشرابـــة وذلك لضمان اغلاقها وتأمين سريتها وعدم الاطلاع عليها .

الاصطبـــل :

وهو المكان الذى يخصص للدواب ،وانواع الاصطبلات خمسة : اصطبـــل الخاصة ،واصطبل العامة،واصطبل الدواب والحمليات ،واصطبل بغال الاثقـــال واصطبل الابل والجمازات .

الآفاقــى :

الذى يأتى من افاق الارض بمعنى كثرة سفره .

الاقليـــم :

وهو مسمى تعارف الجغرافيون المسلمون على اطلاقه على البلدان ،وقـد قيل ان الاصل فى التسمية مأخوذ من قلم وهو النصيب القطع (١) . وقيل هـــو الميل فكأنهم يريدون بها المساكن المائلة عن معدل النهار .

الايتار الملكى :

الطريق المدروس لدهس ترابه كما يملك العجين (٢) .

---

(١) ياقوت ـ م.س (٢٥/١) .

(٢) الهمدانى ـ صفة الجزيرة (ص ٣٣٥) .

الايغـــار :

هو الحماية وذلك ان تحمى القرية او الضيعة فلايدخلها عامل اوجابى ويوضع عليها شىء يؤدى فى السنة فى بيت المال فى المركز او الاقليم .

البشـــوق :

كسر شطوط الانهار حيث يتفجر الماء منها الى الضفاف .

البذرقـــة :

الخفارة وهى الجماعة تتقدم القافلة لتحرسها .

البـــراء :

ارسال الكتاب مع الطير .

البـــراج :

وهو الموظف الذى يختص برعاية الحمام وابراجه .

البريـــد :

البريد لغة : مسافة معلومة مقدرة باثنى عشر ميلا . وفى الاصطلاح هو ان تجعل خيل مضمرات فى عدة اماكن فاذا وصل صاحب الخبر المكان وقد تعب استبدل بآخر . وهكذا حتى يصل الخبر الى المكان المقصود .

وقد اختلف فى اصل كلمة بريد فذهب بعضهم الى انها فارسيةالاصل مأخوذة من(بريده)ذنب (د م) ومعناها (اى بدون ذنب) كناية عن دواب البريد التى تتميز بذيلها القصير،وان الكلمة ـ على رأى القائلين بهذا الرأى ـ قد

عربت وخففت وسمى البغل بريد او الرسول الذى يركبه بريدا والمسافة التى بعدها فرسخان بريدا .(١)

ان لفظ بريد عربية النجار مشتق من بردت الحديد اذا ارسلت مايخرج منه ،(٢) وقيل ابردته اذا ارسلته ،وقيل من برد اذا ثبت لانه يأتى بما تستقر عليه الاخبار .(٣) ويقال اليوم بارد سمومه اى ثابت . والبرد ساكنا جمع بريد ومنه قول الاعراب الحمى بريد الموت اى رسول الموت الذى تنذر به .(٤) وقيل ايضا البريد الرسل على الدواب والجمع برد ،وابرد بريدا ارسله وابراده ارساله ،قال الراجز رأيت للموت بريدا مبردا .

وقيل ايضا ان البريد اصله رومى من وهو دابة البريد(٥) وهذا القول اضعف الاقوال وذلك لان بعض المستشرقين قد اقترحوه دون انيكون له اصل يذكر فى المصادر .

اما عن مقدار البريد فقد قدره الفقهاء باربعة فراسخ – على اعتبار(٦)

---

(١) الخوارزمى – مفاتيح العلوم (ص ٤٢) .

(٢) القلقشندى – صبح الاعشى (٣٦٧/١٤) .

(٣) ن . م . س (٣٦٧/١٤) .

(٤) الزبيدى – تاج العروس (٢٩٨/٢) ،ياقوت – معجم البلدان (٣٤/١) .

(٥) ادى شير – الالفاظ الفارسية المعربة (ص ١٨ – ١٩) .

(٦) ابن حجر الهيثمى – فتح الجواد بشرح الارشاد (١٩/١)، الامام تقى الدين الحسينى – كفاية الاخيار فى حل غاية الاختصار (٢٧٢/١ – ٢٧٣) ، عبدالقادر الشيبانى – كتاب نيل المأرب بشرح دليل الطالب (٤٤/١) ، محمد عليش – حاشية الدسوقى على الشرح الكبير (٣٥٨/١) . وقد قدر الامام الشافعى رحمه الله تعالى مسافة قصر الصلاة باربعة برد وقدر البرد الاربعة بستة واربعين ميلا وكذلك ذهب المزنى ،بمعنى =

ان الفرسخ ثلاثة اميال ،كما قدره علماء المسالك والجغرافيون المسلمون ايضا باربعة فراسخ (١) . ويقدر فى العصر الحالى باربعة وعشرين كيلو متر (٢) .

البطاقة :

وهى الرسالة التى كانت ترسل مع الحمامة ،وكانت عبارة عن ورقة خفيفة من النوع الحريرى الناعم وتكون الكتابة عليها موجزة فى العادة.

البقال :

وهو الشخص الذى يتخذ بيع البقول حرفة له .

البياطرة :

جمع بيطار وهو المتخصص بدراسة اعضاء الحيوانات وعلاجها،وكانوا عادة يتولون رعاية دواب البريد وعلاجها .

التاسومة :

ضرب من الاحذية الخفيفة المتينة ،وهى من ملابس الفيوج .

التطبير :

بمعنى ارسال الكتاب بخدمات الفيج الطيار اوالرسول السريع اى حامل الرسائل السريع .

= ان البريد يعادل ٥ر١١ ميلا اى ان الفرسخ اقل من ثلاثة اميال، انظر محمد بن ادريس الشافعى ـ كتاب الام (١٨٣/١) ، المزنى ـ مختصر كتاب الام (ص ٢٤) .

(١) ياقوت ـ معجم البلدان (٣٤/١) ، القلقشندى ـ صبح الاعشى (٣٦٦/١٤) .

(٢) فالتر هنتس ـ المكاييل والاوزان (ص ٨٢) .

الجبـــة :

رداء يلبس فوق الثياب له اكمام وجيوب طويلة يتبع فى خياطتهـا مقاييس معينة (١) .

الجمـــازات :

وهى النوق التى تعدو،وقيل هى آلة تشبه المحفة على عجلات تجرهـا الـدواب .

الجـوازات :

هى اوراق رسمية تصدر عن الوزير او صاحب الشرطة يسمح لحاملهـا بمواصفاته ان يجتاز مراكز التفتيش (التى هى مراكز الجوازات) .

مراكز الجوازات :

مراكز امنية توضع على مداخل المدن وحدود الاقليم ،وحدود الدولـة الاسلامية .

الحقائب :

وهى الاوعية التى تستخدم فى نقل الالطاف عن طريق البريد .

الحمام الزاجل :

وهو الحمام المنسوب الذى استخدمفى المراسلات ،وهو كالعتاق مـن الخيل وماعداه كالبراذين ، اطلق عليه العراقيون "الهوادى" واطلق عليـه

---

(١) د.مليحة رحمه الله ـ الملابس فى العراق فى العصور العباسية (ص ١٩٣) (مقال نشر فى المجلة التاريخية المصرية العدد (١٣) السنة ١٩٦٧م) .

المصريون حمام البطاقة وعرف عند كليهما "بالزاجل" .

الحياض :

مفردها حوض وهى اماكن تجتمع فيها الماء .

الخبيـر :

اطلق فى العصر الاموى على الشخص الذى يأتى بالاخبار الى الخليفة .

الختمـة :

كتاب يرفعه الجهبذ وهو عبارة عن خلاصة شهرية لحسابات بيت المال .

الخريطة :

وعاء يشبه الكيس يتخذ من قماش او ادم او ليف . وذلك لنقل الكتب فيها ،وقد تستعمل لنقل الاشياء الثمينة وكذلك النقود .

خريطة الموسم :

وهى الخريطة التى يوجه بها من مكة الى الخليفة والتى تتضمن عادة تقرير مفصل باخبار موسم الحج لذلك العام .

الخريطة المريشة :

وهى الخريطة التى تحمل اخبار الظفر والانتصارات فى الحروب والغزوات .

الخريطة الصفراء :

وهى الخريطة التى كانت تبعث من العاصمة الى اهل الموسم فى الحج برؤية هلال ذى الحجة ضمانا لتوحيد الاعيادوالمواسم فى الدولة الاسلامية .

الخريطة البندارية :

وهى كما يظهر من التسمية منسوبة الى بندار . وليس لدينا معلومات تفسر النسبة غير ان المقصود منها انها تفرد للمهم من المراسلات تمييزا لها عن بقية خرائط البريد .

الخريطة المحلقة :

وهى الخريطة التى تحلق بحلق من معدن غالبا مايكون ذلك المعدن هو الحديد ،وذلك للتأكد من ضمان سرية وتأمينوصولمحتوياتها .

خزانات المياه :

لفظ كان يطلق على البرك والصهاريج التى كانت تقوم بخزن المياه واحتجازها .

خط الغبار :

وهو خط ناعم دقيق تستعمل فى كتابته اقلام مخصوصة وقد يطلق عليه اسم خط البطائق حيث جرى استخدامه فى كتابة رسائل البطائق فى العادة وسمى بالغبار لدقته .

الخطوة :

من وحدات القياس التى استخدمت فى تحديد البريد والفرسخ والميل .

وقد اختلف الفقهاء فى تقديرها فمنهم من قال انها خطوة انسان ومنهم من قال انها خطوة بعير .(١)

خليفة صاحب البريد :

وهو الشخص الرسمى الذى يخلف صاحب البريد فى مهمات البريد الرسمية .

الخيالة :

صنف من العاملين فى البريد ،واليهم كانت مهمة نقل المعلومات وغيرها على ظهور الخيل والبغال .

دار الضرب :

وهى الجهة المسئولة عن اصدار النقود الاسلامية سواء كانت ذهبية ام فضية ام من معادن رديئة.

الدراعة :

ثياب مفتوحة من الامام لها جيوب .(٢)

الدعوة :

من وحدات القياس وكانت تستخدم فى تقدير مسافة معينة انفرد الحربى بذكرها .(٣)

---

(١) احمد الحسينى ـ دليل المسافر (ص ٧) .

(٢) الجهشيارى ـ الوزراء (ص ١٧٦) ،د.مليحة ـ م.س (ص ١٩٤) .

(٣) الحربى ـ المناسك (ص ٣٣٤) .

الــــدواة :

لفظ اطلق فى الهند على بريد السعاة .

الـذراع :

مايذرع به ،وهو من وحدات القياس ،وقد استخدم فى تحديد اطـــوال البريد والفرسخ والميل ،والاذرعة سبعة اصناف وهى :

الذراع العمرية : وهى ذراع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنــه التى مسح بها السواد وهى ذراع وقبضة وابهام قائم . وتقدر فى العصـــر الحالى بـ(٨١٥ر٧٢ سم) (١) .

الذراع الهاشمية الصغرى : وهى اطول من الذراع السوداء باصبعيـــن وثلثى اصبع واول من احدثها بلال بن ابى بردة وذكر انها ذراع جده ابـــى موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه. وتقدر فى العصر الحالى بـ(٠٥٥ر٦٠سم) (٢).

الذراع الهاشمية الكبرى : وهى ذراع الملك واول من نقلها الــــى الهاشمية المنصور،وهى اطول من ذراع السوداء بخمس اصابع وثلثى اصبـــع. وتقدر فى العصر الحالى بـ (٥ر٦٦ سم) (٣) .

الذراع السوداء : اول من وضعها الرشيد قدرها بذراع خادم اســـود وهى التى يتعامل بها الناس فى ذرع البز والابنية وقياس نيل مصـــــر والتجارة . وتقدر بمقياس العصر الحديث بـ (٠٤ر٥٤ سم) (٤) .

الذراع القاضية : وتسمى ذراع الدور وهى اقل من السوداء باصبـــع وثلثى اصبع واول من وضعها ابن ابى ليلى القاضى. وتقدر حاليـاب(٣ر٥٠سم) (٥).

الذراع اليوسفية : وهى التى يذرع بها القضاة الدور بمدينــــــة السلام وهى اقل من ذراع السوداء بثلثى اصبع وضعها ابو يوسف القاضــــى رحمه الله . وتبلغ بمقياس العصر الحالى (٨٧٥ر٤٩ سم) (٦) .

---

(١) فالتر هنتس ـ م.س (ص ٨٩)، الزهرانى ـ موارد (ص ٣١٠) .
(٢) هنتس ـ م.س (ص ٨٧)، الزهرانى ـ م.س (ص ٣٠٨) .
(٣) هنتس ـ م.س (ص ٩٠)، الزهرانى ـ م.س (ص ٣١١) .
(٤) هنتس ـ م.س (ص ٨٨)، الزهرانى ـ م.س (ص ٣٠٩) .
(٥) هنتس ـ م.س (ص ٨٧)، الزهرانى ـ م.س (ص ٣٠٨) .
(٦) هنتس ـ م.س (ص ٩٢)، الزهرانى ـ م.س (ص ٣١١ ـ ٣١٢) .

الذراع الشرعية : وهى عين ذراع البريد وتبلغ بمقياس العصر الحالى (٨٧٥ر٤٩ سم) (١) .

الذراع المأمونية : واول من وضعها المأمون وهى ذراعين بالسوداء وثلثى ذراع وثلثى اصبع وهى الذراع التى يتعامل بها الناس فى ذرع البرائد والمساكن والاسواق وكراء الانهار والحفائر (٢) .وتقدر بمقياس العصر الحالى ب (٦٣ر١٤٥ سم) (٣) .

اما عن مقدارها فقد اختلف الفقهاء فيها فمنهم من اعتبرها اربعا وعشرين اصبعا ومنهم من اعتبرها ثمانية وعشرين اصبعا ،ومنهم من اعتبرها اثنين وثلاثين ومنهم من اعتبرها ستة وثلاثين. والمراد بالذراع هى ذراع الادامى من طى المرفق الى طرف الوسطى (٤) .

الذمر :

وهو الشخص اللبيب الذى يحتال فى جمع الاخبار معونه على ان يكون على البريد حمايته .

الراضه :

وهم الذين كانت اليهم مهمة تسيير الدواب وقت راحتها من العمل ويعرفون بالشدادين ايضا .

الربض :

مفردها ربض ،والربض للمدينة ماحولها .

الرستاق :

يستعمل فى الناحية التى فى طرف الاقليم وهو كل موضع فيه مزارع وقرى ولايقال للمدن كالبصرة وغيرها وهو عند الفرس اعم ،وهو بمنزلة السواد

---

(١) هنتس ـ م.س (ص ٨٤، ٩٣) ، الزهرانى ـ م.س (ص ٣١٢) .
(٢) الماوردى ـ الاحكام السلطانية (ص ١٥٢ ـ ١٥٣) ، الفراء ـ الاحكام السلطانية (ص ١٧٣ ـ ١٧٤) .
(٣) هنتس ـ م.س (ص ٩٠) ، الزهرانى ـ م.س (ص ٣١١) .
(٤) الحسينى ـ م.س (ص ٧) .

عند اهل بغداد ،وهو اخص من الكوره و الاستان .

الرقـــاع :

التقارير التى يرفعها متولى البريد او ولاة البريد فى الاقاليم الى الشخص او الجهة المسئولة .

الركابـــى :

حامل الرسائل وهو ايضا الشخص الذى يختص بركوب الابل ،وقـــــــــد تطلق على الفيج ايضا وهو نادر .

الركاضين الثغريين :

مصطلح اطلق على السعاة فى منطقة الثغور .

الركايـــا :

وهى الصهاريج التى يجمع فيها الماء .

الركـــوة :

اناء من الجلد يوضع فيه الماء للشرب ،كان يستخدمه الفيوج .

المزالـــف :

من وحدات القياس التى استخدمت فى تقدير المسافات ،والمزلـــــــــف كالمرحلـــة (١) .

---

(١) الجاسر ـ الهجرى وابحاثه فى تحديد المواضع (ص ٣٦٠) .

السابلـــة :

الطريق المسكوكة، والمارون عليها، وابناء السبيل المختلفون اليهـا في حاجاتهم (١) .

السباك :

احد العاملين فى دار الضرب ومهمته ان يحضر وزن النحاس قبل مزجـه فى حالة السبك .

السراجيون :

وهم الذين كانوا يتولون مهمة اضاءة الطرق ليلا واعداد المســارج وصيانتها والقيام عليها .

السروج :

مفردها سرج وهو رحل الدابة وقد غلب استعماله للخيل .

السعـــاة :

مفردها ساعى . وهم رجال خفاف تعودوا الجرى كانت مهمتهم نقـــل الرسائل من مرحلة الى اخرى سعيا على الاقدام الا انهم اسرع من الفيـــوج فى توصيل الرسائل وهم للخدمات الرسمية خاصة .

السكـــة :

موضع يسكنه الفيوج والمرتبون وعرفت ايضا بالقبة والقصر والمنـــزل وخان البريد ودار البريد ومركز البريد .

---

(١) عبدالله البستاني ـ الوافي (ص ٢٧٠) .

السواس :

وهو الذى يقوم على امر الدواب وترويضها واطعامها وسقيهـــــــــــا واضمارها وتجليلها .

شحنة البريد :

مايقام من اولياء السلطان يعملون فى البريد ،وقيل الرابطة مـــــن الخيل فى البريد . وقد الف احمد بن المبارك الخراز كتابا اسمــــــــاه "شحنة البريد "(١).

الشــــداد :

ويعرف بالرائض ايضا .

الشرائج :

الجدائل من الخشب او القصب وكانت تجعل على الدروب والجسور .

الشرابة :

قطعة من القماش تشد بها الخريطة .

الشعوذى :

رسول الامراء على البريد فى مهماتهم بالسرعة ،وقيل هو رسول صاحـــب الجيش الى صاحب البريد .

---

(١) ابن النديم - الفهرست (ص ١٥٢ - ١٥٣) ،ياقوت - معجم الادبــــــــاء (٧/٣ - ٨) ،ولايزال الكتاب مفقودا .

خيل الشهارة :

وهى خيل مقررة للاعراب العاملين فى البريد يحضرون بها كل هلال شهر الى مراكز اصحاب النوبة، فاذا انسلخ الشهر جاء غيرهم وهم لهذا يسمون خيل الشهارة .

صاحب خبر السر :

وهو الذى يعهد اليه بمراقبة الثغور والكشف عن الجواسيس ومنع تسللهم واحباط خططهم فى نقل اخبار الدولة الاسلامية .

صاحب خبر العسكر :

وكانت مهمته مراقبة القواد والجند والجيوش اوقات الحروب ونقل اخبارهم الى الخليفة .

صاحب خبر المحبسين :

وهو الذى يتولى تفقد احوال المحبسين داخل السجون ورفع اخبارهم الى الوزير .

الصفاق :

الذى يضرب على الامر العظيم .

الصوى :

بضم الصاد وهى علامات الطريق التى تبين عدد الاميال والفراسخ التى تمتد اليها الطرق .

الضـــراب :

احد العاملين فى دار الضرب وكان عمله الضرب على السبيكة لاخـــراج سكة مضروبة ،وكذلك من اعماله الختم على السكة المصبوبة.

الطـــراد :

وهو الذى يتولى مراقبة السعاة.

الطـــروس :

وهى الطوامير التى يكتب فيها الى الخلفاء .

الطســـوج :

وهو اقل من الكوره والاستان ،كأنه جزء من اجزاء الكورة وهى اكثـــر ماتستعمل فى سواد العراق ،ولذلك ينسب كل طسوج الى اسم من الاسماء .

الطعمـة :

هو ان تدفع الضيعة لرجل ليعمرها ويؤدى عشرها وتكون له مدة حياتـه فاذا مات ارتجعت منورثته .

الطغـراء :

وهى الطره التى تكتب فى اعلى المناشير فوق البسملة بالقلـــــــم الجلى تتضمن اسم الملك والقابه ،وهى كلمة اعجمية محرفة من الطره (١) .

---

(١) ياقوت ـ معجم الادباء (١٠/٥٧) .

الطومـــار :

وهم من اجل الاقلام يكتب فى طومار تام بسعفه وربما كتب بقلـــــم وكانت تنفذ به الكتب الى الملوك[(١)] .

الطيلســـان :

فارسى اللفظ معرب . وهو لباس ليست له اكمام او جيوب خال مـــن التفصيل والخياطة وهو عبارة عن كساء مدور اخضر لحمته او سداه مـــن الصوف يوضع فوق الكتب او فوق الراس ويتدلى على الجبين اذ يغطى نصـــف الوجه وقد يلف الطرفان الاماميان على الرقبة او يتدليا على الاكتــــاف ويعتبر من الالبسة الجميلة المنظر الثمينة[(٢)] .

العامـــل :

وهو الذى يلزمه عمل الحسبانات ورفعها والكتابة عليها وهو الاصـــل فى الخدمة واذا صرف ولم يكن ضامنا وجب عليه تحقيق باقى الاموال فـــى جهات اربابه واخذ الحجج عليهم مشهودا فيها ويرفعها الى الديوان .

العبـــرة :

ثبت الصدقات لكوره كوره .

العريضة :

هو اخراج الخلاف ،وتعمل لابواب يحتاج ان يعلم فضل مابينهم .

---

(١) ن . م . س (٦٠/٦) .

(٢) د.مليحة ـ م.س (ص ١٩٧) .

العفـــاق :

المسرع فى الذهاب .

العقبـــة :

من وحدات القياس التى استخدمت فى تقدير المسافات وهى من مراحـــل الطريق وهى كالمرحلة (١) .

العلافون :

وهم الذين كان اليهم امر جلب العلف والاشراف على تخزينه وتوزيعـــه على الدواب فى الاصطبلات والسكك .

العلـــم :

المنارة وقيل شئ منصوب فى الطريق يهتدى به (٢) .

العمامـــة :

مايلف على الرأس ،وهى تتغير من حيث الشكل والنوعية فللخليفـــــة عمامة وللفقهاء عمامة وللقضاة عمامة وللكتاب عمامة (٣) .

العوكلـــة :

الرملة الصغيرة .

---

(١) الطبرى ـ تاريخ (٢٨/٣) .

(٢) عبدالله البستانى ـ الوافى (ص ٢٢٤) .

(٣) بطرس البستانى ـ محيط المحيط (ص ٦٣٤) ،د.مليحة ـ م.س (ص ١٨٧ـ ١٨٨) .

العيـــــار :

وهو ماجعل فى الدنانير والدراهم الذهب الخالص او الفضة الخالصة فهو يقال عيار كذا،وعيار الشئ ماجعل له نظاما يقاس به ومنه عيار الميزان للدرهم ٠

الغلـــوة :

من وحدات القياس التى استخدمت فى تقدير المسافات فى الطرق والغلوة من ثلاثمائة ذراع الى اربعمائة ذراع (١) وقيل ثلاثمائة ذراع (٢) وقيل هى اربعمائة ذراع ٠

الفراجلـــة :

وهم اصحاب الاخبار الذين يعهد اليهم بمراقبة اهل الملل الاخرى وكان يشترط فيهم المعرفة التامة بلغات الاقوام الذين يتولون مراقبتهم ٠

الفروانقيون :

وهم الذين يتولون مسئولية مراقبة سكك البريد والسعاة وعموم الركابيين ومفردها فروانق او فرانق ،وقد يعرف بها اولئك الذين يكلفون بنقل الرسائل الى شخصيات الدولة داخل المدينة ٠

---

(١) الحسينى ـ م٠س (ص ١١) ٠

(٢) محمد امين الشهير بابن عابدين ـ حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الابصار (٢٤٦/١)،حسن الشرنبلالى ـ مراقى الفلاح شرح نور الايضاح (ص ٨٤) ٠

الفرسخ :

قيل فارسى معرب واصله فرسنك ،وقال اهل اللغة الفرسخ عربى محض يقال انتظرتك فرسخامن النهار اى طويلا . والفرسخ فى اغلب الاقوال ثلاثة اميال .(١)

الفصل :

خلاصة موجزة تشتمل معلومات اصحاب الاخبار .

الفيوج :

وهم الرسل الذين ينقلون المعلومات على ارجلهم من بلد الى اخرى ويستعملون فى النطاقين الرسمى والاهلى ،والفيج فى الاصل هو رسول السلطان الذى يسعى على قدميه ثم اطلقت بعد ذلك على كل من جعل نقل الرسائل حرفة له .

الفيج الطيار :

وهو الرسول الذى يقدم خدمات سريعة جدا.

القباء :

ثوب خارجى وهو لباس طويل قد يصل الى الارض ومفتوح عند الرقبة يبدو القفطان من تحته ،والقباء ظلت اكمامه ضيقة الى عصر المعتصم بالله الذى وسعها .(٢)

(١) ياقوت ـ معجم البلدان (٣٤/١)، الزبيدى ـ تاج العروس (٢٧٣/٢) ، عبد الرحمن باعلوى ـ بغية المسترشدين(ص ٧٤)، الحسينى ـ م.س (ص ٧-١٤).

(٢) د.مليحة ـ م.س (ص ١٩٤) .

القبـــاب :

وهى الاماكن التى تهيأ لاستراحة المسافرين وتعرف ايضا بالخانات .

القـــدم :

من وحدات القياس التى استخدمت فى تقدير المسافات وقد اختلف الفقهاء فى تحديده فمنهم من قال قدم انسان ومنهم من قال قدم بعير (١) .

القسطـــل :

الموضع الذى تفترق منه المياه .

القصـــاد :

لفظ اطلق فى مصر على السعاة .

قعقعة البريد :

صوت خطاطيف لجم البريد .

القنـــى :

هى مايحفر فى الارض ليجرى فيها الماء ، والقنوات عبارة عن مجارى توضع فيها انابيب فخارية لتوجيه الماء الى المكان المراد توصيل الماء اليه (٢) .

القلنسوة :

صومعة تلبس فى الراس ، اتخذها المنصور لباسا رسميا لجنوده ، وقد اختلفت من حيث طولها وشكلها (٣) .

---

(١) الحسينى ـ م . س (ص ٧) .

(٢) عبدالله البستانى ـ الوافى (ص ٥٢٢) .

اختلفت من حيث طولها وشكلها .[١]

كاتب الانشاء :

وهو الذى يتولى مجلس الانشاء فى ديوان البريد .

كاتب التحرير :

وهو الذى يتولى مجلس التحرير فى ديوان البريد .

كاتب النسخ :

وهو الذى يتولى مجلس النسخ فى ديوان البريد .

كاتب الاسكدار :

وهو الذى يتولى مجلس الاسكدار فى ديوان البريد .

كاتب مجلس السكك والطرق :

وكانت مهمته تقصى اخبار الطرق ونقل المعلومات عنها وبيانها وتوضيح مايلزمها من اصلاح وغير ذلك .

كتاب البريد :

وهم الاشخاص الذين توكل اليهم مهمة الكتابة فى مجالس الديوان ولولاة البريد فى الاقاليم .

---

(١) عبدالله البستانى – م.س (ص ٥١٧)، د.مليحة – م.س (ص ١٨٨ – ١٩٠) .

الكلابيـــن :

وهم الاشخاص الذين يتولون تدريب الكلاب لاستخدامها فى البريد وغيره .

الكنانـــة :

وهى جعبة من الادم استخدمت لنقل كتب البريد .

الكـــورة :

اسم فارسى ،وهى كل صقع يشتمل على عدة قرى ولابد لتلك القرى من قصبة او مدينة او نهر يجمع اسمها .

الكوهبانية :

وهم اصحاب الاخبار المكلفين بنقلها بين قطعات الجيش .

المتعشيات :

لفظ اطلق على منتصف المسافة الكلية بين منزلين .والمقصود منه منزل يبلغ وقت العشاء او يمر عليه فى وقت العشاء او منزل يستأمن به فى اوقات الليل ويستراح فيه . وتنتشر المتعشيات عادة على طريق الجادة بين الكوفة ومكة المكرمة . وهى كما يلى كما وردت عند الجغرافيين المسلمين :

	ابن خرداذبة	ابن رستة	ابن شجاع	الحربـــى
العذيب ـ المغيثة	وادى السباع (١٤ ميلا)	وادى السباع (١٤ ميلا)	وادى السباع (١٤ ميلا)	—
المغيثة ـ القرعاء	مسجد سعد (١٤ ميلا)	مسجد سعد (١٤ ميلا)	مسجد سعد (١٤ ميلا)	—
القرعاء ـ واقصة	الطرف (١٤ ميلا)	الطرف (١٤ ميلا)	الطرف (١٤ ميلا)	—
واقصة ـ العقبة	القبيبات (١٤ ميلا)	السماء (١٤ ميلا)	العنمات (١٤ ميلا)	—
العقبة ـ القاع	الجلحاء (١٣ ميلا)	الجلحاء (١٣ ميلا)	الجلى (١٣ ميلا)	—
القاع ـ زبالة	الجريسى (١٤ ميلا)	الجريسى (١٤ ميلا)	—	الجريسى (١٠ اميال تقريبا)
زبالة ـ الشقوق	التنانير (١٤ ميلا)	التنانير (١٤ ميلا)	المشاش (١٤ ميلا)	ذات التنانير (٦ اميال)
الشقوق ـ بطان	بردين (١٤ ميلا)	بدرين (١٤ ميلا)	—	—
بطان ـ الثعلبية	المهلبية (١٤ ميلا)	المهلبية (١٤ ميلا)	المهلبية (١٤ ميلا)	—

	ابن خرداذبة	ابن رستة	ابن شجاع	الحربى
الثعلبية ـ الخزيمية	الغميس (١٤ ميلا)	العين (١٤ ميلا)	العميس (١٤ ميلا)	الغميس (٩ اميال)
الخزيمية ـ الاجفر	بطن الاغر (١٥ ميلا)	الاغر (١٥ ميلا)	الاغر (١٥ ميلا)	بطن الاغر —
الاجفر ـ فيد	القرائن (٢٠ ميلا)	القرائن (٢٠ ميلا)	—	مله (٥ر١٢ ميلا)
فيد ـ توز	القرنتين (١٧ ميلا)	القرنتين (١٧ ميلا)	القريين (١٧ ميلا)	القرائن (٥ر١١ ميلا)
توز ـ سميراء	الفحيمة (١٣ ميلا)	المحيمة (١٣ ميلا)	الفحيمة (١٣ ميلا)	الحمة (٨ اميال)
سميراء ـ الحاجر	العباسية (١٥ ميلا)	العباسية (١٥ ميلا)	العباسية (٨ اميال)	العباسية (١٠ اميال)
الحاجر ـ معدن النقرة	قرورى (١٧ ميلا)	قرورى (١٧ ميلا)	قرور (١٧ ميلا)	قرورى (١٣ ميلا)
النقرة ـ مغيثة الماوان	السمط (١٦ ميلا)	السمط (١٦ ميلا)	السمط (١٤ ميلا)	الاقحوانة (١٣ ميلا)
الماوان ـ الربذة	اريمه (١٤ ميلا)	اورعه (١٤ ميلا)	— —	اريمه (١٠ اميال)

ابن خرداذبة	ابن رستة	ابن شجاع	الحربــى
الربذة ــ معدن بنى سليم	الربذة ــ السليلة	الربذة ــ السليلة	الربذةــ السليلة
شروى (١٤ ميلا)	الكنابين (١٣ ميلا)	الكناس (١٣ ميلا)	حجر كناس (١٣ ميلا)
المعدن ــ السليلة	السليلة ــ العمق	السليلة ــ العمق	السليلةــ العمق
الكنابين (١٣ ميلا)	السنجة (١٣ ميلا)	السبخة (١٣ ميلا)	ضبة (١١ ميلا)
السليلة ــ العمق	العمق ــ معدن بنى سليم	العمق ــ معدن بنى سليم	العمق ــ معدن بنى سليم
السنجة (١٢ ميلا)	ــــ	ــــ	ــــ
العمق ــ افيعية	المعدن ــ افيعية	المعدن ــ افيعية	المعدن ــ افيعية
الكراع (١٥ ميلا)	الكيرانة (١٤ ميلا)	الكيرام (١٤ ميلا)	كراع (١١ ميلا)
افيعية ــ المسلح	افيعية ــ المسلح	افيعية ــ المسلح	افيعية ــ المسلح
الكبرانة (١٤ ميلا)	ــــ (١٤ ميلا)	ــــ	الكبوانة (١٢ ميلا)
المسلح ــ الغمرة	المسلحــ الغمرة	المسلح ــ الغمرة	المسلحــ الغمرة
القصر (٨ اميال)	القصر (٨ اميال)	القصر (٨ اميال)	ــــ
الغمرة ــ ذات عرق	الغمرة ــ ذات عرق	الغمرة ــ ذات عرق	الغمرةــ ذات عرق
اوطاس (١٦ ميلا)	اوطاس (١٢ ميلا)	ــــ	ــــ
ذات عرق ــ بستان ابن عامر	ذات عرق ــ بستان ابن عامر	ذات عرق ــ بستان ابن عامر	ذات عرق ــ بستان ابن عامر
غمر ذى كنده (١١ ميلا)	غمر ذى كنده (١١ ميلا)	غمر ذى كنده (١١ ميلا)	الغمير (٧ اميال)

متولى اخبار الخاصة :

وهو الشخص الذى تناط به مهمة مراقبة خاصة الخليفة من الامراء وغيرهم من اهل بيت الخلافة ومن يحيط بهم .

متولى عرض الاخبار :

وهو الرئيس الاعلى لاصحاب الاخبار والمشرف عليهم فى الدولة سواء كانوا فى العاصمة او فى الاقاليم .

متولى ديوان البريد :

وهو الشخص الذى توكل اليه مهمة ادارة ديوان البريد كما كان اليه امر اصحاب البرد والاخبار فى سائر اقاليم الدولة .

مجلس البناء والمرمة :

وهو من مجالس ديوان النفقات ،وهو المجلس الذى يوكل اليه الاشراف على المبانى التى تكون ملكيتها للدولة فكان يبنى مايأمر به الخليفة او الوزير كما كان يقوم بترميم المبانى التى يتطلب وضعها ذلك وفيه كان يجرى محاسبة المختصين من مهندسين ومشرفين ومتعهدين بمواد البناء والتدقيق فى الكلفة حرصا على المصلحة العامة .

مجلس الجارى :

وهو المجلس الذى تجرى فيه تتبع نفقات المرتزقة وذلك بتصنيفهم حسب الاعمال الموكلة اليهم وتثبيت اوقات استحقاق رواتبهم ويعتمد فى

ذلك على جرائد خاصة تهيأ لهذا الغرض . وهو من اهم مجالس ديوان النفقات في الدولة الاسلامية .

مجلس الانشاء :

وهو المجلس الذى يتولى انشاء الكتب التى تصدر عن ديوان البريد .

مجلس التحرير :

وهو المجلس الذى يتولى اعداد نسخ الكتب والرسائل ،والتحرير هو نقل الكتاب من سواد النسخة الى بياض نقى .

مجلس الاسكدار :

وهو المجلس الذى يتولى حفظ الاوراق ،والاسكدار كلمة فارسية اصلها (اذ كو دارى) تفسيرها (من اين تمسك) .

مجلس النسخ :

وهو الذىيتولى نسخ الكتب الصادرة عن ديوان البريد على عدة نسخ مطابقة للاصل .

مجلس الطرق :

وهو الذى يتولى الاشراف على شئون الطرق النافذة الى الاقاليم .

مجلس الكراع :

احد مجالس ديوان النفقات ،ويتولى الاشراف على شراء الدواب التى تعمل فى البريد وعلوفتها،وكذلك النظر فى امر خيل الشهارة .

مجلس بيت المال :

وهو الذى يتولى امر الاشراف على الارزاق والمستحقات للعاملين فى البريد ٠

مجلس الزمام :

وهو الذى يقوم بالاشراف على الديوان ويراقب ويتتبع كل ماهو شأنه مصلحة خزينة الدولة ٠

مجلس عرض الاولياء :

وهو المجلس الذى يتولى الاشراف على عرض الجند وتدريبهم وكذلك الاشراف على الجيش اثناء الاستعراض ٠

المحاسبة :

وهو ان ينفرد احدهما "الرافع والمرفوع" دون ان يوافق الاخرى على التفصيلات فذلك يسمى المحاسبة ٠

المخصره :

وهى المقرعة التى تتخذ للدواب ٠

المخلاف :

وهو بمعنى كوره واكثر مايقع فى كلام اهل اليمن ،والمخلاف عادة مايضاف الى اسم القبيلة التى تقطن ذلك المكان ٠

المخــــلاة :

نوع من الاكياس توضع فيه الاشياء وقداستخدم لاغراض كثيرة من تلـــــك الاغراض استعمال الفيوج لها لحمل الكتب .

المرتبون :

وهم الرجال الذين يقيمون فى السكك وكانت مهمتهم حمل الخرائـــــط من سكة الى اخرى .

المرحلـــة :

من وحدات القياس التى تستخدم لتقدير المسافات . ويقدر طولهـــــا بستة فراسخ .

المرقعـــة :

نوع من الالبسة الصوفية ،وهى من لباس الفيوج .

المراكـن :

وهى التى تتخذ لوضع الزروع فيها وقداستخدمها البريد لنقـــــــل الزروع فيها من مكان الى آخر وكذلك المشموم .

مسارح الحمام :

الخطوط التى كان يطير وفقها الحمام الى الجهات المختلفة .

المسالــح :

مواضع ارصاد السلطان ،وهم قوم بسلاح يرتبون فى الثغور والمخافــات واحدهم مسلحى ،وقد كره الخليفة المأمون هذا الاسم فصيره مصالح مــــن المصلحة .

المشــرف :

من وحدات القياس التىتستعمل لتقدير المسافات وهو مثل بريد ومثــل ميل والمشرف يعادل ١٣ ميلا تقريبا .

المشاهرة :

المعاملة شهر بشهر وهى كالمعاومة من العام .

مطارات الحمام :

وهى الاماكن التىتهيأ للحمام فى المسارح المختلفة .

المنظــره :

موضع الرؤيا كالمرقبة .

المعاون :

وهو الذىيتولى دار المعونة وهو بمثابة الامير دون الحاكم .

المقـدم :

احد العاملين فى دار الضرب وكان من اعماله حفظ العيار .

المنــــــار :

العلامات التى تجعل فى الطرق والتى ينار عليها او ليؤمها المسافرين وهى عادة تجعل على مسافات متباعدة .

المنــــاور :

مواضع التخابر بالنار او الدخان .

المنطلق :

ارسال الكتاب على اجنحة الطير .

المؤامرة :

عمل تجمع فيه الاوامر الخارجية عن مدة ايام الطمع ويوقع السلطـــان فى آخره باجازة ذلك .

الموافقــــة :

حساب جامع يرفعه العامل عند فراغ العمل ولايسمى موافقة مالم يرفع باتفاق الرافع والمرفوع اليه .

مواقيــــد :

موضع الانارة وهى الاماكن الذى توضع فيها المسارج للاضاءة .

الموقعون :

وهم الذين يوكل اليهم بمراقبة المرتبون .

المياومـــة :

مأخوذة من اليوم وهى المعاملة يوم بيوم ٠

الميـــل :

الميل من الارض قدر مد البصر،والمبنى : منار مبنى للمسافر فـــى انشاز الارض ومنه الاميال التى فى طريق مكة المشرفة وهى الاعلام المبنيـــة لهداية المسافرين ٠ والميل حجر طوله ثلاثة اذرع ٠

اما عن مقدار الميل فقد اورد الحسينى نظم ابن الحاجب :

ان البريد من الفراسخ اربـــع ... ولفرسخ فثلاث اميال ضعـوا
والميل الف من الباعات قـــل ... والباع اربع اذرع فتتبعوا
ثم الذراع من الاصابع اربــــع ... من بعدها العشرون ثم الاصبع
ست شعيرات فبطن شعيـــــــرة ... منها الى ظهر الاخرى توضع
ثم الشعيرة ست شعرات كـــــذا ... من شعر بغل ليس منذا مدفع (١)

وقد اختلف العلماء فى مقدار الميل فمنهم من جعله ثلاثـــــــــة آلاف وخمسمائة ذراع ومنهم من جعله ثلاثة آلاف ذراع ومنهم من جعلـــــــه الفا ذراع (٢) ٠

والواقع انه قد عثر على عدد كبير من الاميال قائمة فى طريـــــق الكوفة مكة بين كل ميل والذى يليه ٢ كم ٠ فقد عثر فى منطقة قرورى علـى سبعة اميال قائمة بين كل ميل والذى يليه ٢ كم (٣) وكذلك عثر فى موقـــــع

---

(١) الحسينى ـ م٠س (ص ١٠ـ ١١) ،ولمعلومات اوفى عن الميل انظر (ص ٧ـ ٢٢) ٠

(٢) ن ٠ م ٠ س (ص ١٩ ــ ٢٢) ٠

(٣) الحلوة وماكينزى ـ مشروع توثيق درب زبيدة (مجلة اطلال ـ العـــدد الرابع) (ص ٣٧) ٠

العناية على اميال قائمة على طول الطريق بينهما مسافات منتظمة وهى ٢ كم (١) .

النظار :

وهم الذين يتولون مراقبة اعمال العمال فى الدولة .

نظار المناور :

وهم الذين يرتبون فى المناور وذلك للاعلام بحركة الاعداء سواء كان ذلك فى الثغور البرية او البحرية .

النفر :

الشئ الفائض عن حاجة المدينة .

النقاش :

احد العاملين فى دار الضرب ومهمته نقش السكة اى حفر الكتابات على السكة مقلوبة .

الوظائف :

مفردها وظيفة وهو ان يوظف عامل على حمل مال معلوم الى اجل مفروض فالمال هو الوظيفة .

الوكلاء :

وهم الذين يتولون مراقبة مجلس عرض الاولياء فى ديوان الجيش .

---

(١) الحلوة وماكينزى ـ م.س (مجلة اطلال ـ العدد الرابع) (ص ٤٩).

الـــولاق :

لفظ اطلق فى الهند على بريد الخيل .

ولاة البريد فى الاقاليم :

وهم الذين كان اليهم الاشراف على اعمال البريد فى الاقاليـــــم المختلفة .

ولاة الطرق :

وكانت مهمتهم حفظ الطرق وصيانتها كما كان اليهم حفظ النظـــام والخدمات فيها .

الهجانـــة :

وهم الذين يتولون نقل الرسائل و الالطاف على ظهور الجمال .

الفصل الأول

ديوان البريد

- مقوماته
- اختصاصاته
- إدارته
- نفقاته

ديوان البريد وادارته .

تأخرت نشأة ديوان البريد وتنظيمه عن مرحلة نشأة الدولة الاسلامية ومع ان المصادر المعتمدة تشير بشكل صريح الى وجود خدمات خاصة بالاتصالات وانهاء الاخبار منذ المراحل المبكرة لنشأة الدولة، فان النصوص الخاصة عن تنظيم الديوان قد تأخرت عن ذلك كثيرا.

لقد اشارت المصادر الى البريد فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم (١) كما وردت اشارات متعددة عنه خلال فترة الفتوح الاولى اذ ورد مايؤكد وجود بريد يربط بين الساحات المختلفة وبين العاصمة (٢) .

ان اول نصوص وردت عن تنظيم "الديوان" كما تجمع المصادر تمثل

(١) ابو داود سليمان بن الاشعث الازدى (ت ٢٧٥هـ) ـ سنن ابى داود (باعتناء محمد محيي الدين عبدالحميد، دار احياء التراث بيروت) (٨٣/٣)، مجد الدين المبارك بن محمد الجزرى بن الاثير ـ النهاية فى غريب الحديث والاثر (تحقيق طاهر الزاوى، محمود الطناحى، دار الفكر بيروت (١١٥/١)، عبدالحى الكتانى ـ نظام الحكومة النبوية المسمى بالتراتيب الادارية (دار الكتاب العربى بيروت (٢٤٦/١)، د. نظير حسان سعداوى نظام البريد فى الدولة الاسلامية (دار مصر للطباعة ١٣٧٢هـ) (ص ٤٢) ، ظافر القاسمى ـ البريد (مقال نشر فى المجلة العربية العدد الثالث السنة ١٣٩٦هـ/١٣٩٧هـ) (ص ٦٧)، توفيق بلقاسم الساكر ـ العرب وتطور البريد (مقال نشر فى مجلة العرب) (ص٦) .

(٢) محمد بن جرير الطبرى ـ تاريخ الامم والملوك (تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف) (٣٥/٤)، عز الدين على بن ابى الكرم بن محمد ابن الاثير ـ الكامل فى التاريخ (دار الكتاب العربى بيروت ١٤٠٠هـ) ، (٢٨٣/٢)، عماد الدين ابو الفدا اسماعيل بن كثير ـ البداية والنهاية (مكتبة المعارف بيروت (١٦/٧) .

فترة خلافة امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فهو اول من دون الديوان . غير ان ذلك لم يكن ديوان البريد انما ديوان العطاء (١)

اما خلال الفترة الباقية من عصر الراشدين فلم تقدم المصادر مايشير الى انشاء ديوان البريد وحتى بعد انتقال امير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه الى الكوفة فان شيئا من ذلك لم يحصل . فقد اوردت المصادر انه كان يباشر بنفسه الاشراف على ذلك، وقد بعث من قبله مائة فارس فيهم ثعلبة بن يزيد الحمانى، برحلة طويلة فى السواد للتثبت من احوال اهله وتحرى اوضاع الجباية فيه وضمان منع الظلم الواقع عليهم، "فلما رجع ثعلبة قال : لله على الا ارجع الى السواد ابدا لما رأى فيه

---

(١) ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم - كتاب الخراج (تحقيق محمد البنا دار الاصلاح القاهرة) (ص ١٠٤)، احمد بن يحيي بن جابر المعروف بالبلاذرى - فتوح البلدان (باعتناء صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية) (٣/٥٦٠)، محمد بن عبدوس الجهشيارى - الوزراء والكتاب (تحقيق مصطفى السقا واخرون، مكتبة البابى، القاهرة ١٤٠١هـ) (ص ١٦) ، هلال عبدالله بن سهل العسكرى - الاوائل (تحقيق محمد السيد الوكيل نشر اسعد طرابزونى الحسنى ، المدينة) (ص ١٣٤)، ابو الحسن الماوردى- الاحكام السلطانية (مراجعة فهمى السرجانى، المكتبة التوفيقية القاهرة، ١٣٩٨هـ) (ص١٩٩)، ابو يعلى الفراء - الاحكام السلطانية (باعتناء محمد حامد الفقى، دار الفكر ١٣٩٤هـ) (ص ٢٣٧)، ابن الاثير الكامل (٢/٥٠٢)، محمد بن على بن طباطبا المعروف بابن الطقطقى الفخرى فى الاداب السلطانية (دار بيروت ١٣٨٥هـ) (ص٨٣)، ابو بكر الطرطوشى - سراج الملوك (الطبعة الازهرية القاهرة ١٣١٩هـ) (ص١١٥) ، جلال الدين السيوطى - تاريخ الخلفاء (ص ١٤٣)، تقى الدين المقريزى الخطط المقريزية (ص ١٤٨)، عبدالرحمن بن خلدون - المقدمة (١/١٤٣) ، =

من الشــــــر" .[1]

تشير المصادر المعتمدة الى ان امير المؤمنين معاوية رضى اللـــه عنه كان " اول من وضع البريد" فقد رتبه على طرق ومناهج مخصوصــة[2]

= علاء الدين البسنوى ـ محاضرة الاوائل ومسامرة الاواخر (المطبعــة الاميرية،بولاق ١٣٠٠هـ) (ص٨٠)،عبدالعزيز عبدالله السلومى ـ ديــوان الجند نشأته وتطوره فى الدولة الاسلامية حتى عصر المأمون (رسالــة ماجستير باشراف د.حسام الدين السامرائي،جامعة ام القرى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) (ص ١٠٠) .

(١) ابو يوسف ـ الخراج (ص ٣٧) .

(٢) الطبرى ـ تاريخ الامم والملوك (١٨٧/٦)، ابو هلال العسكرى ـ م.س ـ (تحقيق وليد نصاب ومحمد المصرى،دار العلوم الرياض) (٣٣١/١)،مجهول جواهر السلوك لوحة (٩٧أ)، ابن طباطبا ـ الفخرى (ص١٠٦)،عمر بـــن الوردى ـ تتمة المختصر فى اخبار البشر (المطبعة الوهبية مصـــر ١٢٨٥هـ) (١٧١/١)،شهاب الدين العمرى ـ التعريف بالمصطلح الشريـــف (طبعة العاصمة. مصر ١٣١٢هـ) (ص١٨٤)،شهاب الدين احمد بن عبـــد الوهاب النويرى ـ نهاية الارب فى فنون الادب (٣٧٢/٢٠)، ابو العبـــاس القلقشندى ـ صبح الاعشى فى صناعة الانشا (القاهرة ١٣٨٣هـ)(٣٦٧/١٤) ، مآثر الانافة فى معالم الخلافة (تحقيق احمد عبدالستار فرج، عالـــم الكتاب بيروت ١٩٨٠م) (١٣٧/١)، السيوطى ـ تاريخ الخلفاء (ص ٢١٩) ، الوسائل الى معرفة الاوائل (تحقيق ابراهيم العدوى،على محمد عمـــر مكتبة الخانجى،القاهرة ١٤٠٠هـ) (ص١٠٣)، البسنوى ـ م.س (ص ١٢٦)، ابن كمال باشا ـ الاوائل لوحة (٣٧ب)، الكتانى ـ م.س (١٩٣/١)،وانظر نعمان ثابت ـ الجندية (ص٤٤)،لويس شيخو ـ مجانى الادب فى حدائق العـــرب (٣١٥/٤)،رفيق العظم ـ اشهر مشاهير الاسلام (ص٣٧)،جرجي زيـــدان تاريخ التمدن الاسلامى (٢٣٩/١)،حسن ابراهيم حسن ـ النظم الاسلاميـــة =

اذ رتب له الميل والمحطات اما الخليفة عبدالملك بن مروان فقد اشارت المصادر الى انه قد احكم امر البريد (١)، ان النصوص الموثقة عن العصر (٢) الاموى تشير بوضوح الى حصول تطور نوعى وكمى للخدمات البريدية فى الدولة الاسلامية، فقد نظمت الطرق وقسمت الى مراحل (٣)، وصنعت الصوى والاميال واقيمت الاعلام (٤)، وحصل مايشير الى تنظيم عمليات استبدال السعاة وكذلك تغيير الخيول التي ركبوها فى الطريق (٥)، بشكل لايقبل جدلا ولايحتمل مواربة غير اننا لانستطيع الجزم بقيام تنظيم ادارى بمسمى " ديوان البريد" فى ايمن فترات التاريخ الاموى على الرغم من شيوع البريد وانتظامه، ذلك ان غيبة النصوص لايخرج الامر عن حدود الاحتمالات .

= (مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٢م) (ص ٢١١)، نور الرفاعى – النظم الاسلامية (دار الفكر ١٩٧٣م) (ص ٩١)، صبحى الصالح – النظم الاسلامية نشأتها وتطورها (دار العلم للملايين ١٩٨٢م) (ص ٣٣٠)، د. سعداوى نظام البريد (ص ٥٢)، نجده خماش – الادارة فى العصر الاموى (ص ٢٨٢)، توفيق الساكر – العرب وتطور البريد (ص ٦)، محمد عبدالله الشيبانى نظام الحكم والادارة فى الدولة الاسلامية (دار عالم الكتب – الرياض ١٤٠٥هـ) (ص ١٢٥) .

(١) الكتانى – م.س، (١٩٣/١)، حسينى – الادارة (ص ١٧٠)، الصالح – النظم (ص ٣٣٠) .

(٢) العمرى – م.س (ص ١٨٥)، القلقشندى – صبح الاعشى (٣٦٧/١٤)، حسينى م.س (ص ١٧٠)، الصالح – م.س (ص ٣٣٠).

(٣) ابن طباطبا – م.س (ص ١٠٦)، الكتانى – م.س (١٩٣/١) .

(٤) مؤلف مجهول – العيون والحدائق فى اخبار الحقائق (باعتناء دى غويه ١٨٧١م) (٤/٣)، احمد رمضان – الصوه وصناعة الاميال (مقال نشر فى المجلة العربية العدد الثالث السنة السابعة (ص ٩٣ – ٩٦).

(٥) ابن طباطبا – م.س (ص ١٠٦)، الصالح – م.س (ص ٣٣١)، حسينى – م.س ، (ص ١٧٠) .

وبعد تولى امراء البيت العباسى السلطة فانهم بدأوا باعادة تنظيم ادارة الدولة فنقلوا دواوين الخلافة من الشام الى العراق،واحدثوا دواوين جديدة اضافة الى الدواوين القائمة غير ان المصادر تتحدث بشكل عام عن تنظيم ونقل الدواوين دون ان تؤكد او تنفىوجود " ديوان البريد".

ان اول اشارة واضحة مستقرة عن وجود الديوان وردت فى زمن ابى جعفر المنصور (١٣٦- ١٥٨هـ/٧٥٣ - ٧٧٤م) حيث اجمعت المصادر على انه " كان يتصفح اخبار الاقاليم كل يوم قبل ان يأوى الى فراشه" (١).

كما كان له عدد من اصحاب البريد فى اقاليم الدولة المختلفة ينهون اليه كل مايستجد من الامور التىتهم الدولة ومصلحة الامة (٢).وابتداءا من هذا التاريخ فان المصادر تتحدث بشكل واضح عن وجود مراسلات منتظمة

---

(١) الطبرى - تاريخ (٣١٤/٨)،ابن الاثير - الكامل (٤٩/٥)،عبدالرحمن سنبط قنيتو الاربلى - خلاصة الذهب المسبوك (مطبعة القديس جاور ١٨٨٥م) (ص ٦١)،عبدالجبار الجومرد - ابو جعفر المنصور (دار الطليعة بيروت ١٩٦٣م) (ص ٢٥٥)،محمد الخضرى - محاضرات فى تاريخ الامم الاسلامية (المكتبة التجارية مصر ١٩٧٠م) (ص ٨٢)، الصالح - م٠س(ص٣٣٤) خماش - الادارة (ص ٢٨٤)،ضيف الله يحيى الزهرانى - موارد بيت المال فى الدولة العباسية (رسالة ماجستير باشراف د٠حسام الدين السامرائى،جامعة ام القرى،المكتبة الفيصلية مكة ١٤٠٥هـ) (ص ٢٩٣) ، دور البريد فى الحياة الاقتصادية (مقال نشر فى المجلة العربية العدد التاسع من السنة الخامسة (ص ٩٤) .

(٢) البلاذرى - انساب الاشراف (تحقيق د٠عبدالعزيز الدورى،بيروت ١٣٩٨هـ) (١١١/٣)، الطبرى - تاريخ (٢٩٧/٩)، الجهشيارى - الوزراء والكتاب ، (ص ١٠٠- ١٠١)،مجهول - العيون والحدائق (٢٥٥/٣)، احمد زكى صفوت جمهرة رسائل العرب (دار المطبوعات العربية) (١٢٥/٣)، الزهرانى دور البريد فى الحياة الاقتصادية (ص ٩٥) .

وقيام ادارة البريد بتنفيذ اوامر الخلافة فىنقل الاخبار او الاشخاص بين المناطق المختلفة . ان كل ذلك يدعو الى اعطاء انطباع مستقر فى ان الديوان قد تأخرت نشأته الى الربع الثانىمن القرن الثانى الهجرى رغم وجود الخدمات شبه البريدية ابتداء من عصور نشأة الدولة الاسلامية الاولى وباستمرار، هذا وبعد ان استقرت اوضاع الدولة العباسية واحوالها العامة، بدأ الخلفاء يباشرون بانفسهم النظر فى جميع مشاكل الدولة وكان من نتيجة ذلك ان تبلور ظهور الديوان واخذت ادارته اهميتها ومكانتها بين ادارات الدواوين الاخرى (١) .فقد اهتم الخلفاء بامور البريد وباشروها بانفسهم وكان تقديرهم لخطورته واضحة واكيدة (٢) وقد بدأ ذلك يتضح منذ عهد الخليفة المنصور (١٣٦ - ١٥٨هـ/٧٥٣ - ٧٧٤م) (٣) ، الذى اعتبره احد اركان الملك الاربعة التى لايستقر الا بقيامها (٤) .

ومما هو جدير بالملاحظة ان العباسيين قد نظموا ادارة هذا الديوان بشكل دقيق وخاص فلم يعملوا عند استحداث تشكيلاته الى الالتزام (٥)

---

(١) سعداوى، نظام البريد (ص ٦٦)، د.السامرائى - المؤسسات الادارية (دار الفكر العربى) (ص ٢٦٧) .

(٢) محمد ضيف بطانية - تاريخ الحضارة العربية الاسلامية (دار الفرقان الاردن ١٤٠٤هـ) (ص ١٣٨)، الجهاز الادارى (مقال) نشر فى مجلة الدارة العدد الثانى السنة العاشرة (ص ١١٥) .

(٣) محمد الشبانى - نظام الحكم والادارة (ص ١٢٥) .

(٤) الطبرى - تاريخ (٢٧٩/٩)، ابن الاثير - الكامل (٤٦/٥)، الرفاعى النظم الاسلامية (ص ٩٣)، سعداوى- م.س (ص ٥٧)، ابو زيد شلبى - تاريخ الحضارة الاسلامية (مكتبة وهبة، القاهرة ١٣٨٣هـ) (ص ١٤١)، الصالح النظم (ص ٣٣٢)، الزهرانى - موارد (ص ٢٩٤)، دور البريد (ص ٩٥) .

(٥) سعداوى - م.س (ص ٦٦)، د.السامرائى - م.س (ص ٢٦٨) .

بالقاعدة المتبعة عند قيام المؤسسات الادارية المختلفة الاخرى التى كانت تتمثل فى تأسيس الدواوين المركزية ثم توزيع الدواوين الاقليمية على ولايات الدولة فى ذلك العصر (١) . اذ انفرد البريد بديوان وحيد تنفرد به العاصمة، يرتبط به عدد من ولاة البريد يوزعون فى الاقاليم وتكون تبعيتهم الادارية الى متولى ديوان البريد فى العاصمة . وفى الوقت نفسه فانهم بدورهم يشرفون على عدد كبير من الموظفين فى الولايات . غير ان الديوان كان مركزيا موحدا ومترابطا دون ان تكون له دواوين فرعية فى الولايات (٢) .

ويلاحظ ان المصادر الخاصة بتاريخ الادارة الاسلامية فى العصر العباسى لم تشر الى تشكيلات ديوان البريد المتفرعة عنه فى الولايات . والراجح ان طبيعة اعمال البريد كانت تتطلب ذلك حيث يفترض فى اصحاب الاخبار ان يحافظوا فى اعمالهم على السرية التامة والتكتم حتى لاينكشف امرهم وينتشر عقدهم فيصبحوا معرضين للاعتداء او الارهاب او التهديد فى الاقاليم او حتى القتل فى بعض الاحيان، ذلك ان مهمتهم تشمل مراقبة الولاة والحكام والقضاة والجباة وبقية الموظفين العموميين فى الامصار وعليه فان انكشاف امرهم قد يؤدى الى فساد كبير فى الدولة ،وقد يكون من جملة الاسباب التى تؤدى الى استقلال بعض الولايات عن جسم الدولة نتيجة خروج بعض الولاة عن طاعة الخلافة، كما فعل احمد بن طولون بعد استقراره فى ارض مصر . وقد اشارت المصادر الى عدد من الحوادث التى وقعت لاصحاب الاخبار نتيجة لانكشاف امرهم، فقد اشار البلوى الى اجراءات احمد بن طولون واساليب التعذيب التى اتخذها مع اصحاب اخبار الموفق الذين

---

(١) د. السامرائى ـ م.س (ص ١٩٥) .

(٢) ن.م.س (ص ٢٦٨) .

بعثهم لاستطلاع اخباره ،فذكر بانه قتل بعضا منهم بطرق مختلفة وعذب البعض الاخر وحبسهم (١) ٠

وقد اشار التنوخى ايضا الى اقدام الوزير القاسم بن عبيد الله على قتل صاحب خبر الخليفة المعتضد بالله بالرغم عن ماعرف عن الوزير من الولاء للخليفة وذلك بسبب انكشاف اخبار مجالسه الخاصة للخليفة (٢)٠

اما عن ادارة الديوان فقد اشارت المصادر الى عدد من الوظائف الرئيسية التى يتكون منها ديوان البريد والتى بدونها يختل نظامه ويبطل امره ومن هذه الوظائف :

متولى البريد :

اختلفت الالقاب التى كانت تطلق على المسئول الاول فى البريد من فترة الى اخرى فقد عرف فى الدولة الاموية بمتولى السكك (٣)، وعرف فى العصر العباسى بصاحب البريد (٤) ٠ وصاحب البريد هو الشخص الذى كانت تناط به ادارة ديوان البريد والاشراف على اصحاب البرد والاخبار فى

---

(١) ابو محمد عبدالله بن محمد البلوى - سيرة احمد بن طولون (باعتناء محمد كرد على،دمشق ١٣٥٨هـ)، المكتبة العربية) (ص ٢٢- ١٢٥) ٠

(٢) المحسن التنوخى - نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة (تحقيق عبود الشالجى ١٣٩١هـ/١٩٧١م) (٣٣٩/٣)، الفرج بعد الشدة (تحقيق عبود الشالجى ،دار صادر بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) (٨٥/٢) ٠

(٣) ابو يوسف - الخراج (ص ٣٦٢)،محمد بن سعد - الطبقات الكبرى (باعتناء احسان عباس،دار صادر ،بيروت)(١٧٦/٥ ، ٢٣٤)،عبدالرحمن بن عبد الحكم - سيرة عمر بن عبدالعزيز (ص ١٣٦)،مؤلف مجهول - اخبار العباس وولده (تحقيق د٠ الدورى) (ص٢٢٥)٠

(٤) ابو يوسف - م٠س (ص ٣٦٠)،قدامة بن جعفر - المنزلة الخامسة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة، تحقيق ودراسة طلال رفاعى،(رسالة ماجستير) باشراف د٠حسام الدين السامرائى(مكة ١٤٠٣هـ) (ص ٢٤٧) ٠

الافاق ، فكان يتولى مسئولية ايصال وتنفيذ مايصدر عن الخليفة او الوزير(١) او العمال فى الاقاليم وكان يتلقى مايرد من اصحاب البريد فى الافاق الى دار الخلافةفيعرضها او يعرض خلاصتها على الخليفة،وقد اثبت قدامة(٢) ذلك فقال ان البريد يحتاج " الى ديوان يكون مفردا به ، وتكون الكتب المنفذة فى جميع النواحى مقصودا بها صاحبه ليكون هو المنفذ لكل شىء منها الى الموضع المرسوم بالنفوذ اليه ، ويتولى عرض كتب اصحاب البريد والاخبار فى جميع النواحى على الخليفة ،او عمل جوامع لها . ويكون اليه النظر فى امر الفروانقيين والموقعين والمرتبين فى السكك، وتحرى ارزاقهم، وتقليد اصحاب الخرائط فى سائر الامصار"(٣)، ولم يكن منصب صاحب ديوان البريد فى العاصمة من المناصب الادارية العادية ،ذلك لان البريد ولاية جليلة خطيرة ، عدها صاحب قانون السياسة فى " المرتبة الاولى بين اصحاب السياسة"(٤) .وعدها ابن خلدون من " مراتب السيف"(٥)،وعدها(٦)

= د.السامرائى ـ المؤسسات الادارية (ص ٢٦٨) .

(١) قدامة ـ م.س (ص ٢٤٧)،حسن ابراهيم حسن ـ تاريخ الاسلام السياسى (٢٧٣/٣)،سعداوى ـ نظام البريد (ص ٦٦)،د.السامرائى ـ م.س (ص٢٦٨).

(٢) قدامة ـ م.س (ص ٢٤٧)،د.السامرائى ـ م.س (ص ٢٦٨) .

(٣) قدامة ـ م.س (ص ٢٤٧)،د.السامرائى ـ م.س (ص ٢٦٨) .

(٤) الحسن بن عبدالله ـ اثار الاول فى ترتيب الدول (بولاق ١٢٩٥هـ) (ص٨٥) زيدان، التمدن الاسلامى (٢٤٠/١) .

(٥) مؤلف مجهول ـ قانون السياسة ودستور الرياسة لوحة (٣١ب) .

(٦) ابن خلدون ـ المقدمة(٢/ ٦٦٤) .

السيوطى فى " الواجبات الاساسية التى يقوم عليها الملك" [١] ،لذا فان منصب صاحب ديوان البريد فى العاصمة لم يكن من المناصب الميسورة المنال [٢] اذ ان الخليفة هو الذى يختار صاحب ديوان البريد فى العاصمة ويصدر امر تعيينه كما كان يعين ولاة البريد فى الاقاليم، [٣] وكان ذلك يجرى وفق عهد خاص او توقيع خاص يصدره الخليفة ،كما كان يراعى ذلك فى ولاة البريد فى الاقاليم [٤] . لذا كان لابد من توافر صفات معينة تؤهل المرشح لولاية هذا المنصب وقد اختلفت هذه الصفات من فترة الى اخرى . وكان يراعى فيمن يتولى البريد فى العهد الاموى ان يكون " من العلماء الثقات الذين متحوا بكلتا ايديهم فى علوم الشريعة"، [٥] اما فى العصر العباسى فكان يراعى الى " جانب الكفاءة وسعة الاطلاع " ان يكون " ثقة فى نفسه او عند الخليفة القائم بالامر"، [٦] وقد ذكر قدامة ذلك فقال " والذى يحتاج فيمن يتولى هذا الديوان ان يكون ثقة اما فى نفسه او عند الخليفة القائم

---

(١) السيوطى ـ قدح الدراسة فى مناهج السياسة لوحة (٢٨ ب) .

(٢) د.سعداوى ـ م.س (ص ٦٧) ،د.السامرائى ـ م.س (ص ٢٦٨).

(٣) قدامة ـ الخراج (ص ١٩٩ـ ٢٠٠) ،د.السامرائى ـ م.س (ص ٢٦٨) .

(٤) د.سعداوى ـ م.س (ص ٦٧) ،د.السامرائى ـ م.س (ص ٢٦٨).

(٥) ابن سعد ـ الطبقات (١٧٦/٥) ،محمد بن اسماعيل البخارى ـ التاريخ الكبير (٣٦٧/٦) ،محمد بن ابى حاتم ـ الجرح والتعديل (المطبعة العثمانية ،حيدر اباد ١٣٧١هـ) (٢٥٨/٦) ،شهاب احمد بن على بن حجر تهذيب التهذيب (المطبعة العثمانية حيدر اباد ١٣٧١هـ) (١٠٨/٨ـ ١٠٩) ماجدة فيصل زكريا ـ عمر بن عبدالعزيز وسياسته فى رد المظالم ـ (رسالة ماجستير ـ جامعة ام القرى،مكة) (ص ٢٨٢).

(٦) قدامة ـ الخراج (ص ٢٤٨) ،حسن ابراهيم ـ تاريخ الاسلام (٢٧٣/٣)، د.السامرائى ـ المؤسسات (ص ٢٦٩) .

بالامر فى وقته لان هذا الديوان لايحتاج فيه الى الكافى المتصفح، انما يحتاج فيه الى الثقة المتحفظ"(١)، ومن الجدير بالذكر ان المصادر قد فصلت فى ذكر الصفات التى ينبغى ان تراعى فيمن يتولى البريد، وهى تتجاوز كثيرا ماذكره قدامة من الاكتفاء " بالثقة المتحفظ"، بل ان ذلك قد اعتبر من بين الشروط التى هى جملة مكملة لبعضها وذلك ليتمكن متولى هذا المنصب من اداء مهامه على اكمل وجه .

وتجمل المصادر المعتمدة الصفات التى كانت تؤخذ بعين الاعتبار فيمن يتولى البريد بان يكون ذا كفاية تنهض فى التدبير(٢)، وذلك ان الكفاية امر لابد منه لضمان امن الدولة وقوتها الاقتصادية . كما ان انعدام الكفاية قد يؤدى الى خلل فى سير اعمال الدولة، والكفاية المطلوبة تتضمن معرفة المؤامرة(٣)، والموافقة(٤)، والعبرة(٥)، والختمة(٦)

---

(١) قدامة - م.س (ص ٢٤٨)، حسن ابراهيم - م.س (٣/٢٧٣)، د.السامرائى م.س (ص ٢٦٩) .

(٢) مؤلف مجهول - قانون السياسة ودستور الرياسة لوحة (٣٣) .

(٣) المؤامرة عمل تجمع فيه الاوامر الخارجية عن مدة ايام الطمع ويوقع السلطان فى اخره باجازة ذلك . انظر الخوارزمى - مفاتيح العلوم (ص ٣٨) .

(٤) الموافقة حساب جامع يرفعه العامل عند فراغ العمل ولايسمى موافقة مالم يرفع باتفاق الرافع والمرفوع اليه، انظر قدامة - الخراج (ص ١٣٤)، الخوارزمى - م.س (ص ٣٨) .

(٥) العبرة ثبت الصدقات لكوره كوره - انظر الخوارزمى - م.س (ص ٣٨) ، د.السامرائى - المؤسسات (ص ٢١٩)، الزهرانى - موارد (ص ١٤٦- ١٤٧) .

(٦) الختمة كتاب يرفعه الجهبذ عبارة عن خلاصة شهرية لحسابات بيت =

والاقطاع (١) والايغار (٢) والاطماع (٣) والوظائف (٤) والطعمة (٥) والعريضة (٦)، هذا فضلا عن معرفة مجريات الاعمال الادارية فى سائر الدواوين ومايتعلق بها من رسوم • ومن هذه الصفات التى يجب ان تتوفر فى متولى البريد ايضا " ان تكون له هيبة تطاع فى التنفيذ" (٧)، " وان يكون صادق اللهجة" (٨) اذ ان الكذب فى هذا العمل

= المال، انظر قدامة ـ الخراج (ص ١٧٥)، الخوارزمى ـ م•س (ص ٣٧)، متز ـ الحضارة الاسلامية (١٥٠/١)، د• السامرائى ـ م•س (ص ٢٥٤) •

(١) الاقطاع ان يقطع السلطان رجلا ارضا فتصير له رقبتها • انظر الخوارزمى م•س (ص ٤٠) •

(٢) الايغار هو الحماية وذلك ان تحمى القرية او الضيعة فلايدخلها عامل ويوضع عليها شئ يؤدى فى السنة • انظر الخوارزمى ـ م•س (ص ٤٠)،

(٣) الاطماع مفردها طمع وهى رزق الجند واطماعهم اوقات قبوضهم، انظر قدامة ـ الخراج (ص ٥٥٦)، الخوارزمى ـ مفاتيح (ص ٤٣)، المنينى تاريخ العتبى المسمى بالفتح الوهبى (ص ١٤٠) •

(٤) الوظائف : مفردها وظيفة وهو ان يوظف عامل على حمل مال معلوم الى اجل مفروض فالمال هو الوظيفة، انظر قدامة ـ م•س (ص ٥٦٦)، الخوارزمى م•س (ص ٤١) •

(٥) الطعمة هو ان تدفع الضيعة لرجل ليعمرها ويؤدى عشرها وتكون له مدة حياته فاذا مات ارتجعت من ورثته • انظر قدامة ـ م•س(ص ٥٥٦)، الخوارزمى ـ م•س (ص ٤٠) •

(٦) العريضة اخراج الخلاف وهى شبيهة بالتأريخ الا انها تعمل لابواب يحتاج ان يعلم فضل مابينهم • انظر الخوارزمى ـ مفاتيح (ص ٣٧) •

(٧) مؤلف مجهول ـ قانون السياسة لوحة (٣٣ ب) •

(٨) محمد بن منكلى الناصرى ـ الاحكام الملوكية والضوابط الناموسية تحقيق عبدالعزيز عبدالدايم ـ (رسالة دكتوراه غير منشورة) جامعة القاهرة (١٩٧٥م) (١٧٨/٢) •

يؤدى " الى خلل عظيم لايستدرك فارطه " (١) ، ومن الصفات المطلوبة فيه ايضا ان يكون ذا فهم وبعد قعر وسلاطة لسان (٢) . وان يكون صحيح الفكرة والمزاج (٣) "وان يكون على التعب والكد قادرا ،وفى السخط والرضى صابرا ،وان يكون مجبولا على العدل والانصاف مجتنبا عن الجور والاعساف،وان يكون غير شره على الشهوات مبغضا لما ساءت عاقبته من اللذات،وان يكون ظاهر الحلم والركانة بين الوقار والرزانة ،وان يكون وضىء الصورة مرضى السريرة شريف النفس حسن السيرة" (٤) . غير متبذل اذ كان عادة مايعاقب على

---

(١) الحسن بن عبدالله ـ اثار الاول (ص ٨٤) .

قد اكدت المصادر على ان كذب صاحب البريد كان واحدا من الاسباب المهمة التى احدثت فتنة الامين والمأمون فقد عبر الامين عن ذلك بقوله " قبح الله صاحب بريدهم كان يقول انه مات شبه المعتذر من محاربته" . هذا كما ان صدق اللهجة فى نقل اخبار طاهر بن الحسين عندما هم بخلع المأمون وهو على ولاية خراسان ونقل صاحب البريد بخراسان اخبار طاهر بن الحسين الى المأمون فى بغداد قد ادى الى تدارك الخطر المحدق وذلك باغتيال طاهر بن الحسين كما ذكر ابن طباطبا ، انظر الطبرى ـ تاريخ (٢٠١/١٠) ،مؤلف مجهول ـ العيون والحدائق (٣٤٠/٣) ،مؤلف مجهول ـ جواهر السلوك لوحة (٤٣) . ابو على احمد بن محمد بن يعقوب المعروف بمسكويه ـ تجارب الامم (باعتناء دى غويه ١٨٧١م) (٤١٢/٦) ، ابن طباطبا ـ الفخرى (ص ٢٢٤) ،كامل الشيبى ـ اصحاب الاخبار (مقال نشر فى مجلة افاق عربية العدد السابع السنة السابعة) (ص ٦٣) .

(٢) ابن منكلى ـ الاحكام الملوكية (١٧٨/٢) .

(٣) القلقشندى ـ صبح الاعشى (١١٦/١) .

(٤) مجهول ـ قانون السياسة لوحة (٣٣ ب) .

التبذل ." وان يكون ذا ميل الى اجتذاب القلوب واستمالة النفوس . وان يكون مختبرا بانواع الاختبارات حتى تقع عليه قرعة الاختيار، وان يكون ذا خط بين لاسقط فيه ولافساد فى هجائه ولااضطراب فى كتبه وانشائه وان يكون حسن البيان ذا بلاغة بصير بمخارج الكلام حاذقا بالاختصارات والاختصاصات فيما يكاتب به" . وان يكون معه علم باصول النحو : الممدود والمقصور، ومايتصرف ومالاينصرفه ومايكتب بالالف والياء، والتوقيعات فى الكتب الواردة عليه . وان يكون له لطافة ليتمثل مارسم به فى ساعته يأخذ من كل كتاب اجمل معانيه باحسن لفظ . هذا بالنسبة للصفات التى اشترطتها المصادر فيمن يتولى هذا المنصب .

اما عن واجبات صاحب البريد فقد شملت عددا كبيرا من الاختصاصات اذ لم تنحصر مهمته فى ارسال واستلام الرسائل الرسمية من والى الخليفة ولافى الاشراف المباشر على جميع موظفى وعمال الديوان فى العاصمة والطرق والاقاليم، وانما كانت تشمل مراقبة جميع السلطان فى مختلف انحاء الدولة، ومراقبة جميع التطورات الاقتصادية والاجتماعية والامنية الداخلية والخارجية، مما كان له علاقة وثيقة بسياسة الدولة وامنها وضمان استمرار العمل فى مختلف مؤسساتها وانهاء ذلك الى الخليفة

---

(١) ابو الحسن على بن محمد المعروف بالشابشتى ـ الديارات (باعتناء كوركيس عواد، بغداد ١٣٨٦هـ) (ص ٣٩)، ابو الحسين هلال بن المحسن الصابى ـ رسوم دار الخلافة (باعتناء ميخائيل عواد، مطبعة العانى بغداد ١٣٨٣هـ) (ص ٧٦ ـ ٧٧)، ياقوت الحموى ـ معجم الادباء (٢٦٣/٣).

(٢) ابن منكلى ـ الاحكام الملوكية (١٨٧/٢)، القلقشندى ـ صبح الاعشى (١١٦/١) .

(٣) ابن منكلى ـ الاحكام (١٨٧/٢) .

(٤) ن.م.س (١٨٧/٢) .

(٥) د.السامرائى ـ المؤسسات الادارية (ص ٢٦٨) .

على الدقة والاخلاص والعدالة (١) .

اما عن اهمية صاحب البريد فانه يعد من بين الشخصيات المهمة في الدولة ممن يسهمون بشكل مباشر وفعال في التأثير في ادارتها وتوجيه سياستها، فقد وصف بانه "صاحب جماع الامر والقائم به" (٢) . ومما يبرز اهمية صاحب البريد انه كان يرتبط ارتباطا مباشرا بالخليفة حتى لايتمكن احد من الاطلاع على اخباره، وقد ذكر ابن سعد ان عبدالملك بن مروان تقدم الى حاجبه ان لايحجب عنه قبيصة بن ذؤيب صاحب البريد وان يوصله اليه في اى وقت جاء (٣) . واشار الحسن بن عبد الله الى انه "ينبغي ان يكون صاحب الخبر وصاحب البريد لاواسط بينه وبين الملك فان ذلك يوقف كثيرا من الاحوال" (٤) .

ومما يدل على الاهمية الكبيرة لمنصب صاحب البريد ماتشير اليه المصادر من انه كان يؤخذ رأيه في جليل الامور في الدولة وعلى رأسها ولاية العهد (٥) . ومما يبرز اهميته ايضا السلطات الكبيرة التي كانت

---

(١) ن.م.س (ص ٢٦٩) .

(٢) ابن المقفع - رسالة الصحابة (نشر دار مكتبة الحياة تحت عنوان اثار ابن المقفع، بيروت) (ص ٣٥١)، احمد بن ابي طاهر بن طيفور اختيار المنثور والمنظوم (١٢/ورقة ٨٢))، احمد زكي صفوت جمهرة رسائل العرب (٣٧/٣)، حسن فاضل العاني - سياسة المنصور الداخلية والخارجية (ص ٥٠٩) .

(٣) ابن سعد - الطبقات (١٧٦/٥) .

(٤) الحسن بن عبدالله - اثار الاول (ص ٨٤) .

(٥) ابن سعد - م.س (٢٣٣/٥)، الروذراوري - ذيل تجارب الامم (ص ٢٨٦) .

تفوض اليه فيمراقبة الوزراء والقضاة والولاة والعمال وغيرهم من كبار رجال الدولة، ومنها ايضا اسهامه المباشر في المحافظة على امن الدولة وسلامتها(١)، فقد كلف بعض اصحاب البريد بمهمة قيادة الجيوش لمحاربة الخارجين على الدولة(٢) . ومنها ايضا ان عزله وتبديله لايرتبط بتبدل الوزارة(٣) وقد يرجع السبب في ذلك الى ان تعيينه كان يجرى من قبل الخليفة وان القاعدة هيانه لاسلطان للوزير عليه في العادة. وربما يكون السبب في ذلك مايفترض ان يتوفر من ثقة كبيرة للخليفة فيه . ولابد ان ذلك من الامور المتوقعة نتيجة لطبيعة عمله الذى يستلزم السرية التامة .ولعل هذا مايسوغ تولية هذا المنصب للابن عند وفاة ابيه في بعض الحالات(٤) .

اما عزل متولى البريد، فانه يحصل في الغالب اذا ماثبت عليه تقصير ناجم عن العجز وقلة الكفاية، او تأكدت للخليفة خيانته، او لاختلال العمل الناجم عن جهله او عسفه او جرمه، او لانتشار عمله وتضييعه من قلة الهيبة . ففي مثل هذه الحالات يعمد الخليفة القائم بالامر الى عزله ومحاسبته . اما في حالات الضعف فقد يضم اليه من تتكامل به الهيبة(٥) هذا وقد يصرف صاحب البريد لابسط الاسباب فقد ذكر ياقوت ان الخليفة القادر بالله (٣٨١ – ٤٢٢هـ/٩٩١ – ١٠٣٠م)(٦) صرف ابا الحسن احمد بن على

---

(١) ابن مسكويه – تجارب الامم (٢٤/١)، الحسن بن عبدالله، اثار الاول ، (ص ٨٧) .

(٢) مؤلف مجهول – العيون والحدائق (٢٥٥/٣) .

(٣) ابن الاثير – الكامل (٣٦٧/٥) .

(٤) د. السامرائي – المؤسسات الادارية (ص ٢٧٥) .

(٥) مؤلف مجهول – قانون السياسة ،لوحة (٣٤) .

(٦) زامباور – معجم انساب الاسرات الحاكمة (ترجمة زكى حسن وآخرون، دار الرائد بيروت ١٤٠٠هـ) (ص ٤).

البتى،[١] متولى البريد لمزاح تلفظ به[٢] . ومن الملاحظ كذلك انه قد يتبدل صاحب الديوان بتبدل الخليفة . ومما تجب الاشارة اليه انه قد شغل منصب صاحب البريد عدد من الشخصيات وكبار رجالات الدولة على الرغم من ان المصادر قد اغفلت ذكر اسماء من تولى هذا المنصب فى الفترة المبكرة اى مرحلة التأسيس ولعل السبب فى ذلك يعود الى الظروف والمشاكل التى واجهتها الخلافة الاموية ،حيث ان كثرة الخصومة من الشيعة العلوية والعباسية والخوارج وغيرهم قد نجم عنه ان تبقى اسماء من تولى هذا المنصب فى طى السرية والكتمان . اما بعد ذلك حيث استقرت الامور فقد اشارت المصادر الى من شغل هذا المنصب كما حدث فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥ – ٨٦هـ/٦٨٤ – ٧٠٥م)[٣] فقد اوردت المصادر ما يفيد تولى قبيصة بن ذؤيب[٤]

---

(١) ابو الحسن احمد بن على البتى الكاتب الاديب كان يكتب للخليفة القادر بالله ولاه على البريد والاخبار على اثر استتاره عنده فترة من الفترات،كان حافظا للقرآن تاليا له مليح المذاكرة بالاخبار والآداب عجيب النادرة ظريف التماجن كان الهزل قد غلب عليه وعزب الجد عنه توفى سنة (٤٠٣هـ) انظر ابن الجوزى ـ المنتظم (٢٦٣/٧) ، ياقوت ـ معجم الادباء (٢٥٤/٣ ـ ٢٧٠)، اسماعيل باشا ـ هدية العارفين (٧١/٥) .

(٢) ياقوت ـ معجم الادباء (٢٦٣/٣) .

(٣) زامباور ـ معجم انساب الاسرات (ص ١) .

(٤) قبيصة بن ذؤيب الخزاعى يكنى ابا اسحاق ولد بالمدينة ،وسمع من عثمان بن عفان رضى الله عنه ،كانت لابيه صحبة ، وكان ثقة مأمون كثير الحديث،كان اثر الناس عند عبدالملك بن مروان كان قد تولى لعبد الملك ديوان الخاتم، وكان البريد اليه فكان يقرأ الكتب اذا وردت ثم يدخلها على عبدالملك فيخبره بما فيها توفى سنة ست وثمانين قبل وفاة عبدالملك . انظر ابن سعد ـ الطبقات (١٧٦/٥)، الزركلى الاعلام (١٨٩/٥) .

منصب متولى البريد . وفى عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز[(١)] (٩٩ - ١٠١ هـ / ٧١٧ - ٧١٩م)[(٢)] اشارت المصادر الى تولى عمرو بن ميمون بن مهران للبريد[(٣)] وفى عهد الخليفة هشام بن عبدالملك (١٠٥ - ١٢٥هـ/٧٢٣ - ٧٤٢م)[(٤)] شغل هذا المنصب معاذ بن مسلم[(٥)] . اما فى صدر الدولة العباسية فان مقتضى سرية الدعوة العباسية اقتضت التكتم . وتمثل الفترة الاولى من الخلافة العباسية مرحلة انتقال تقتضى التغيير السريع وربما السرية كذلك. اما بعد ان استقرت اوضاع الدولة فى اواخر عصر ابى جعفر المنصور فقد اخذت المصادر تتحدث بحرية كبيرة عن ولاة الدواوين والامراء والعمال، كما انها قدمت معلومات واضحة عمن تولى ديوان البريد فى الدولة العباسية خلال الفترة من عصر الخليفة هارون الرشيد حتى نهاية فترة البحث مع بعض الاستثناءات خلال الفترة المتأخرة والتى يمكن تفسيرها على ضوء دخول البويهين بغداد وتحكمهم فى الخلافة ،حيث كانت لهم تنظيماتهم

---

(١) ابن سعد - الطبقات (١٧٦/٥ - ٢٣٤).

(٢) زامباور - م.س (ص ١) .

(٣) عمرو بن ميمون بن مهران الجزرى الرقى يكنى بابى عبدالله ،ولاه عمر ابن عبدالعزيز البريد وذلك ان ميمون بنمهران استعفى من عمر عن ولاية الجزيرة فلم يجبه وولى عمرو البريد،توفى عمرو سنة ١٤٥هـ وقيل سنة ١٤٧هـ . انظر البخارى - التاريخ الكبير (٣٦٧/٦- ٣٦٨)، ابن ابى حاتم - الجرح والتعديل (٢٥٨/٦)، ابن حجر - تهذيب التهذيب (١٠٨/٨- ١٠٩)،ماجدة زكريا - عمر بن عبدالعزيز (ص ٢٨٢) .

(٤) زامباور - م.س (ص ١) .

(٥) مؤلف مجهول - اخبار العباس وولده (ص ٢٢٥) .

الخاصة فى هذا المجال،وحيث ان التنظيم الاساسى فى الادارة العباسية قد جرى اهماله . وتشير المصادر الى ان امر الدواوين قد بطل فقد ذكر ابن مسكويه فى احداث سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م بانه :" فى هذه السنة شغب الديلم على معز الدولة شغبا قبيحا، وكاشفوه بالاسماع،وخرقوا عليه بالسفه الكثير،فضمن اطلاق اموالهم فى مدة ضربها لهم،وفيها استغنى عن اكثر الدواوين فبطلت وبطلت ازمتها وجمعت الاعمال كلها فى ديوان واحد" (١) .

ومع ذلك فان بالامكان التعرف على متولى ديوان البريد فى عاصمة الخلافة العباسية خلال الفترة المتأخرة من نطاق هذه الدراسة بشكل عام .

ولى منصب متولى ديوان البريد فى عصر الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ – ١٩٣هـ/٧٨٦ – ٨٠٨م)، (٢) جعفر بن يحيى البرمكى (٣) فقد ذكر الجهشيارى بان الرشيد كان " يسمى جعفر اخى ويدخله معه فى ثوبه وقلده بريد الافاق ودور الضرب والطرز فى جميع الكور" (٤) . والراجح ان جعفر البرمكى هذا قد تولى البريد بين سنتى (١٧٠ – ١٨٧هـ/٧٨٦ – ٨٠٢م) اى انه استمر فى تولى المنصب الى السنة التى قتل فيها (٥) . والراجح ان المنصب قد شغر لبعض

---

(١) ابن مسكويه – تجارب الامم (٩٦/٢) .

(٢) زامباور – معجم الانساب (ص ٣) .

(٣) جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك،وزير الخليفة هارن الرشيد وصف بانه عالى القدر عظيم الهمة سمح الاخلاق كريما جوادا بلغ منزلة لم يبلغها احد من الوزراء واستمر فيها حتى قتله الرشيد سنة ١٨٧هـ/٨٠٢م . انظر ابن خلكان – وفيات الاعيان (٣٢٨/١ – ٣٤٦).

(٤) الجهشيارى – الوزراء (ص ٢٠٤)، القاسمى – البريد (ص ٦٩) .

(٥) الطبرى – تاريخ (٨٤/١٠)، ابن خلكان – وفيات (٣٤٦/١)،زامباور – معجم الانساب (ص ٦) .

الوقت فى اعقاب ذلك حيث عهد الى مسرور الخادم بتصريف الامور (١) .فقد نقل الجهشيارى عن الفضل بن مروان " ان امور البريد والاخبار فى ايام الرشيد كانت مهملة وان مسرورا الخادم كان يتقلد البريد والخرائط ويخلفه عليه ثابت الخادم" (٢)،وقد استمر مسرور فى تصريف امور البريد حتى سنة ١٩٣هـ/٨٠٨م حيث ولى عمر بن ماهان ديوان البريد خلال فترة حكم الخليفة الامين (١٩٣ - ١٩٨هـ/٨٠٨ - ٩٠٣م)،وقد ذكر ابن رستة ذلك فقال " كان عمر بن ماهان على البريد والصوافى فى خلافة محمد بن الرشيد" (٣) اما فى عهد الخليفة المأمون (١٩٨ - ٢١٨هـ/٨١٣ -٨٣٣م) (٤) فقد ولى محمد بن عمران على البريد ووردت الاشارة الى ذلك فى ثنايا وصف اليعقوبى لاحداث التمرد الخطير الذى واجهته الخلافة العباسية فى ٢١٠هـ/٨٢٥م فى السواد حيث قال : " ووثب ابن عائشة،وهو ابراهيم بن محمد بن عبدالوهاب ابن ابراهيم بن محمد بن على بن عبدالله بن عباس،فى جماعة معه منهم مالك بن شاهى النفرى من اهل السواد،ومحمد بن ابراهيم الافريقى فدونوا الدواوين،واثبتوا اسماء الرجال وسموا العمال ،فظفر به المأمون فحبسه فى المطبق فاستمال ابراهيم بن عائشة اهل المطبق حتى حملهم على الوثوب،وان يشغبوا وتنصروا وشدوا الزنانير فى اوساطهم والصلب فى اعناقهم ورفع محمد بن عمران صاحب البريد خبرهم فركب المأمون الى

---

(١) ابو هاشم مسرور الخادم الملقب بمسرور الكبير،كان يخدم الخليفة المهدى رافقه فى سفرته التى توفى فيها،ثم خدم من بعده ابنه الهادى ثم الرشيد،وكان منفذ امر الرشيد ومستودع سره .انظر التنوخى - نشوار المحاضرة (١٥٢/٥)،(٧٤/٧) حاشية (٣) .

(٢) الجهشيارى - الوزراء والكتاب (ص ٢٦٥) .

(٣) ابن رستة - الاعلاق النفيسة (ص ٤٣) .

(٤) زامباور - م.س (ص ٤) .

المطبق ليلا لما صح عنده الخبر واحضر جماعة من قواده ودعا بابراهيم فضرب عنقه ،وقتل الذين كانوا معه وهم الافريقى وفرج البغوارى،وصلب ابن عائشة ببغداد ثلاثة ايام ثم انزله وكان ذلك فى سنة ٢١٠هـ"(١)• ويبدو ان ابن عمران هذا قداستمر يتقلد البريد طيلة عصرالمأمون• امافى اعقاب ذلك فقد ذكرت المصادر انه قد عهد بالبريد الى" ايتاخ مولى امير المؤمنين(٢) الذى استمر يشغل المنصب فى عهد الخليفة المعتصمبالله (٢١٨ – ٢٢٧هـ/٨٣٣–٨٤١م) وعهد الخليفة الواثق بالله (٢٢٧ – ٢٣٢هـ/٨٤١ – ٨٤٦م) كما انه استمر فيه حتى وفاته سنة ٢٣٥هـ/٨٤٩م(٣) • فى السنة الثالثة من حكم الخليفة المتوكل على الله•ومما يذكر ان الخليفة المتوكل على الله (٢٣٢– ٢٤٧هـ / ٨٤٦ – ٨٦١م) قد عينميمون بن ابراهيم على ديوان البريد فقداوردالمسعودى حديث الخليفة المتوكل على الله مع ابى العيناء عندما دخل عليه فى ٢٤٦هـ/٨٦٠م وذلك بقوله "ودخل ميمون بن ابراهيم صاحب ديوان البريد فقال له ماتقول فى ميمون قال يد تسرق واست تضرط وهو بمنزله يهودى قد سرق نصف خزينة له اقدام ومعه احكام واحسانه تكلف واساءته طبيعة فاضحكه ذلك منه"(٤)،وقدنقل الشابشتى ايضا قول ابى العيناء:" دخلت على المتوكل ودعوت له وكلمته فاستحسن خطابى،فقال ماتقول فى صاحب البريد ميمون ابن ابراهيم "(٥) •• اما الصابى فقد ذكر ان الخليفة المتوكل على الله قد قلد المعروف بابن الكلبى " البريد والخبر " حين قال

(١) احمد بنواضح اليعقوبى – تاريخ اليعقوبى(دارصادر بيروت)(٤٥٩/٢) •

(٢) ايتاخ الخزرى ابو منصور،كان طباخا لسلام الابرش فاشتراه منه المعتصم سنة تسع وتسعين ومائة وكان فيه شجاعة فرفعه المعتصم والواثق وضم اليه اعمالا كثيرة،قتله المتوكل سنة ٢٣٥هـ ،انظر التنوخى نشوار المحاضرة (١٤/٨)،ابن الاثير – الكامل (٢٨٢/٥) •

(٣) الطبرى – تاريخ (١٦٧/٩)،ابن الاثير – الكامل (٢٨٢/٥ – ٢٨٣)،ابن مسكويه – تجارب الامم(٥٤٢/٦) •

(٤) المسعودى – مروج الذهب (٢٣٦/٤ – ٢٣٧) •

(٥) الشابشتى – الديارات (ص ٩٠ – ٩١) •

" قلد المتوكل ابن الكلبى الخبر والبريد واحلفه على مطالعته على كل مايبلغه ويعرفه " [1] ،ويبدو ان ابن الكلبى [2] الذى كان يشغل منصب صاحب البريد فى مدينة بغداد فى سنة ٢٣٨هـ/٨٥٢م قد خلف [3] ميمون بن ابراهيم على البريد فى العاصمة ذلك ان الصابى قد اشار اليه اشارة عامة دون ان يحدد تاريخ تعيينه فى المنصب مما يرجح توليه البريد فى الفترة التى سبقت اغتيال الخليفة المتوكل على الله ٠ اما فى عهد الخليفة المستعين (٢٤٨ – ٢٥٢هـ/٨٦٢ – ٨٦٦م) [4] فقد شغل موسى بن بغا [5] منصب متولى ديوان البريد حيث ذكر الطبرى فى احداث سنة ٢٤٨هـ/٨٦٢م بانه قد :" مرض بغا الكبير فمات من يومه فعقد لموسى ابنه على اعماله واعمال ابيه وولى ديوان البريد" [6] ،وقد نقل ذلك ابن الاثير فى اخبار سنة ٢٤٨هـ/٨٦٢م بقوله

---

(١) غرس النعمة الى الحسن محمد بن هلال الصابىء – الهفوات النادرة (باعتناء صالح الاشتر دمشق ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) (ص ٢٩٣) ٠

(٢) ابن الكلبى ذكره الطبرى ايضا وذكران نسبته الى موضع بناحية واسط يقال له الكلبانية ٠ انظر الطبرى – تاريخ (٤٦/١١) ٠

(٣) الطبرى – تاريخ (٤٦/١١ – ٤٧) ٠

(٤) ابو عبدالله محمد بن يزيد – تاريخ الخلفاء (تحقيق محمد الحافظ) (ص ٤٣)،زامباور – معجم انساب (ص ٣) ٠

(٥) موسى بن بغا احد القادة الاتراك الكبار وهو ابن خالة المتوكل وصف بانه دينا لايشرب النبيذ وكان فى عهد الخليفة المتوكل خليفة لوالده على اعماله وبعد وفاته عقد له المستعين على الاعمال المشار اليها آنفا ،وفى الفتنة التى حدثت بين المستعين والمعتز انحاز الى جانب المعتز ثم ولى الرى فانصرف اليهاولما قتل المعتز عاد سر من راى وقتل صالح بن وصيف ثم توجه الى حرب الزنج، وكانت وفاته سنة ٢٦٤هـ ٠ انظر التنوخى – الفرج بعد الشدة (٢٤/٣ – ٢٥) ٠

(٦) الطبرى – تاريخ (٢٥٨/٩) ٠

"مات بغا فعقد لابنه موسى على اعمال ابيه كلها وولى ديوان البريد"(١)٠ وقد استمر موسى يشغل هذا المنصب حتى سنة ٢٥٢هـ/٨٦٦م حين عين الخليفة المعتز بالله (٢٥٢ - ٢٥٥هـ/٨٨٦ - ٨٨٩م) سيما الساريانى على ديوان البريد(٢) وقد أرخ الطبرى ذلك فقال : " لما بايع الاتراك المعتز ولى عماله فولى سعيد بن صالح الشرطة ... وولى بريد الافاق والخاتم سيما الساريانى "(٣) ٠ غير انه لم يقدر للساريانى ان يستمر فى المنصب طويلا ،فقد اصدر الخليفة المعتز امره فى ذى الحجة بعزله وبتولية احمد بن اسرائيل رياسة ديوان البريد(٤) ،وقد استمر الاخير فى عمله حتى سنة ٢٥٢هـ/٨٦٦م ،حيث اعيد موسى بن بغا ثانية الى ولاية ديوان البريد فى ٢١ شوال ٢٥٢هـ/٨٦٦م ،وقد ذكر الطبرى ذلك حين قال بان الخليفة المعتز بالله قد ركب فى التاريخ المذكور " الى دار العامة وعقد لبغا ووصيف على اعمالهما ورد ديوان البريد كما كان من قبل الى موسى بن بغا الكبير فقبل موسى ذلك "(٥)٠ والراجح انموسى قد واصل عمله متوليا

---

(١) ابن الاثير - الكامل (٣١٢/٥) ٠

(٢) ابن يزيد - تاريخ الخلفاء (ص ٤٤)،زامباور - معجم انساب (ص ٣) ٠

(٣) الطبرى - تاريخ الامم والملوك (١٠٠/١١)،لم اجد ترجمة لسيما الساريانى ٠

(٤) ابو جعفر احمد بن اسرائيل الانبارى ،كاتب حاذق وصف بحدة الذهن ولاه الخليفة المعتز البريد ثم ولاه الوزارة فى سنة ٢٥٢هـ ٠ واستمر كذلك حتى خاصم صالح بن وصيف بحضرة الخليفة المعتز فهجم عليه اصحاب صالح وقبضوا عليه وحبسوه وعذب الى ان قتل سنة ٢٥٥هـ ٠ انظر الطبرى - تاريخ (١٣٥/١١،١٣٨،٦١)، التنوخى - الفرج (٢١١/١) ٠

(٥) الطبرى - م٠س (١٣٥/١١) ٠

لديوان البريد حتى سنة ٢٦١هـ/٨٧٤م (١) . ومن الجدير بالملاحظة ان المصادر قد اغفلت ذكر المتولى لديوان البريد خلال الفترة المحصورة بين سنتى ٢٦١ – ٢٧٩هـ/٨٧٤ – ٨٩٢م . اما فى عهد الخليفة المعتضد بالله (٢٧٩ – ٢٨٩هـ/٨٩٢ – ٩٠١م) (٢) فقد ولى المدعو بالنوشجانى (٣) ديوان البريد، فقد ذكر التنوخى " ان المعتضد رفع اليه الخبر رفعه النوشجانى صاحب بريده يذكر فيه ان الاخبار ذاعت ببغداد بان حامد بن العباس لما دخل فارس متقلدا لعمالتها دخل معه عدد كثير وعظيم من الغلمان والحاشية " (٤) غير ان المصادر لم تحدد الفترة التى بقى النوشجانى يشغل فيها هذا المنصب ولعله كان قد استمر فيه حتى سنة ٢٩٩هـ/٩١١م حين قلد شفيع اللؤلؤى المعروف بشفيع الاكبر ولاية ديوان البريد، فلقد ذكر ابن مسكويه بانه تقلد ديوان البريد بمدينة السلام والاشراف على الوزير والجيش واصحاب الدواوين والقضاة واصحاب الشرط شفيع اللؤلؤى" (٥) . وقد استمر

---

(١) ابن الاثير – الكامل (٣٦٧/٥)، (٢/٦) .

(٢) ابن يزيد – تاريخ الخلفاء (ص ٤٩)، السيوطى – تاريخ الخلفاء (ص ٥٨٨ – ٥٩٩)، زامباور – م.س (ص ٣) .

(٣) النوشجانى نسبة الى نوشجان بلدة فى فارس، اغفلت المصادر ذكر اسمه واكتفت بلقبه، مما يدل على عظيم شهرته فى عصره، ذكره الصابى واشار الى كفايته وثقته وثقة الخليفة المعتضد فيه . انظر الصابى – الوزراء (ص ٢٢ – ٢٣)، ابن الاثير – اللباب (٣٣١/٣) .

(٤) التنوخى – نشوار المحاضرة (١١٤/٨)، الصابى – الوزراء (ص٩٥ – ٩٦) .

(٥) ابن مسكويه – تجارب الامم (٢٤/١) .

اللؤلؤى[1] هذا يتولى ديوان البريد حتى وفاته سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م[2] . ثم خلفه على رئاسة الديوان شفيع المقتدرى فقد ذكر ابن الاثير انه " توفى شفيع وكان على البريد وغيره من الاعمال فولى ماكان عليه شفيع المقتدرى "[3] ويبدو من خلال ما اورده الصابى ان شفيع المقتدرى[4] لم يستمر فى منصبه هذا طويلا،فقداوردت المصادر مايؤكد ان ابا مروان عبدالملك بن محمد بن عبدالملك الزيات قد تقلد ديوان البريد فى وزارة ابى الحسن على بن محمد بن الفرات الثالثةوالتى انتهت فى ربيع الثانى سنة٣١٢هـ/٩٢٤م[5] . وقد استمر ابن الزيات يشغل المنصب لمدة ثلاثينسنة،فقد ذكر الصابى ان ابا مروان عبدالملك بن محمد بن الزيات الخرائطى كان "يتولى ديوان الخرائط المسمى ديوان البريدوحده ثلاثينسنة"[6] وعلىهذا فمن المفروض عند قبول النص ان يكون الزيات هذا قد استمر متقلدا لديوان البريد حتى سنة ٣٤٢هـ/٩٥٣م . ومما هو جدير بالذكر ان تولى ديوان البريد خلال فترة النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى عدد من الكتاب الذين اشارت

---

(١) ابو الغصن شفيع اللؤلؤى من قواد الخليفة المقتدر الاتراك وصف بانهكريم عالى الهمة جميل الامر برى الاله كثيره المحاسن،كانت له صلة وثيقة بالوزير ابن الفرات،قلد البريد مضاف الى الاعمال المشار اليها .انظر ابن الاثير – الكامل (١٨١/٦)،حسن ابراهيم تاريخ الاسلام (٢٧٧/٣) .

(٢) القرطبى – صلةتاريخ الطبرى (ص ١٠٥)،ابن الاثير – م.س (١٨١/٦) .

(٣) ابن الاثير – م.س (١٨١/٦)

(٤) شفيع المقتدرى من رجال البلاط فى عهد الخليفة المقتدر ولى البصرة فى سنة ٣٠٥هـ وخلفه عليها سبك المفلحى،انظر التنوخى – نشوار المحاضرة (٣٣/٢)،ابن الاثير – م.س (١٨١/٦) .

(٥) زامباور – معجم الانساب (ص ٧) ،د. السامرائى – المؤسسات الادارية (ص ١٨٧) .

(٦) الصابى – الوزراء (ص ١٧٨) .

اليهم المصادر،منهم الحسن بن نصر متولى ديوان البريد فى عهد شرف الدولة بن بويه (٣٧٦ - ٣٧٩هـ/٩٨٦ - ٩٨٩م)(١)،يقول الصابى " كان محمد بن عمر بن يحيى العلوى حضر دار المطيع رحمه الله عليه فى ايام شرف الدولة ومعه نحرير الخادم ومحمد بن الحسن بنصالحان الوزيراذ ذاك وابن الخياط صاحب ديوان الرسائل والحسن بن محمد بننصر صاحب ديوان الخبر والبريد وكلهم بالسواد"(٢) .

ثم خلفه فىولاية الديوان ابو الحسن احمد بن على البتى الكاتب(٣) الذى استمر يشغل المنصب على الارجح منذ سنة ٣٧٩هـ:٩٨٩م الى ان صرفه الخليفة القادر بالله(٤) (٣٨١ - ٤٢٢هـ/٩٩١ - ١٠٣٠م)(٥)، قبيل سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م . لقد ذكر ابن مسكويه فى احداث السنة المذكورة بانه كان على ديوان البريد المدعو بابى الحسن على بن عيسى(٦)، الذى استمرمتوليا للديوان حتى سنة ٣٩٢هـ/١٠٠١م(٧) .

---

(١) شرف الدولة بن عضد الدولة وصف بانه كان يميل الى الخير ، ازال المصادرات،مرض وتوفى فى سنة ٣٧٩هـ .انظر ابن الجوزى - المنتظم (١٤٩/٧)،زامباور - معجم الانساب (ص ١١) .

(٢) الصابى - رسوم دار الخلافة (ص ٧٣ - ٧٤) .

(٣) ابن الجوزى - المنتظم (٢٦٣/٧)،ياقوت - معجم الادباء (٢٥٤/٣ - ٢٧٠) اسماعيل باشا البغدادى - هدية العارفين (٧١/٥) .

(٤) ياقوت - معجم الادباء (٢٥٤/٥) .

(٥) السيوطى - تاريخ الخلفاء (ص ٦٥٥ - ٦٦٣) ،زامباور - م.س (ص ٤).

(٦) ابو شجاع الروذراورى - ذيل تجارب الامم (باعتناء امدورز،شركة التمدن الصناعية بمصر ١٣٣٤هـ/١٩١٦م) (ص ٢٨٦)،وهو بالتأكيد غير على بن عيسى بن الجراح الوزير الصالح .

(٧) ابو هلال الصابى - التاريخ (باعتناء امدورز شركة التمدن بمصر ١٣٣٤هـ/١٩١٦م) (ص ٤٣٩).

ومما ينبغي ملاحظته ان المصادر قدتحدثت عن ديوان " الخبر والبريد" وهو مايشير الى حصول تطور فى مسمى ديوان البريد خلال فترة التسلط البويهى حيث كان الارتباط بالامير البويهى هو المعول عليه بعد ان ضعف امر الخلافة الى درجة كبيرة نتيجة التسلط الاجنبى.

مقومات الديوان .

اشتمل ديوان البريد كما يظهر على عدد من المجالس الكتابية والمحاسبية اضافة الى المجالس المتخصصة الاخرى يتولى العمل بها عدد كبير من الموظفين والمستخدمين فى العاصمة وفى غيرها من الاقاليم وكذلك المنتشرين فى سكك البريد فى مختلف الطرق المتشعبة فى بلدان الخلافة الاسلامية . فقد اشار قدامة الى ان " الرسوم التى يحتاج اليها فى امر هذا الديوان هى مايقارب الرسوم التى بيناها في غيره مما تضبط بها اعماله واحواله" (١).

اما المجالس التى يتألف منها ديوان البريد فهى :

(١) مجلس الانشاء : وهو من المجالس الكتابية . وهو يتولى القيام بانشاء الكتب التى تصدر عن الديوان (٢) . ويتولى كاتب المجلس عادة عرضها على صاحب الديوان الذى قد يزيد فيها او ينقص منها او يقرها فتحال الى مجلس التحرير .

(٢) مجلس التحرير : وهو من المجالس الكتابية ايضا، وهو المجلس

---

(١) قدامة - الخراج (ص ٢٤٨)،د.السامرائى - المؤسسات الادارية (ص ٢٦٩).

(٢) الخوارزمى - مفاتيح العلوم (ص٥٩)،د.السامرائى - م.س (ص ١٩٦) ، وانظر قدامة - الخراج (ص ٥٤٢) .

الذى يتولى اعداد نسخ الكتب او الرسائل التى ينشئها الكاتب فى مجلس الانشاء والتى يقرها متولى الديوان،كما سبقت الاشارة الى ذلك . وقد عرف الخوارزمى التحرير بانه : " نقل الكتاب من سواد النسخة الى بياض نقى" (١) .

(٣) مجلس النسخ : وهو من المجالس الكتابية التى يحتاج اليها فى ديوان البريد،كما يحتاج اليها فى الدواوين الادارية والمالية فى الدولة،ويتولى هذا المجلس استنساخ الكتب الصادرة من الديوان على عدة نسخ مطابقة للاصل حيث ترسل النسخة الاصل الى الجهة المراد توجيه الكتاب اليها ،كما توجه نسخ مطابقة الى الجهات ذات العلاقة، ان كان ذلك ضروريا . ويحتفظ بالنسخة الاساس فى ملفات المجلس للرجوع اليها عند الحاجة الى ذلك (٢) .

(٤) مجلس الاسكدار (٣) :وهو من المجالس الادارية الرئيسية لضبط العمل فى الديوان وضمان استمراره على الدقة والنظام،ويتولى هذا المجلس تنظيم الاوامر والكتب الصادرة والواردة وتصنيفها والتأكد من استيفاء المطلوب فيها،كما يقوم بتتبع ورودها وصدورها وحفظها ويتم ذلك بعدان تعرض على صاحب الديوان وتعمل خلاصات لها حتى تكون جاهزة ليطلع عليها الخليفة وصاحب الديوان وقت الطلب (٤) .

---

(١) الخوارزمى - م.س (ص ٥٠)، السامرائى - م.س (ص ١٩٦، ٢٦٩)، الشبانى نظام الحكم والادارة (ص ١٢٦) .

(٢) د.السامرائى - المؤسسات الادارية (ص ٢٩٦)، الشبانى - نظام الحكم (ص ١٢٦) .

(٣) الاسكدار كلمة فارسية تفسيرها اذ كو دارى ومعناها من اين تمسك انظر الخوارزمى - مفاتيح العلوم (ص ٤٢)،د.السامرائى - المؤسسات الادارية (ص ٢٥٥، ٢٦٩)، الشبانى - نظام الحكم (ص ١٢٦) .

(٤) ن.م.س

(٥) مجلس شئون الطرق والسكك : وهو من المجالس الادارية المهمة في الاشراف على شئون الطرق المترابطة الموصلة الى مختلف الاقاليم والسكك المختلفة التى كانت موزعة على الطرق فى كافة ارجاء الدولة ويؤمن هذا المجلس بعد ذلك توفير كافة المعلومات عن احوال الطرق والاقاليم حتى يكون صاحب الديوان على علم تام باحوالها واخبارها فى اى وقت من الاوقات بحيث يجد الخليفة عنده مايحتاج اليه عند سفره، او عند حصول مايقتضى انفاذ جيش يهمه امره، او غير ذلك مما تدعو الضرورة الى علم الطرق بسببه (١) .

(٦) ولابد ان تكون بجانب المجالس الخمسة المذكورة آنفا مجموعة اخرى متخصصة من المجالس او الشعب التى يجرى عن طريقها قيام الديوان بمسئولياته الاساسية الاخرى، وفى هذه الحالة يكون ارتباط اصحاب الاخبار والوكلاء والارصاد من الرجال والنساء بتلك المجالس التى تتولى تجميع وترتيب وتصنيف المعلومات وتقديم بيانات كاملة بها الى صاحب الديوان لضمان قيامه بمهمته بشكل كامل .

(٧) ان مقتضى العمل فى الديوان، كما هو الحال فى غيره من الدواوين والمؤسسات المختلفة الاخرى، يتطلب الانفاق وبذل الاموال على شكل ارزاق لجميع المنتسبين الى الديوان وكذلك تسوية احتياجات طبيعة العمل . اما الخيل والبغال وغيرها من الحيوانات فان توفيرها يكون مسئولية مجلس الكراع فى ديوان النفقات الذى يتولى شرائها (٢)

---

(١) قدامة ـ الخراج (ص ٢٤٩)، د. السامرائى ـ م.س (ص ٢٦٩) ، الشبانى م.س (ص ١٢٦) .

(٢) قدامة ـ الخراج (ص ١٧٠)، د. السامرائى ـ المؤسسات الادارية (ص ٢٣٤) .

وتوفير علوفتها ومايتعلق بتدريبها ورعايتها،ويتولى مجلس البناء والمرمه فى ديوان النفقات مهمة انشاء البنايات الحكومية ولعله يقوم بانشاء السكك والقيام بما يقتضى للطرق (١).

(٨) اما مسئولية المحاسبة على الارزاق وصرف استحقاقات المنتسبين الى الديوان فلاشك فى ان هناك مجلسا متخصصا يقوم بذلك على غرار مانجد فى غيره من الدواوين حيث يتولى مجلس " بيت المال" فيها القيام بهذه المهمة (٢)، كما ان ضخامة الاعمال التى يقوم بها ديوان البريد وخطورتها وكثرة العاملين فيه تعزز من هذا الاستنتاج، ومما ينبغى الاشارة اليه هنا ان القاضى ابا يوسف قد نصح الخليفة هارون الرشيد ان يكون الصرف على عمال البريد واهله من بيت المال فقال " واجر عليهم الرزق من بيت مال المسلمين وليدرعليهم" (٣).

(٩) وفى سنة ١٦٨هـ/٧٨٤م انشأ الخليفة المهدى مجالس الازمة للدواوين وجعل لها ديوانا خاصا عرف باسم زمام الازمة، ولعل هذا الاجراء يمثل الرغبة فى ضبط الصرف والاشراف عليه منعا للتبذير وضمانا للمصلحة ولاشك فى ان مثل هذا الاجراء قد شمل ديوان البريد (٤).

---

(١) قدامة – م.س (ص ١٧١)،د.السامرائى – م.س (ص ٢٣٦) .

(٢) ورد مثلا ذكر مجلس بيت المال فى ديوان الخراج ومجلس بيت المال فى ديوان الجند،انظر قدامة – م.س (ص ١٣٣،١٣٥،١٧٤)،د.السامرائى م.س (ص ٢٣٧ – ٢٤٣) .

(٣) ابو يوسف –الخراج (ص ٣٦٢)، الرحبى – فقه الملوك (٤١١/٢ – ٤١٢) ، عصمة ابو سنة – رأى ابى يوسف فى الحياة الاقتصادية (ص ٢٥١) .

(٤) الطبرى – م.س (١٠/١٠)، الجهشيارى (ص ١٦٦).

الوظائف الاساسية فى ديوان البريد :

اشارت المصادر عند حديثها عن ديوان البريد الى عدد من الوظائف الاساسية بجانب متولى ديوان البريد . نرى ان من الضرورى التعريف بها منها :

(أ) خليفة صاحب البريد :

ومهمته انيعين متولى البريد فى تحمل قسط من مسئولياته ،والنيابة عنه اذا ماطرأ امر مهم يستدعى سفره او غيبته عن دار الخلافة او فى حالة وفاته ،ونظرا لخصوصية منصب متولى الديوان،فلابد من ان تكون توليه "خليفته" بامر من الخليفة القائم وموافقته علما بانه يفترض ان ينوب المرشح لهذا المنصب عن متولى الديوان فى حضرة الخليفة القائم بالامر وقد تحدث الجهشيارى عما آلت اليه امور البريد من اهمال فى اعقاب نكبة البرامكة فقال : " ان امور البريد والاخبار فى ايام الرشيد كانت مهملة ، وان مسرورا الخادم كان يتقلد البريد والخرائط ويخلفه عليه ثابت الخادم . قال فحدثنى ثابت ان الرشيد قد توفى وعندهم اربعة آلاف خريطة لم تفض"[(١)] . وقد نقل الشابشتى خبرا عن عبدالله بن خردا ذبه " انه خرج يوما من بين يدى المأمون فى اثر اسحاق بن ابراهيم حتى اذا صار الى الدهليز الثانى فوقف ووقف القواد والناس لوقوفه ثم قال ابن خليفة على بن صالح وكان على ذلك الوقت صاحب امر الدار والمرسوم بالحجبة فاتى بخليفته فضربه مائة مقرعة ثم قال الحبس ثم قال هاتوا خليفة صاحب البريد فاتى به فضربه مائة مقرعة ثم قال

---

(١) الجهشيارى – الوزراء والكتاب (ص ٢٦٥)، الزهرانى – موارد بيت المال (ص ٢٩٤ – ٢٩٥)،دور البريد فى الحياة الاقتصادية (ص ٩٥) .

الحبس ثم دعا بعلى بن صالح وصاحب البريد وقال لهما تقلدان خلافتكما في دار الخليفة من يضيع الامور ويهملها . كنتما بهذا الادب احق من هذين،فقالا : ماكان من امرهما الذى انكرت ايها الامير فقال صاحب بريد يقعد فى دار الخليفة فيضحك ويقهقه وصاحب الدار جالس لاينكر" (١) .

(ب) ولاة البريد فى الاقاليم " او متولى اعمال البريد فى الولايات" :

تتحدث المصادر باسهاب عن ولاة البريد فى الاقاليم الذين كان لهم الاشراف على اعمال البريد فى مقرات عملهم وكانوا موزعين على الولايات بحيث انه كان لكل ولاية صاحب بريد يتبعه عمال يساعدونه فى استيفاء مهمتة الديوان فى الولاية (٢) . وقد كان اختيار وتعيين عمال البريد فى الولايات يجرى من قبل الخليفة القائم بالامر، (٣) وربما يخول الوزير للقيام بذلك احيانا . وقد اورد قدامة بن جعفر نصا فريدا تحت عنوان " عهد بولاية البريد" (٤) اثبت لنا فيه الكثير من المعلومات المتصلة بطبيعة الاعمال التى انيطت بعمال البريد فى الولايات من جهة وماينبغى ان يكون عليه العمل الخاص بالبريد وموظفيه من جهة اخرى . ان اهمية هذا النص تستدعى تقديم دراسة مستفيضة عنه لما له من اهمية كبيرة فى هذه الرسالة .

ورد فى كتاب الخراج وصنعة الكتابة لابى الفرج قدامة بن جعفر

---

(١) الشابشتى - الديارات (ص ٣٩) .

(٢) د.السامرائى - المؤسسات الادارية (ص ٢٧٢)، الشبانى - نظام الحكم (ص ١٢٧) .

(٣) قدامة - الخراج (ص ١٩٩)،د.السامرائى - م.س (ص ٢٦٨).

(٤) قدامة - الخراج (ص ١٩٩)،د.السامرائى - م.س (ص ٢٧١) .

الكاتب البغدادى المتوفى سنة ٣٣٧هـ/٩٥٨م ،وعند حديثه عن ديوان الرسائل (١) " نسخة عهد ولاة البريد " هذا نصه :

" هذا ماعهد به عبدالله فلان امير المؤمنين، الى فلان بن فلان حين ولاه اعمال البريد بناحية كذا ، امره بتقوى الله وطاعته ، واستشعار خوفه ومراقبته فى اسراره وعلانيته ، وان يجرى امره فيما استكفاه امير المؤمنين اياه بحسب مابداه به من الاصطناع ،وقدره عنده من الكفاية والاضطلاع ، وامره ان يؤثر الصدق فيما ينهيه والحق فيما يعيده ويبديه وان يختار من يستعين به فى عمله ويشركه فى امانته ممن يثق بصناعته ونزاهته ،وطيب طعمته ، وتحريه الصدق فيما صدر عن يده ولهجته وان يكون من يستعمله من اهل الكفاية والغناء،دون من يستعمل منهم على العناية والهوى ، وامره ان يعرف حال عمال الخراج والضياع فيما يجرى عليه امرهم ويتتبعه فى ذلك تتبعا شافيا ويستشفه استشفافا بليغا وينهيه على حقه وصدقه ،ويشرح مايكتب به منه ،وامره ان يتعرف حال عمارة البلاد وماهى عليه من الكمال والاختلال ، ومايجرى فى امور الرعية فيما يعاملون به من الانصاف والجور،والرفق والعسف ،فيكتب به مشروحا ملخصا مبينا مفصلا ، وامره ان يتعرف على ماعليه احوال الحكام فى احكامهم ومسيرهم وسائر مذاهبهم وطرائقهم ، ولايكتب من ذلك الا بما يصح عنده ولايرتاب به وامره ان يتعرف على حال دار الضرب ومايجرى عليه مما يضرب فيها من العين والورق،ومايلزمه من الكلف والمؤن ، ويكتب بذلك على حقه وصدقه ، وامره ان يوكل بمجلس عرض الاولياء واعطياتهم من يراعيه ويطالع مايجرى فيه ،ويكتب بما يقف عليه من الحال فى وقته وامره ان يكون ماينهيه من الاخبار شيئا يثق بصحته ولايدخل شبهة فى

---

(١) قدامة ـ م٠س (ص ٨٨) ٠

شئ منه ويوعز الى خلفائه واصحابه ان لاينهوا اليه الامايثبتونه ،وكانوا على الثقة منه وان يحتاطوا فى ذلك بما يحتاط فى مثله من شهادة فيما يمكن الشهادة فيه واخذ الخطوط بما يتهيأ اخذها به ،واقامة الشواهد والدلائل بما يمكن اقامتها عليه ،وان لايوروا عن شئ يعلمونه ،ولايحابوا احدا بستره . وان يكتموا اخبارهم ولايذيعوها ولايخلدوا الى كشفها وافشائها ،فان ذلك اذا جرى وهنا ،ولمن اراد الحيلة منصرفا . وامره ان يمتنع وجميع اصحابه فى النواحى وخلفائه عليها ،من انيكون سببا فى محاباة احد بالشفاعة او التوصل الى دفع حق يجب عليه . وامره ان يعرض المرتبين لحمل الخرائط فى عمله ،ويكتب بعدتهم ،واسمائهم ، ومبالغ ارزاقهم ،وعدد السكك فى جميع عمله واميالها ،وموضعها ،وان يوعز الى هؤلاء المرتبين بتعجيل الخرائط المنفذة على ايديهم ،والى الموقعين باثبات المواقيت وضبطها حتى لايتأخر احد منهم عن الاوقات التى سبيله ان يرد السكة فيها . وان يفرد لكل مايكتب فيه من اصناف الاخبار كتبا باعيانها فيفرد باخبار القضاة وعمال المعاون والاحداث ومايجرى مجرى ذلك كتابا ،وباخبار الخراج ،والضياع ،وارزاق الاولياء ،ومايجرى فى دور الضرب والاسعار ،ومايقع فيه الحل والعقد ،والاعطاء والاخذ كتابا ليجرى كل كتاب فى موضعه ويكتب فى بابه فيتحصل العمل ويتملك نظامه هذا عهد امير المؤمنين اليك فكن به متمسكا ،ولما مثله لك ذاكرا ،وبه آخذا وعليه عاملا والله يوفقك لما يحمده امير المؤمنين منك ويرضاه من فعلك ويعلم به صواب اختياره اياك" .(١)

---

(١) قدامة – الخراج (ص ١٩٩ – ٢٠٥) .

ومن هذا نجد ان هناك شروطا ينبغى توفرها فيمن يتولى هذا المنصب تتمثل فى تقوى الله سبحانه وتعالى والكفاية والاضطلاع والصدق فيما ينهيه (١) .

ومن الجدير بالذكر ان قاضى القضاة ابا يوسف قد اقترح على هارون الرشيد المواصفات المطلوبة فى من يرشح للمنصب بقوله :"وتأمر باختيار الثقات العدول من اهل كل بلد ومصر فتولهم البريد والاخبار وكيف ينبغى انيقبل خبر الامن ثقة عدل" (٢) . ومن النص الذى اورده قدامة يمكن التعرف على واجبات عمال البريد فى الاقاليم فقد كان على كل منهم:

(١) ان يختار من يستعين به فى عمله ويشركه فى امانته من يثق بصناعته ونزاهته وطيب طعمته (٣)، على ان يكون من يستعمله من اهل الكفاية والغناء دون ان يستعمل منهم على العناية والهوى (٤) .

---

(١) قدامة ـ م٠س (ص٢٠٠) .

(٢) ابو يوسف ـ الخراج (ص ٣٦١) .

(٣) قدامة ـ م٠س (ص ٢٠١) ،د٠السامرائى ـ م٠س (ص ٢٧٠) .

(٤) قدامة ـ م٠س (ص ٢٠١) ،د٠السامرائى ـ م٠س (ص ٢٧٠) ،من الملاحظ انه قد عد ذلك من المثالب التى اطاحت بالوزير ابى الحسن على بن الفرات فى وزارته الثالثة (٣١١ ـ ٣١٢هـ/٩٢٣ ـ ٩٢٤م) فقد ذكر الصابى " لما صح عند ابى الحسن بن الفرات فساد امره عند المقتدر بالله وتمام التدبير عليه فى صرفه وتقليد حامد .. استدعانى وخلابى فقلت له قد دبر عليك تدبير لاينحل سريعا وجنيت على نفسك فى هذه الدفعة ثلاث جنايات لايمكن تلافى الخطأ فيها فقال وماهى قلت اولها انك صرفت اصحاب الدواوين والعمال والمنفقين واصحاب البرد والخرائط واكثر القضاه وبعض المعاون وقلدت اصحابك وذوى عناياتك" . انظر الصابى ـ الوزراء (ص ١١١) ،زامباور ـ معجم الانساب (ص ٧) ،د٠ السامرائى ـ المؤسسات (ص ١٧٩) .

(٢) ان يعرف حال عمال الخراج والضياع فيما يجرى عليه امرهم ويتتبع ذلك تتبعا شافيا وينهيه على حقه وصدقه .(١)

(٣) ان يتعرف حال عمارة البلاد وماهى عليه من الكمال والاختلال .(٢)

(٤) ان يتعرف مايجرى فى امور الرعية فى مايعاملون به من الانصاف والجور والرفق والعسف .(٣)

(٥) ان يتعرف احوال الحكام وسيرهم وسائر مذاهبهم وطرائقهم .(٤)

(٦) ان يتعرف حال دار الضرب ومايجرى عليه ومايضرب فيها من العين والورق ومايلزمه الموردون من الكلف والمؤن .(٥)

(٧) ان يوكل بمجلس عرض الاولياء واعطياتهم من يراعيه ويطالع مايجرى فيه ويكتب بما يقف عليه من الحال فى وقته .(٦)

وقد اكد الخليفة على متولى البريد بان تكون المعلومات التى يرسلها دقيقة ومما يوثق بصحته وان يتحرى الصدق فيما صدر عن يده ولهجته .(٧)

---

(١) قدامة - الخراج (ص ٢٠١)،د.السامرائى - م.س (ص ٢٧١)، الزهرانى موارد (ص ٢٩٥)،دورالبريد (ص ٩٤) .

(٢) قدامة - م.س (ص ٢٠١)، السامرائى - م.س (ص ٢٧١)، الزهرانى - موارد (ص ٢٩٦)،دور البريد (ص ٩٤) .

(٣) قدامة - م.س (ص ٢٠١)،د.السامرائى - م.س (ص ٢٧١)، الزهرانى دور البريد (ص ٩٤) .

(٤) قدامة - م.س (ص ٢٠١)،د.السامرائى - م.س (ص ٢٧١) .

(٥) قدامة - م.س (ص ٢٠٢)،د.السامرائى - م.س (ص ٢٧١) .

(٦) قدامة - م.س (ص ٢٠٢)،د.السامرائى - م.س (ص ٢٧١) .

(٧) قدامة - م.س (ص ٢٠١) .

اما بالنسبة لمسئوليات والى البريد الوظيفية والانضباطية في الاقليم فقد لخصتها الوثيقة بما يلى :

(١) القيام بعرض المرتبين لحمل الخرائط فى عمله ويكتب بعدتهم واسمائهم ومبالغ ارزاقهم وعدد السكك فى جميع عمله واميالها ومواضعها (١) .

(٢) ان يوعز الى هؤلاء المرتبين بتعجيل الخرائط حتى لاتتأخر الكتب المنفذة على ايديهم (٢) .

(٣) ان يأمر الموقعين باثبات المواقيت وضبطها حتى لايتأخر احد منهم عن الاوقات التى سبيله ان يرد السكة فيها (٣) .

(٤) ان يفرد لكل مايكتب فيه من اصناف الاخبار كتبا باعيانها فيفرد باخبار كل من القضاةوعمال المعاون والاحداث وباخبار الخراج والضياع وارزاق الاولياءومايجرى فى دور الضرب والاسعار،ومايقع فيه الحل والعقد والاعطاء والاخذ كتبا مفردة لكل امر ضمانا للدقة وحسن التنظيم (٤) .

(٥) ويفترض فى عمال البريد بالنواحى ان يميزوا بين الاخبار الثابتة الدقيقة التى يمتلكون دلائل دقتها وصحتها وبين الاشاعات التى لايستطيعون التثبت من صحتها فيميزون بين هذين النوعين من الاخبار بعد التدقيق والتحرى والتثبت (٥) . وان يحتاطوا فى ذلك بما

---

(١) قدامة ـ الخراج (ص ٢٠٣)،د. السامرائى ـ م.س (ص ٢٧١) .

(٢) قدامة ـ م.س (ص ٢٠٤)،د. السامرائى ـ م.س (ص ٢٧٢) .

(٣) قدامة ـ م.س (ص ٢٠٤)،د. السامرائى ـ م.س (ص ٢٧٢) .

(٤) قدامة ـ م.س (ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥)،د. السامرائى ـ م.س (ص ٢٧٢).

(٥) د. السامرائى ـ المؤسسات الادارية (ص ٢٧١).

يحتاط به فى مثله من شهادة فيما يمكن الشهادة فيه واخذ الخطوط بما يتهيأ اخذها به واقامة الشواهد والدلائل بما يمكن اقامتها (١) .

(٦) يفترض فيهم العمل باخلاص وسرية تامة فلايخفون عن صاحب الديوان شيئا يعملونه ولايحابون احدا بستره (٢) فقد ورد فى نصوص العهد بالتولية قوله " وان يكتموا اخبارهم ولايذيعونها ولايخلدوا الى كشفها وافشائها فان ذلك ان جرى وهنا ولمن اراد الحيلة منصرفا " (٣) .

(٧) ان على والى البريد ان يمتنع عن محاباة احد والشفاعة له او التوصل الى دفع حق عليه ،ولهذا نص بقوله " وامره ان يمتنع وجميع اصحابه فى النواحى وخلفائه من ان يكون سببا فى محاباة احد بالشفاعة له او التوصل الى دفع حق يجب عليه " (٤) . ومن الجدير بالذكر ان قاضى القضاة ابا يوسف تحدث فى كتاب الخراج عما ينبغى ان يعمله اصحاب البريد فى الولايات فقال وهو يشير الى حادثة معينة وقعت فى البصرة فى عهد هارون الرشيد :

"اماماسألت عنه مما قد بلغك واستقر عندك وكتب به اليك واليك وصاحب البريد ان فى يد قاضى البصرة ارضين كثيرة فيها نخل وشجر ومزارع وان غلة ذلك تبلغ شيئا كثيرا فى السنة وقد صيرها فى ايدى وكلاء من قبله يجرى على الرجل الواحد منهم الفا او الفين واكثر واقل وليس احد يدعى فيها دعوى وان القاضى ووكلاءه يأكلون ذلك . فهذا وشبهه من الواجب عليك النظر فيه وان استقر عندك فما كان فى يد القاضى مما

---

(١) قدامة- الخراج (ص ٢٠٣)،د.السامرائى - م.س (ص ٢٧٢).

(٢) د.السامرائى - م.س (ص ٢٧٢) .

(٣) قدامة - الخراج (ص ٢٠٤)،د.السامرائى - م.س (ص ٢٧٢) .

(٤) قدامة- م.س (ص ٢٠٤)،د. السامرائى - م.س (ص ٢٧٢).

ليس يدعى فيه احد دعوى وقد استغله وكلاء القاضى واخذوا غلة ذلك وطالت به المدة ولم يأت احد يطلب فيه حقا وقد امسك القاضى عن الكتاب اليك بذلك لترى فيه رأيك فقاضى سوء صير هذا وشبهه مأكلة له ولمن معه وهو آثم فى ذلك .. وتقدم الى صاحب البريد هناك با لكتاب اليك بكل مايحدث من هذا وشبهه وتوعده على ستر شيئا من ذلك" (١) .

اما الصفات التى يقترحها ابو يوسف فى المرشح لمنصب متولى البريد فانه اقترح ذلك على الخليفة هارون الرشيد بأن يأمر "باختيار الثقات العدول من اهل كل بلد ومصر فتولهم البريد والاخبار . وكيف ينبغى ان يقبل خبر الامن ثقة عدل . واجر لهم الرزق من بيت مال المسلمين وليدر عليهم. وتقدم اليهم ان لايستروا عنك خبرا من رعيتك ولاعن ولاتك ولايتزيدوا فيما يكتبون به ،فمن فعل فنكل به . ومتى لم يكن اصحاب البريد فى النواحى والاخبار ثقاتا عدولا فلايقبل لهم خبر فى قاض ولاوال ،وانما يحتاط بصاحب البريد على القاضى والوالى وغيرهما اذا كان عدلا فاذا لميكن عدلا فلايحل ولايسع استعمال خبره ولاقبوله" (٢) .

ومما يذكر انه وقعت بعض الانحرافات فى تصرفات بعض ولاة البريد فى النواحى منذ اواخر القرن الاول الهجرى . منها ماذكرته المصادر عن استخدام دواب البريد لاغراض خاصة دون اذن الخليفة او علمه . فقد اشار ابو يوسف الى انبعض موالى عمر بن عبدالعزيز قد نقل على دواب البريد رجلا بدون اذن الخليفة فقال ان الخليفة " عمر بن عبدالعزيز كان يبرد قال فحمل مولى له رجلا على البريد بغير اذنه قال فدعاه فقال لاتبرح

---

(١) ابو يوسف ـ الخراج (ص ٣٦١ ـ ٣٦٢)،عبدالعزيز الرحبى ـ فقه الملوك ومفتاح الرتاج (٢/٤٠٨ ـ ٤١١) .

(٢) ابو يوسف ـ الخراج (ص ٣٦١)، الرحبى ـ الرتاج (٢/٤١١ ـ ٤١٣) .

حتى تقومه ثم تجعله فى بيت المال" [١] . ويبدو انه قد وقعت انحرافات فى تصرفات بعض ولاة البريد فى عهد الخليفة الرشيد ذلك ان اصحاب البريد فى النواحى خلطوا فى الاخبار وحابوا وغيروا الصورة الواقعية التى كان يجب عليهم نقلها الى الخليفة. فربما مالوا مع العمال على الرعية وستروا اخبارهم وسوء معاملتهم وربما كتبوا فى الولاة والعمال بما لم يفعلوا وقد اشار الى ذلك ابو يوسف فى قوله " قد بلغنى عن ولاتك على البريد والاخبار فى النواحى تخليط كثير ومحاباة فيما يحتاج الى معرفته من امور الولاة والرعية وانهم ربما مالوا مع العمال على الرعية وستروا اخبارهم وسوء معاملتهم للناس وربما كتبوا فى الولاة والعمال مالم يفعلوا اذا لم يرضوهم" [٢] . ومن الاشارات التى تدل على الانحرافات اقتراح ابى يوسف على الرشيد بخصوص عمال البريد الذى ورد فى قوله " وتقدم اليهم ان لايحملوا على دواب البريد الامن تأمر بحمله فى امور المسلمين فانها للمسلمين" [٣] . فذلك ينبىء عن استخدام بعض ولاة البريد للدواب فى غير ماخصصت له . والواقع فان المصادر قد اشارت الى ممارسات اكثر انحرافا وخطورة حصلت فى عهد الخليفة الرشيد وهى تتصل بامن الدولة واستقرارها فقد افلت ادريس بن عبدالله بن الحسن بن حسن بن على بن ابى طالب من وقعة فخ ولجأ سرا الى مصر وعلى بريدها واضح مولى صالح بن المنصور وكان رافضيا فحمله على البريد الى ارض المغرب وقد كون ادريس دولة الادارسة التى تحدت الخلافة العباسية

---

(١) ابو يوسف - <u>الخراج</u> (ص ٣٦٢)، الرحبى - <u>فقه الملوك</u> (٤١٣/٢) .

(٢) ابو يوسف - م.س (ص ٣٦٢)، الرحبى - م.س (٤١٠/٢ - ٤١١) .

(٣) ابو يوسف - <u>الخراج</u> (ص ٣٦٢)، الرحبى - <u>فقه الملوك</u> (٤١٢/٢) .

وارهقتها (١) ،وقد وضع الرشيد حدا لهذه الخيانة فقتل واضح وولى مكانه الشماخ اليمامى الذى تمكن من اغتيال ادريس (٢) ٠ وقد وقعت انحرافات فى تصرفات ولاة البريد فى عهد المأمون وذلك ان صاحب بريد همذان احتجن لنفسه مالا من اموال السلطان فانهى كاتبه الخبر الى صاحب المقاطعة مما جعله ينهى الخبر الى الوزير وقدنقل الجهشيارى ذلك فقال"كتب صاحب المقاطعة بهمذان الى الفضل بن سهل يذكر ان كاتب المتولى للبريد بهذه الكورة ذكر ان صاحبه اقتطع مالا جليلا من اموال السلطان وانه يصحح ذلك عليه وانه وكل به وبصاحبه ليصحح مارفعه" (٣) ٠ ومن الجدير بالملاحظة ان المصادر اشارت الى اخبار عدد من ولاة البريد فى الاقاليم فى فترات مختلفة ومتباعدة غيرانها اغفلت ذكر اعداد كبيرة ممن ولوا هذا المنصب ففى مكة المكرمة والمدينة المنورة وكان بريدها غالبا مايجمع فى يد متول واحد يكون مركزه مكة (٤) المكرمة،غير اننا نجد ان المصادر اغفلت الاشارة الى كثير من ولاية البريد بها ولعل اول اشارة وردت عن ولاة البريد فى الحرمين كانت سنة ٢٠٦هـ/٨١١م فقد ذكر الازرقى ذلك بقوله "فلما كانت خلافة المأمون رفع اليه ان الديباج يبلا ويتخرق قبل ان يبلغ الفطر ويرقع حتى يسمج فسأل مبارك الطبرى مولاه وهو يومئذ على بريد مكة وصوافيها فى اى الكسوة احسن فقال

---

(١) الطبرى ـ تاريخ الامم والملوك (٢٩/١٠)، المقدسى ـ احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم(باعتناء دى غويه ليدن ١٩٠٦م) (ص ٢٤٤)، ابن الفقيه الهمذانى ـ مختصر كتاب البلدان (باعتناء دى غويه ليدن ١٩٠٦م)(ص ٨١)، ابن ابى دينار ـ المؤنس فى اخبار افريقيا وتونس (ص ١٠٢) ٠

(٢) الطبرى ـ م٠س (١٩٨/٨ ـ ١٩٩)، المقدسى ـ م٠س(ص ٢٤٤)، الهمذانى م٠س (ص ٨١) ٠

(٣) الجهشيارى ـ الوزراء (ص ٣٠٨)، ابراهيم البيهقى ـ المحاسن والمساوئ (نشر دار صادر بيروت ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) (ص ١٢٠) ٠

(٤) الطبرى ـ تاريخ (٤٠١/١١) ٠

فقال له فى البياض فامر بكسوة من ديباج ابيض فعملت وعلقت فى سنة ست ومائتين"(١) . وورد له ذكر ايضا فى سنة ٢٠٨هـ/٨١٣م حين ذكر الازرقى ان مبارك الطبرى كان على البريد بمكة وذلك فى قوله "فى سنة ثمانى ومائتين كان على بريد مكة وصوافيها مبارك الطبرى"(٢) ،ثم اورد ابن رستة انه كان على البريد بها عمر بن فرج الرخجى فيما بين سنتى ٢٢٣- ٢٢٤هـ/٨٣٧ - ٨٣٨م فقد اشار الى "محمد بن الضحاك خليفة عمر بن فرج الرخجى على بريد مكة وصوافيها"(٣) . ويذكر الطبرى عند حديثه عن اخبار سنة ٢٩٤هـ/٩٠٦م بانه كان على بريد الحرمين الحسن بن اسماعيل فيقول ان "الحسن بن اسماعيل قرابة العباس بن الحسن كان يتولى بريد الحرمين"(٤) . اما فى خراسان فقد اغفلت المصادر التى بين ايدينا ذكر ولاة البريد بها حتى اواخر ايام الخليفة هارون الرشيد ذلك ان الطبرى اورد فى احداث سنة ١٩١هـ/٨٠٦م ان الرشيد ولى حمويه الخادم بريدها حيث يقول "ولى الرشيد حمويه الخادم بريد خراسان"(٥) . وقد استمر حمويه متوليا هذا المنصب حتى سنة ١٩٣هـ/٨٠٨م فقد ورد ذكره فى خبر ارسال بيعة الامين فى السنة التى توفى الرشيد فيها بطوس وقد اشار ابن الاثير الى ذلك بقوله "فى هذه السنة بويع الامين بالخلافة فى عسكر الرشيد صبيحة الليلة التى توفى فيها وكان المأمون بمرو فكتب حمويه مولى المهدى صاحب البريد الى نائبه ببغداد وهو سلام ابو مسلم يعلمه بوفاة الرشيد"(٦) . ثم تولى البريد

(١) ابو الوليد محمد بن عبدالله الازرقى - اخبار مكة وماجاء فيها من الاثار (باعتناء رشدى صالح ملمس مطابع دار الثقافة ،مكة المكرمة ١٣٩٨هـ) (ص ١٧٧، ١٧٨، ٣٩٧) .

(٢) ن . م . س (١٠٥/٢، ١٢٠، ١٧٠) .

(٣) ابو على احمد بن عمر بن رستة - الاعلاق النفيسة (باعتناء دى غويه ليدن ١٨٩١م) (ص ٤٣) ،عبدالرحمن حميدة- اعلام الجغرافيين العرب (دار الفكر ،دمشق ١٤٠٠هـ) (ص ١٠٨) .

(٤) الطبرى - تاريخ (٤٠١/١١) .

(٥) الطبرى - تاريخ (٣٢٣/٨) .

(٦) ابن الاثير - الكامل (١٣٤/٥) .

بها عبدالرحمن بن مدرك فى فترة ولاية المأمون لها(١). ثمولى بريدها فى عهد الخليفة المأمون ابو سعيد كلثوم بن ثابت الذى ذكره الطبرى فى احداث سنة ٢٠٧هـ/٨٢٢م قال " ذكر كلثوم بنثابت بن ابى سعيد وكان يكنى ابا سعدة قال : كنت على بريد خراسانومجلسى يوم الجمعة فى اصل المنبر فلما كان سنة ٢٠٧هـ بعد ولاية طاهر بن الحسين بسنتين حضرت الجمعة فصعد طاهر المنبر فخطب فلما بلغ ذكر الخليفة امسك عن الدعاء له وقال اللهم اصلح امة محمد بما اصلحت به اولياءك واكفها مؤونة منبغى فيها وحشد عليها بلم الشعث وحقن الدماء واصلاح ذات البين"(٢) .

وقد اورد ابن مسكويه الخبر مختصرا فى تجاربه(٣) .

اما فى اقليم الجبال(٤) فقد اشارت المصادر الى بعض من تولى البريد هناك ولعل اول اشارة وردت عمن شغل هذا المنصب ترجع الى عهد الخليفة المهدى فقد ذكر الطبرى عند كلامه عن وفاة الخليفة محمد المهدى سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م بانه قد " توجه نصير الى امير المؤمنين الهادى بالخاتم والقضيب والتهنئة والتعزية فان البريد الى نصير فلاينكر خروجه احد اذ كان على بريد الناحية"(٥) . وقد وردت اشارات اخرى تفيد بان

(١) الطبرى - تاريخ (٣٩٤/٨) .

(٢) الطبرى - م.س (٥٩٤/٨ - ٥٩٥)، وقد نقله ابن الاثير - الكامل (٢٠٤/٥ - ٢٠٥) .

(٣) ابن مسكويه - تجارب الامم (٤٥٣/٦ - ٤٥٤).

(٤) اقليم الجبال اقليم واسع اشتمل على عدد من الكور وهى همذانوماسبذان ومهرجان قذق وقم وماه البصرةوماه الكوفة وقرماسين . انظر ابن الفقيه الهمذانى - مختصر كتاب البلدان (ص ٢٠٩)، الاصطخرى المسالك (ص ١٩٥) .

(٥) الطبرى - تاريخ الامم والملوك (١٣٨/٨)، عبدالملك الكردبوسى الاكتفاء لوحة (١٥٨ أ) .

عبيد الله بن عبدالله بن خرداذبه كان يتولى منصب والى البريد فى اقليم الجبال غير ان المصادر لم تحدد تاريخ ولايته(١) الا انمن المرجح انه قدشغل هذا المنصب فى خلال احدى الفترات بين خلافة المأمون (١٩٨ - ٢١٨ هـ ٨١٣ - ٨٣٧م) وخلافة المعتمد على الله (٢٥٦ - ٢٧٩هـ/٨٦٩- ٨٩٢م)،فقد وردت اشارة الى انه كان فى بغداد فى عهد الخليفة المأمون(٢) ،كما نقل عنه انه نادم الخليفة المعتمد فى مدينة سر من راى(٣) • وقد شغل هذا المنصب كذلك ابو على محمد بن عبدالله بنيحيى بن خاقان فى بعض مناطق المشرق،فقد اشار الصابى الى انه تقلد هذا المنصب فى الفترة التى تقلد فيها ابو القاسم عبيدالله بن سليمان الوزارة وذلك فى قوله " لما تقلد ابو القاسم عبيدالله بن سليمان ولى ابا على محمد بن عبدالله بن يحيى بن خاقان البريد بكورتى ماسبذان ومهرجان قذق وكان ابو القاسم عبدالله صحب ابا القاسم عبيدالله بنسليما ن عند حصوله بالجبل مع بدر المعتضدى فضمه الى ابى عبدالله محمد بن داود الجراح وابو عبدالله يتقلد ديوان الاشراف فرد اليه الانشاء فيه وولى ابو عبدالله محمد بن داود الجراح ديوان الجيش فنقله اليهواقا م ابو على على البريد وعبد الله ابنه فى ديوان الجيش الى انتغيرت الامور فى فتنة عبدالله ابن المعتز"(٤) • ومنالمعلوم ان عبيدالله بن سليمان قد تقلد الوزارة فيما بين

---

(١) اسماعيل البغدادى - هدية العارفين (٦٤٥/٥)،عبدالرحمن حميدة اعلام الجغرافيين (ص ٩٠)،خصباك - كتابات مضيئة (ص ٢١) ، احمد رمضان الرحلة والرحالة المسلمون (ص ٥٥)،كحالة - معجم المؤلفين(٢٣٦/٦)•

(٢) الشابشتى - الديارات (ص ٣٩) •

(٣) البغدادى - هدية العارفين (٦٤٥/٥) •

(٤) الصابى - الوزراء (ص ٢٨٤) •

سنتى (٢٧٧ – ٢٨٨هـ/٨٩٠ – ٩٠٠م)، (١) وقد استمر الخاقانى متقلدا هذا المنصب الوقت استتاره فى وزارة ابن الفرات الاولى فيما بين سنتى (٢٩٦ – ٢٩٩هـ/٩٠٨ – ٩١١م)، (٢) وقد اشار الى ذلك ابن مسكويه بقوله " ان الخاقانى كان يتقلد فى ايام عبيدالله بن سليمانومابعدها الى وقت استتاره فى وزارة ابن الفرات الاولى اعمال البريد والمظالم والخرائط بماسبذان" (٣) .

اما عن ولاة البريد فى الموصل خلال فترة البحث فقد اوردت المصادر بعض المعلومات عنهم فقد اشار ياقوت الى ان ابا تمام حبيب بن اوس الطائى قد عنى به الحسن بن وهب فولاه بريد الموصل فيما بين سنتى (٢٢٩ – ٢٣١هـ/٨٤٣ – ٨٤٥م) وذلك بقوله " قال ابن ابى تمام ولد ابى سنة ١٨٨هـ ومات سنة ٢٣١هـ بالموصل،وكان الحسن بن وهب قد عنى به حتى ولاه بريدها اقام بها اقل من سنتين ثم مات" (٤) . واشار ابن الاثير فى احداث سنة ٢٨٥هـ/٨٩٨م الى ان فاتك مولى المعتضد كان متقلدا البريد بها فقال ان فاتك قد "سار الى الموصل لينظر فى اعمالها واعمال الجزيرة والثغور الشامية واصلاحها مضافا الى ماكان يتقلده من البريد بها" (٥) .

وقد وردت اشارات الى متولى البريد بديار مضر فقد ذكر اليعقوبى ان محمد بن الاشعث الخزاعى كان يلى البريد بها ايام الخليفة المعتز

---

(١) زامباور – معجم الانساب (ص ٧)،د. السامرائى – المؤسسات (ص ١٨٧) .

(٢) زامباور – م.س (ص ٧)،د.السامرائى – م.س (ص ١٨٧) .

(٣) ابن مسكويه – تجارب الامم (٢٥/١).

(٤) ياقوت معجم البلدان (٩٤/٢ – ٩٥) .

(٥) ابن الاثير – الكامل (٩١/٦) .

(٢٥٢ – ٢٥٥هـ/٨٦٦ – ٨٦٨م) وذلك فى قوله " كتب محمد بن الاشعث الخزاعى صاحب البريد بديار مضر الى المعتز يذكر سوءمذهب صفوان وانه منطو على المعصية فوجه اليه المعتز بسيما الصعلوك ليحمله الى بابه .. ثم صار الى الرافقة وقد وثب صفوان العقيلى على محمد بن الاشعث الخزاعى فقتله "(١) .

اما مصر فقد قدمت المصادر معلومات عن ولاة البريد بها ولعل اول اشارة وردت عن ذلك ترجع الى عهد الخليفة ابى جعفر المنصور فقد ذكر الجهشيارى انه ولى طريفا مولاه بريد مصر والشام والجزيرة ثم عزله بمشورة من ابى ايوب الموريانى وولى مطر مولاه مكانه (٢)، هذا وقد اشارت المصادر كذلك الى ولاية واضح مولى صالح بن ابى جعفر المنصور البريد بها فى عهد الخليفة المهدى (٣) . وقد تولى بريدها بعد ذلك الشماخ اليمامى فى عهد الخليفة الرشيد (٤)،ثم ولى البريد بها فى عهد الخليفة المأمون زكريا بن سعد، اشار الى ذلك الكندى بقوله "انهارون بن عبدالله لما قدم جلس معه رجل فى مجلسه فقال ماحاجتك فقال ان صاحب البريد زكريا بن سعد امرنى بالجلوس معك" (٥) . ثم ولى البريد بها فى عهد

---

(١) اليعقوبى – التاريخ (٥٠١/٢) .

(٢) الجهشيارى – الوزراء والكتاب (ص ١٠٠ – ١٠١) .

(٣) الطبرى – تاريخ (١٩٨/٨ – ١٩٩)، المقدسى – احسن التقاسيم (ص ٢٤٤) ، ابن الفقيه الهمذانى – مختصر كتاب البلدان (ص ٨٤) .

(٤) الطبرى – م٠س (١٩٩/٨)، المقدسى – م٠س (ص ٢٤٤)، الهمذانى – م٠س (ص٨٤).

(٥) الكندى – كتاب الولاة وكتاب القضاة (ص ٤٤٤).

الخليفة المتوكل على الله يعقوب بن ابراهيم الباذغيسي . وقد اشار الى ذلك الطبرى بقوله " ذكر ان المتوكل ولى بريد مصر رجلا من خدمه يقال له يعقوب بن ابراهيم الباذغيسى مولى الهادى المعروف بقوصره وجعل اليه بريد مصر والاسكندرية وبرقه ونواحى المغرب" (١) .وقد اكد الكندى ذلك بقوله " قدم يعقوب بن ابراهيم الذى يقال له قوصره ،قدم فى ربيع الاول سنة خمس وثلاثين واليا على بريد مصر وامر بالنظر هو وحسين الخادم الذى يقال له عرق، وابن ابى الليث" (٢) . ثم خلفه على البريد بها فى عهد الخليفة المتوكل حسين الخادم الطواشى المعروف بعرق الموت (٣) وقد استمر حسين الخادم متوليا للبريد بها الى سنة ٢٥٣هـ/٨٦٧م (٤) . ثم ولى هذا المنصب فى عهد الخليفة المعتز ايضا شقير الخادم وقد اشار اليعقوبى الى ذلك بقوله " وتلاحى احمد بن طولون واحمد بن المدبر وافسد بينهما شقير الخادم المعروف بابى صحبه فكان شقير يتولى البريد وضياع من ضياع الاقطار ومايستعمل للسلطان من المتاع" (٥) . وقد اكد البلوى ذلك فقال " فحين دخل احمد بن طولون اهدى اليه ابن المدبر هدايا حسنة قيمتها عشرة الاف دينار وكان ابن المدبر خرج لتلقيه عند دخوله ومعه شقير الخادم وكان صاحب البريد بمصر يومئذ" (٦) . وقد استمر شقير متوليا للبريد

---

(١) الطبرى ـ تاريخ (١٠٣/٩ ـ ١٠٥) .

(٢) الكندى ـ م.س (ص ٤٦٢) .

(٣) الكندى ـ م.س (ص ٢٠٨ ، ٤٦٢) ، التنوخى ـ الفرج بعد الشدة (٧٧/٢) ، الخطيب البغدادى ـ تاريخ بغداد (٨٨/٧) ، ابن الجوزى ـ المنتظم (١٢٨/٦ ـ ١٢٩) .

(٤) الكندى ـ الولاة والقضاة (ص ٢٠٨) ، التنوخى ـ الفرج بعد الشدة (٧٧/٢ ـ ٧٨) .

(٥) اليعقوبى ـ تاريخ اليعقوبى (٥٠٣/٢) ، ابن الاثير ـ الكامل (٢٩٦/٥) .

(٦) البلوى ـ سيرة احمد بن طولون (ص ٤٣) .

حتى سنة ٢٥٧هـ/٨٧٠م حيث عزله فيها الخليفة المعتمد وولى مكانه احمد بن الحسين الاهوازى،ذكر ذلك اليعقوبى فقال " عزل شقير الخادم المعروف بابى صحبه عن البريد بمصر وولى مكانه احمد بن الحسين الاهوازى فقدم في شوال من هذه السنة" (١) . هذا وقد اشار ابن الداية الى انه قد اضطلع باعباء هذا المنصب عند دخول محمد بن سليمان الكاتب مصر واليا عليها من قبل الخليفة المكتفى بالله فى سنة ٢٩١هـ/٩٠٣م ابو عبيد احمد بن صالح (٢) . وقد اشار ابن تغرى بردى فى احداث سنة ٢٩٢هـ/٩٠٤م الى ان شفيع اللؤلؤى كان يضطلع باعباء هذا المنصب (٣) . وانه هو الذى تولى ديوان البريد ببغداد فيما بعد كما اشرنا سابقا .

وقد وردت اشارات الى ولاة البريد فى كل من واسط وبغداد والبصرة والدينور وقم والصميرة وغيرها من المدن . فقد اشار الهمذانى فى احداث سنة ٣١١هـ/٩٢١م الى متولى بريد واسط فقال " كتب ابن بطحاء صاحب الخبر بواسط الى ابن الفرات" (٤) . اما متولى بريد بغداد فقد اشار الطبرى اليه فى احداث سنة ٢٣٧هـ/٨٥١م فقال : "كتب صاحب البريد ببغداد،وكان يعرف بابن الكلبى، الى المتوكل بخبر العامة وماكان من اجتماعها وتمسحها بالجنازة ـ جنازة احمد بن نصر وبخشبة رأسه" (٥) . اما

---

(١) اليعقوبى ـ م.س (ص ٥٠٩) .

(٢) احمد بن يوسف الكاتب المعروف بابن الداية ـ كتاب المكافأة (ص ٥٢) وانظر الكندى ـ الولاة (ص ٢٤٧) .

(٣) ابن تغرى بردى ـ النجوم الزاهرة (١٤٨/٣)،حسن ابراهيم ـ تاريخ الاسلام (٢٧٧/٣) .

(٤) محمد بن عبدالملك الهمذانى ـ تكملة تاريخ الطبرى (ص ٢٣٥) .

(٥) الطبرى ـ تاريخ الامم والملوك (١٩٠/٩) .

عن متولى بريد البصرة فقد اشار صاحب كتاب العيون والحدائق الى ان حسان مولى محمد بن سليمان كان على بريدها زمن ابى جعفر المنصور وذلك بقوله " قالوا ووجه المنصور ابا خزيمة حازم بن خزيمة التميمى الى المغيرة ابن الفزع وهو بالاهواز فهزمه وهزم اصحابه وهرب المغيرة الى البصرة واستخفى بها وكان حسان مولى محمد بن سليمان على بريدها" (١) . ومن الملاحظ الملاحظ ان المصادر قد اشارت الى متولى هذا المنصب حتى القرن ٦ هـ (٢) اما فى الدينور فقد اشار الصابى الى انه قد تقلد منصب متولى البريد بها ابو نوح عيسى بن ابراهيم بن نوح الكاتب خليفة الحسن بن مخلد على الوزارة قلده اياه اسماعيل بن بلبل لما تولى الوزارة فيما بين سنتى ٢٦٥ – ٢٧٧هـ/٨٧٨ – ٨٩٠م (٣) .

اما فى الصميرة (٤) فقد اشار ياقوت الى ان ابن بسام على بن محمد العبرتائى قد ولى هذا المنصب فى عهد الخليفة المعتضد بالله فى ايام وزارة القاسم بن عبيد الله، وقال " فاحضره القاسم بعد ثالثه وخلع عليه

---

(١) مؤلف مجهول – العيون والحدائق (٢٥٥/٣) .

(٢) اشار ياقوت الى ان القاسم بن على بن محمد بن عثمان بن الحريرى كان قد شغل منصب صاحب البريد بها حتى وفاته سنة ٥١٦هـ/١١٣٢م ، واستطرد بان اولاده قد استمروا عليه حتى آخر عهد الخليفة المتقى سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م وذلك فى قوله " القاسم بن على بن محمد بن عثمان الحريرى توفى فى رجب سنة ست عشر وخمسمائة قال العماد لم يزل ابن الحريرى صاحب الخبر بالبصر) فى ديوان الخلافة ووجدت هذا المنصب لاولاده الى آخر العهد المقتفوى " . معجم الادباء (٢٦٢/١٦) .

(٣) الصابى – الوزراء (ص٢٤٨)، رسوم دار الخلافة (ص ٥١ – ٥٢) .

(٤) الصميرة قصبة مهرجان قذق، ذكرها ابن خرداذبه فى سكك البريد واشار الى ان بينها وبين السيروان اربع سكك . انظر ابن خرداذبه – المسالك (ص ٤١)، قدامة – الخراج المنزلة السادسة (ورقة ٢٤٤) .

وولاه بريد الصميرة وماوالاها فبقى فى عمله الى آخر ايام المعتضد" (١) .

اما فى جرجان فقد شغل هذا المنصب مسلم بن الوليد المعروف بصريع الغوانى فى ايام الخليفة المأمون (٢) ذكر التنوخى ذلك فقال "كان مسلم بن الوليد والفضل بن سهل (٣) متجاورين فى قنطرة البردان وكانا صديقين قال مسلم فاعسرت اعسارا شديدا ولحقتنى محنةوولى الفضل بن سهل الوزارة فى مرو فتحملت اليه على مشقة فلما رآنى رحب بى .. وامر لى بثلاثين الف درهم وولانى عمل اخترته . وذكر ان الفضل ولى مسلما بريد جرجان" (٤) .

وشغله ايضا المعروف بابى غانم القصرى فى ايام عضد الدولة بن بويه (٣٦٧ - ٣٧٢هـ/٩٧٧ - ٩٨٢م) وقد ذكر ياقوت ذلك عرضا فى ثنايا ترجمته لابى الفرج على بن حسين الكاتب المعروف بابن هندو فقد نقل عنه قوله " حضرت معه فى مجلس ابى غانم القصرى الناظر كان فى الدواوين بجرجان على البريد" (٥) .

اما فى جند قنسرين فقد شغله على بن بسام ، اشار المسعودى الى ذلك بقوله "فولاه القاسم البريد والجسر بجندقنسرين والعواصم من ارض الشام " (٦)

اما فى بخارى فقد شغله ابو محمد عبدالرازق بن حسن الشاعر المعروف بابن ابى الشياب " (٧) ، اما فى دمشق وحمص فقد شغله شيخ الكاتب ابو جعفر محمد بن عبدالله بن محمد بن مودود المعروف بابن عبدكان (٨) .

ومن الجدير بالذكر انه قد ترد احيانا اشارات الى " ولاة البريد" فى بعض المناطق الاخرى من الدولة الاسلامية دون ان تصفح المصادر عن اسمائهم وعلى سبيل المثال ماذكر عن عامل البريد فى حضرموت الذى ذكر الطبرى انه كتب الى الخليفة المنصور يخبره بان واليه على حضرموت قد

---

(١) ياقوت - معجم الادباء (١٤٥/١٤) .

(٢) مسلم بن الوليد الانصارى شاعر كوفى سكن بغداد فى شعره رقة ،لقبه الرشيد بصريع الغوانى لشعر قاله .انظر السهمى - تاريخ جرجان (ص ٣٦٣) ، التنوخى - الفرج (٨٧/٣) ، الزركلى - الاعلام (٢٢٣/٧) .

(٣) الفضل بن سهل السرخسى وزير المأمون قبل انتقاله الى بغداد ،قتله بعض الغلمان وهو فى الحمام .انظر الزركلى - م.س (١٤٩/٥) .

(٤) التنوخى - الفرج بعد الشدة (٨٧/٣ - ٨٨) .

(٥) ياقوت - م.س (١٣٨/١٣) .

(٦) المسعودى - مروج الذهب (٣٠٤/٤) .

(٧) التنوخى - م.س (٣٠٣/١) .

(٨) الصفدى - الوافى بالوفيات (٣١٥/٣) ، الزركلى - الاعلام (٢٢٣/٦) .

تشاغل عن امر الرعية بالصيد بقوله " ان المنصور ولى رجلا من العرب حضرموت فكتب اليه والى البريد انه يكثر الخروج فى طلب الصيد ببزاة وكلاب قد اعدها فعزله " (١) .

وفى الكوفة اشار الطبرى ايضا الى متولى البريد بها دون ان يعرف به ،وذلك فى قوله " كتب صاحب البريد من الكوفة يذكر ان ريحا صفراء بنواحى الكوفة ..." (٢) .

وفى الاهواز اشارت المصادر الى وجود متولى للبريد بها فقد ذكر الطبرى فى احداث سنة ٢٨٦هـ/٨٩٩م والى البريد بها دون ان يفصح عن اسمه فقال " ورد كتاب صاحب البريد بالاهواز يذكر فيه ان اصحاب طاهر بن محمد بن عمر بن الليث صاروا الى سنبيل يريدون الاهواز (٣) . وذلك امر متوقع فى سائر الامصار فى الدولة الاسلامية غير ان المصادر وان لم تفصح عن اسماء ولاة البريد،فانها اشارت الى ذلك وقد اوردنا بعضها على سبيل المثال لا الحصر،وذلك يؤكد بان ولاة البريد كانوا موزعين على الولايات لكل ولاية عامل بريد (٤) .

(ج) هذا ومن الوظائف الرئيسية التى اشتملها البريد ايضا وظيفة " اصحاب الاخبار" وهم الذين يعهد اليهم بجمع كل ماتقع عليه اعينهم او يصل الى مسامعهم من الاخبار التى لها صلة بعدالة العمال والقضاة واستقامتهم واوضاع الامن والاقتصاد والسياسة وغيرها ورفعها الى

---

(١) الطبرى – تاريخ (٢٩٧/٩)، احمد زكى صفوت – جمهرة رسائل العرب (١٢٥/٣)،ضيف الله الزهرانى – موارد (ص ٢٩٤)،دور البريد فى الحياة الاقتصادية (ص ٩٥) .

(٢) الطبرى – م.س (٢٦٦/٩– ٢٦٧)، (٦٧/١٠) .

(٣) ن.م.س (٨٣/١٠) .

(٤) د.السامرائى – المؤسسات (ص ٢٧٣) .

عمال البريد فى مناطقهم بعد التثبت منها باسرع السبل واعجلها سواء كان ذلك فى العاصمة (١) او فى الولايات (٢) . وقد اشار ابن طيفور الى ذلك بقوله " ذكر ابراهيم بن السندى قال وجدنا رقاعا فى طرقات بغداد فيها شتم للسلطان وكلام قبيح فكرهت رفعها على جهرتها لما فيها وكرهت ان اطوى ذكرها وانا صاحب خبر فينقلها من جهة اخرى فيلحقنى ما اكره فكتبت انا اصبنا يا امير المؤمنين رقاعا فيها كلام السفهاء والسفلة وفيها تهديد ووعيد وبعضها عندنا محفوظة الى ان يأمر امير المؤمنين فيها بامره فكتب الى بخطه : هذا امر ان اكبرناه كثر غمنا به واتسع علينا خرقه فمر اصحاب اخبارك متى وجدوا من هذه الرقاع رقعة ان يمزقوها" (٣) وذكر القرطبى فى احداث سنة ٣٠٠هـ/٩١٠م بانه قد " ورد كتاب صاحب البريد بالدينور يذكر ان بغله وضعت فلوه ونسخة كتابه " بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الموقظ بعبره قلوب الغافلين والمرشد بآياته الباب العارفين الخالق مايشاء بلا مثال ذلك الله البارئ المصور فى الارحام مايشاء،وان الموكل بخبر التطواف بقرماسين رفع يذكر ان بغله لرجل يعرف بابى برده من اصحاب احمد بن على المرى وضعت فلوه ويصف اجتماع الناس لذلك وتعجبهم لما عاينوا منه" (٤) . ومن هذا نجد ان اصحاب الاخبار كانوا يقومون بالتعاون مع عامل البريد فى منطقة ما بجمع

---

(١) ابو الفضل احمد بن طاهر المعروف بابن طيفور ـ بغداد فى تاريخ الخلافة العباسية (مكتبة المثنى ـ ١٣٨٨هـ) (ص ٣٧)، التنوخى الفرج بعد الشدة (٣٥٣/٣) .

(٢) د. السامرائى ـ م.س (ص ٢٧٤) .

(٣) ابن طيفور ـ م.س (ص ٣٧) .

(٤) القرطبى ـ صلة تاريخ الطبرى (ص ٢١)،د. السامرائى ـ م.س (ص ٢٧٠).

المعلومات والاخبار، وانهم كانوا موزعين فى العاصمة والولايات (١)، ومن الجدير بالذكر ان مكانة اصحاب الاخبار تختلف باختلاف طبيعة اعمالهم (٢) فقد عهد الى بعضهم مراقبة الوزراء او القضاة او النواب او العمال او الولاة كما كلف بعضهم بحضور مجالس الناس وولائمهم او مجالس الوعاظ او غيرها على ان يقدم كل منهم تقريره عما كلف بمراقبته وماسمعه وشاهده ،وقد اشار الى ذلك الحسن بن عبدالله فى قوله :" وقد رتب بعض الخلفاء ذلك ظاهرا فقرر مع الوزير صاحب خبر من الثقات ينهى مايجرى فى مجلسه فلايحسن الوزير لاحدولايجتمع به احد من الناس الابحضور ذلك الشخص،وكذلك رتب مع القاضى والنائب وجميع الولاة والعمال" (٣) . وينبغى ان يحضر اصحاب الاخبار كما ذكرنا آنفا مجالس الناس وولائمهم ومجالس الحكم والاسواق فانه يجرى فى هذه الاماكن ماينبغى الاطلاع عليه وابلاغه للسلطان (٤) . اضف الى ذلك فان اصحاب الاخبار يكشفون عن احوال العامة واراجيفهم ومايشتهر فى كل وقت من اشاعاتهم واقوالهم (٥) . هذا اما عن درجاتهم الوظيفية فقد كانت تتراوح بحسب اعمالهم وتتدرج من الشخص الذى يعهد اليه باستقصاء الاخبار من افواه المجتازين فى الطرقات وابناء السبيل والاطفال الى متولى البريد والخبر الذى ينصبه الخليفة (٦)

---

(١) د.السامرائى ـ م.س (ص ٢٧٤) .

(٢) التنوخى ـ الفرج بعد الشدة (٣٥٣/٣) .

(٣) الحسن بن عبدالله ـ اثار الاول (ص ٨٥) .

(٤) ن.م.س.

(٥) ن.م.س.

(٦) ابن طيفور ـ تاريخ بغداد (ص ٣٦) ـ البيهقى ـ المحاسن والمساوئ (ص ١٦٦)، التنوخى ـ الفرج بعد الشدة (٣٥٣/٣) .

الذى قد يعرف ب " صاحب الخبر" كما حدث فى عهد الخليفة المأمون (١) . هذا اما بالنسبة لعلاقاتهم الوظيفية فان القاعدة العامة بالنسبة للولايات هى انهم كانوا يخضعون لولاة البريد فى الاقاليم (٢) . اما بالنسبة للعاصمة فان القاعدة العامة كذلك ان تبعيتهم كانت الى متولى الديوان وقد اشار قدامة الى ذلك فقال عن صاحب الديوان بانه كان " يتولى عرض كتب اصحاب البريد والاخبار فى جميع النواحى على الخليفة" (٣)، وقد يحصل فى هذه القاعدة بعض الاستثناءات بحسب شخصية الخليفة القائم بالامر ورأيه ففى عهد الخليفة ابى جعفر المنصور (٤) كانت تبعيتهم للخليفة شخصيا بشكل مباشر، اما فى عصر المأمون فقد استحدث منصب صاحب الخبر وخصص لاتصال اصحاب الاخبار به وبذلك فانه قد (٥) ميز عن متولى الديوان . وفى عهد كل من الخلفاء المكتفى والمقتدر اصبحت تبعية اصحاب الاخبار للوزير (٦)، ومما يذكر انه ليس لصاحب الخبر ان يناقش احدا او يعترض على احد او يبدى رأيا فى تصرف معين، بل ان كل مايلزمه هو انهاء الاخبار على حقها وصدقها (٧) . لذا فانه لابد من توافر صفات معينة تراعى فيمن

---

(١) ابن طيفور – م.س (ص٣٦)، البيهقى – المحاسن (ص ١٦٦) .

(٢) قدامة – الخراج (ص ٢٠٤)، د. السامرائى – المؤسسات (ص ٢٧٤) .

(٣) قدامة – م.س (ص ٢٤٧)، د. السامرائى – م.س (ص ٢٧٣ – ٢٧٤) .

(٤) البيهقى – المحاسن (ص ١٤٤)، مؤلف مجهول – العيون والحدائق (٢٣٤/٣، ٢٥٥) .

(٥) ابن طيفور – م.س (ص ٣٥)، البيهقى – م.س (ص ١٦٦) .

(٦) الصابى – الوزراء (ص ٣٠، ١١٧، ١٣٨، ١٦٤، ٢٤٢)، د. الشيبى – اصحاب الاخبار (ص ٦٥ – ٦٦) .

(٧) ابن طيفور – م.س (ص ٣٧)، التنوخى – م.س (٣٥٣/٣)، الحسن بن عبدالله اثار الاول (ص ٨٣) .

يعملون فى هذا المجال ،اذ ينبغى " ان يكونوا امناء عقلاء ونصحاء ويكون فيهم حسن وتأن ولطف توصل وتحيل وفكرة صالحة" (١) . كما كان ينبغى عليهم كتمان الاسرار وكف اللسان عن الفضول وستر العورات (٢) . كما ينبغى ان تجرى عليهم النفقات ويوسع لهم فى الاعطيات . وان تزاح عللهم فيما يحتاجون اليه من اتباع واعوان ومراكب وطيور ورواتب وغير ذلك . كل ذلك ضمانا للضبط فى العمل اذ لابد ان يكونوا فى نقلهم للاخبار محققين وصادقين فان الكذب فى هذا والعمل به يؤدى الىخلل عظيم لايستدرك فارطه ،لهذا يجب الاحتياط فى ذلك وان توقع العقوبة الشديدة علىمن تجرأ الكذب فى خبره (٣) .

هذا ومن الجدير بالذكر ان العناية بالاخبار ونقلها كانت تراعى منذ فترة مبكرة فى الدولة الاسلامية فقد اشارت المصادر الى ان الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان علمه بمن نأى من عماله ورعيته كعلمه بمن بات معه فى مهاد واحد ،فلم يكن له فى قطر من الاقطا رولاناحية من النواحى امير ولاعامل الا وله عليه عين لايفارقه فكانت اخبار النواحى كلها عنده كل صباح ومساء حتى ان العامل كان يتوهم على اقرب الخلق اليهواخصهم به ،فساس الرعية بذلك سياسة محكمة فى الفحص عنها وعن اسرارها (٤) . ثم اقتفى معاوية رضى الله عنه فعله فانتظم له الامر (٥) . وكذا كان زياد بن ابيه يحتذى فى ولايته على العراق بفعل امير المؤمنين معاوية بن ابى سفيان رضى الله عنه فى التعرف على امور رعيته . وقد

---

(١) الحسن بن عبدالله ــ م٠س (ص ٨٦) .

(٢) عبدالرؤوف المناوى ــ الجواهر المضيئة لوحة (٥٠ أ) .

(٣) الحسن بن عبدالله ــ م٠س (ص ٨٦) .

(٤) الجاحظ ــ كتاب التاج (ص ١٦٨)، البيهقى ــ المحاسن (ص ١٤٣ ــ ١٤٤) ، التنوخى ــ الفرج (٣٥٣/٣) .

(٥) الجاحظ ــ م٠س (ص ١٦٨)، البيهقى ــ م٠س (ص ١٤٤)، التنوخى ــ الفرج (٣٥٣/٣) .

اشار الجاحظ والبيهقى الى انرجلا كلم زياد فى حاجة له فتعرف اليه وهو يظن انه لايعرفه فقال اصلح الله الامير انا فلان بن فلان فتبسم زياد وقال : اتتعرف الى وانا اعرف منك بنفسك والله انى لاعرفك واعرف اباك وامك وجدك وجدتك واعرف هذا البرد الذى عليك وهو لفلان فبهت الرجل" (١) . ان هذه الرواية تشير الى احتمال وجود من ينقل الاخبار الى زياد بن ابيه . وتشير المصادر الى ان الخليفة عبدالملك بن مروان واميره على العراقين والمشرق الحجاج بن يوسف الثقفى كانا يسلكان مسلكا مشابها لما تقدم ذكره فى الاهتمام باخبار الرعية ومتابعته غير ان المسئولين عن الادارة الاموية قد اقلعوا عن ذلك فى ماتبقى منفترة حكمهم،وان الاهتمام بالاخبار لميستأنف حتى عصر ابى جعفر المنصور (٢) . هذا ماعناه الطبرى ونقله ابن الاثير من ان " المنصور ظفر برجل من كبراء بنى امية فقال انى اسألك اشياء فاصدقنى ولك الامان قال نعم قال من اين اتى بنو امية حتى انتشر امرهم قال من تضييع الاخبار" (٣) . ومما تجب الاشارة اليه ان الخليفة ابا جعفر المنصور اولى اصحاب الاخبار جل عنايته (٤) فاستعان بمواليه (٥) من الرجال والنساء على حد سواء (٦) . وجعلهم

---

(١) الجاحظ – التاج (ص ١٦٩)، البيهقى – المحاسن (ص ١٤٤) .

(٢) الجاحظ – م٠س (ص ١٦٩)، البيهقى – م٠س (ص ١٤٤) .

(٣) الطبرى – تاريخ (٨٠/٨)، ابن الاثير – الكامل (٤٩/٥) .

(٤) الجاحظ – م٠س (ص ١٦٩)، البيهقى – م٠س (ص ١٤٤) .

(٥) الطبرى – م٠س (٨٠/٨)، ابن الاثير – م٠س (٤٩/٥) .

(٦) البيهقى – م٠س (ص ١٤٨) .

يظهرون بمظاهر متباينة ويتخذون حرفا شتى[1] يتسترون بذلك على حقيقة هدفهم . ومما يذكر ان المنصور قد استخدم فى هذا المجال عددا كبيرا من الاشخاص جعلهم يحترفون حرفا متباينة ويرتبطون سرا بديوان البريد. وذلك مايوضح ماعنته المصادر التى تحدثت عن الاخبار التى كانت تصل الى المنصور مرتين فى اليوم[2] .

ومن المرجح ان يكون الخليفة المنصور قد استخدم اشخاصا آخرين لم يكن لهم ارتباط مباشر بالديوان انما كان ارتباطهم به مباشرة فكانت مهمتهم تقصى الاخبار وانهائها اليه . فقد ذكر مؤلف كتاب العيون والحدائق ان " المنصور كان يدس قوما يتجرون فى البلدان ويتعرفون الاخبار"[3] ، كما ذكر فى اخبار ثورة محمد النفس الزكية ان "المنصور بعث قبل قدومه المدينة عقبة بن سلم الى المدينة ليعلم علم محمد فقدمها متنكرا فجعل يبيع العطر ويدس غلمانا يبيعون العطر ويسألون عن الاخبار وكان يبذل ويعطى فى طلبه ويكتب بالاخبار"[4] . وذكر البيهقى ان المنصور بعث ابا بديل حبيب الى جهور بن المرار العجلى[5] عندما هم بخلع المنصور وتواردت عليه الاخبار بذلك وقال له "انه يهجس فى نفسى ان جهور بن المرار على خلعى وليس لى غيرك لما اعرف بينكما فاظهر اذا صرت

---

(١) ن . م . س (ص ١٤٨)، مؤلف مجهول ـ العيون والحدائق (٢٣٤/٣) .

(٢) الطبرى ـ م.س (٣١٤/٩) .

(٣) مؤلف مجهول ـ العيون والحدائق (٢٣٤/٣) .

(٤) مؤلف مجهول ـ العيون والحدائق (٢٣٤/٣) .

(٥) جهور بن مرار العجلى احد القادة فى عهد الخليفة المنصور وجهه المنصور سنة ١٣٧هـ لحرب سنباذ ثم ولاه الرى وظل عليها حتى خرج على المنصور سنة ١٣٩هـ . انظر الطبرى ـ تاريخ (١٦٩/٩ ـ ١٧٠) ، ابن الاثير ـ الكامل (٣٥٨/٤) .

اليه الوقيعة فى والتنقص لى حتى تعرف ماعنده ،فاذا رأيته يهم بخلعى فاكتب الى ولاتكتبن على بريد ولامع رسول ولايفوتنى خبرك فى كل يوم فقد نصبت لك فلانا القطان فى دار القطن فهو يوصل كتبك"(١) . ومن هذا نجد ان القطان المشار اليه كان من بين الاشخاص الذين اوكل اليهم مهمة تقصى الاخبار وانهائها الى المنصور دون ان يكون لهم ارتباط مباشر بالبريد، كما ان هذه الرواية تكشف عن ان اصحاب البريد فى الرى ربما كانوا خاضعين لمراقبة اعوان جهور وربما يكونون من المشكوك فى ولائهم للخليفة او انهم متهمون بالتعاون مع الوالى . لذا نجد ان المنصور قد اوكل الى ذلك القطان مهمة ايصال الكتب التى لايريد انيكشف امرها حتى لاينحل تدبيره . كما انه جعلهبمثابة صاحب الخبر الذى يقوم بمراقبة جهور . ومن المحتمل انه كان له دور فى الكشف عن نوايا جهور من البداية وانه قد اوصل الى الخليفة المنصور ماتوصل اليه . كما ان النص يعكس بصورة غير مباشرة احتمال عجز صاحب البريد عن موافاة المنصور بمعلومات دقيقة ومفصلة عن جهور . ولعل فى ذلك مايشير الى احتمال تواطؤ صاحب البريد مع جهور غير ان عدم وجود مايشير الى معاقبة او ملاحقة احد من اصحاب البريد فى المصادر يقلل من هذا الاحتمال والراجح ان كتب البريد كانت تخضع للتفتيش من قبل جهور واعوانه . اضف الى ذلك،فقد ذكر البيهقى نقلا عن " صاحب عذاب " دار الخلافة بان المنصور قد استخدم الحجامات والبقالين وغيرهم من السوقة فى تحرى وتقصى الاخبار،فقد نقل عنه قوله " دعانى ابو جعفر المنصور ذات يوم واذا بين يديه جارية صفراء وقد دعا لها بانواع العذاب وهو يقول ويلك اصدقينى

---

(١) البيهقى ـ المحاسن (ص ١٤٧) .

فوالله ما اريد الا الالفة ولئن صدقتنى لاصلن الرحم ولاتابعن البر اليه واذا هو يسألها عن محمد بن عبدالله وهى تقول ما اعرف مكانه .. واعاد المسألة فابت الا الجحود فقال لها اتعرفين فلانة الحجامة فاسود وجهها وتغيرت فقالت نعم يا امير المؤمنين تلك فى بنى سليم . قال : صدقت هى والله امتى ابعتها بمالى،ورزقى يجرى عليها فى كل شهر وكسوة شتائها وصيفها . امرتها ان تدخل منازلكم وتحجمكم وتتعرف اخباركم . ثم قال او تعرفين فلانا البقال قالت نعم هو فى بنى فلان قال هو والله مضاربى بخمسة دنانير . امرته ان يبتاع بها كل مايحتاج اليه من البيوع فاخبرنى ان امة لكم يوم كذا وكذا من شهر كذا صلاة المغرب جاءت تسأله حناء وورقا فقال لها ماتصنعين بهذا فقالت كان محمد بن عبدالله فى بعض ضياعه بناحية البقيع وهو يدخل الليلة فاردنا هذا لتتخذ منه النساء مايحتجن اليه عند دخول ازواجهن من المغيب فاسقط فى يدها واذعنت بكل ما اراد" (١) . ومن هذا نجد ان الخليفة المنصور قد استخدم اسلوبا جديدا فى الكشف عن الاخبار يتمثل فى استخدام النساء اذ لم تشر المصادر الى استخدامهن من قبل . وقد سار الخليفة المهدى على اسلوب والده فى الاستعانة بالنساء لتقصى الاخبار فقد دس الى الوزير ابى عبيد يعقوب بن داود جارية جميلة كانت صاحبة خبر للخليفة عليه فوشت به لميله الى العلويين (٢) .

ومن الجدير بالذكر انه قد نشط دور اصحاب الاخبار فى عهد الخليفة

---

(١) البيهقى - المحاسن (ص ١٤٨) .

(٢) الطبرى - تاريخ (٣/١٠)، مؤلف مجهول - العيون والحدائق (٢٧٧/٣) ، الشيبى - اصحاب الاخبار (ص ٦٢) .

موسى الهادى بعد ان كان قد هدأ نسبيا فى عهد الخليفة المهدى (١) . وقد نشط دورهم بشكل خاص خلال تمهيد الخليفة الهادى لعملية خلع الرشيد عن ولاية العهد . فقد اشار البيهقى الى ان يحيى البرمكى رد رجلا اتاه يطلب معروفا من اجل رؤيا رآها له وكان الرشيد فى حجره وولاية العهد له . ثم اعتذر له بعد وفاة الهادى واعتلاء الرشيد الخلافة قائلا : "ويحك انك اتيتنا ونحن فى حال كنا نتخوف الجدر ان يكون فيها من يسعى بنا والاخوان ان يسعوا بنا ويحتالوا علينا" (٢) . والراجح ان نشاط اصحاب الاخبار فى عهد الهادى قد تطلبته اوضاع الدولة فى تلك المرحلة خاصة اذ ماتذكرنا موضوع تعصبه ضد الزنادقة وايقاعه بهم ،الا ان هذا لايمنع من وضعه عددا من اصحاب الاخبار لمراقبة كل من يحيى البرمكى وهارون الرشيد وذلك مايستفاد من نص الجهشيارى والبيهقى،وفى عهد الخليفة هارون الرشيد استمر نشاط اصحاب الاخبار وتعمق ،فقد ذكر البيهقى ان " الرشيد كان اشد الملوك بحثا عن اسرار رعيته واكثرهم بها عناية واحزمهم فيها امرا" (٣) . ومما يذكر ان الرشيد كان قد وجه اصحاب الاخبار الى تقصى اخبار المعارضة رغبة منه فى ملاحقة خصومه السياسيين وذلك قد حصل مع احمد بن يزيد العلوى الذى كان يكاتب الشيعة ويدعوهم الى نفسه (٤) فاذكى الرشيد عليه العيون وجعل لمن جاء به الاموال (٥) . وقد

---

(١) الجاحظ ـ التاج (ص ١٦٩) ، البيهقى ـ المحاسن (ص ١٤٤) .

(٢) الجهشيارى ـ الوزراء (ص ١٧١) ، البيهقى ـ م.س (ص ١٩٧) ، الشيبى اصحاب الاخبار (ص ٦٢) .

(٣) البيهقى ـ م .س (ص ١٤٤) .

(٤) اليعقوبى ـ تاريخ (٤٢٣/٢) ، الاصفهانى ـ مقاتل الطالبين (ص ٦٢٥) .

(٥) اليعقوبى ـ التاريخ (٤٢٣/٢) ، الشيبى ـ اصحاب الاخبار (ص ٦٣) .

يستخدم اصحاب الاخبار لغرض نشر بعض الدعايات أو لغرض العمل على انهاء الاراجيف والاشاعات وهذا ماعناه السيوطي في قوله :" اخرج الصولي عن اسحاق الهاشمي قال كنا عند الرشيد فقال بلغني ان العامة يظنون في بغض علي بن ابي طالب والله ما احب احدا حبي له" (١) . ومما يذكر ان الرشيد قد وجه اصحاب الاخبار كذلك الى معرفة احوال المعتقلين السياسيين في السجون واخبارهم ومايدور بينهم فقد ذكر الجهشياري انه " لما حبس يحيى بن خالد مع الفضل ولده وضيق عليهما ومنعا من الناس ومنع الناس منهما كتب الموكل بهما في بعض الاوقات اني سمعتهما يضحكان ضحكا مفرطا" (٢) . اما بالنسبة للخليفة المأمون فقد اثر عنه انه كان يحب معرفة اخبار الناس ويتقصاها (٣) وقد ذكر البيهقي انه لم يكن احد من ذوي السلطان اشد فحصا وبحثا عن امور الناس منه حتى بلغ المبلغ الذي اورده في رسالته الى اسحاق بن ابراهيم والتي ذكر فيها نحلة الفقهاء واصحاب الحديث والامور التي خفيت او اكثرها على القريب والبعيد (٤)، ومما يذكر انه قد اولى هذا الامر كبير اهتمامه وتوسع في استخدام اصحاب الاخبار (٥) فكان له على كل شيء صاحب خبر (٦)، كما انه احدث منصبا جديدا وهو " متولي اصحاب الاخبار" ولم يكن هذا المنصب قائما من قبل . وقد جعل ارتباطه مباشرا به دون ان يكون لمتولي البريد

---

(١) السيوطي - تاريخ الخلفاء (ص ٤٦٦)، الشيبي - م. س (ص ٦٣) .

(٢) الجهشياري - الوزراء (ص ٢٤٧)، الشيبي - م.س (ص ٦٣) .

(٣) ابن دحيه - النبراس (ص ٤٨) .

(٤) البيهقي - المحاسن (ص ١٤٤) .

(٥) الجاحظ - التاج (ص ١٦٩ - ١٧٠)، البيهقي - م.س (ص ١٤٤) .

(٦) ابن خلكان - وفيات الاعيان (٦/١٧٩)، التنوخي - الفرج بعد الشدة (٣/٣٥٣) .

سلطة عليه ،فقد ذكر ابن طيفور ان المأمون بعث الى ابراهيم السندى فقال يا ابراهيم انى اريدك لامر جليل والله ماشاورت فيك احدا ولااشار بك على احد فاتق الله ولاتفضحنى . قال : قلت يا امير المؤمنين والله لو كنت شر من ذراه الله لقدح فى هذا الكلام من مولاى فكيف ونيتى فى طاعته نية العبد الذليل لمولاه ،فقال قد رأيت توليتك خبر ماوراء بابى الى مصر فانظر ان تعمل بمايجبللهعليك ولاتراقب احدا غيره قلت فانى استعين بالله على مرضاته واستوفقه لطاعة مولاى ثم نهضت فبثثت اصحاب الاخبار فى ارباع بغداد" (١) . ومما يؤكد اهتمام المأمون باصحاب الاخبار ماذكرته المصادر من انه كان يتعهدهم ويرشدهم الى التصرف الذى يليق بهم ويشرح لهم واجباتهم وكيف تؤدى (٢) . فقد ذكر ابن طيفور انه رفع الى ابراهيم السندى بان " صاحب الحرس اخذ امرأة مع رجل نصرانى من تجار الكرخ فهجم عليهما فافتدى النصرانى نفسه بالف دينار قال فرفعت الخبر الى المأمون فدعا المأمون بعبد الله بن طاهر وهو ببغداد فقال انظر فى هذا الخبر الذى رفعه ابراهيم بن السندى فقرأه فقال يا امير المؤمنين رفع اليك الباطل والزور وجعل يغريه بى ويحمله على وكان المأمون لين المكسر قال فاثر ذلك فى قلبه ،فبعث الى فقال يا ابراهيم ترفع الى الكذب وتحملنى على عمالى قال فكتبت رقعة ووجهتها الى فتح غلامه ليوصلها اليه وقلت يا امير المؤمنين متى وقف صاحب الخبر على ماوقفت عليه ولو كانت الاخبار لاتصح الا بشاهدى عدل ماصح خبر ولاكتبت به ولكن مجىء الاخبار ان لم يحضرها اقوام على غير تواطؤ ولاتشاعر من كانوا ومن حيث كانوا وانما يحضر الاخبار الطفل

---

(١) ابن طيفور ـ تاريخ بغداد (ص ٣٥)، البيهقى ـ المحاسن (ص ١٦٦) ، الشيبى ـ اصحاب الاخبار (ص ٦٣) .

(٢) الشيبى ـ م.س (ص ٦٣) .

والمرأة والمحتال والذ مروابن السبيل فان كان احب الامرين الى امير المؤمنين الانكتب بخبر ولانرفعه حتى يصحبالعدول ويصح بالبراهين فعلت وعلى ان لايتهيأ ذلك فى سنه الا مرة او مرتين قال فلما قرأ المأمون الرقعة جاءنى رسوله مع طلوع الفجر فقال اجب فاتيته ... قال هذه رقعتك فى ثنى وسادتى قد قرأتها الليلة اربع مرات وقد صدقت فيما قلت الا انى آمر وادارى عمالى وعمالهم مداراة الخائف والله ما اجد على حملهم على المحجة البيضاء سبيلا فاعمل لى على حسب ماترانى اعمل ولن لهم تسلم لك ايامك وبعض دينك وفى حفظ الله اذا شئت قال فانصرفت ودعوت اصحاب الاخبار فقلت داروا هؤلاء القوم وارفقوا بهم" (١) . كما ان خبر الرقاع التى وجدها اصحاب الاخبار فى الطرقات والتى اشرنا اليها آنفا تؤكد بوضوح توجيهات المأمون لاصحاب الاخبار (٢) . هذا وقد اشارت المصادر الى ان المأمون هو الآخر،لم يكتف باستخدام الرجال فى الاخبار بل انه توسع فى استخدام عدد كبير من النساء وذلك لتفقد احوال الناس ومعرفة من يحبه ومن يبغضه ومن يفسد حرم المسلمين (٣) . وقد ذكر ابن دحيه ولعله كان مبالغا ـ بان المأمون قد " جعل برسم الاخبار ببغداد الف عجوز وسبعمائة عجوز فما كان يخفى عليه شيئا من امور المسلمين ظاهرا او باطنا وكان لاينام حتى يقف على جميعها" (٤) . ومما

---

(١) ابن طيفور ـ تاريخ بغداد (ص ٣٥ ـ ٣٦) .

(٢) ابن طيفور ـ تاريخ بغداد (ص ٣٧)، الشيبى ـ م.س (ص ٦٣) .

(٣) البسنوى ـ محاضرة الاوائل (ص ٨٤)، الشيبى ـ م.س (ص ٦٣) .

(٤) ابن دحيه ـ النبراس (ص ٤٨) . ومن الملاحظ ان فى هذا النص مبالغة غريبة ذلك ان الف وسبعمائة عجوز تنقل كل منهن خبرا واحدا تحتاج الى دقيقة واحدة فان الخليفة يحتاج فى كل ليلة الى ٢٨ ساعة قبل ان ينام وهذا امر غير ممكن . والغريب ان البسنوى قد اورد ذلك . انظر :محاضرة الاوائل (ص ٨٤ ـ ٨٥)، الشيبى ـ م.س (ص ٦٣) .

لاشك فيه ان استخدام النساء فى هذا المجال وبهذه الكثافة يعكس وجود تنظيم خاص لهن كما يعكس وجود عامل ارتباط بين ذلك التنظيم وبين البريد لينظم عملية توحيد الاخبار وعرضها . وعلى الرغم من ان المصادر لم توضح مقومات ذلك التنظيم وابعاده فان من المحتمل ان يكون ارتباطه بصاحب الخبر الذى يقدم خلاصة موجزة بالمعلومات الواردة اليه عن هذا الطريق الى الخليفة . ومن الجدير بالذكر ان اصحاب الاخبار قد اسهموا بدور واضح فى نقل الاخبار خلال المحنة التى احدثها المأمون فى القول بخلق القرآن فقد ذكر الطبرى " ان اسحاق بن ابراهيم كتب الى المأمون كتابا مفردا بتأويل القوم فيما اجابوا اليه فمكثوا اياما ثم دعا بهم فاذا كتاب قد ورد من المأمون على اسحاق بن ابراهيم ان قد فهم امير المؤمنين ما اجاب القوم اليه وذكر سليمان بن يعقوب صاحب الخبر ان بشر بن الوليد تأول الآية التى انزلها الله تعالى فى عمار بن ياسر (الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان)[1] وقد اخطأ التأويل انما عنى الله عز وجل بهذه الآية من كان معتقدا الايمان مظهرا الشرك فاما من كان معتقدا الشرك مظهرا الايمان فليس هذه له فاشخصهم جميعا الى طرسوس"[2] .

وذكر ابن طولون ان المأمون عندما وافى دير مران[3] فى سنة ٢١٥هـ/٨٣٠م ،كان لابى مسهر الدمشقى حلقة فى جامع دمشق .. فبينا

---

(١) الآية قوله تعالى : (من كفر بالله بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) . النحل الآية (١٠٦) .

(٢) الطبرى ـ تاريخ (٦٤٥/٨) .

(٣) دير مران بضم اوله ،بالقرب من دمشق على تل مشرف على مزارع الزعفران فى تلك الناحية . انظر ياقوت ـ معجم البلدان (٥٣٣/٢ ـ ٥٣٤) .

ابو مسهر ليلة من الليالى جالس فى مجلسه اذ دخل ضوء عظيم المسجد فقال ابو مسهر ماهذا قالوهذه النار التى تدلى من الجبل لامير المؤمنين حتى تضىء له الغوطة فتلا ابو مسهر قول الله تعالى : (اتبنون بكل ريع ايه تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون)(١) وكان فى حلقة ابى مسهر(٢) صاحب خبر للمأمون فرفع ذلك الى الخليفة المأمون فحقدها عليه فلما رجع المأمون ليمتحن الناس بالقول بخلق القرآن ورد كتابه الى عامله على دمشق اسحاق بن يحيى بن معاذ بحمل ابى مسهر اليه ليتولى محنته شخصيا(٣) • ومما يذكر انه كان لكبار القوادفى عهد المأمون اصحاب اخبار ينقلون لهم اخبار المعسكرات ومايجرى فيها ،فقد ذكر ابن مسكويه ان محمد بن الصباح كان خازن عبد الله بن طاهر،وهو فى الوقت نفسه صاحب خبره على العسكر(٤) • اما الخليفة المعتصم بالله فقد اغفلت المصادر ذكر تفصيلات عن اصحاب الاخبار فى عهده ،باستثناء بعض الاشارات الطفيفة ،فقد ذكر الطبرى فى احداث سنة ٢٢٣هـ/٨٣٧م خبرا عن لجوء عمرو الفرغانى(٥)

---

(١) سورة الشعراء الآيات (١٢٧،١٢٨) •

(٢) ابو مسهر عبد الاعلى بن مسهر الدمشقى من اصحاب الحديث،وثقه يحيى بن معين واحمد بن حنبل ولد فى سنة ١٤٠هـ وتوفى ٢١٨هـ • انظر ابو زرعة الدمشقى ــ تاريخ ابى زرعة (٣١/١)، الخطيب ــ تاريخ بغداد (١١/ ٧٢ ــ ٧٥)، الذهبى ــ تذكرة الحفاظ (٣٨١/١) •

(٣) ابن طولون ــ قضاة دمشق (ص ١٥ ــ ١٦) •

(٤) ابن مسكويه ــ تجارب الامم (٥١٢/٦) •

(٥) عمرو بن اربخا الفرغانى، احد قواد الخليفة المعتصم الذين ركن اليهم فى حربه مع البيزنطيين فى فتح عموريه ثم مالبث ان مال الى جانب العباس بن المأمون فحاكوا ضده مؤامرة يقضى فيها عليه ويتسلم العباس الخلافة مكانه ،انظر الطبرى ــ م•س (٣٤٤/١٠ ــ ٣٤٥) •

واحمد بن الخليل (١) الى صاحب خبر العسكر خوفا من اشناس (٢) وذلك بقوله :
" واتفقا ان يذهبا الى صاحب خبر العسكر فيستعفياه من اشناس فصارا الى صاحب الخبر فقالا نحن عبيد امير المؤمنين يضمنا الى من شاء فان هذا الرجل يستخف بنا قد شتمنا وتوعدنا ونحن نخاف ان يقدم علينا، فليضمنا امير المؤمنين الى من احب فانهى صاحب الخبر ذلك الى المعتصم من يومه" (٣).

وذكر ابن مسكويه فى احداث سنة ٢٢٤هـ/٨٣٨م ان الخليفة المعتصم بالله عندما وجه محمد بن ابراهيم بن مصعب (٤) لحرب المازيار بن

---

(١) احمد بن الخليل من جند الخليفة المعتصم بالله كان احد المشاركين فى مؤامرة العباس بن المأمون، اخذ مع عمرو الفرغانى ،وهو الذى باح الى اشناس بتخطيط العباس فى الفتك بالمعتصم . انظر الطبرى م.س (٣٤٦/١٠ – ٣٤٧) .

(٢) اشناس ابو جعفر قائد تركى من مماليك الخليفة المعتصم ،حامى عنه فى احد المعارك لما كان المعتصم من قواد ابراهيم بن المهدى فقدمه ،ثم ولاه حجابته ،وكان كذلك فى ايام الواثق والمتوكل . كان اثيرا عند الخليفة المعتصم بالله . انظر التنوخى – الفرج بعد الشدة (١٥٢/٣) .

(٣) الطبرى – م.س (٣٤٥/١٠) .

(٤) ابوصالح محمد بن ابراهيم بن مصعب ، اخو اسحاق بن ابراهيم امير بغداد ،كان من قواد الخليفة المعتصم ووجهه لقتال مازيار بن قارن فاحضره الى سامراء ،كان يخلف اخاه اسحاق على امارة بغداد اذا غاب حمل احمد بن نصر الخزاعى الى الواثق حيث قتله الواثق وذلك لتحركه ضده ،ولاه الواثق فارس وظل بها الى ان توفى سنة ٢٣٦هـ. انظر ابن مسكويه – تجارب (٥١١/٦، ٥٢٩) ،مؤلف مجهول – العيون والحدائق (٤٩١/٣، ٤٠٠، ٤٠٢، ٤٠٣) ، التنوخى – الفرج بعد الشدة (١٢٩/٣) .

قارن(١) فانه وجه معه صاحب خبر له يقال له مصعب بن ابراهيم(٢) مولى الهادى ينقل اليه اخبارهما تباعا(٣) .

اما الخليفة المتوكل على الله فتذكر المصادر انه قد اعتنى بالاخبار واصحابها فجعل الفتح بن خاقان متوليا عاما لاخبار الخاصة والعامة بسامراء والهارونى ومايليها وقد اشار الطبرى الى ذلك بقوله "ذكر عن القاسم بن احمد الكوفى قال كنت فى خدمة الفتح بن خاقان وكان الفتح يتولى للمتوكل اعمالا منها اخبار الخاصة والعامة بسامرا والهارونى ومايليها"(٤) . كما انه ذكر بان ابراهيم بن عطاء كان متوليا للاخبار بسامراء وذلك فى قوله " فورد كتاب من ابراهيم بن عطاء المتولى للاخبار بسامراء يذكر وفاة الحسن بن سهل وانه شرب شربة دواء فى صبيحة يوم الخميس لخمس ليال بقين من ذى القعدة من سنة ٢٣٥هـ"(٥) . وهكذا فالراجح ان الخليفة المتوكل على الله قد سار على نهج الخليفة المأمون فى تعيين مشرف عام على اصحاب الاخبار الموزعين فى مختلف

---

(١) المازيار بن قارن اظهر الخلاف على المعتصم بطبرستان سنة ٢٢٤هـ ، وسبب ذلك ان قارن اباه كان منافرا لآل طاهر لايحمل الخراج اليهم وكان المعتصم يأمره بذلك فلايسمع ويحمله الى امير المؤمنين،وكان الباعث على خروجه ان الافشين لما ظفر ببابك كتب الى مازيار يبعثه على الخروج ظنا منه انه يوجهه اليه،ظفر به محمد بن ابراهيم واحضره الى سامراء وفيها شهد على الافشين بالمروق،ثم قتله المعتصم ،انظر مؤلف مجهول ـ العيون والحدائق (٣٩٩/٣ ـ ٤٠٥) .

(٢) مصعب بن ابراهيم المعروف بقوصره سبقت الاشارة اليه .

(٣) ابن مسكويه ـ م٠س (٥١٤/٦) .

(٤) الطبرى ـ تاريخ (٤٤/١١) .

(٥) ن ٠ م ٠ س (٤٤/١١) .

اقاليم الدولة الاسلامية ،وفى عهد الخليفة المستعين بالله لعب اصحاب الاخبار دورا فعالا فى الكشف عن حركات المعارضة فى الدولة فقد ذكر ابن مسكويه فى احداث سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤م ان صاحب الخبر بالكوفة كتب بظهور يحيى ابن عمر بن الحسين بن زيد بن على بن ابى طالب (١) ، وجمعه للاعراب حوله وعلى ضوء ذلك كتب محمد بن عبدالله بن طاهر (٢) الى متولى معاون السواد والى والى الكوفة بالاجتماع على محاربته (٣) ،وفى عهد الخليفة المعتمد على الله قام اصحاب الاخبار بدور مهم فى مراقبة الولاة خاصة بعدان احكم الامير الموفق بالله امر الدولة بالقضاء على انقسامات الجند وصراع القيادات العسكرية التركية وتفرغ لمواجهة خصومه من الامراء المتغلبين اضافة الى ثورة الزنج فقد اشار البلوى الى ان الموفق بعث عددا من

---

(١) يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب خرج ايام المتوكل الى خراسان فرده عبدالله بن طاهر فامر المتوكل بتسليمه الى عمر بن فرج الرخجى فسلم اليه فكلمه بغلظة فرد عليه وشتمه فشكاه الى المتوكل فامر بضرب يحيى ثم حبس حينا واطلق وكان ذلك الباعث على خروجه فى الكوفة ودعوته الى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم . قد ذكر الاصفهانى بانه اظهر العدل ووصفه بحسن السيرة ، انظر الاصفهانى ـ مقاتل الطالبيين (ص ٦٣٩ ـ ٦٦٤) .

(٢) ابو العباس محمد بن عبدالله بن طاهر ولد فى سنة ٢٠٣هـ ،ولى امرة بغداد ،وقد وصف بانه شجاع كريم سرى جواد سمح حسن الاخلاق له ادب وحسن معرفة وتفنن فى سائر العلوم ،ووصف ايضا بالحزم والضبط وحسن السياسة ،وقد ورد ذكره كثيرا فى الفتنة التى حدثت بين المستعين والمعتز بالله ،توفى فى بغداد سنة ٢٥٣هـ ،ولمعلومات اوفى انظر الشابشتى ـ الديارات (ص ١٢٢ ـ ١٢٦) ، التنوخى ـ الفرج (٢/٢١٨) ، ابن حبيب ـ المحبر (ص ٣٧٦) ، الزركلى ـ م.س (٦/٢٢٢) .

(٣) ابن مسكويه ـ م.س (٦/٥٦٦ ـ ٥٦٧) .

اصحاب الاخبار الى مصر لمراقبة احمد بن طولون وانهاء اخباره وذلك في قوله " مارأيت اصح ازكانا (١) من احمد بن طولون ولااقوى فراسة منه نظريوما شيخا فى جملة من ينظر اليه وهو راكب سائر فى جيشه فقال لبعض حجابه دونك ذلك الشيخ فقبض عليه فلما صار فى داره احضره فاذا به رجل خراسانى شديد العجمة فسأله عن امره فاعترف انه صاحب خبر عليه للموفق وان معه كتبا الى جماعة من قواده واصحابه واحضر الكتب فاخذها وامر به الى المطبق فقال ايها الامير اما وقد اخذتنى بحسن فراستك ،فقد لزمنى نصحك لما ملك قلبى من ذكاء عقلك واقتصارك بى على الحبس وعفوك عن عقوبة كنت اتوقع التلف معها،فقال له قل يامبارك قال معى صاحب خبر آخر فان اردت ان تحتاط فاحبسنا جميعا ان رأيت ذاك ايها الامير صوابا فقال بارك الله عليك واين يكون قال فى موضع نجتمع فيه من ليل الى ليل قال فخذ معك من تريه اياه حتى يأتينى به" (٢) . وهذه الرواية على فرض دقتها فانها وان عكست شدة فراسة احمد بن طولون،فانها لاتعكس فشل الامير الموفق فى اختيار اصحاب الاخبار ومراعاته توافر الصفات الواجبة فى صاحب الخبر فى ان يكونوا امناء عقلاء نصحاء . اضافة الى ماتمثله من تواطؤ صاحب الخبر الخراسانى المذكور وانه لم يكن امينا فى القيام بمهمته حينما كشف صاحب الخبر الآخر ان صحت الرواية . وقد ذكر البلوى بعد ذلك ان احمد بن طولون اكتشف " صاحب خبر" آخر بعثه الموفق فقد ذكر ان احمد بن طولون قد " انصرف يوما من الصيد فاجتاز على شارع الحمراء فتأمل دارا تبنى هناك فوقعت عينه على بعض الرقاصين

---

(١) الازكان هو ان يتفرس الشخص فى الشئ بالظن فيصيب، انظر الفيروز ابادى – القاموس المحيط (٢٣١/٤ – ٢٣٢) .

(٢) البلوى – سيرة احمد بن طولون (ص ١٢٢ – ١٢٤) .

فامر باخذه فقبض عليه ووافوا به الى الميدان فلما جلس امر باحضاره فلما حضر امر باحضار السياط والعقابين فلما شد صاح ايها الامير لاتعجل على من قبل ان تسألنى وتعلم ماعندى ،فقال صدق خلوه فلما حل قال له ادن فلما دنا قال له عرفنى خبرك واصدق تنج منى . قال نعم ايها الامير انا جاسوس للموفق وكانت معى كتب ففرقتها على اصحابها فوعدونى بكتب الجواب عنها فعملت رقاصا ليستتر امرى واسمع وانا فى اوساط الناس من احوال البلد واخبار الامير ما احفظه حتى اذكره عند عودتى لمن انفذنى كما يلزم لمن نصب هذا المنصب . فقال له صدقت فعرفنى من اصحاب الكتب فعرفه بهم واحدا واحدا ووكل به من اخرجه من البلد من وقته" (١) . وفى مناسبة اخرى ذكر البلوى " ان احمد بن طولون جلس يوما فى مستشرف على بعض بساتينه واحضر الطعام ومن يواكله من خاصته فرأى من بعيد سائلا فى ثوب خلق وحال سيئة وهوجالس يتأمل المستشرف ومن فيه فاخذ رغيفا وكان خبز الطولونية فى الرغيف رطلين زائدين فجعل عليه دجاجة وفرخا وفروجا وشواء لحم وقطع فالوذج كبير ومن جميع ماكان بين يديه وغطاه برغيف آخر وجعل فوقه لوزينجا مع الفالوذج وغطاه برقاقتين ودفعه الى بعض الغلمان واراه اياه وقال له امض سلمه اليه واقبل يراعى الغلام فى دفعه اياه اليه ومايكون منه الى ان دفعه اليه وعاد فعرفه ذلك فلم يزل يتأمل السائل ساعة ثم امر باحضاره فلما مثل بين يديه استنطقه فاحسن الجواب ولم يضطرب من هيبته ،فقال له الكتب التى معك هاتها فاصدقنى صدقا ينجيك من ضرب السوط فقد توسمت فيك بحسن عبارتك وثبوت قلبك وصحة عقلك فاعترف له انه صاحب خبر وان الكتب معه ما اوصلها

---

(١) البلوى - م.س (ص ١٢٥ - ١٢٦) .

ليدبر امره فى ايصالها فوكل به حتى مضى واحضرت الكتب" (١) . هذا وقد اورد البلوى روايات اخرى مشابهة لما سبق ذكره الا انه لايمكن الاخذ بما ذكر خاصة لما عرف عن البلوى من التشيع والكذب والوضع ،فقد ذكره ابن حجر فقال " قال الدارقطنى يضع الحديث قلت روى عنه ابو عوانةفى صحيحه فى الاستسقاء خبرا موضوعا" (٢) . وهكذا فانه لايمكن الاطمئنان الى روايات البلوى حيث يحتمل اختلاقه لبعض الاخبار التى تغض من مكانة الامير الموفق بالله وتظهره على غيرماعرف عنه من سعة الافق والحكمة والدهاء ومما يمكن ان يؤخذ على الرواية الاولى ماورد فيها من انصاحب الخبر رجل خراسانى شديد العجمة ثم ايرادها بعد ذلك محاورته لابن طولون باسلوب هو غاية فى الفصاحة . اضافة الى ماورد فيها من انه قد اعترف تطوعا ودون اكراه على " صاحب خبر" آخر من زملائه مما يدعو الى التشكك فى الرواية .

والبلوى كما هو واضح من الرواية - حاول ان يحيط احمد بن طولون بهالة من القدرة الخارقة على معرفة الاسرار والفراسة الدقيقة وبهذا اكتشف احمد بن طولون "صاحب الخبر" من مجرد ملاحظته له والنظر اليه وهذا امر لايمكن قبوله او الاطمئنان الى صحته دون تواتر وتدقيق . اضف الى ذلك فان ما اورده فى الروايات الاخرى لايخلو من التناقض ويدعو الى الشك ذلك انه بالغ فى اظهار اصحاب الاخبار بمواصفات لاتتفق مع مايفترض

---

(١) البلوى - م.س (ص ١٢٧) .

(٢) ابو الفضل احمد بن على بن حجر العسقلانى - لسان الميزان (دار الفكر للطباعة (٣٣٨/٣)،وقد ذكر محمد كرد على فى مقدمته لكتاب سيرة احمد ابن طولون ان المؤلف كان يضع الحديث كما انه نقل عبارات الذهبى وابن حجر فيه ، انظر - المقدمة (ص ٥) .

ان يتمتعوا به من حرص وتخف وجرأة وجلد . فاذا اضفنا الى ذلك رأى النقاد فى البلوى وميوله الشيعية العلوية ادركنا مدى مايمكن استخلاصه منها من حقائق ،على اننا لاينبغى ان نواجه روايات البلوى بالرفض المطلق فقد اوردت المصادر الاخرى روايات ومعلومات تتفق مع بعض ما اورده وان الواجب يقتضى الباحث ان يفيد من ذلك وهكذا فلابد من التعامل بحذر مع معلوماته .

ان هذا لاينفى عن احمد بن طولون انه احكم امره فى مصر باتخاذ اصحاب اخبار جعلهم يراقبون كبار قواده تحسبا لاحتمال استمالتهم من قبل الامير الموفق،فقد اورد الحسن بن عبدالله ان " احمد بن طولون كان مستشعرا من الخليفة ومن احمد الموفق،وانحاز بمصر وصار ضابطها،محتاطا عليها،وهو حسن السيرة تام السياسة مطلعا على جميع احوال جنده وفيه نجدة وشجاعة وكان من جملة امرائه رجل من مقدمى الاتراك له تقدم ورياسة وفيه نجدة وشجاعة الا ان اخباره انطوت عن احمد بن طولون فلم يقدر الاطلاع عليها" (١) . فنصب عليه احد ثقات اصحاب اخباره فتحيل على معرفة اموره بطريقة تنبىء عن فكرة صالحة وذلك يظهر مدى ضبط احمد بن طولون فى اختياره اصحاب الاخبار (٢) .

هذا واما بالنسبة للخليفة المعتضد بالله فقداولى اصحاب الاخبار عناية فائقة وتوسع فى استخدامهم حتى انه نصب على الوزراء وكبار القواد اصحاب اخبار يوافونه باخبارهم . وقد وصل التقصى عنهم درجة

---

(١) البلوى ـ م.س (ص ١١٩ ـ١٢١) ، الحسن بن عبدالله ـ اثار الاول (ص ٨٦ ـ ٨٨) .

(٢) الحسن بن عبداله ـ م.س (ص ٨٦) .

كان الخليفة معها على معرفة بما يدور داخل دورهم من خصوصياتهم وقد اورد التنوخى خبرا عن الخليفة المعتضد بالله وعلاقته بوزيره القاسم بن عبيد الله وكيف انه رتب له صاحب خبر يوافيه بما يجرى فى منزله يوما بيوم ، ومما اورده التنوخى (١) نجد ان اصحاب الاخبار كانوا يتقمصون شخصيات مختلفة حتى تخفى حقيقتهم على الناس،كما نفهم انه حتى الوزراء كانوا يوضعون تحت مراقبة دائمة دقيقة يتولاها اصحاب الاخبار وذلك لموافاة الخليفة بسلوكهم وتصرفاتهم العامة والخاصة (٢) . ومن الجدير بالملاحظة ان المعتضد وجه اصحاب الاخبار الى ثغور الدولة لمراقبة الجواسيس والمتسللين من الاعداء فقد نقل عن احد جلساء الخليفة المعتضد قوله " كنت بحضرة المعتضد ليلة على شرب اذ جاءه كتاب فقرأه وقطع الشرب وتنغص به ،واستدعى عبيدالله بن سليمان فاحضر للوقت وقد كاد ان يتلف وظن انه قد قبض عليه ،فرمى بالكتاب اليه فاذا هو كتاب صاحب خبر السر بقزوين اليه يقول ان رجلا من الديلم وجد بقزوين وقد دخلها متنكرا فقال لعبيد الله اكتب الساعة الى صاحبى الحرب والخراج واقم قيامتهما وتهددهما عنى بالقتل لم تم هذا وتشدد فى الانكار وطالبهما بتحصيل الرجل ولو من تخوم الديلم واعلمهما ان دمهما مرتهن به حتى يحضرانه وارسم لهما ان لايدخل البلد مستأنفا احد ولايخرج الا بجواز (٣)" وهذا يشير الى مدى مايوليه الخليفة لاخبار اصحاب الاخبار من اهتمام وثقة

---

(١) انظر نص الرواية كاملة فى التنوخى ـ نشوار المحاضرة (٢٧٦/٣ ـ٢٨٣) الفرج بعد الشدة (٨٥/٢ ـ ٩١)،وانظر الملحق رقم(١) .

(٢) التنوخى ـ نشوار (٢٧٦/٣ ـ ٢٨٣)،الفرج (٨٥/٢ ـ٩١) .

(٣) التنوخى ـ نشوار (٣١٩/١ ـ ٣٢١) .

كما يعكس الغرضمن استخدام الجوازات فى التخوم ٠

وفى عهد الخليفة المكتفى بالله انتشر اصحاب الاخبار بشكل كبير وزاد عددهم زيادة مفرطة (١) ٠ وكان الهدف من ذلك تشديد الرقابة على المتصرفين من كبار الكتاب من اصحاب الوزير فقد نقل الصابى عن ابن الوزير الجرجرائى قوله (٢) " كنت بحضرة الوزير ابى احمد والدى ،وعنده كتابه وهو يتصفح رقاعا بين يديه فرمى واحدة الى محمد بن داود وكانت من صاحب الخبر فلما قرأها محمد اضطرب وقال : كذب كاتبها ايها الوزير قال له وماذا يكون لو صدق ٠ ثم رمى الى ابى الحسن على بن عيسى تتضمن ذكر ماله من الغلات بسوق الطعام فتغير وجهه واربد لونه وقال : كذب كاتبها ايها الوزير والذى لى فى الاحراز هناك دون المبلغ المذكور ٠ ورمى الى محمد بن عبدون بثالثة فقرأها وجد مافيها ثم رمى رابعة الى ابى الحسن بن الفرات فلما نظر فيها ضحك وقال له انا اذكر ماعندى فى معناه وجلس الى ان تقوض المجلس ولم يبق عند ابى غيره ثم قال له : قد كذب صاحب الخبر ايد الله الوزير فان لى بسوق الطعام وعند الباعة اضعاف ماذكر فان كان قوله فى غيرى مثل قوله فى فقد حابى وصانع وكذب ولم يصدق" (٣) ٠ ومن هذا نجد ان اصحاب الاخبار قد كلفوا بمراقبة

---

(١) الشيبى ـ اصحاب الاخبار (ص ٦٥) ٠

(٢) العباس بن الحسن الجرجرائى وزر للمكتفى فى سنة ٢٩١هـ وقتل فى يوم مبايعة عبدالله بن المعتز سنة ٢٩٦هـ ،ولمعلومات اوفى انظر الطبرى تاريخ (٤٠٥/١١)، الخطيب ـ تاريخ بغداد (٢١٣/٧ ـ ٢١٤)، ابن العماد شذرات الذهب (٢٢١/٢)،د٠السامرائى ـ المؤسسات (ص ١١١، ١٨٧) ٠

(٣) الصابى ـ الوزراء (ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣)، الشيبى ـ اصحاب الاخبار (ص ٦٥) ٠

كتاب الوزير واستقصاء مبالغ اموالهم ،ولعل تقاريرهم لم تكن دقيقة ولايفهم من النص ما اذا كان اصحاب الاخبار قد قدموا اخبارهم بناء على توجيهات الخليفة فاحالها الى الوزير الذى وجهها بدوره الى كتابه او ان الوزير هو محور ارتباط اصحاب الاخبار فى هذه الفترة وانه كان حريصا على متابعة العمل والتأكد من سلامة موقفه وموقف كبار كتابه من ان تصل الى مسامع الخليفة او القواد • وربما يكون قداندس بين اصحاب الاخبار فى هذه الفترة من لم يكن اهلا لهذه المهمة فخالط تقاريرهم الكذب بشكل واضح (١) • ويلاحظ من النص ان ثلاثة من كبار الكتاب من اصل اربعة قد انكروا الوقائع المذكورة فى التقارير المرفوعة من صاحب الخبر عن اموالهم ،مما يدعوا الى الافتراض بان رقاع الاخبار لم تكن دقيقة بالشكل المطلوب فى تقصى الاخبار والتأكد من صحتها ،كما ان تصديق ابن الفرات لتقرير صاحب الخبر لم يكن بسبب مطابقته لواقع الحال بقدر ماكان بسبب الرغبة فى المصانعة ودفع الضرر •

والراجح انه ابتداءاً من هذه الفترة فان ارتباط اصحاب الاخبار اصبح بيد الوزراء اذ اصبحت رقاع اصحاب الاخبار توجه اليهم ،كما عهد الى الوزراء بمهمة اختيارهم وتعيينهم دونما حاجة الى استئمار الخلافة • كما ان ذلك كان يجرى دون تدخل من صاحب البريد ،فقد ذكر الصابى ان ابن الفرات عين فى وزارته الاولى "صاحب خبر" على هذا النحو فقال انه قد بلغه ان احمد بن ايوب صاحب خبر ابن الفرات قد " رفع اليه يذكر انه كان له فى وزارته الاولى سبعة دنانير برسم النوبة فلما تقلد الخاقانى قطعها وجعلها لرجل اسماه وسأله ردها عليه" (٢) • ويذكر الصابى خبرا آخر

---

(١) الشيبى – م•س (ص ٦٥) •

(٢) الصابى – الوزراء (ص ١٦٤) •

له صلة باصحاب الاخبار فى قوله " حدث ابو عبدالله زنجى قال كنت بحضرة ابى الحسن بن الفرات فى اول ماوزر اذ كتب اليه صاحب الخبر بحضور رجل يقول ان عنده نصيحة لايذكرها الا للوزير" (١) • ونقل ابن مسكويه عن ابن زنجى (٢) قوله " انه كان بحضرة ابى الحسن بن الفرات اذ كتب اليه صاحب الخبر ان متنصحا حضر وذكر ان عنده نصيحة لايذكرها الا للوزير" (٣) • وذكر الصابى ان ابا الحسن على بن عيسى فى وزارته الثانية قد " نظر فى الاعمال وقرأ الكتب ووقع فى الكتب الصادرة وكتب الى عمال الخراج والمعاون وعراض الجيش واصحاب الاخبار والبرد" (٤) • وذكر التنوخى "ان صاحب الخبر رفع الى ابى الحسن على بن محمد بن الفرات وهو وزير ان رجلا من ارباب الحوائج اشترى خبزا وجبنا فاكله فى الدهليز" (٥) • وذكر الصابى كذلك ان صاحب الخبر كتب الى ابن الفرات فى وزارته الاولى بالصورة التى كان يعذب بها المصادرون من قبل اولياءه" (٦) •

هذا وقد استمر اصحاب الاخبار فى نشاطهم فى رفع التقارير عن موظفى الدولة وكذلك فى رفع اخبارهم عن مراقبة الناس فى اوقات الاضطرابات والفتن وخصوصا تلك التى حصلت فى ايام الخليفة المقتدر • ومن

---

(١) ن • م • س (ص ٣٠) •

(٢) ابو عبدالله محمد بن اسماعيل بن زنجى الكاتب كان مقربا للوزير ابى الحسن بن الفرات وتولى كتابة وزارته الثالثة ،انظر الصابى م•س (ص ١٤١) •

(٣) ابن مسكويه – تجارب الامم (١٠/١ –١١) •

(٤) الصابى – م•س (ص ٢٣٥ –٢٣٦) •

(٥) التنوخى – نشوار (٢٦١/٧) •

(٦) الصابى – م•س (ص ١٣٧– ١٣٨) •

امثلة ذلك ماجرى للحلاج الذى تتبعه " اصحاب الاخبار" حتى قبض عليه فقد ورد فى شعره ماينبئ عن ذلك(١)، ومن الجدير بالذكر انه بعد مقتل الخليفة المقتدر سنة (٣٢٠هـ/٩٣٢م)،وتولى القاهر الخلافة(٢)،ضعف امر اصحاب الاخبار اذ لم تعد المصادر تذكر عن دورهم ونشاطهم الشئ الكثير وقد استمر هذا الوضع حتى تمكن بنو بويه من السيطرة على مجريات الامور فى الدولة فاتخذوا لهم وسائل خاصة تضمن سيطرتهم(٣) على الجند وعلى الدولة . وقد اشارت المصادر الى انه كان لعضد الدولة اصحاب اخبار فى كل مكان حتى انه كان يوافق معلمى الصبيان على ان يسألوا اولاد الجند الذين فى مكاتبهم عن امور آبائهم واخبارهم ومتصرفات احوالهم فى منازلهم ويكتبون بذلك الى ديوان البريد ولهم على ذلك رزق دار(٤) .

هذا ومن الجدير بالذكر ان العامة كانوا لايميلون الى اصحاب الاخبار وكانوا يحذرونهم ولايرغبون ابنائهم فى العمل فى هذا المجال

---

(١) اورد الحلاج فى ذلك قوله :

واطيب الحب ماتم الحديث به كالنار لاتأت نفعا وهى فى الحجر
من بعد ماحضر السجان واجتمع الاعوان واختط اسمى صاحب الخبر

انظر ديوان الحلاج (ص ٥١)، الشيبى – اصحاب الاخبار (ص ٦٦).

(٢) ابن يزيد – تاريخ الخلفاء (ص ٥٦ – ٥٨)،د.السامرائى – م.س (ص٦٧) .

(٣) الشيبى – م.س (ص ٦٦) .

(٤) الروذراورى – ذيل تجارب الامم (ص ٥٨ – ٦٤)، ابن الجوزى – المنتظم (١٥٥/٧)، التنوخى – الفرج بعد الشدة (٣٥٤/٣) الحاشية . من الملاحظ انه قد كان الخليفة الناصر لدين الله العباسى (٥٧٥ – ٦٢٢هـ/١٠٨٠ – ١٢٢٥م) عظيم العناية بتسقط الاخبار فقد كان اصحاب اخباره فى كل الاقطار يوصلون اليه احوال الملوك الظاهرة والباطنة كما انهم كانوا يطالعونه بجزئيات الامور حتى ذكر ان رجلا ببغداد عمل دعوة وغسل يديه قبل اضيافه فطالع صاحب الخبر الناصر بذلك فكتب فى جواب ذلك =

فقد نقل عن احمد بن طولون انه استخدم بعد استقلاله بمصر احد الغلمان على بريد احدى المناطق واجرى عليه من الرزق عشرة دنانير فجاءت امه الى احمد بن طولون تذم الحسن بن مهاجر متولى البريد حينذاك " فقال ولم ذاك ؟ فقالت امرته فى اشغال ولدى بما يعود عليه نفعه فشغله فيما لايرحض عن رؤوسنا عاره وشناره والجوع الكريم انفع من الشبع اللئيم فقال لها : وماذاك قالت وكله بالنميمة يحصيها على المسترسل ويهتك بها المستتر،فقد تحاماه الناس وتناذروه فاذا لم يكن غير هذا تركته لما فيه من مقت الله عز وجل وسب عباده " فامر بصرفه عن ذلك العمل (١)،ومن الجدير بالذكر ان اصحاب الاخبار كانوا قد رتبوا فى فئات متعددة هى كما يلى :

- صاحب الخبر الرئيسى فى العاصمة (متولى عرض الاخبار) :

استحدث هذا المنصب لاول مرة فى عهد الخليفة المأمون ،وقدبسطت القول فى ذلك آنفا،فقد كان الرئيس الاعلى لاصحاب الاخبار والمشرف عليهم فى العاصمة وغيرها من الاقاليم . وتتفاوت سلطاته بحسب مايفوض اليه الخليفة منها ومايعهد به اليه من اعمال عند تعيينه،ويتمتع عادة بصلاحيات تخوله النظر فى تنظيم اعمال اتباعه من اصحاب الاخبار فى الاقاليم ،واليه ترد تقاريرهم اذ انهم مرتبطون به (٢) . وهو يتولى استخلاص

= سوء ادب من صاحب الدار وفضولمن كاتب المطالعة،هذا وقد اورد ابن الطقطقى والسيوطى امثلة متعددة على نشاط اصحاب الاخبار فى عهده انظر التنوخى - الفرج (٣/٣٥٤)، ابن الطقطقى - الفخرى (ص ٣٢٢ - ٣٢٨) السيوطى - تاريخ الخلفاء (ص ٧١٣ - ٧١٧)،وانظر الشيبى - اصحاب الاخبار (ص ٦٧) .

(١) البلوى - م.س (ص ٢٠٨ - ٢١٠) .

(٢) ابن طيفور - تاريخ بغداد (ص ٣٥ - ٣٦) .

مايرد ويعرضه على الخليفة .

- **اصحاب الاخبار :**

وهم الذين كان يوكل اليهم بامر مراقبة الدواوين (١) والكتاب والوزراء والعمال والولاة والقضاة وغيرهم، (٢) وقد كان هؤلاء موزعين فى العاصمة وفى الاقاليم على حد سواء (٣) .

- **اصحاب خبر التطواف :**

وقد عرفوا ايضا بالطوافين وكانت مهمتهم مراقبة الاسواق ونقل الاخبار والاشاعات والاراجيف التى كانت تدور بين الناس ونقل الغرائب التى كانت تحدث فى البلد . وكان هؤلاء يطوفون فى القرى والمدن لنقل الاخبار الى صاحب البريد فى الاقليم او الى صاحب البريد فى العاصمة، ويتضح دورهم من خلال عدد من الروايات التى اوردتها المصادر، فقد نقل القرطبى ما اورده "صاحب البريد بالدينور" من خبر غريب يتعلق ببغلة وضعت فلوه (٤)، وقد اشار التنوخى الى ان قطانا قال وهو فى دكانه ليس للمسلمين ناظر فى امورهم، فاحضره المعتضد " فقال ويلك مثلك يقول ليس للمسلمين ناظر فى امورهم، فاين انا واى شغل شغلى فقال يا امير المؤمنين انا رجل

---

(١) التنوخى - الفرج بعد الشدة (٣٩١/١) .

(٢) التنوخى - نشوار (٢٧٦/٣ - ٢٨٣)، الفرج (٨٥/٢ - ٩١)، (٣٥٣/٣)، الكندى - الولاة (ص ٤٤٤)، ابن طولون - قضاة دمشق (ص ١٥ - ١٦)، الحسن ابن عبدالله - اثار الاول (ص ٨٦)، الشيبى - اصحاب الاخبار (ص ٦٤- ٦٧)

(٣) التنوخى - نشوار (٤٨/١)، ابن مسكويه - تجارب الامم (٥٦٦/٦ - ٥٦٧) .

(٤) القرطبى - صلة تاريخ الطبرى (ص ٢١) .

سوقى لااعرف غير الغزل والقطن ومخاطبة النساء والعامة وانما اجتاز رجل بايعنا شيئا كان معه فوجدنا ميزانه ناقصا فقلت هذا الكلام وعنيت به المحتسب لاغيره فقال له المعتضد : الله انك اردت به المحتسب، فقال والله ماعنيت غيره وانا تائب ان اتكلم بما يشبه هذا فقال يحضر المحتسب ويبالغ فى الانكار عليه لم غفل عن انكار مثل هذا ويؤمر بتعييره وتتبع الطوافين واهل الاسواق" (١) . وهذا يعكس مدى يقظة اصحاب الاخبار فى الاسواق الى حد جعلهم ينقلون للخليفة ماتفوه به قطان عادى من عامة العاملين فى الاسواق .

- الفراجلـه :

وهم الذين كان يعهد اليهم مراقبة اهل الذمة وغيرهم ممن يشك فى ولائهم للسلطان، ويفهم ذلك من نص اورده الصابى اشار فيه الى ان هناك وظيفة متخصصة فى متابعة تصرفات اهل الذمة ونقل اخبارهم مما يعكس موقفا متحفظا بازاء الذميين والمعاهدين . فقد اورد انه " رفع الفراجلة الى ابى الحسن بن الفرات بان رجلا من اليهود ادعى ان معه كتاب من رسول الله صلى الله عليه وسلم فامره باخراج الكتاب فلما قرأه قال هذا مزور لان خيبر افتتحت بعد تاريخ كتابك" (٢) . مما يشير الى اختصاص الفراجلة بهذا الصنف من الاخبار .

---

(١) التنوخى - نشوار المحاضرة (٣٢٧/١) . ابن العمرانى - الانباء (ص ١٤٢) .

(٢) الصابى - الوزراء (ص ٧٧ - ٧٨) .

- صاحب خبر السر :

ان اول اشارة وردت عن هذا المنصب تعود الى عصر الخليفة المعتضد بالله (٢٧٩ - ٢٨٩هـ/٨٩٢ - ٩٠١م) فقد نقل التنوخى عن ابيه عن ابى محمد بن حمدون قوله " كنت بحضرة المعتضد ليلة على شرب ، اذ جاءه كتاب فقرأه وقطع الشرب وتنغص به واستدعى عبيد الله بن سليمان فاحضر للوقت وقد كاد يتلف وظن انه قد قبض عليه ، فاذا هو كتاب صاحب خبر السر بقزوين اليه يقول ان رجلا من الديلم وجد بقزوين وقد دخلها متنكرا " (١). ومن هذا يرجح ان مهمة صاحب خبر السر كانت تنحصر فى مراقبة الثغور وحدود الدولة الاسلامية ومتابعة نشاط الجواسيس والمتسللين من اعداء الدولة المحيطين بها وكشفهم وانهاء اخبارهم الى العاصمة .

- صاحب خبر العسكر :

وقد كانت مهمته مراقبة الجند والقواد وكذلك مراقبة الجيوش فى اوقات الحروب واحتياجاتها وموافاة الخليفة بذلك . ومن الجدير بالذكر ان اول اشارة وردت عن هذا المنصب تعود الى عهد الخليفة المعتصم بالله فقد ذكر الطبرى فى احداث سنة ٢٢٣هـ/٨٣٧م ، الى انه رافق الخليفة المعتصم فى جيشه الذى توجه به الى عمورية صاحب خبر العسكر الذى لجأ اليه عمرا الفرغانى واحمد بن الخليل خوفا من اشناس (٢) . وقد كان لصاحب خبر العسكر دور مهم فى كشف المؤامرة التى استهدف بها العباس بن المأمون الاطاحة بعمه المعتصم بالله تمهيدا لتسلمه الخلافة (٣) .

---

(١) التنوخى - نشوار (١/٣٧٩) .

(٢) الطبرى - تاريخ (١٠/٣٤٥) .

(٣) ن . م . س (١٠/٣٤٥) .

كما ورد ذكر هذا المنصب فى عهد الخليفة المعتز بالله (٢٥٢ ـ ٢٥٥هـ ٨٦٦ ـ ٨٦٨م) ،فقد ذكر الطبرى بانه قد " وافى ابو احمد (١) وعسكره الشماسية ليلة الاحد لسبع خلون من صفر ومعه كاتبه محمد بن بشر بن سعد المرثدى وصاحب خبر العسكر من قبل المعتز الحسن بن عمرو بن قماش ومن قبله صاحب خبر له يقال له جعفر بن احمد البنان ويعرف بابن الخبازة " (٢) .

ـ صاحب خبر المحبسين :

وهو الذى يعهد اليه بتفقد احوال المحبوسين داخل السجون ورفع خبرهم الى الوزير وذلك من اجل رفع الظلم عن المظلومين،وكان يشترط فيه ان يكون من الاخيار الثقات ،ومن الجدير بالملاحظة ان التنوخى اشار الى وجود هذا المنصب فى عهد الخليفة المقتدر فذكر " حدثنى ابو على الوكيل على ابواب القضاة ببغداد ويعرف بالناقد قال كنت اقيم خبر المحبسين فى المطبق بمدينة السلام فى ايام المقتدر بالله فرأيت بالمطبق رجلا مغلولا على ظهره لبنة من حديد فيها ستون رطلا فسألته عن قصته فقال انا والله مظلوم فقلت له كيف كان امرك قال كنت ليلة من الليالى فى دعوة صديق لى بسوق يحيى فخرجت من عنده مغلسا وفى الوقت فضل وانا لا اعلم فلما صرت فى قطعة من الشارع فاذا مشاعل الطائف فرهبته ولم ادر ما اعمل

---

(١) ابو احمد الموفق طلحة بن المتوكل الامير العباسى قائد الجيش وبطل معارك القضاء على الزنج،انظر ابن عبد ربه ـ العقد الفريد (٢٩٩/٣)، المسعودى ـ التنبه والاشراف (ص ٣٦٧)، ابن الابار ـ الحلة السيراء (٢٨٨/١)، ابتسام مندورة ـ الموفق بالله طلحة بن المتوكل العباسى (رسالة ماجستير،جامعة ام القرى مكة (ص ٢٥ ـ ٤٥) .

(٢) الطبرى ـ تاريخ (١٠٢/١١) .

فرأيت اشريجة (١) مشوشة ففتحتها ودخلت ورددتها كما كانت وقمت فى الدكان ليجوز الطائف واخرج وبلغ الطائف الموضع فرأى الشريجة مشوشة فقال فتشوا هذه الدكان فدخلت الرجالة بمشعل رأيت فىضوئه رجلا فى ارض الدكان مذبوحا على صدره سكين فجزعت فرأى الرجالة ذلك الرجل ورأونى قائما فلم يشكوا فى انى القاتل فاخذنى صاحب الشرطة فحبسنى ثم عرضت فضربت ضربا شديدا وعوقبت اصنافا من العقوبات وانا انكر وعندهم انى اتجلدوهم يزيدوننى فاجتمع اهلى وكانت لهم شعب باسباب السلطان فتكلموا فى واستشهدوا خلقا كثيرا على سيرتى فبعد شدائد الوان اعفيت من القتل ونقلت الى المطبق وثقلت بهذا الحديد وتركت على هذه الصورة منذ ست عشرة سنة ،قال فاستعظمت محنته وبهت من حديثه فقال مالك والله ما ايس مع هذا من فضل الله عز وجل فان من ساعة الى ساعة فرجا،قال فوالله ماخرج كلامه من فيه حتى ارتفعت ضجة عظيمة وكسر الحبس ووصلت العامة الى المطبق ومطاميره واخرجوا كل من هناك وخرج الرجل فى جملتهم" (٢) .

- ولاة الطرق :

لقد كان من واجبات صاحب البريد او متولى البريد حفظ الطرق وبذرقتها وصيانتها من القطاع والسراق وطرق الاعداء وانسلال الجواسيس فى البحر والبحر،واليه ايضا كانت ترد كتب اصحاب الثغور وولاة الاطراف حيث يتم ايصالها اليه فى اسرع مايمكن وبالتالى انهائها الى الخليفة كما انه يتولى مهمة ارسال او ايصال الكتب من الخليفة الى مختلف

---

(١) الشريجة : الجديلة من القصب والتى كانت تجعل على الدروب اوالجسور او ابواب المحلات، انظر التنوخى - الفرج (١٥٠/٢) .

(٢) التنوخى - الفرج (١٤٩/٢ - ١٥١) .

الجهات (١) . لذا كان من الضرورى ان تكون الطرق التى يستخدمها عمال البريد آمنة منتظمة الخدمات . فكان لابد ان يتولى مهمات حفظ الطرق وصيانتها اشخاص اكفاء يتولون حفظ النظام والخدمات وقد عرف هؤلاء الاشخاص بـ " ولاة الطرق" ويفترض ان تكون تبعيتهم الادارية الى صاحب ديوان البريد اذ ان ذلك يدخل ضمن اختصاصاته حيث يفترض فيه معرفتها بصورة جيدة (٢) ، ويظهر انه كانت لولاة الطرق واجبات متعددة تتمثل فى مراقبة كافة الطرق ليلا او نهارا وحفظ امنها عن طريق تسيير دوريات من الخيالة والرجالة تكون مهمتهم القضاء على من يهدد امنها و ابعاد من يعبث بها . وتأمين مرور الافراد والبضائع ومساعدة من يحتاج الى المساعدة من أهل الطريق على ان لايترتب على ذلك اية مسئوليات للغير او استيفاء اى رسوم ،حيث يفترض ان يتولى الديوان مسئولية الانفاق على هذه الخدمات . وكان على ولاة الطرق ضمان دقة ورتابة العمل فى انفاذ الحمول والرسائل عليها من العاصمة واليها ،ويبدو ان عليهم فوق ذلك ضمان مراقبة رجال المسالح فى ترتيبهم وخفاراتهم والتزامهم بالبقاء فى مراكزهم وضمان عدم اعتدائهم على احد من المارة المنفردين او المتخلفين او المنقطعين ،ويبدو ان ولاة الطرق قد منحوا سلطات تفتيش واسعة النطاق، كما منحوا سلطات تحقيقية مع مستخدميهم ضمانا لامن الطرق وحفظها ،بل انهم قد منحوا صلاحيات قضائية فورية فى هذا المجال فى

---

(١) الحسن بن عبدالله – اثار الاول (ص ٨٥) .

(٢) قدامة – الخراج (ص ٢٤٩) ،د. الدورى – تاريخ العراق الاقتصادى (ص ١٤٤) .

" امضاء الحكم بما يوجبه الجرم"[(١)] مما يشير الى مدى الانضباط والجدية التى كانت عليها اعمال مراقبة الطرق وامنها ٠ وقد جاء عهد من الخليفة المطيع لله (٣٣٤ - ٣٦٣هـ/٩٤٥ - ٩٧٣م) الى ابى تغلب الحمدانى[(٢)] فى سنة ٣٥٦هـ/٩٦٦م انه " امره بان يوكل بالطرقات من الخيل والرجال، من يتقصاها ليلا ونهارا ،ويستقريها سهلا وجبلا،ويسير فى برها وبحرها ويتردد بين جوادها وعوادلها،ويقلد عليهم اهل النجدة والبسالة وذوى الشدة والجزالة ،ويوعز الى من يوليه بان يتبعوا مظان اهل الريب فيشردوهم عنها ،ومكامن اهل العبث فيبعدوهم عنها ٠ وان يقبضوا على من يجدونه من ذوى التهم ،ومن تتعلق به الظنن،ويستقصى احوالهم بحثا ويستبطنها علما فمن صح عليه مانسب اليه امضى فيه حكم الله العدل واجرى قضاءه الفصل،ومن كان بريئا مما ظن به فما على المحسنين من سبيل ، وان يسيروا مع السابلة وان يصحبوا من يسلك الطرق من المارة ويحموا النفس والاموال ويحوطوا الذرارى والتجارات،ويقفوا على من تخلف ويسيروا بمسير من تخلف حتى لايلحق احد من السالكين عيب ولايغوله دون مقصده غول،ولايلزموا احد من المجتازين مؤونة ولايحملوه ثقلا ولاكلفة لتؤمن السبل وتحمى المسالك،وتدر للرعية والمتاجر،وتستقيم لها اسباب المعايش ،وتكون الطرق مضبوطة ،والامال محوطة ،والله خير حافظا

---

(١) ابو هلال الصابى - رسائل الصابى (تعليق شكيب ارسلان، المطبعة العثمانية ،بعبدا ،لبنان ١٨٩٨م) (ص ١٥٠) ٠

(٢) ابوتغلب فضل الله الغضنفر عدة الدولة بن ناصر الدولة الحمدانى امير الموصل استولى على الامارة من ابيه وحارب عضد الدولة فخسر ثم فر الى الشام وهناك قبض عليه ثم قتل فى سنة ٣٦٩هـ ،انظر التنوخى الفرج (١٨٤/٢) ،الزركلى - الاعلام (٣١٢/٥) ٠

وهو ارحم الراحمين،وامره بان يرتب فى مسالح عمله اهل الجلد والشهامة والحزم والصرامة ،ومن يتنزه عن دنىء المكاسب ويعف عن لئيم المطاعم والمطالب فانهم يخلون بابن السبيل والشاذ والفريد ومن لايعصمه منهم الاتورعهم،ولايحميه من معرتهم الاكفهم، ومتى كانوا اهل اسفاف وجشع ودناءة طبع لم يؤمن تحكمهم فى مال الرجل الغريب والفذ والوحيد،ومن لاناصر له من الغرباء،ومن يطمع فى مثله من الضعفاء . وان يجرى على كل من يرتبه فى هذه المسالح مايكفيه ويلزمه الحجة عند تعديه ويعرضهم عند الاستحقاقات ويطالبهم بلزوم مراكزهم على الاوقات فان وجد بعد ذلك من اخل بمكانه من غير عذر، او مد يده الى شىء من اموال المجتازين بغير حق امضى عليه من الحكم مايوجبه جرمه ،فان عقاب المسىء واجب استصلاحا وردعا لسواه عن مثل خطيئة والله يقول :(من يعمل سوءا يجز به)(١) وكتب فى يوم الخميس للنصف من ذى الحجة سنة ست وخمسين وثلاثمائة"(٢) .

اما الخليفة الطائع لله (٣٦٣ - ٣٨١هـ/٩٧٣ - ٩٩١م) فقد عهد الى ابى الحسن على بن ركن الدولة المعروف بفخر الدولة سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م عندما عقد له على كور همذان واستراباذ والدينور وقرماسين والايغارين واعمال اذربيجان وغيرها انه " امره بان يولى الحماية فى هذه الاعمال اهل الكفاية والغناء من الرجال وان يضم اليهم كل ماخف ركابه واسرع عند الصريخ جوابه ،مرتبا لهم فى المسالح،وسادا بهم ثغر المسالك،وان يوصيهم بالتيقظ والتحفظ ويزيح عللهم فى علوفة خيلهم والمقدر من ازوادهم

---

(١) الآية قول الله تعالى (ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولايجد له من دون الله وليا ولانصيرا) . النساء آية رقم (١٢٣) .

(٢) الصابى - رسائل الصابى (ص ١٢٦ - ١٥٠)،د.الدورى - تاريخ العراق الاقتصادى (ص ١٤٤) .

وميرهم ،حتى لاتثقل لهم على البلاد وطأة ولايدعوهم الى تحيفهم وثلمهم حاجة • وان يحوطوا السابلة باديه وعائده ،ويبذرقوا القوافل الصادرة والواردة ،ويحرسوا الطريق ليلا ونهارا ويتقصوها غدوا ورواحا ،وينصبوا لاهل العبث الارصاد ،ويتكمنوا لهم فى كل واد ،ويتفرقوا عليهم حيث يكون التفرق مضيقا لفضائهم ومؤديا الى انفضاضهم ،ويجتمعوا حيث يكون الاجتماع مطيقا لجمرتهم وصادعا لمروؤتهم ،ولايخلو هذه السبل من حماة لها وسيارة فيها يترددون فى جوادها ويتعسفون فى عوادلها حتى تكون الدماء محقونة والاموال مضمونة والفتن محسومة والغارات مأمونة ومن حصل فى ايديهم من لص خاتل وصعلوك خارب ومخيف لسبيل ومنتهك لحريم امتثل فيه امر امير المؤمنين الموافق امر الله عز وجل (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) (١) •وامره بوضع الرصد على من يجتاز من عمله من اباق المسلمين والاحتياط عليهم وعلى مايكون معهم والبحث عن الاماكن التى فارقوها والطرق التى استطرقوها ومواليهم الذين ابقوا منهم ونشزوا عليهم وان يردوهم عليهم قهرا ويعيدوهم اليهم صغرا وان ينشدوا الضالة ما امكن ان تنشد ويحفظوها على ربها ماجاز ان تحفظ،ويتجنبوا الامتطاء لظهور مايمتطى ويقتعد،والانتفاع باوبار مايجز ويحتلب وان يعرفوا اللقطة ويتتبعوا اثرها ،ويشيعوا خبرها فاذا حضر صاحبها وعلم انه مستوجبها سلمت اليه ولم يعترض فيها عليه ،والله تعالى يقول

---

(١) المائدة آية (٣٣) •

(ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها)" (١)(٢) .

ان هذين العهدين يعكسان الواجبات التى رسمها الخلفاء للولاة على الطرق فى الدولة الاسلامية، كما يعكسان الدور الكبير الذى يلعبه والى الطريق فى حفظ الامن العام خارج المدن ومد يد العون للمجتازين فيها وفى ايصال الرسائل من والى العاصمة . هذا ومن الجدير بالذكر انه كان لكل طريق من الطرق فى الدولة الاسلامية وال يقوم على حمايتها ورعايتها ويحفظ امنها وينفذ ماعهد به اليه من الواجبات فيها .

لقد اشارت المصادر الى عدد كبير من ولاة الطرق وخاصة طريق الكوفة ـ مكة المعروف بطريق الجادة الذى سنتعرض لتفصيلات عنه فى الفصل الثالث وذلك لما له من اهمية فى سير القوافل القادمة من العاصمة وبلدان المشرق الاسلامى والمتجهة الى مكة المكرمة . لقد عهد الخليفة ابو جعفر المنصور الى ابن عمه محمد بن ابراهيم بن على (٣) بولاية طريق الجادة (٤) .

---

(١) الآية قول الله تعالى :(ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا) النساء الآية (٥٨) .

(٢) الصابى ـ رسائل (ص ٩٦ ـ ١١٥) .

(٣) محمد بن ابراهيم بن محمد بن على بن العباس ولاه المنصور امرة الحاج فى سنة ١٥١هـ ثم ولاه على امرة مكة وعزله، وقد ولى ايضا المدينة والجزيرة واليمن ومات فى بغداد، انظر خليفة بن خياط تاريخ (ص ٤٢٥، ٤٣١)، مؤلف مجهول ـ اخبار العباس وولده (ص ٤٠٤ ـ ٤٠٥)

(٤) AL Rashed , Darb Zubaydah , P . 353 .

اما فى عهد الخليفة المهدى بالله فقد تولاه يقطين بن مؤسى بن على (١) وذلك فى سنة ١٦١هـ/٧٧٧م والذى استمر فى منصبه حتى سنة ١٧١هـ/٧٨٧م (٢) • ومن الملاحظ ان هناك فترة انقطاع لم تقدم المصادر فيها معلومات عن ولاة الطريق تمثل الفترة الممتدة بين سنتى ١٧١ - ٢٣١هـ/٧٨٧ - ٨٤٥م حيث اورد الطبرى بانه قد ولى طريق الكوفة عمر بن فرج الرخجى (٣) وذلك فى سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م ،وقد اشار الطبرى الى انه قدتولى هذا الطريق بعد (٤) ذلك،وفى فترة خلافة الواثق بالله ايضا،يحيى بن هرثمه (٥) وذلك فى سنة ٢٣٤هـ/٨٤٨م فقد قال فى تاريخه لاحداث هذه السنة " وفيها قدم يحيى بن هرثمه وهو والى طريق مكة" (٦) • اما فى عهد الخليفة المتوكل على الله فقد كان على ولاية طريق مكة جعفر بن دينار وقد ذكره الطبرى عند حديثه عن احداث سنة ٢٣٩هـ/٨٥٣م بقوله " وفيها حج جعفر بن دينار وكان والى

---

(١) يقطين بن موسى من الدعاة العباسيين عهد اليه المهدى بمهمة بناء المنازل والقصور فى طريق الكوفة،وظل يعمل فيها لمدة عشر سنوات وكانت وفاة يقطين سنة ١٨٥هـ/٨٠١م • انظر ابن كثير - البداية والنهاية (١٠/١٨٨)،

(٢) AL Rashed , op , cit , P . 353 ;

(٣) عمر بن فرج الرخجى تقلد الاهواز للمأمون ثم ولى للخليفة المعتصم وقد وصف بانه من اهل الرشوة،اعتقله المتوكل وقبض ضياعه وامواله وصودر على عشرة آلاف الف درهم،ولمعلومات اوفى انظر الجاحظ المحاسن والاضداد (ص ١٣٦،١٣٨)،التنوخى - الفرج (١٩/٤) •

(٤) الطبرى - م•س (١٨/١١)،وانظر AL Rashed , op , cit , P. 353.

(٥) يحيى بن هرثمة احد القادة فى العهد العباسى ورد له ذكره فى فتنة المعتز بالله ،وقد وقف فى صف المستعين وخلع عليه لذلك • انظر الطبرى - م•س (١٠٤/١١) •

(٦) الطبرى - م•س (٣١/١١) •

(٧) جعفر بن دينار احد ولاة الطريق فى العهد،انظر الطبرى - م•س (٤٩/١١ =

طريق مكة مما يلى الكوفة فولى احداث الموسم" (١) • ومما يظهر أهمية ولاية الطريق انها قد اقترنت فى هذه الفترة بولاية احداث الموسم،وقد استمر جعفر بن دينار متوليا لهذا الطريق،ولاحداث الموسم ايضا معه حتى سنة ٢٤٤هـ/٨٥٧م،ثم عقد الخليفة المتوكل على الله فى تلك السنة لابى الساج ديوداد بن ديودست (٣) فكان جعفر بن دينار (٤) على الطريق دون ولاية احداث الموسم (٢) اذ ان الاشارات التى وردت والتى قرنت فيها الولايتان كانت فيما سنة ٢٣٩ – ٢٤٤هـ/٨٥٣ – ٨٥٧م، (٥) وذلك بقوله " وفيها عقد المتوكل لابى الساج على طريق مكة مكان جعفر بن دينار فيما زعم بعضهم والصواب عندى انه عقد له على طريق مكة فى سنة ٢٤٢هـ" (٦) •

= ٥٠،٥٤،٥٥،٥٦) •

(١) الطبرى – م•س (٤٩/١١)،ابن الاثير – الكامل (٢٩٦/٥) ، وانظر:
AL Rashed , op , cit , P. 353 .

(٢) الطبرى – م•س (٤٩/١١ – ٥٥)،ابن الاثير – م•س (٢٩٨/٥) ، وانظر :
AL Rahed , op , cit , P. 353 .

(٣) ابو الساج ديوداد بن ديودست احد الولاة العباسيين ولاة الخليفة المعتز بالله الكوفة سنة ٢٥٢هـ،ثمولاه حلب سنة ٢٥٤هـ ثم ولاه طريق الكوفة عدة مرات،وقد ورد له ذكر فى الفتنة التى حدثت بين المستعين والمعتز،وتوفى بجنديسابور سنة ٢٦٦هـ،ولمعلومات اوفى انظر الطبرى – م•س (١١٧/١١،١٥١،١٥٢،١٥٧)،زامباور – معجم انساب الاسرات الحاكمة (ص ٤٩،٦٩،٢٧٤) •

(٤) الطبرى – م•س (٥٦/١١)،ابن الاثير – م•س (٢٩٨/٥) • وانظر
AL Rashed , op , cit , P. 353 .

(٥) الطبرى – م•س (٤٩/١١،٥٠،٥٤،٥٥)،ابن الاثير – م•س (٢٩٦/٥ – ٢٩٧) •

(٦) الطبرى – م•س (٥٦/١١)،ابن الاثير – م•س(٢٩٨/٥)، وانظر
AL Rashed , op , cit , P. 353 .

ومن الملاحظ ان ثمة تضارب فى اقوال الطبرى ذلك انه اشار الى ان جعفر بن دينار كان واليا لطريق الكوفة فى السنوات ٢٤٢ ،٢٤٣هـ (١).

ثم عاد واشار بان الصواب عنده انه ولى ابو الساج فى سنة ٢٤٢هـ.

الا ان الراجح ان ابا الساج قد ولى الطريق فى سنة ٢٤٤هـ . وذلك لتكرار الاشارات عن ولاية جعفر بن دينار فى السنوات السابقة . هذا وقد بقى ابو الساج متوليا للطريق حتى سنة ٢٥١هـ/٨٦٥م (٢) ، وفى عهد الخليفة المعتز بالله (٢٥٢ – ٢٥٥هـ/٨٦٦ – ٨٦٨م) عهد بولاية طريق مكة فى سنة ٢٥٢هـ/٨٦٦م لمحمد بن عبد الله بن طاهر على الطريق،وجعل ابا الساج خليفة له (٣) . اما فى عهد الخليفة المعتمد (٢٥٦ – ٢٧٩هـ/ ٨٦٩ – ٨٩٢م) فقد عقد للامير ابى احمد الموفق طلحة بن المتوكل على طريق مكة وذلك فى سنة ٢٥٧هـ/٨٧٠م وقد ذكر الطبرى ذلك فقال " ولاثنتى عشرة ليلة خلت من صفر عقد المعتمدلاخيه ابى احمد على الكوفة وطريق مكة والحرمين واليمن" (٤)، والراجح ان هذه الوظيفةكانت تشريفية تكريمية اكثر منها عملية،ذلك ان الاميرابا احمد كان قد تولى ابتداء من هذا التاريخ قيادة الجيش العباسى وبدأ فى تجميع ادارة ومقدرات الادارة العباسية فى يديه استعدادا لمواجهة ثورات القرامطة فى سواد الكوفة والزنج فى البطائح وسواد البصرة،ومواجهة الامراء المتغلبين فى المشرق والمغرب

---

(١) الطبرى – م.س(١١/٥٤ – ٥٥)،ابن الاثير – م.س (٥/٢٩٦ – ٢٩٧).

(٢) الطبرى – م.س (١١/١٢١) . AL Rashed , cit , P. 353 .

(٣) الطبرى – م.س (١١/١٥٦) . AL Rashed , cit , P. 353 .

(٤) الطبرى – م.س (١١/٢١٥)،ابن الاثير – م.س (٥/٣٦١) ، وانظر AL Rashed , cit , P. 353 .

كالصفاريين والطولونيين [١] . وعليه فانه ليسمن المعقول ان يقوم،وهو يواجه كل هذه المشاكل بمتابعة اوضاع طريق مكة بنفسه . ولابد ان يكون فى هذا الحال قد ولى من رأى صلاحه لهذه الوظيفة . وقد اشار الطبرى الى ذلك حين ذكر ان كفتمر على بن حسين بن داود الكاتب قد تولى طريق مكة المذكور سنة ٢٦٢هـ/٨٧٥م حيث قال :"وعقد فيها لكفتمر على بن حسين بن داود كاتب بن سهل اللطفى على طريق مكة فى شهر رمضان" [٢] .

والراجح ان كفتمر هذا قد استمر متوليا للطريق حتىسنة ٢٦٥هـ/٨٧٨ م، وهى السنة التى ولى الموفق فيها محمد بن مسرور البلخى [٣] على الطريق وقد قام الاخير باستخلاف شقيقه على بن مسرور . وقد ذكر الطبرى ذلك عندما اشار الى حادثة قتله على ايدى رجال القبائل العربية من بنى اسد فقال :" وفيها قتلت جماعة من اعراب بنى اسد على بن مسرور البلخى بطريق مكة قبل مصيره الى المغيثة [٤] وكان ابو احمد ولى محمد بن مسرور البلخى طريق مكة فولاه اخاه على بن مسرور" [٥] .

---

(١) د.السامرائى – المؤسسات (ص ٣٤ – ٣٩)،ابتسام مندورة – الموفق بالله طلحة بن المتوكل العباسى (ص ١٢١ – ١٨١) .

(٢) الطبرى – م.س (١١/٢٤٣)، AL Rashed , op , cit , P. 353 .

(٣) احد القادة فى العهد العباسى سيطر على الاتراك فى بغداد وكان يركن عليه فى القضاء على بعض الخارجين على السلطان ولى طريق مكة لفترات انظر الطبرى – م.س (١١/٢٥٣،٢٥٤،٢٥٥،٢٥٦).

(٤) المغيثة منزل بطريق مكة كانت مدينة ثم خربت فى القرن السابع الهجرى تقريبا، انظر ابن خرداذبه – المسالك (ص١٢٦)،قدامة– الخراج (ص ٢٥٣)،ياقوت – معجم البلدان (٥/١٦٢) .

(٥) الطبرى – م.س (١١/٢٥٣) ، AL Rashed , op , cit , P. 354 .

وفى سنة ٢٦٦هـ/٨٧٩م ولى على الطريق محمد بن ابى الساج، ذكر ذلك الطبرى بقوله " وولى فيها محمد بن ابى الساج الحرمين وطريق مكة "(١) مما يشير الى ربط هذه الوظيفة بولاية الحرمين وهو امر له دلالته فى اهمية هذا الطريق ،وقد استمر ابن ابى الساج متوليا للطريق حتى سنة ٢٧١هـ/٨٨٤م ،حيث عقد لاحمد بن محمد الطائى على الطريق اضافة الى ولايته(٢) المدينة ،وقد ذكر الطبرى ذلك بقوله " ولعشر خلون من رمضان منها عقد لاحمد بن محمد الطائى على المدينة وطريق مكة"(٣)، هذا وقد ذكر الدكتور سعد الراشد دون ان يشير الى مصادر معلوماته بان ابا بكر عبدالله بن يوسف قد تولى الطريق فى ايام الخليفة المعتضد بالله(٤) . وفى اواخرعهد الخليفة المكتفى بالله شغل هذا المنصب ابراهيم بن الاشعث وقد اشار الطبرى الى ذلك فى احداث سنة ٢٩٤هـ/٩٠٦م فذكر بانه كان على رأس القافلة الثانية من قوافل الحجاج التى خرجت من بغداد متجهة الى مكة عندما قطع القرامطة طريق الحج فى تلك السنة(٥) . وقد تولى اسحاق بن عمران هذا المنصب قبيل سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م ثم عزل عنه فى السنة نفسها وقلد مكانه ورقاء بن محمد الشيبانى(٦)، والراجح ان الاخير قد استمر فى منصبه حتى

---

(١) الطبرى – م.س (١١/٢٥٥)، AL Rashed , op , cit, P . 354 .

(٢) الطبرى – م.س (١١/٢٥٥، ٣٣٠)، AL Rashed , op, cit, P. 354.

(٣) الطبرى – م.س (١١/٣٣٠)، AL Rashed, op , cit , P. 354 .

(٤) AL Rashed , op , cit , P. 354 .
من المعروف ان الخليفة المعتضد بالله قد تولى الخلافة بين سنتى ٢٧٩ – ٢٨٩هـ/٨٩٢ – ٩٠٢م، انظر الطبرى – م.س (١١/٣٤١ – ٣٧٣)، زامباور <u>معجم الانساب</u> (ص ٣) .

(٥) الطبرى – م.س (١١/٤٠١)، AL Rashed , op , cit , P. 354.

(٦) القرطبى – <u>صلة الطبرى</u> (ص ٣١) ، AL Rashed , op , cit , P. 354 .

سنة ٣٠٩هـ/٩٢١م حين استبدل بابى الهيجاء عبدالله[(١)] بن حمدان[(٢)] ، الذى استمر فى منصبه متقلداللطريق حتى سنة ٣١١هـ/٩٢٣م • ثم قلد جعفر بن ورقاء بن محمد الشيبانى[(٣)] ولاية طريق الكوفة واستمر فىولايته حتى سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م حيث اعيد للمرة الثانية ابو الهيجاء عبدالله بن حمدان[(٤)] على ولاية الطريق[(٥)] •

اما طريق البصرة ـ مكة فان المصادر لاتكاد تذكر شيئا عن ولاته باستثناء بعض الاشارات التىاوردها الطبرى عن قيام محمد بن عبدالملك الزيات فى سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م بتعيين اسحاق بن ابراهيم بن خيصمة على ولاية طريق البصرة[(٦)] •

اما بالنسبة لطريق خراسان فان المصادر قد اغفلت فى ذكر ولايته

---

(١) ابو الهيجاء عبدالله بن حمدان التغلبى العدوى،كان من القادة المقدمين فى العصر العباسى ولاه الخليفة المكتفى بالله سنة ٢٩٣ هـ، الموصلواعمالها وظل عليها حتى عزله المقتدر سنة ٣٠١هـ،فقدم بغداد فخلع عليه المقتدر واعاده ،ثم قلده فى سنة ٣٠٨هـ،قتل فى فتن القاهر سنة ٣١٧هـ، انظر ابن مسكويه ـ تجارب الامم (١/١١٢،١٩٦ ، ١٩٨،١٩٩) ، التنوخى ـ الفرج (٢/٥٢) •

(٢) الهمذانى ـ تكملة تاريخ الطبرى (ص ٣٠٨) AL Rashed, op, cit, P.354

(٣) ابو محمد جعفر بن ورقاء الشيبانى احدالولاة فى الدولة العباسية كان له تقدم وادب ودرايةبالشعر تقلد عدة ولاياتهوصف بانه جيد البديهة ولد بسامراء سنة ٢٩٢هـ،واتصل بالمقتدر فكان يجريه مجرى بنى حمدان،ولمعلومات اوفى انظر التنوخى ـ الفرج (٥/٤٧)، الزركلى الاعلام (٢/١٢٨) •

(٤) الهمذانى ـ م•س (ص ٢٢٨)، ابن مسكويه ـ تجارب (١/٤٥)، وانظر AL Rashed , op , cit, P. 354 .

(٥) الهمذانى ـ م•س (ص ٢٤٢)، ابن مسكويه ـ م•س (١/١٢٠ ـ ١٢١)، AL Rashed , op , cit, P. 354 .

(٦) الطبرى ـ م•س (١١/١٨) •

الشىء الكثير على الرغم من اهميته بالنسبة للدولة الاسلامية • ان اول اشارة وردت عن ولاته تعود الى منتصف القرن الثالث الهجرى وذلك عند الحديث عن احداث سنة ٢٥٣هـ/٨٦٧م حيث ذكرت المصادر حادثة مقتل بندار الطبرى (١) الذى كان يلى طريق خراسان فقد ورد فيها :" وفيها قتل بندار الطبرى وكان سبب قتله ان مساور بن عبدالحميد الموصلى الخارجى (٢) لما خرج وكان طريق خراسان الى بندار •••" (٣) • وبعد مقتل بندار تولى الطريق فى السنة نفسها ابو الساج ديوداد بن ديودست من قبل محمد بن عبدالله بن طاهر، (٤) وقد ذكر الطبرى بعد ذلك بانه قد ولى طريق خراسان قبيل سنة ٢٦١هـ/٨٧٤م يحيى بن حفص وهو الذى قتله مساور الشارى (٥) • وبعد ذلك ولى على الطريق محمد بن اوس البلخى (٦) •

---

(١) بندار بن موسى الطبرى مولى امير المؤمنين المستعين،ورد له ذكر فى فتنة المعتز بالله وكان من مؤيدى المستعين خلع عليه محمد بن عبدالله بن طاهر اربع خلع وطوقه طوقا من ذهب • انظر الطبرى م•س (١٠٣/١١، ١٠٥، ١٠٩) •

(٢) مساور بن عبدالحميد كان من الدهاقين من اهل البوازيج خرج على الخليفة المعتز بالله ،قتل بندار الطبرى فى وقعة بالقرب من تل عكبراء،ظل مسيطرا على طريق خراسان حتى سنة وفاته ٢٦٤هـ، انظر الطبرى – م•س (١٥٣/١١ – ١٥٤) •

(٣) الطبرى – م•س (١٥٣/١١)، ابن الاثير – م•س (٣٣٥/٥) •

(٤) ابن الاثير – م•س (٣٣٤/٥) •

(٥) الطبرى – م•س (٢٣٤/١١) •

(٦) محمد بن اوس البلخى، احد القادة العباسيين،قدم مع سليمان بن عبد الله بن طاهر من خراسان،تنافر مع القواد الاتراك داخل بغداد ، فاخرجوه منها،وعاث فى نواحى العراق فسادا وظل كذلك لمدة شهرين ثم ولى فى سنة ٢٥٥هـ طريق خراسان من قبل بايكباك التركى• انظر الطبرى – م•س (١٦٧/١١، ١٧١)•

وقد ذكر القرطبى بانه كان على ولاية هذا الطريق فى سنة ٣٠٥هـ/٩١٧ م عثمان العنزى القائد (١) . وذكر ابن مسكويه ان ابا الهيجاء عبدالله بن حمدان قد تولى طريق خراسان والدينور سنة ٣٠٨هـ/٩٢٠م (٢)، واشار بعد ذلك الى انه قد تولاه ايضا للمرة الثانية سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م مضافا اليه عدد آخر من الطرق حيث قال :" وولى ابو الهيجاء اعمال طريق خراسان وحلوان والدينور وطريق سرمن رأى وبزرج والراذانين ودقوقا وخانيجان والموصل" (٣). وذلك يشير الى امرين اولهما ان ابا الهيجاء قد نحى عن الطريق لفترة من الوقت ثم اعيد اليه، اما الثانى فهو النجاح الكبير الذى حققه ابو الهيجاء بحيث ان السلطة القائمة قد وضعت ثقتها فيه فكلفته بولاية عدد كبير من طرق المشرق والجزيرة (٤). ورغم ان المصادر لم تذكر اسماء خلفاءه على هذه المجموعة الكبيرة من الطرق، فان من المتوقع ان يستخلف عددا من الثقات ليعينوه فى الوفاء بالتزاماته على الوجه الاكمل ويزداد الامر الحاحا اذا ماتذكرنا حال الاضطراب الذى كانت تعيشه الخلافة خلال هذه المرحلة التى شهدت محاولة عزل الخليفة المقتدر بالله واستحكام حالة الصراع بين الوزارة وامير الامراء مؤنس المظفر (٥) . وقد اشارت المصادر اضافة الى ماذكر الولاية عدد من الطرق الاخرى فى اوقات متفاوتة، منها ماذكره التنوخى من ان حامد بن عمرو الحرانى قد ولى طريق الفرات فى عهد الرشيد (٦)، ومنها ماذكره الطبرى فى احداث سنة

---

(١) الطبرى – م.س (٢٣٤/١١) .

(٢) القرطبى – م.س (ص ٦٤) .

(٣) ابن مسكويه – م.س (٧٥/١) .

(٤) ن . م . س (١٩٣/١) .

(٥) السامرائى – <u>المؤسسات الادارية</u>

(٦) التنوخى – <u>الفرج بعد الشدة</u> (٢٧١/٢ – ٢٧٥) .

٢٦٩هـ/٨٨٢م من ان هارون بن الموفق قد عقد لابن ابى الساج على الانبار وطريق الفرات (١) . وماذكره ابن مسكويه من انه قد تقلد طريق الفرات ابن رائق وذلك فى سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م (٢)، وماذكره كذلك من ان سبكتكين العجمى (٣) كان يتقلد فى سنة ٣٥٧هـ/٩٦٧م "حماية طريق الفرات الى الانبار" (٤) .

هذا عن الوظائف الرئيسية التى اشتملتها تنظيمات البريد . وبجانب ذلك فقد اشتمل البريد على جملة من الوظائف الفرعية والمساعدة التى اسهمت بدور فعال فى تمكن البريد من الوفاء بالتزاماته ومهماته على الوجه المرسوم له ومن هذه الوظائف :

كتاب البريد :

سبق ان اشرنا الى المجالس التى كان يحتويها ديوان البريد فى العاصمة ،وكان لابد ان يكون لكل مجلس من تلك المجالس كاتب او اكثر يتولى شئونه وتنظيمه والقيام عليه لضبط اعماله وتنظيم علاقاته (٥)،ومن هذا يمكن تصنيف كتاب المجالس فى الديوان الى مايلى :

---

(١) الطبرى ـ م٠س (٣٠١/١١) .

(٢) ابن مسكويه ـ تجارب الامم (٤٠٨/١ ـ ٤٠٩) .

(٣) سبكتكين قائد تركى حجب لمعز الدولة بن بويه وكان يعتمد عليه فى امر الجيش،ظل كذلك حتى وفاه معز الدولة ،ثم تنافر مع بختيار وجاهره بالخصومة لسوء سياسة بختيار،ناصر اهل السنة ضد الشيعة توفى رحمه الله سنة ٣٦٣هـ، انظر ابن الجوزى ـ المنتظم (٦٨/٧)، ابن مسكويه ـ تجارب (٣٣٣/٢، ٣٣٥) .

(٤) ابن مسكويه ـ م٠س (٢٤٨/٢ ـ ٢٤٩) .

(٥) الخوارزمى ـ مفاتيح العلوم (ص ٥٠) .

كاتب الانشاء :

وكانت مهمته انشاء الكتب التى يراد انفاذها الى الوجه المرسوم (١) والكتابة فى معنى الكتاب الذى يراد ارساله باوجز العبارات وابلغ الالفاظ ثم عرضها على متولى الديوان ليبدى فيها مايراه ،فان امضاه احيلت الى كاتب التحرير،وينبغى ان يكون من يتولى هذا المجلس ذا بلاغة وعلم باصول النحو واحوال المراسلات ليتمثل مارسم به كل كتاب فى اجمل معنى واحسن لفظ (٢) .

كاتب التحرير :

وكانت مهمته هى تحرير الكتب المنشاة ونقلها من سواد النسخة الى بياض نقى (٣) .

كاتب النسخ :

وكانت مهمته نسخ الكتاب المحرر الى عدة نسخ مطابقة للاصل حيث ترسل النسخة الاصلية الى الجهة المرسومة (٤) وتوجه النسخ الاخرى الى الجهات الاخرى ذات العلاقة ويحتفظ بالنسخة الاصل فى الديوان للرجوع اليها عند الحاجة او عند استخراج اصول المعاملات عند عرضها وينبغى ان يكون متولى الكتابة فى هذا المجلس ذا خط حسن بين لافساد فيه (٥) .

---

(١) الخوارزمى – م٠س (ص٥٥)، السامرائى – المؤسسات (ص ١٩٦) .

(٢) الخوارزمى – م٠س (ص ٥٠)، ابن منكلى – الاحكام الملوكية (١٧٨/٢) .

(٣) الخوارزمى – م٠س (ص٥٥)، د٠السامرائى – م٠س (ص ١٩٦، ٢٦٩).

(٤) الخوارزمى – م٠س (ص ٥٠)، د٠السامرائى – م٠س (ص ١٩٦) .

(٥) ابن منكلى – م٠س (١٧٨/٢) .

كاتب الاسكدار :

وكانت مهمته تنظيم اوراق الديوان الواردة والصادرة منه ،وتصنيفها وعمل خلاصات لها وتكون جاهزة وقت الحاجة، (١) وطبيعى ان هذا الامر لايتم الا عن طريق وجود ثبت خاص بهذا المجلس (٢) ينظمه المتولى على حسب الاخبار الواردة على الديوان والراجح من خلال ما اورده قدامة ان الكتب الواردة كانت تصنف بحسب مواضيعها (٣) وبحسب الاقاليم التى ترد منها وبحسب اصنافها،فاخبار القضاة كانت تفرد فى سجل خاص واخبار الولاة كانت تفرد فى سجل آخر خاص بهم واخبار القواد كانت تفرد فى سجل ثالث واخبار الثغور كانت تفرد فى سجل رابع واخبار الاراجيف كانت تفرد فى سجل خاص واخبار السلع واحوال الاسواق وغير ذلك كان لها سجلاتها الخاصة وكذلك الحال مع دار الضرب ومايجرى فيه ،واخبار عمارة البلاد،واخبار الضياع ،واخبار عمال المعاون والاحداث ،وارزاق الاولياء،وديوان العرض واخبار مايقع فيه الحل والعقد (٤) . ولابد انيكون كل سجل مرتبا حسب اقاليم الخلافة وعمالاتها وفق التسلسل الزمنى لمجريات الاحداث .

كاتب مجلس السكك والطرق :

وكانت مهمته متابعة اخبار السكك والطرق المختلفة والمنتشرة فى انحاء الدولة الاسلامية وتجميع كافة المعلومات الممكنة عنها وذلك كى يكون متولى الديوان على علم بها، (٥) وينبغى فيمنيشغل هذا المنصب

---

(١) الخوارزمى ـ م٠س (ص ٥٠)،د٠السامرائى ـ م٠س (ص ٢٥٥،٢٦٩) .

(٢) الخوارزمى ـ م٠س (ص ٥٠) .

(٣) قدامة ـ الخراج (ص ٢٠١) .

(٤) قدامة ـ الخراج (ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤)،د٠السامرائى ـ م٠س (ص ٢٧١ ـ ٢٧٢).

(٥) د٠السامرائى ـ م٠س (ص ٢٦٩) .

ان تكون له معرفة جيدة بالمسالك والممالك واقرب الطرق واقصرها[(١)]،كما كان عليه تنظيم المعلومات المفصلة عن ذلك فى سجلات وعمل تقاويم خاصة بهذا الشأن،والراجح انه كان لدى هذا المجلس سجلات عن عدد المرتبين[(٢)] فى السكك ومبالغ ارزاقهم[(٣)] وسجلات اخرى عن دواب البريد وعلوفتها وماتحتاج اليه، وعن السكك ومقدار مسافتها واميالها[(٤)]، كما ينبغى[(٥)] ان يكون لديهم جداول منتظمة بالموقعين ومواقيتهم،اذ كان يفترض ان تودع سجلات الموقعين الموجودة فى السكك فيما بين فترة واخرى فى الديوان وذلك لتدقيقها ومتابعة سير الاعمال فى السكك ٠

كتاب البريد فى الاقاليم :

اشارت المصادر الى وجود مثل هذا المنصب يتبع عادة متولى البريد فى الاقاليم ضمن تشكيلات البريد،فقد اورد الجهشيارى بان صاحب المقاطعة بهمذان قد كتب "الى الفضل (بن سهل)يذكر ان كاتب المتولى للبريد بهذه الكوره ذكر ان صاحبه اقتطع مالا جليلا من مال السلطان وانه يصحح ذلك عليه،وانه وكل به وبصاحبه ليصحح مارفعه"[(٦)] ،وذكر البيهقى بان صاحب بريد همذان قد كتب " الى المأمون بخراسان يعلمه ان كاتب البريد المعزول اخبره ان صاحبه وصاحب الخراج كانا قد تواطآ على اخراج مائتى

---

(١) الحسن بن عبدالله ـ اثار الاول (ص ٨٥) ٠

(٢) الحسينى ـ الادارة العربية (ص ٣٠٠) ٠

(٣) قدامة ـ الخراج (ص ٢٠٣) ٠

(٤) ابن منكلى ـ الاحكام الملوكية (١٧٩/٢) ٠

(٥) قدامة ـ الخراج (ص ٢٠٣)، الحسينى ـ م٠س (ص ٣٠٠) ٠

(٦) الجهشيارى ـ الوزراء (ص ٣٠٨) ٠

الف درهم من بيت المال واقتسماها بينهما"[1]،والراجح فانمهمة كاتب والـي البريد فى الاقاليم الخارجية كانت تنحصر فى كتابة الكتب التى يـراد توجيهها الى ديوان البريد بالمركز بحيث يفرد لكل خبر من الاخبار كتـاب بعينـه[2] ٠

هذا ومن الوظائف الفرعية والمساعدة التى كان يشتملها البريد :

المرتبـون :

وهم الرجال الذين يرابطون فى السكك من بين المشتغلين فى البريد وهم مسئولون عن تحمل الرسائل فى الخرائط من سكة الى اخرى،[3]و يصفهـم السامرائى بانهم " سعاة مسئولين عن حمل الرسائل من سكة الى اخـرى "[4] ومما يذكر انالمرتبين كانوا يشملون عدة اصناف كالركابية والفيـوج والسعاة ،وسنفصل الكلام عنكل صنف منهمفى الفصل الثانى من هذا البحث ٠

الموقعون :

وهم الموكلون بدوام محاسبة ومراقبة المرتبين وذلك عن طريـق تثبيت اوقات انطلاقهمووصولهم وذلك من اجل الضبط وتعجيل وصولالمراسـلات ونفاذها،لكى لايتأخر احد منهم عن الاوقات التى سبيله ان يرد السكـة فيها ٠ ومن الطبيعى ان ضبط ذلك واثباته لايكون الا بالكتابة والتدويـن ومراقبة الوقت الذى اطلقت او وصلت فيه الخرائط ٠ لذا فانه يفتـرض

---

(١) البيهقى ـ المحاسن (ص ١٢٠) ٠

(٢) قدامة ـ الخراج (ص ٢٠٤) ٠

(٣) قدامة ـ م٠س (ص ٢٠٤،٤٨٣)، الحسن بن عبدالله ـ اثار الاول (ص ٨٦) ، سعداوى ـ نظام البريد (ص ٦٩ ـ ٧٠)،د٠السامرائى ـ م٠س (ص ٢٧٣) ، توفيق الساكد ـ العرب وتطور نظام البريد (ص ٧ ـ ٨) ٠

(٤) د٠السامرائى ـ م٠س (ص ٢٧٣) ٠

ان يكون للموقعين سجلات وجداول خاصة لهذا الغرض (١) .

الفـــر وانقيون :

وكانوا يتولون مسئولية مراقبة سكك البريد والسعاة والخيالـــة وعموم الركابيين وتقديم تقارير دورية عن ذلك،وكانوا يقدمون تقاريرهـــم الى متولى ديوان البريد فى العاصمة . كما كان اليهم تدقيق تقاريـــر الموقعين والمصادقة عليها اثباتا لدقة ماورد فيها،لذا فقد كان لابـــد للموقعين من عرض تقاريرهم على احد الفروانقيين قبل ارسالها الـــى ديوان البريد (٢) .

الوكـــلاء :

وكانت مهمتهم هى العمل على مراقبة مجلس عرض الاولياء وابلاغ متولـى البريد فى الاقليم بما يجرى من اجل ان يضمن ذلك فى تقاريره . وقـــد اورد قدامة فى نموذج العهد الذى اثبته لنا " بتولية البريد" مايشيـــر الى ضرورة وجود هؤلاء الوكلاء فى مجلس العطاء عندتوزيع الارزاق لكـــى يطالع مايجرى فيه ويكتب بما يقف عليه لوقته (٣)، وقد ورد فى النص قولــه : " وامره انيوكل مجلس عرض الاولياء واعطياتهم من يراعيه ويطالع مايجـرى فيه ويكتب بما يقف عليه من الحال فىوقته" (٤) . وبذلك فان وجودهم يكـــون

---

(١) قدامة ــ م.س (ص ٢٠٤)، الخوارزمى ــ مفاتيح (ص ٤٢)،د.السامرائـــى م.س (ص ٢٧٣) .

(٢) قدامة ــ م.س (ص ٢٤٧)، الخوارزمى ــ م.س (ص ٤٢)، الكتانى، التراتيـــب الادارية (١/١٩٣)،نعمان انطوان ــ الطائر الغريد (ص ٢١)،سعـــداوى ــ م.س (ص ٧٠ ــ ٧١)،د.السامرائى ــ م.س (ص ٢٧٣)، الساكد ــ م.س (ص ٨).

(٣) د.السامرائى ــ م.س (ص ٢٧٤) .

(٤) قدامةــ م.س (ص ٢٠٤) .

ضمانة اكيدة من اجل تسليم كافة الحقوق والالتزام بالتقاليد الديوانية في هذا الباب .

النظـــار :

ذهب صاحب كتاب قانون السياسة الى انهم يأتون فى المرتبة الثانية من مراتب الملك واشار الى ان مهمتهم كانت النظر فى اعمال العمال ومنعهم من العسف بالرعية وذلك فى قوله " النظار وهم الذين ينظرون اعمال العمال ويحفظونهم عن العسف بالرعية "(١) .

المنهـــون (اوالمنهيون) :

وقد ذكرهم صاحب القانون وصنفهم فى المرتبة الثالثة من مراتب الملك واشار الى ان مهمتهم هى البحث عن الاخبار فى القرب والبعد فى الدولة(٢) . ولعل المقصود بهؤلاء هم اصحاب الاخبار وقد سبقت الاشارة عنهم،ولعلهم اولئك الذين يقومون بالرقابة الشاملة ثم " ينهون" ماتكونت لديهم من معلومات الى الجهة المسئولة عنهم فى ديوان البريد .

الكوهبانيـــة :

هم اصحاب الاخبار المكلفين بنقلها بين قطعات الجيش من آمر او قائد الى آخر،ومن جملة مسئولياتهم اثناء الحروب احاطة امراء الوحدات بحركات العدو واخبارهم بها اولا باول واحاطتهم بكل مايحصل فى معسكر الاعداء ضمانا لسلامة القرار الذى يتخذونه بشأن الجيش الاسلامى وموقفه(٣) .

---

(١) مؤلف مجهول ـ قانون السياسة ودستور الرياسة لوحة (٣١ ب) .

(٢) ن . م . س لوحة (٣١ ب) .

(٣) خالد الجنابى ـ تنظيمات الجيش فى العصر العباسى (ص ٥١)، القاسمى البريد (ص ٦٩) .

ان اول اشارة وردت عن الكوهبانية هى تلك التى ذكرها الطبرى ونقلها ابن الاثير فى احداث سنة ٢٢١هـ/٨٣٦م فى حرب الافشين مع بابك الخرمى (١) فقد ذكرهم الطبرى بقوله " ثم ان بغا تجهز وحمل معه الزاد من غير ان يكون الافشين كتب اليه ولا امره بذلك فدار حول هشتادسر حتى دخل قرية البذ فنزل فى وسطها واقام بها يوما واحدا، ثم وجه الف رجل فى علافة فخرج عسكر من عساكر بابك . فاستباح العلافة وقتل جميع من قاتله منهم واسر من قدر عليه واخذ بعض الاسرى فارسل منهم رجلين مما يلى الافشين وقال لهما اذهبا الى الافشين واعلماه ما نزل باصحابكم فاشرف الرجلان فنظر اليهما صاحب الكوهبانية" (٢). وذكرهم ابن الاثير بقوله " واقام الافشين بروذ الروذ وامر الكوهبانية وهم اصحاب الاخبار" (٣) .

ومن الجدير بالذكر ان مهمة الكوهبانية تتضمن مرافقة الجيوش المحاربة لغرض استطلاع احوال جيوش العدو فقد ذكر الطبرى ان الافشين كان اثناء تقدمه " يسير قليلا قليلا وكلما جاءه كوهبانى بخبر وقف" (٤) وكان اليهم كما يبدو تعقب الكمناء والدوريات التى يبعثها العدو واعلام القيادة عنها ضمانا لاتخاذ اجراءات مضادة من جهة وكذلك من اجل اتخاذ الحيطة والحذر، فكان الافشين يفرق الكوهبانية ليفتشوا الاودية املا فى ان يقع على مواضع الكمناء ليقضى عليهم ويفشل خطط العدو ويكشف غاياته وحركاته (٥)، هذا وقد استخدم الكوهبانية اضافة الى ذلك

---

(١) الطبرى – تاريخ (٣١٤/٩)، ابن الاثير – الكامل (٢٤٠/٥)، الجنابى م.س (ص ٥١ – ٥٢) .

(٢) الطبرى – م.س (٣١٤/٩) .

(٣) ابن الاثير – م.س (٢٤٠/٥) .

(٤) الطبرى – م.س (٣٢١/٩)، الجنابى – م.س (ص ٥٢) .

(٥) الطبرى – م.س (٣٦/٩)، الجنابى – م.س (ص ٥٢) .

ادلاء يرافقون القطعات المتقدمة ليدلوها على الطرق الآمنة والمسالك الصحيحة اذ يفترض فيهم معرفة المسالك بصورة جيدة (١) . كما انهم كانوا يرافقون الميرة والتموين والتجهيزات وغير ذلك مما يرد مددا للجيوش التي يجرى انفاذها فى المهمات العاجلة وذلك للسلوك بها فى امن الطرق واقصرها ضمانا لتأمينها ولسرعة وصول تلك الامدادات للجيش (٢) . اضف الى ذلك فانهم استخدموا كذلك لمراقبة الطرق فى الليل لئلا يخرج منها من يقطعها او يعبث فيها فسادا" (٣) . وقد يعتمد الكوهبانية فى نقل اخبارهم عند الضرورة وفى الحالات الحرجة على الاشارات المتبادلة مثل تحريك الاعلام فيقفون على مشارف الطرق او على المرتفعات ،وعند مشاهدتهم لامر مريب او وصول اية معلومات لهم فانهم يقومون بنقلها بالاشارات عن طريق تحريك الاعلام بطريقة خاصة متفق عليها ضمانا لسرعة ابلاغ القيادة بالخبر (٤) .

الشعوذى :

وهو رسول من الامير على البريد فى المهمات وسمى بذلك لسرعته وخفته فى كل امر (٥) ، وقيل هو رسول صاحب الجيش الى صاحب البريد (٦) ،ولعل

---

(١) الطبرى – م٠س (٩/٢٥ – ٢٦،٢٩ – ٣٠)، الجنابى – م٠س (ص ٥٢) .

(٢) الطبرى – م٠س (٩/٣١٤) .

(٣) الطبرى – م٠س (ص٩/٤٥)، الجنابى – م٠س (ص ٥٢) .

(٤) الطبرى – م٠س (٩/٢٤)، الجنابى – م٠س (ص ٥٢) .

(٥) الفيروز ابادى – القاموس المحيط (١/٣٥٥)، الزبيدى – تاج العروس (٢/٥٦٦)، القاسمى – البريد (ص ٦٩) .

(٦) الهرثمى – مختصر سياسة الحروب (ص ٣٨) .

من المرجح ان هذا المنصب كان فى عهد الدولة الاموية فقد ذكرت المصادر ربيعة الشعوذى الذى ذكره ابن سعد فقال " اخبرنا مالك بن اسماعيل النهدى قال حدثنى سهل بن شعيب ا ن ربيعة الشعوذى حدثهم قال ركبت البريد الى عمر بن عبدالعزيز،فانقطع فى بعض ارض الشام فركبت السخرة حتى اتيته وهو بخناصره ،فقال مافعل جناح المسلمين ؟ قال قلت وماجناح المسلمين يا امير المؤمنين قال : البريد قال قلت انقطع فى ارض او مكان كذا وكذا قال فعلى اى شئ اتيتنا قال قلت على السخرة تسخرت دواب النبط قال تسخرون فى سلطانى فامر بضربى اربعين سوطا رحمه الله" (١) . غير ان المصادر لم تقدم معلومات اضافية بعد ذلك اذ لم يرد عن هذا المنصب معلومات تخص فترة العصر العباسى .

الرصد او الراصدون :

وهم الرجال الذين تشحن بهم المسالح لغرض مراقبة الطرق (٢) او القبض على المطلوبين او الخارجين على السلطة ،وقد ظهرت المراصد منذ اواخر العهد الاموى فقد ذكر الجهشيارى " انه لما غلب عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن ابى طالب فى ايام مروان على اصبهان وبعض فارس وبعض الاهواز وفد اليه الهاشميون اجمعون من بنى على رضوان الله عليه ومن بنى العباس وغيرهما فاستعان بهم فى اعماله وقلد ابا جعفر المنصور كورة ايذج فاخذ ابوجعفر المال وحمله بسفاتج على يدى عبد الرحمن بن عمر الى البصرة ولم يحمل الى ابن معاوية شيئا ،ثم صار ابو جعفر الى الاهواز قاصدا البصرة ،وكان سليمان بن حبيب بن المهلب عليها من قبل

---

(١) ابن سعد ـ الطبقات (٣٧٤/٥) .

(٢) دوزى ـ تكملة المعاجم (١٥٢/٥) .

مروان،قد وضع الارصاد على كل من يمر من عمال ابن معاوية فمر برصده ابو جعفر فاخذ واتى به الى سليمان بن حبيب"(١) .

ومن هذا نجد ان مهمة المراصد الاساسية هى القبض على المطلوبين غير ان مهمتهم لم تقتصر على ذلك فقد كان اليهم تتبع اهل العبث والفساد فى الطرق واخذهم(٢) . كما كانوا يحتاطون على اباق المسلمين والبحث عن مواليهم واعادتهم اليهم،(٣) كما كان اليهم ان ينشدوا الضالة ما امكن وان يحفظوها ماجاز ان تحفظ،(٤) ويفترض فيهم ان يكونوا من الثقات(٥) ومن اهل الجلد والشهامة والحزم والصرامة وان يترفعوا عن السفاسف وان يحكموا ماقلدوا(٦). هذا وقد تطور امر المراصد فى الدولة العباسية تطورا كبيرا منذ عهد المنصور . فقد ذكر الطبرى ان ابراهيم بن عبدالله ابن الحسن لما نشب وخاف الرصد وكان معه السفيان العمى " فاتى السفيان العمى المنصور ... قال اتيتك بابراهيم بن عبدالله بن حسن انى قد بلوته واهل بيته فلم اجد فيهم خيرا فما لى عندك قال كل ماتسأل فاين ابراهيم قال دخل بغداد او هو داخلها عن قريب قال هو بعبدسى تركته فى منزل خالد بن نهيك فاكتب لى جوازا ولغلام لى ولفرانق

---

(١) الجهشيارى – الوزراء (ص ٩٨– ٩٩)، الاصفهانى– مقاتل الطالبيين (ص ١٦٧)، ابن خلدون – تاريخ (١٢١/٣)، ابن عنبة – عمدة الطالب فى انساب آل ابى طالب (ص ٣٨)،حسن العانى – سياسة المنصور (ص ٦١) .

(٢) الصابى – رسائل (ص ١٠٧) .

(٣) ن . م . س (ص ١٠٧) .

(٤) ن . م. س (ص ١٠٧) .

(٥) الطبرى – تاريخ (٣٧٩/٨) .

(٦) الطبرى – م.س (٣٧٩/٨)، الصابى – رسائل (ص ١٣٦) .

واحملني على البريد فكتب له جوازا ... فاقبل على ابراهيم فجعل يأمره وينهاه حتى اتى المدائن فمنعه صاحب القنطرة فدفع اليه جوازه فقال اين غلامك قال هذا فلما نظر في وجهه قال والله ماهذا غلامك وانه لابراهيم بن عبدالله ولكن اذهب راشدا" (١) . وخلال الفتنة التي حدثت بين الاخوين الامين والمأمون،عني الفضل بن الربيع بالمراصد في الطرق ووضع عليها الثقات . فقد ذكر الطبري ذلك فقال " كان الفضل بن الربيع اخذ بالمراصد لئلا تجوز الكتب الحد" (٢) . وذكر ايضا " كان المأمون وجه حارسه الى الحد فلايجور رسولمن العراق حتى يوجهوه مع ثقات من الامناء ولايدعه يستعلم خبرا ولايؤثر اثرا،ولايستتبع بالرغبةولابالرهبة احد ولايبلغ احد قولا ولاكتابا فحصر اهل خراسان من ان يستمالوا برغبة وان تودع صدورهم رهبة . ثم وضع على مراصد الطرق ثقات من الحرس لايجوز عليهم الامن لايدخل الظنة في امره ممن اتى بجواز في مخرجه والى دار مأبه او تاجر معروف في نفسهودينه ومنع الاشتات من جواز السبل والقطع بالمتاجر والوغول في البلدان في هيئة الطارئةوالسابلة وفتشت الكتب" (٣) . هكذا فقد كان اصحاب المراصد يستخدمون الشرائح تمد على الدروب بحيث لايتهيأ لاحد المرور في اوقات الليل الا باذنهم او اذن خاص للشخص المراد عبوره ،من الوزير او الشخص المسئول عن الامن .

---

(١) الطبري – م.س (٦٢٤/٧ – ٦٢٥) .

(٢) الطبري – م.س (٣٨٦/٨) .

(٣) ن . م . س (٣٧٩/٨) .

اصحاب المرور :

وقد ذكر الصابى فى قائمة النفقات التى ضمنها احمد بن محمد الطائى فى اول ايام الخليفة المعتضد بالله نفقات " الاعوان والحمالين واصحاب المرور وغيرهم" .ويبدو ان مهمة اصحاب المرور كانت مهمة امنية تتصل بتدقيق اوراق الجوازات والتأكد من صحتها ودقتها ومطابقة المواصفات الواردة فيها على شخص حاملها (١).

الامنـــاء :

وهم الذين يعهد اليهم بمراقبة الكتب الصادرة من العاصمة الى العمال فى المراكز المختلفة من اقاليم الدولة الاسلامية وتأكيدها اذا ماتثبتوا من ذلك ،ولعل اول اشارة وردت عن الامناء ترجع الى عهد الخليفة محمد المهدى بن ابى جعفر،فقد ذكر الطبرى فى احداث سنة ١٦١هـ/٧٧٧م :" وفيها امر المهدى يعقوب بن داود بتوجيه الامناء فى جميع الآفاق فعمل به فكان لاينفذ للمهدى كتاب الى عامل فيجوز حتى يكتب يعقوب بن داود الى امينه وثقته فى انفاذ ذلك" (٢)،وقد نقل ابن الاثير ذلك بقوله " وفيها امر المهدى يعقوب بن داود بتوجيه الامناء فى جميع الافاق ففعل فكان لاينفذ المهدى كتاب الى عامل فيجوز حتى يكتب يعقوب الى امينه بانفاذ ذلك" (٣) . وقد لعب الامناء دورا مهما فى الفتنة

---

(١) الصابى ـ الوزراء (ص ٢١)،متز ـ الحضارة الاسلامية (٢٢٤/١) .

(٢) الطبرى ـ م.س (٣٣٩/٩) .

(٣) ابن الاثير ـ م.س (٦٠/٥) .

التى حدثت بين الامين والمأمون،وذلك بان جعلهم المأمون على حد خراسان فاحكموا الرقابة فلم تنفذ الاخبار الى خراسان . ويبدو انه قد حصل تطور واتساع فى مهمة الامناء فى فترة الصراع هذه ذلك انهم اخذوا يرافقون الرسل المبعوثين من قبل الامين الى المأمون فلايدعوهم يستعلمون الاخبار ولايشيعوا الاخبار ولايبلغوا احدا قولا ولاكتابا،(١) هذا ويفترض فيمن يتولى هذا العمل ان يكون من الثقات فى انفسهم وعند من يستعملهم .(٢)

الركابى :

لفظة تطلق على من يركب دواب البريد،والركابيون هم (٣) الاشخاص الذين كانت تناط بهم مهمة نقل الرسائل والالطاف من مركز الى آخر على دواب البريد . ان النصوص الواردة عن الركابيين تشير الى انهم قد انقسموا الى فئتين :

(أ) الخيالة :

واليهم كانت مهمة نقل المعلومات والالطاف على ظهور الخيل والبغال وذلك لسرعة وصولها الى الخليفة فى المكان الذى يتواجد فيه او الى متولى البريد او الى المكان المنفذ الخبر اليه من قبلهما .(٤) وكان

---

(١) الطبرى ـ م.س (٣٧٩/٨) .

(٢) ن . م . س (٣٧٩/٨) .

(٣) الهمذانى ـ تكلمة تاريخ الطبرى (ص ١٩٨)،ياقوت ـ معجم الادباء (١١١/١٤ ـ ١١٢)، الرازى ـ مختار الصحاح (ص ٢٥٤)، الزبيدى ـ تاج العروس (٢٧٦/١)،دوزى ـ تكملة المعاجم (٢٠٣/٥) .

(٤) الطبرى ـ م.س (٢٩٣/١٠،٣٠٦،٣٣٢)، الجنابى ـ تنظيمات الجيش فى العصر العباسى (ص ١٣٧)، انطوان ـ الطائر الغريد (ص ٢٥،٨٩)،سعداوى ـ نظام البريد (ص ٧٩)،د.السامرائى ـ م.س (ص ٢٧٣) .

يفترض فيهم ان يكونوا من الرجال الاشداء ومن ذوى الجلد المتمرنين على الركوب والعدو، هذا وقد اطلق على هذا النوع من الريد فى الهند (١) " الولاق" ذكرهم ابن بطوطة بقوله " والبريد ببلاد الهند صنفان فاما بريد الخيل فيسمونه الولاق وهى خيل تكون للسلطان فى كل مسافة اربعة أميال" (٢) .

(ب) الركبان " الهجانة" :

لفظة تطلق على اصحاب الابل، (٣) ذلك انه فى الحالات التى يقطع طريق البريد مناطق صحراوية ومفاوز بعيدة يصعب على الخيل اجتيازها فان الجمال تكون الوسيلة المناسبة لنقل المرتبين من الركبان الذين يحملون الرسائل او المعلومات الى العاصمة،ومنها الى الاقاليم (٤) التى تتصف بالبيئة الصحراوية ،والتى تحجزها صحراء . وقد كان استخدام الجمال هو الوسيلة المثلى لانتقال الاشخاص والاغراض بين اطراف الجزيرة العربية المتباعدة وصحراء مصر الغربية، (٥) لذا كان لابد ان يكون الرجال الذين

---

(١) انطوان – م.س (ص ٨٩)،سعداوى – م.س (ص ٧٩) .

(٢) ابن بطوطة –تحفة النظار (ص ٢٦٢)،سعداوى – م.س (ص ٧٨) .

(٣) الفيروز ابادى – القاموس المحيط (٧٥/١)، الفيومى – المصباح المنير (ص ٢١٦)، الرازى – مختار الصحاح (ص ٢٥٤)، الزبيدى – تاج العروس (٢٧٦/١) .

(٤) ابن خرداذبه – المسالك (ص ١٤٣)، القرطبى – صلة تاريخ الطبرى(ص ٢٨)

(٥) ابن خرداذبه – م.س (ص ١٤٣)، القرطبى – م.س (ص ٢٨)،حسن ابراهيم حسن – تاريخ الاسلام السياسى (٢٧٥/٣)،سعداوى – نظام البريد (ص ٧٨)، وانظر : Sprenger , Die post , P. (3)

يعهد اليهم باستخدام الجمال لنقل الرسائل والمعلومات عليها، من المتخصصين بسياسة الجمال وطبائعها وطبائع البيئات الصحراوية ومن ذوى القدرة على التحمل والجلد، ذلك انهم يتعرضون على الدوام لمواقف محرجة او خطيرة اثناء قطعهم الصحارى، ومن المفروض ان يحسنوا التصرف فى مواجهتها، وايجاد الحلول العملية المناسبة لها .

الفيوج :

لفظة عامة تطلق على رسول السلطان الذى يسعى على رجليه (١)، وقيل هو المسرع فى مشيه الذى يحمل الاخبار من بلد الى بلد (٢)، ومما يذكر ان مهمة الفيوج كانت تنحصر فى نقل الرسائل والمعلومات من مكان لآخر سعيا على الاقدام .

السعاة :

وهم رجال خفاف تعودوا سرعة الحركة والجرى والصبر على السير لقطع مسافة ثلاث مراحل فى الزمن الذى يقطع به الاخرون مرحلة واحدة (٣) ومهمة السعاة كانت نقل الاخبار والمعلومات والرسائل من بلد لآخر سيرا على الاقدام، الا انهم كانوا اسرع من الفيوج (٤) حيث يفترض فيهم (٥) القوة

---

(١) الجواليقى – المعرب (ص ٢٤٣)، الفيومى – المصباح المنير (ص ٤٨٥)، الزبيدى – تاج العروس (٨٩/٢) .

(٢) ابن الاثير – النهاية فى غريب الحديث (٤٨٣/٣)، الرحبى – الرتاج (٥٨٥/١)

(٣) الحسن بن عبدالله – م.س (ص ٨٨)، انطوان – م.س (ص ٤٩)، سعداوى م.س (ص ٧٦) .

(٤) التنوخى – نشوار المحاضرة (٢١٧/٤ – ٢١٨)، ابن الجوزى – المنتظم (٢٢/٦)، ابن الاثير – الكامل (٢٢/٧)، الملك الاشرف – المسجد المسبوك، ورقة (١٤)، القلقشندى – صبح الاعشى (١٢٦/١) .

(٥) ابن بطوطة – تحفة النظار (ص ٢٦٢ – ٢٦٣)، القلقشندى – م.س (٩٨/٥)، الحسن بن عبدالله – م.س (ص ٨٨) .

وسرعة الجرى ومعرفة الطرق والمسالك المختلفة فى المنطقة التى يختص الساعى بالعمل فيها ٠

الطـــراد :

واحد من المناصب التى استخدمت فى البريد ولعل اول اشارة وردت عن هذا المنصب ترجع الى زمن عضد الدولة البويهى (٣٦٧ – ٣٧٢هـ/٩٧٧-٩٨٢م) فقد ذكر ابو شجاع الروذراورى ذلك بقوله " لقد ذكر بعض الطراد ان احد المرتبين قالت له امرأته قد طبخنا ارزا فتوقف لتأكل منه وتمضى فتوقف بقدر ما اكل وتأخرت النوبة ذلك المدى فضرب الطراد والمرتبون مابين شيراز وبغداد اكثر من ثلاثة الاف عصا"(١) ٠ والراجح ان مهمة الطراد كانت مراقبة المرتبين الذين يحملون الرسائل من مكان لآخر الا ان من المحتمل ان تكون مهمته مقتصرة على مراقبة المرتبين ،فقد ذكرت المصادر بانه كانت ادارة البريد فى عهد معز الدولة البويهى قد رتبت على كل فرسخ قوم يحضون السعاة على المسير(٢) ٠ غير ان المصادر لم تحدد طبيعة عملهم ولعلهم هم الطرادون ٠

البراجـــون :

وهم الذين يختصون برعاية وملاحظة ابراج الحمام المستخدم فى خدمات البريد ذلك انه اذا نزل الحمام ببرج من الابراج اخذ البراج المرتب

---

(١) ابو شجاع الروذراورى – ذيل تجارب الامم (ص ٤٠)، الساكر – العرب وتطور نظام البريد (ص ٧) ٠

(٢) التنوخى – نشوار المحاضرة (٢١٧/٤ – ٢١٨)، ابن الجوزى – المنتظم (٢٢/٦) ٠

فيه البطاقة المعلقة على الحمامة وعلقها على حمامة اخرى حتى ينتهى ذلك الى براج الحضرة فيأخذها البراج هناك الى متولى ديوان البريد او الوزير او الخليفة (١) .

نظار المناور :

وهم الذين كانوا يرتبون فى المناور على حدود الدولة الاسلامية وسواحلها وذلك للاعلام بحركة العدو اذا قصدوا دخول البلاد لحرب (٢) او غارة (٣) او فداء (٤) . وذلك باشارة الدخان نهارا وايقاد النار ليلا، وقد كان يفترض فى هؤلاء النظار قوة النظر وذلك لرؤية ما امامهم من تحركات بغية تنبيه من خلفهم (٥) . ومن الراجح انهم كانوا مدربين على اشارات

---

(١) التنوخى ـ نشوار المحاضرة (٢١/٣ ـ ٢٣)، العمرى ـ التعريف بالمصطلح الشريف (ص ١٩٦ ـ ١٩٧)، المقريزى ـ الخطط (٢١١/٢)، القلقشندى ـ صبح الاعشى (١١٩/١)، الانصارى ـ تفريج الكروب فى تدبير الحروب (ص ١٣)، الظاهرى ـ زبدة كشف الممالك (ص ١١٦)، الفيومى الصفوة ورقة (٥٠)، العبادى ـ التاريخ العباسى (ص ٩٥) .

(٢) العمرى ـ م٠س (ص ١٩٩)، القلقشندى ـ م٠س (١٢٨/١)، (٣٩٨/١٤)، الانصارى م٠س (ص ١٢)، الكتانى ـ التراتيب (١٩٤/١)، حسن ابراهيم ـ تاريخ (٢٧٦/٣)، النظم الاسلامية (ص ٢١٤)، سعداوى ـ م٠س (ص ١٥١) .

(٣) المقدسى ـ احسن التقاسيم (ص ٢٧٧)، سعداوى (ص ١٥٣) .

(٤) العمرى ـ م٠س (ص ١٩٩)، القلقشندى ـ م٠س (٣٩٨/١٤)، الانصارى ـ م٠س ، (ص ١٢)، الكتانى ـ م٠س (١٩٤/١)، حسن ابراهيم ـ تاريخ (٢٧٦/٣)، النظم (ص ٢١٤)، سعداوى ـ م٠س (ص ١٥٣) .

(٥) العمرى ـ م٠س (ص ٩٩)، القلقشندى ـ م٠س (٣٩٨/١٢)، الانصارى ـ م٠س ، (ص ١٢) .

معينة يحدثونها بالدخان او بالنار فى حالة رؤية العدو،تعرف بها المعلومات التى يراد ابلاغها،فقد تكون تلك الاشارات للدلالة على العدد، (١) وقد تكون للدلالة على الموقع وغيرها من الامور،وقد كان الغرض من المناور هوانذارالمسلمين او تحذيرهم من اجل ان يأخذوا الحيطة والحذر والاستعداد لصد هجوممفا جئ حتى لايؤخذوا على حين غرة او لحضور الفداء الذى قد تقدم بهمراكب العدو (٢) .

وقد اشتمل البريد اضافة الى ذلك على عدد من الوظائف التكميلية التى تسهم بدورها فى تكملة سير العمل فى هذه المؤسسة الا انه بدونها لايختل نظامه ولايبطل امره ومن هذه الوظائف :

السراجيون :

وهم الذين كانوايتولون اضاءة الطرق والقيام على اعداد المسارج وصيانتها وتزويدها بالمواد اللازمة للاضاءة . ومما يذكر ان المصادر اشارت الى ان من مهمات صاحب البريد القيام على الطرق وحفظها وصيانتها، (٣) ولعل من الامور التى تختص بالطرق هى اضاءتها بالمواقيد لتيسير ضبط القوافل او المارة للاتجاه الصحيح اثناء الليل عند مسيرهم لضرورة . وقد ورد فى كتاب المناسك ان عمر بن فرج الرخجى لما استخرج طريق " لينه "للخيزران (٤) ،

---

(١) العمرى ـ م.س (ص ١٩٩)، القلقشندى ـ م.س (٣٩٨/١٤) .

(٢) المقدسى ـ م.س (ص ٢٧٧)،سعداوى ـ م.س (ص ١٥٣) .

(٣) الحسن بن عبدالله ـ اثار الاول (ص ٨٥) .

(٤) طريق لينه فى طريق الكوفة ـ مكة يخرج من زباله ثم الى القريبة ثم الى بركة التناهى ثم الى الثعلبية ،انظر الحربى ـ المناسك (ص ٢٨٦) .

بنى فيه مواقيد . ومن الراجح من خلال دراسة اميال عبدالملك بن مروان (١) التى عثر عليها فى فلسطين ان يكون فيها موضع للانارة كان يستخدم فى الليل وقد رجح الاستاذ حسن الباشا ذلك بقوله " ويرجح من دراسة هذه الاميال انها كانت تثبت باسفل بناء فى اعلاه كوة كانت توضع فيها وسيلة للانارة فى اثناء الليل" (٢) . ومن المعروف ان الاميال كانت توضع على طول الطرق لذا كان لابد من قيام السراجين بمهام ايقاد المسارج التى كانت توضع فى الاميال او التى كانت توضع فى المواقيد . ومن الراجح

---

(١) الحربى – المناسك (ص ٢٨٧) ، وانظر AL Rashed, op, cit,P.22
لقد اشارت المصادر الى استخدام المسارج فقد ذكر ان تميم الدارى اول من استصبح فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر ايضا ان معاوية بن ابى سفيان رضى الله عنه اجرى للمسجد الحرام زيتا وقناديل ،وذكر ايضا ان خالد بن عبدالله القسرى وضع مصباحا فى المسجد الحرام فى ايام سليمان بن عبدالملك،كما ورد ان عمر بن عبدالعزيزامر الناس بان يوقدون ليلة هلال محرم فى فجاج مكة ويضعون فيها المصابيح للمعتمرين مخافة السراق وذكر كذلك انالمأمون اضاء المسجد الحرام وكتب فى اضاءة المساجد ليالى رمضان ،وورد ان الخليفة المعتصم بالله اول من اثقب النفطات بين الصفاوالمروة وفى الحج بين المازمين وذكر ايضا ان الواثق اضاء المسجد الحرام ،كما ورد ان المتوكل امر بان يوقد على المشعر الحرام وسائر المشاعر بالشمع مكان الزيت والنفط وذلك فى سنة ٢٤٧هـ .
انظر : هلال العسكرى – الاوائل (٣٢٣/١)، الازرقى – اخبار مكة (٢٨٧/١)، قدامة – الخراج (ص ١٨٠)، ابن الاثير – الكامل (٣٠٥/٥)، اسد الغابة (٢٥٧/١)، الفاسى – شفاء الغرام (٢٣٤/١)، ابن فهد – اتحاف الورى (٣٢٦/٢)، السيوطى – الوسائل (ص ٥١)، البسنوى – محاضرة الاوائل (ص ٤٢، ٩٢) .

(٢) د.الباشا – مدخل الى الاثار الاسلامية (ص ٢٠٤) .

ان الحاجة الى اضاءة الطرق للسابلة قد ادى الى ظهور الحاجة الى السراجين • وقد ورد ضمن قائمة الطائى التى ذكرها الصابى ان ثمن الشمع والزيت مائتى دينار فى الشهر ليوم ستةدنانير وثلثى دينار (١) ويبدو ان هذا الرقم الذى يعتبر اكبر من مخصص اصحاب الركاب والجنائب والسروج ومن يخدم فى دواب البريد بدينار وثلثى الدينار (٢) لم يكن لانارة دور الخلافة فقط بل ربما كان لانارة الطرق فى العاصمة دون الطساسيج المحيطة بالعاصمة ، وذلك لان نفقات تلك الطساسيج لاتتضمن ضمن نفقات دار الخلافة وانما تدخل ضمن نفقات السواد ولعل ذلك من مميزات النظام الادارى الاسلامى اللامركزى (٣) • وقد اكدت المصادر على رخص اسعار الزيت فى نهاية القرن الثالث الهجرى حيث اشارت الى ان حاصل ثمن جميع كمية الزيت المتيسرة فى بغداد بلغ فى احدى المناسبات عشرة آلاف دينار (٤) • اضف الى ذلك فقد ورد فى قائمة ضمان الطائى المشار اليها آنفا بان ثمن النفط والمشاقة للنفطات والمشاعل واجرة الرجال الذين كانوا فى خدمتها " من جملة مائة وعشرين دينار، اربعة دنانير لليوم" (٥) •

---

(١) الصابى ـ م•س (ص ٢٣)،د•السامرائى ـ م•س (ص ٢٣٩) •

(٢) الصابى ـ م•س (ص ٢٣)،د•السامرائى ـ م•س (ص ٢٣٩) •

(٣) د•السامرائى ـ م•س (ص ٢٣٠) •

(٤) التنوخى ـ نشوار المحاضرة (٧٩/٣ ـ ٨٢)، الهمذانى ـ تكملة تاريخ الطبرى (ص ١٩٨) •

(٥) الصابى ـ الوزراء (ص ٢٤) •

البيـاطـــرة :

وهم الذين يقومون برعاية الدواب وعلاجها،ذلك ان استخدام الدواب فى البريد استلزم توفير الرعاية الصحية لها وعلاجها والاشراف عليها (١) . وقد كان هؤلاء البياطرة يتولون هذه المهمة سواء كانت الدواب فى الاصطبلات فى العاصمة او ماكان منها فى سكك البريد .

العـلافـــون :

وهم الذين كانوا يقومون بجلب العلف والقيام بالاشراف عليه وتخزينه بصورة سليمة وتوزيعه على مخازن علوفة الدواب الملحقة بالاصطبلات فى العاصمة وكذلك فى سكك البريد المختلفة،ويبدو انه كان فى كل سكة من سكك البريد من يقوم على العلف وتقديمه للدواب (٢) .

اما بالنسبة للعلف فكان يختلف باختلاف الدابة فالخيل والبغال علفها الحشيش اليابس (٣) وقد تعلف بالمديد (٤)، اما الهجن فعلفها البقل او العض او المديد او العليق او القرظ (٥)،وهذه المواد توفر عادة من حصة

---

(١) قدامة – الخراج (ص ١٧٠)، الصابى – م.س (ص ٢٣)،د.السامرائى م.س (ص٢٣٤) .

(٢) قدامة – الخراج (ص ١٧١)،حاشية (٣)، القلقشندى – صبح الاعشى(٣/٤٧٥) .

(٣) النويرى – نهاية الارب (٩/٣٧٥) .

(٤) المديد هو العلف الذى يخلط به سويق او سمسم او دقيق او حشيش انظر ابن سيده – المخصص(٧/٨٩) .

(٥) العض من العلف هو القت والنوى وهو علف اهل الامصار،وقيل انه اسم يقع على شجر من شجر الشوك،انظر ابن سيده – م.س (٧/٨٧ – ٨٨)، العليق من العلف هو القظيم، القرط من العلف هو اجل القته انظر ابن سيده م.س (٧/٨٨ – ٨٩) .

بيت المال فى انتاج الاراضى الخراجية ،كما يتولى ديوان النفقات المركزى فى العاصمة ودواوين النفقات الاقليمية بتوفيرها من الاسواق المحلية عند الحاجة [١] .

السواس :

وهم الذين يقومون على امر الدواب وترويضها [٢]، وكذلك تولى علوفتها وسقيها واضمارها وتجليلها [٣]، هذا وقد اشارت المصادر الى انه كان فى كل مركز من مراكز البريد عدة سواس [٤] ، كما ورد انه كان لكل ثلاثة دواب سائس [٥] .

الراضه :

وهم الذين يقومون بتسيير الدواب وقت راحتها واخذها بالجرى الشوط او الشوطين،ومع ان المصادر المتأخرة قد اطلقت على الواحد منهم اسم "الشداد" [٦] . فقد ذكرهم الصابى باسم " الراضه" حيث اورد ذكرهم فى

---

(١) قدامة ـ م٠س (ص ١٧٠ ـ ١٧١)،د٠السامرائى ـ م٠س (ص ٢٣٤) .

(٢) الزبيدى ـ تاج العروس (١٦٩/٤) .

(٣) الاضمار هو تقليل علفها مدة وادخالها بيتا كنينا وتجليلها فيه لتعرق ويجف عرقها فيصلب لحمها ويخف وتقوى على الجرى،والتجليل هو تلبيس الفرس وغيره من الدواب نوعا من اللباس عرف بالجلال وذلك فى سبيل تعريقها . انظر النويرى ـ نهاية الارب (٣٧٥/٩) .

(٤) المقريزى ـ الخطط (٢٧٧/١) .

(٥) القلقشندى ـ صبح الاعشى (٤٧٤/٣) .

(٦) النويرى ـ نهاية الارب (٣٧٥/٩)، القلقشندى ـ م٠س (٤٧٥/٣)، الزبيدى تاج العروس (٣٨٨/٢) .

قائمة ضمان الطائى فى عهد الخليفة المعتضد بالله وذلك بقوله " ثم جمع النظر فى هذه الاصطبلات للنوشجانى لكفايته وثقته، واثمان كسوة الدواب وآلاتها وادويتها وعلاجها واجور الساسة والمكاريه والراضه والبياطرة " (١) .

هذا وقد اشار القلقشندى الى انه لكل اصطبل رائض وكان اليه الاشراف على هذا الاصطبل وهو بمثابة امير اخور البريد فى عصره (٢) .

الجـــوازات :

وهذه المراكز عبارة عن نقاط امنية تعترض الطرق على مداخل المدن، (٣) وعلى حدود الاقاليم، (٤) وعلى حدود الدولة الاسلامية فى مناطق الثغور (٥) وقد ظهرت الجوازات منذ وقت مبكر فى الدولة الاسلامية، ولعل اول اشارة وردت عنها تلك التى اوردها الامام مالك فى روايته : " عن يحيى بن سعيد عن زريق بن حيان ، وكان زريق على جواز مصر فى زمان الوليد وسليمان وعمر بن عبدالعزيز" (٦) . والراجح من خلال ما اورده الامام مالك ان الجواز

---

(١) الصابى — الوزراء (ص ٢٣)، د. السامرائى — المؤسسات (ص ٢٣٤)، قدامة الخراج (ص ١٧٠)، حاشية (٤) .

(٢) القلقشندى — صبح الاعشى (٤٧٥/٣) .

اميراخور البريد لقب مملوكى اطلق على القائم على امر الدواب من الخيل والبغال والابل وغيرها فى الاصطبلات، ولمعلومات اوفى انظر القلقشندى — م.س (٤٦١/٥)، السبكى — معيد النعم ومبيد النقم (ص ٣٧) د. حسن الباشا — الفنون الاسلامية (١٧٤/١ — ١٧٥) .

(٣) الطبرى — م.س (٦٢٤/٧ — ٦٢٥) .

(٤) ن . م . س (٣٧٩/٨) .

(٥) التنوخى — نشوار المحاضرة (٣١٩/١) .

(٦) مالك — الموطأ (٢٥٥/١) .

كان بمثابة نقاط للتفتيش والمراقبة ،ومما يذكر ان قتيبة بن مسلم الباهلى كان قد استخدم اوراق الجواز وذلك بعد ان تقدم لغزو كاشغر،فقد ذكر الطبرى ان قتيبة بن مسلم قد غزا " فى سنة ٩٦هـ/٧١٤م حمل مع الناس عيالهم وهو يريد انه يحرز عياله فى سمرقند.. فلما عبر النهر استعمل رجلا من مواليه يقال له الخوارزمى على مقطع النهر وقال لايجوزن احد الا بجواز ومضى الى فرغانة،قال اياس بن زهير لما عبر قتيبة النهر اتيته فقلت له انك خرجت ولم اعلم رأيك فى العيال فنأخذ اهبة ذلك وبنى الاكابر معى ولى عيال قد خلفتهم وام عجوز وليس عندهم من يقوم بامرهم فان رأيت ان تكتب لى كتابا مع بعض بنى اوجهه فيقدم على باهلى فكتب فاعطانى الكتاب فانتهيت الى النهر وصاحب النهر من الجانب الاخر فالويت بيدى فجاء قوم فى سفينة فقالوا من انت واين جوازك فاخبرتهم فقعد معى قوم،ورد قوم السفينة الى العامل فاخبروه ثم رجعوا الى فحملونى" (١) • ومن هذا ينعكس مبلغ تحوط قتيبة من الاعداء وحرصه على منعهم من الدخول الى ديار المسلمين،وحتى لايأتى من خلفه فانه اتخذ امر الجوازات • والراجح انه قد عهد الى الخوارزمى صاحب مركز التفتيش على الجوازات عند معبر النهر بتشديد الرقابة والتدقيق والا يسمح لاحد باجتياز النهر،بالاتجاهين دون ان يكون معه جوازا يخوله ذلك،وكان ايوب ابن شراحبيل الاصبحى عامل مصر فى سنة ١٠٠هـ/٧٢٠م قد اصدر امرا بالقبض على من وجد مسافرا او متنقلا من مكان الى مكان من غير سجل،واذا وجد صاعدا او نازلا من مركب، اوقعت الحوطة على المركب واحرق بما فيه (٢) • ويبدو

(١) الطبرى – م•س (٩٩/٨ – ١٠٠)•

(٢) متز – م•س (٤٢٥/٢) •

ان هذه الاجراءات قد اتخذت لمنع تسلل الجواسيس الى ديار الاسلام . ومما يذكر ان اوراق الجواز كان يدرج فيها اضافة الى معلومات وصفية عن حاملها قائمة باسماء كل من يرافقون المسافر حتى مواليه (١). هذا وقد استخدم الخليفة ابو جعفر المنصور اوراق الجواز خلال فترة حربه مع ابراهيم بن عبدالله بن الحسن (٢).

وقد شهد عهد المنصور تطورا فى امر الجوازات ذلك بانه جعل مراكز التفتيش على ابواب المدن فلايخرج منها احد ولايدخل اليها الابجواز،والراجح من خلال ما اورده القلقشندى عن الجوازات انه اذا اراد احد الاشخاص الخروج كتب له ورقة جواز وهى المعبر عنها بورقة طريق يرسم فيها طريق سيره،والوجهة التى يقصدها،او المدينة التى يريدها (٣)، هذا وقد حفظ لنا القلقشندى نموذجا لورقة الجواز التى كانت تستعمل حينذاك فقد قال :" اوراق الجواز وهى المعبر عنه باوراق الطريق وتكون ورقة الطريق فى ثلاثة اوصال فى قطع العادة يكتب فى اعلاها سطر واحد صورته " ورقة طريق على يد فلان بن فلان الفلانى " لاغير ،ثم يخلى بيت العلامة تقدير شبر ويكتب فى بقية ذلك الوصل قبل الوصل الثانى باربعة اصابيع مطبوقة بغير بسملة " رسم بالامر الشريف،العالى،المولوى السلطانى، الملكى، الفلانى . اعلاه الله تعالى وشرفه وانفذه وصرفه ان يمكن فلان الفلانى" ويذكر القابه ان كان اميرا او متعمما كبيرا او ممن له قدر او له القاب معهود او غير ذلك بحسب مايقتضيه الحال من

---

(١) ابن سعيد المغربى ــ المغرب فى حلى المغرب (ص ٥٣)،متز ــ م.س (٤٢٥/٢)

(٢) الطبرى ــ م.س (٦٢٤/٧ ــ ٦٢٥) .

(٣) القلقشندى ــ صبح الاعشى (١١٥/١ ــ ١١٦) .

التوجه الى جهة قصده والعود ويحمل على فرس واحد او اكثر من خيل البريد المنصور من مركز الى مركز على العادة متوجها وعائدا فان كان متميز المقدار كتب " ويعامل بالاكرام والاحترام والرعاية الوافرة الاقسام فليعتمد ذلك ويعمل بحسبه من غير عدول بعد الخط الشريف" (١) . ومن خلال هذه الورقة يمكن التوجه والعودة فيما اذا كان عائدا، (٢) والا فانه يقتصر على كتابه " ان يمكن من التوجه الى قصده" (٣) . هذا ويستطرد القلقشندى قائلا " وان رسم له بنفقة كتب بعد ذكر خيل البريد " ويصرف له من النفقة فى كل يوم كذا وكذا درهما" خلا الاماكن المرسوم بابطالها وذلك ان بالطرقات اماكن لايصرف فيها" (٤) ثم يضيف " ومما ينبه عليه ان صاحب ورقة الطريق ان كان من المماليك او رسول احد من اكابر البلاد ذكر فيه بعد ذكر مايليق به من الالقاب " فلان مملوك فلان او رسول فلان وتذكر القاب مخدومه" (٥) . وكان احمد بن طولون قد استعمل الجوازات لمنع الدخول والخروج من مصر وذلك عندما كان مستشعرا من الخليفة المعتمد واخيه الموفق بخطر، (٦) هذا وقد تطورت الجوازات تطورا ملحوظا فى عهد الخليفة المعتضد بالله العباسى وذلك انها اصبحت الزامية لكل الاشخاص الخارجين او الداخلين الى قزوين فقد اصدر امره

---

(١) القلقشندى – م٠س (٢٣١/٧ – ٢٣٢) .

(٢) ن ٠ م ٠ س (٢٣٢/٧) .

(٣) ن ٠ م ٠ س (٢٣٢/٧) .

(٤) ن ٠ م ٠ س (٢٣٢/٧) .

(٥) ن ٠ م ٠ س (٢٣٢/٧) .

(٦) البلوى – م٠س (ص ١٣٨) .

الى الوزير عبيد الله بن سليمان بالكتابة الى صاحبي الحرب والخراج بثغر قزوين بان لايدخل احد ولايخرج من قزوين الا بجواز (١) . هذا وقد استمر امر الجوازات ساريا حتى فى عهد بنى بويه فقد اشار المقدسى الى انه فى ايام عضد الدولة كان لايدخل احد مدينة شيراز ولايخرج منها الا بجواز (٢) ومما هو جدير بالذكر ان احد الباحثين المتأخرين ذكر بانه قد عثر على مجموعة من الجوازات غير انها لم تنشر حتى الآن (٣) .

نفقات المصانع :

المصانع المبانى من القصور والابار وقيل هى الاحواض الشبيهة بالصهاريج وقيل انها مساكات لماء السماء يحتفرها الناس فيملؤوها ماء السماء ويشربونها (٤) . وعادة ماتبنى هذه المصانع على حواف الطرق الصحراوية التى ليس فيها مصادر طبيعية للماء . هذا وقد ورد ان الخليفة المهدى قام باتخاذ المصانع فى طريق مكة وذلك فى سنة ١٦١هـ/٧٧٧م (٥) .

هذا والراجح انه كان لتلك المصانع متول خاص يتبع متولى الطريق يقوم بالاشراف عليها وصيانتها واصلاح ماتهدم منها وذلك لضمان بقائها وادائها الغرض الذى اقيمت من اجله . ان اول اشارة وصل اليها البحث

---

(١) التنوخى - نشوار المحاضرة (٣١٩/١) .

(٢) المقدسى - احسن التقاسيم (ص ٤٢٩)، متز - الحضارة الاسلامية (٤٢٥/٢) .

(٣) متز - الحضارة الاسلامية (٤٢٥/٢) .

(٤) الفيومى - المصباح المنير (ص ٣٤٨)، الزبيدى - تاج العروس (٤٢٢/٥) .

(٥) الطبرى - تاريخ (٣٣٨/٩)، ابن الاثير - الكامل (٥٥/٦)، ابن فهد اتحاف الورى (٢١٢/٢) .

عن متولى نفقات المصانع ترجع الى عهد الخليفة المستعين بالله (٢٤٨ – ٢٥٢هـ/٨٦٢ – ٨٦٦م) فقد ذكره اليعقوبى بقوله "وكان بمكة رجل يقال له محمد بن حاتم على نفقات المصانع"[(١)] . ولم يرد فى ثنايا النصوص اية معلومات عن وجود مصانع فى غير طرق الحج ومكة .

البزة الرسمية لاصحاب البريد :

ان اشارات المصادر الى الزى الرسمى لاصحاب البريد تدل على انه كان لعدد من اصناف المشتغلين بالبريد ملابس رسمية خاصة بهم،وان هذه الملابس كانت تختلف باختلاف مقام العاملين فى البريد،فقد اشار الصابى الى ان زى متولى البريد كان السواد على عادة ارباب الدواوين وكبار القادة والموظفين،قال " وكان محمد بن عمر بن يحيى العلوى حضر دار المطيع رحمة الله عليه فى ايام شرف الدولة ومعه نحرير الخادم ومحمد بن الحسن بن صالحان الوزير اذ ذاك وابن الخياط صاحب ديوان الرسائل والحسن بن محمد بن نصر صاحب ديوان البريد والخبر وكلهم بالسواد"[(٢)] . ومن المعروف ان السواد هو شعار الدولة العباسية فكانت رايتهم سوداء وكان لباسهم ولباس عمالهم الرسمى السواد[(٣)] . وقد اشارت

---

(١) اليعقوبى – تاريخ (٤٩٨/٢)، AL Rashed, op, cit, P. 24 .

(٢) الصابى – رسوم دار الخلافة (ص ٧٣ – ٧٤).

(٣) فاروق عمر – الالوان ودلالتها السياسية فى العصر العباسى الاول (من مجلة كلية الاداب العدد الرابع عشر،مطبعة المعارف – بغداد ١٩٧١م) (ص ٨٢٨)،صالح احمد العلى – الوان الملابس العربية فى العهود الاسلامية الاولى (مقال نشر فى مجلة المجمع العلمى العراقى العدد السابع والعشرون السنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) (ص ٧١)،وانظر الصابى رسوم دار الخلافة (باعتناء كوركيس عواد) (ص ٧٤) هامش (١) .

المصادر الى ان ابا جعفر المنصور امر فى سنة ١٥٣هـ/٧٧٠م بلبس القلانس الطوال والدراريع مكتوب عليها بين كتفى الرجل (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) (١) فدخل عليه ابو دلامة فى هذا الزى فقال له ابو جعفر ماحالك قال شر حال وجهى فى نصفى وسيفى فى استى وكتاب الله وراء ظهرى وقد صبغت بالسواد ثيابى فضحك منه واعفاه وحده من ذلك (٢) . وورد ايضا ان المعتصم قد اكد على لبس القلانس (٣) . اما المستعين فانه صغر القلانس واحدث لبس الاكمام الواسعة التى لم تكن تعهد من قبل (٤) . هذا وقد اشار الصابى الى ان العباسيين من اصحاب المراتب كان زيهم السواد بالاقبية المولدة والخفاف ولهم منازل فى شد المناطق والسيوف وتقلدها (٥) . وذكر الاصطخرى ان زى السلطان الاقبية وربما لبسوا الدراريع التى هى اوسع فرجه واعرض جريانا وجيوبا من دراريع الكتاب والعمائم التى تحتها القلانس مرتفعة ويلبسون السيوف بحمائل وفى اوساطهم المناطق واحذيتهم الخفاف (٦) . هذا وقد كانت طوائف العمال لها زيها الخاص (٧) اذ كان الكتاب يلبسون الدراريع (٨) وهى ثياب مفتوحة من المقدمة (٩) . ومن الملاحظ ان الطبرى

---

(١) سورة البقرة آية رقم (١٣٧) .

(٢) الاصبهانى – الاغانى (٢٣٦/١٠)،فاروق عمر – الالوان (ص ٨٣٠)،صالح العلى – الوان الملابس (ص ٧١).

(٣) متز – الحضارة الاسلامية (٢٢٦/٢) .

(٤) ن . م . س (٢٢٦/٢) .

(٥) الصابى – رسوم دار الخلافة (ص ٩١) .

(٦) الاصطخرى – مسالك الممالك (ص ١٣٧ – ١٣٨) .

(٧) متز – م.س (٢٢٩/٢) .

(٨) مسكويه – تجارب الامم (٢٤٢/٢)،وانظر متز – م.س (٢٢٩/٢).

(٩) الصابى – رسوم دار الخلافة (ص ٩٦) هامش (٧)،متز – م.س (٢٢٩/٢).

قد اشار ان زى ولاة البريد فى الاقاليم كان السواد فقد ذكر " عن كلثوم ابن ثابت بن سعده وكان يكنى ابا سعده قال كنت على بريد خراسان ومجلسى يوم الجمعة فى اصل المنبر فلما كان فى سنة سبع ومائتين بعد ولاية طاهر بن الحسين بسنتين حضرت الجمعة فصعد طاهر المنبر فخطب فلما جاء الى ذكر الخليفة امسك عن الدعاء .. قال فقلت فى نفسى انا اول مقتول لانى لااكتم الخبر فانصرفت واغتسلت بغسل الموتى وائتزرت بازار الموتى ولبست قميصا وارتديت رداء وطرحت السواد" (١) . وقد اشار الاصطخرى الى انزى السلطان فى خراسان كان هو الدراريع والعمائم التى تحتها القلانس،والسيوف بحمائل ،والمناطق ،وخفاف كبيرة (٢) .

لقد اشارت المصادر الى انه كان للفيوج زى خاص بهم فقد ذكر الصابى ان الطائى قد "ضمن اسماعيل بن بلبل من الموفق وصار الى داره فى زى الفيوج ليقيم فيها ليلته وينجز له من غد ماوعده فلما حصل عنده انفذه الى اسماعيل فى ذلك الزى" (٣) . وقد ذكر ابن مسكويه بان سليمان ابن الحسنبن مخلد خرج من شيراز هاربا الى بغداد فى سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م فى زى الفيوج وذلك بعد القبض على الوزير ابى الحسن بن الفرات فى وزارته الثالثة وتولى الخاقانى الوزارة (٤)، وقد ايد الهمذانى ذلك فقال " وكان سليمان بن الحسن بن مخلد وابو على بن مقله وابو الحسن محمد بن محمد ابن ابى البغل معتقلين بشيراز فاطلقهم ابو عبدالله الكرخى حين وقف

---

(١) الطبرى – تاريخ (٥٩٤/٨ – ٥٩٥)، ابن طيفور – تاريخ بغداد (ص ٧٢).

(٢) الاصطخرى – مسالك الممالك (ص ١٣٨) .

(٣) الصابى – الوزراء (ص ٤٤).

(٤) ابن مسكويه – تجارب الامم (١٤٠/١) .

على عزل ابن الفرات فكتب ابن ابى البغل على جانب تقويمه ... واتفق ان سليمان هرب فى زى الفيوجى فاشتد الامر على الخاقانى وارجف له بالوزارة" (١) .

ان هذه النصوص جميعا تؤكد بان للفيوج زى خاص بهم . وقد ذكر التنوخى ان زى الفيوج كان تاسومة (٢) ومرقعة (٣) وركوة (٤)،وذلك فى قوله " وجدت فى بعض الكتب ان عبدالله المعروف بابن الطبرى النصرانى الكاتب قدم سرىمن راى يلتمس التصرف فلزم الدواوينمدة الى ان نفذت نفقته وانقطعت حيلته ولم يبق الاماعليه من كسوته فعدم القوت ثلاثة ايام بلياليها وهو صابر خوفا من ان يبيع ماعليه فيتعطل عن الحركة فلما كان اليوم الرابع عمل على بيع ماعليه ليأكل ببعضه وليشترى بالبعض الآخر تاسومة ومرقعة وركوة ويخرج فى زى فيج الى بلد آخر" (٥) .

---

(١) الهمذانى- تكملة تاريخ الطبرى (ص ٢٤٦) .

(٢) التاسومة ضرب من الاحذية،قيل انها معربة من تاسم ومعناها الضفيرة والقده،والسيرة،وفرعه الحذاء . انظر ادى شير - الالفاظ الفارسية المعربة (ص ٣٣) .

(٣) المرقعة نوع من الالبسة الصوفية، ارتدته الصوفية اولا وكانوا يجعلون به رقاعا مخاطه اظهارا للزهد،ثم لبسه غيرهم من الناس واصبح اسمه مرقعة ولو خلا من الرقاع ويقصد به اللباس الرخيص الثمن، انظر التنوخى - الفرج (١١٧/١) حاشية (٢) .

(٤) الركوة اناء منالجلد صغير الحجم يوضع فيه الماء للشرب ،انظر التنوخى - م.س (١١٧/١)،حاشية (٣) .

(٥) التنوخى - الفرج بعد الشدة (١١٧/١) .

آلات البريد وعلاماتـــــه :

اشارت المصادر الى ان البريد قد استعمل آلات متعددة متنوعة وذلـــك بحسب غرض استعمالها فمنها ماكان يختص بالدواب التى تنقل عليها الخرائط والحمول ومنها ماكان يختص بحفظ الكتب وذلك لضمان سرية المعلومات التـى تحتـويها . ومن تلك الالات سروج الدواب وآلات الجمازات ،والحقائب لنقـــل الالطافه اما عن السروج فكان من الطبيعى ان تكون فى مخازن ديوان البريـد عدد كبير من السروج وذلك لاستخدامها الواسع فى ركوب الدواب التى كانـت تنقل المعلومات والتى كانت تجرى بين سكة واخرى،والراجح انه كان فـــى كل سكة من سكك البريد عدد من السروج لاستخدامها وقت الحاجة .

وقد ذكر ابن منكلى" انه كان يتعين على صاحب البريد ان تكون عنـده عدة سروج بحسب مايكون ،وتكون تلك السروج كاملة العدة حتى الدبـــوس والمخصرة، التى هى المقرعة ،ولبابيد كذلك،لاحتمال وقوع امر يحصل للملـــك فتكون تلك السروج موجودة واتخاذ اللبابيد لاحتمال فصل الشتاء لعلـــه ان يحدث الامر فى ذلك الوقت لوقاية الخيل"[(١)] . هذا ويفهم من قائمة ضمـــان الطائى التى اوردها الصابى بانه كان هناك اشخاص يوكل اليهم امر خدمـــة دواب البريد وتسريجها اذ ذكر " ارزاق اصحاب الركاب والجنائب والســـروج ومن يخدم فى دواب البريد من جملة مائة وخمسين دينارا فى الشهر ليـــوم خمسة دنانير"[(٢)] ،كما ورد فى قائمة على بن عيسى التى عملها كميزانيـــة للدولة الاسلامية سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م " ان اجرة ساسة الكراع فى سائـــــــر

---

(١) ابن منكلى - الاحكام الملوكية (١٧٩/٢ - ١٨٠) .

(٢) الصابى - الوزراء (ص ٢٣) ،د.السامرائى - المؤسسات (ص ٢٣٩)، الزهرانى النفقات (ص ٤٣٠) .

الاصطبلات وارزاق المرتزقة فيه وثمن العلاج وجارى من برسم خزائن السروج ومايجرى مجرى ذلك على ما استقر عليه الامر مما يقبض فى كل سبعة وثلاثين يوما لشهر ثمانية آلاف ومائتى دينار" (١) .

ومن الآلات التى استخدمها البريد ايضا آلة الجمازات ،فقد ذكر الطبرى بانه " كان محمد بن عبدالملك الزيات يتولى ماكان ابوه يتولاه للمأمون من عمل المشمس والفساطيط وآلة الجمازات ويكتب على ذلك مما جرى على يدى محمد بن عبدالملك" (٢) . وكان ذلك فى عهد الخليفة المعتصم بالله . وقد ذهب بعض الباحثين المتأخرين ان آلة الجمازات تشبه المحفة على عجلة تجرها الدواب السريعة يركبها عمال البريد وانها قد تستخدم فى وقت الحروب لنقل الرجال وغيرهم ممن يتطلب عملهم السرعة (٣) . وقد حدث فى عهد الخليفة المقتدر بالله ان امر الوزير على بن عيسى بترتيب الجمازات بين مصر وبغداد وذلك عندما خرج مؤنس الخادم لحرب الفاطميين (٤) .

ومن الالات التى استخدمها البريد ايضا الحقائب وذلك لغرض نقل الالطاف فيها فقد ذكر الطبرى ان بغال البريد حملت الى المأمون فى

---

(١) الصابى - رسوم دار الخلافة (ص ٢٣)، الزهرانى - النفقات (ص ٤٢٣) .

(٢) الطبرى - تاريخ الامم والملوك (٩/٢٠) .

(٣) د.حسن ابراهيم حسن - تاريخ الاسلام (٣/٢٧٥)، النظم الاسلامية (ص ٢١٣ - ٢١٤)، سعداوى - نظام البريد (ص ٨٠) .

(٤) القرطبى - صلة الطبرى (ص ٥٢)، متز - الحضارة الاسلامية (٢/٤٢٠) ، حسن ابراهيم - تاريخ الاسلام (٣/٢٧٥)، النظم الاسلامية (ص ٢١٣ - ٢١٤)، سعداوى - م.س (ص ٨٠) .

الحقائب رطب ازادى وهو فى البذندون حين (٢) " ذكر عن سعيد العلاف (١) القارئ قال ارسل الى المأمون وهو ببلاد الروم وكان دخلها من طرطوس يوم الاربعاء لثلاث عشرة بقيت من جمادى الاخرة - سنة ٢١٨هـ - فحملت اليه وهو فى البذندون، فكان يستقرئنى فدعانى يوما فجئت فوجدته جالسا على شاطئ البذندون وابو اسحاق المعتصم عن يمينه فجلست نحوه منه فاذا هو وابو اسحاق مدليان ارجلهما فى ماء البذندون فقال ياسعيد دل رجليك فى هذا الماء وذقه فهل رأيت ماءا قط اشد برداولااعذب ولااصفى صفاء منه ففعلت وقلت يا امير المؤمنين مارأيت مثل هذا قط . قال اى شئ يطيب ان يوكل ويشرب هذا الماء عليه ؟ فقلت امير المؤمنين اعلم فقال رطب الازاد فبينا هو يقول هذا اذ سمع وقع لجم البريد فالتفت فاذا بغال من بغال البريد على اعجازها حقائب فيها الالطاف فقال لخادم له اذهب فانظر هل فى هذه الالطاف رطب فانظر فان كان فيها ازاد فات به فجاء يسعى بسلتين" (٣) . ومن هذا نجد ان الحقائب كانت كبيرة بحيث وسعت حمل سلتين من الرطب . ومن المعقول ان تصنع حقائب البريد من سلال مضلعة كبيرة غطاءها فى الاعلى تتعادل كل اثنتين منها على ظهر الدابة او ان تصنع من قماش متين ويخاط على شكل مستطيل ثم يجعل به جعبتين

---

(١) ازاد نوع من التمر الجيد قيل انه فارسى معرب انظر الزبيدى تاج العروس (٢٨٩/٢) .

(٢) البذندون بفتحتين وسكون النون ودال مهملة وواو ساكنة ونون ،ذكر ياقوت بانها قرية قرب طرسوس على مسيرة يوم بها مات المأمون.انظر ياقوت - معجم البلدان (٣٦٢/١ - ٣٦٣) .

(٣) الطبرى - م.س (٢٩٣/١٠)، ابن مسكويه - تجارب (٤٦٧/٦)، ابن الاثير الكامل (٢٢٦/٥)، مؤلف مجهول - العيون والحدائق (٣٧٧/٣ - ٣٧٨) .

او شقين على الجانبين وتخاط من ثلاثة جوانب وتظل مفتوحة من اعلاها وعادة ماكانت تحمل الالطاف فى هذه الجعبتين او الشقين اللتين تكونان متساويتين فى سعتهما بحيث تستقر على ظهور الدواب اذا ماملئتا بشكل متساو فى الوزن فتتعادلان ٠

هذا ومن الالات الاخرى التى استخدمها سعاة البريد لحمل الكتب الكنانة ،والخريطة ٠

والكنانة هى جعبة تتخذ من الادم ،والمشهور عنها انها تستعمل فى الاصل فى حمل السهام،(١) وقد تستخدم لاغراض اخرى مثل حمل الكتب او حفظها بها فقد ورد ان خالد بن الوليد رضى الله عنه وضع الكتاب الذى قدم به البريد من الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى كنانته٠(٢) والكنانة فى الواقع اقدم استعمالا من الخريطة ذلك انها استخدمت لحمل كتب البريد منذ عهد الراشدين رضى الله عنهم فقد اورد ابن سعد نصا مهما فى هذا الباب جاء فيه : "ان بريدا قدم على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فنثر كنانته فبدرت صحيفة فاخذها فقرأها"(٣) ٠

اما الخريطة فقد فصلت المصادر فى وصفها منذ القرن الثانى الهجرى والخريطة وعاء يشبه الكيس يتخذ من قماش الديباج الذى غالبا مايكون لونه اسود ٠ وقد تصنع احيانا من الخرق او الادم او الليف الهندى او الخيش وتغلق فوهة الخريطة عادة باحكام بطريقة اعتادت المصادر على تسميتها

---

(١) الرازى ــ مختار الصحاح (ص ٥٨٠)، القيومى ــ المصباح المنير (٥٤٢)، الفيروز ابادى ــ القاموس (٢٦٤/٤)، الزبيدى ــ تاج العروس(٣٢٣/٩)٠

(٢) الطبرى ــ م٠س (٣٥/٦) ٠

(٣) ابن سعد ــ الطبقات (٢٨٥/٣) ٠

" بالتشريج" . ولايطلق التشريج الا على الخرائط ويكون ذلك باستعمال قطعة من قماش تعرف " بالشرابة " .

وتتخذ الخريطة لحمل الكتب او النقود او الاشياء النفيسة كالجواهر وغيرها [(١)] . ومما يذكر ان المصادر قد اوردت اسماء متعددة لاصناف متنوعة من الخرائط التى استخدمت فى البريد منها :

الخريطة المريشة :

وهى الخريطة التى يغرز فيها قوادم ريش سود [(٢)] وعادة مايحمل فى هذه الخرائط رسائل عاجلة تتضمن اخبارا مهمة كالانتصارات على الخارجين على الخلافة ،والظفر بهم فقد ذكر الطبرى فى احداث سنة ٢٥١هـ/٨٦٥م انه خرج بالكوفة رجل من الطالبين وهو الحسين بن محمد بن حمزة بن الحسين ابن على بن ابى طالب فوجه المستعين اليه مزاحم بن خاقان ارطوج فلما ظفر به كتب الى الخليفة فى خريطة مريشة ،وقد نص الطبرى على انه " كتب بفتحه الكوفة فى خريطة مريشة " [(٣)] . وقد ذكر الجاحظ بان الملوك اذاجاءتها الخرائط بالظفر غرزت فيها قوادم ريش اسود [(٤)] .

---

(١) الثعالبى ـ نسيم السحر (ص ١٤١) ، الصابى ـ رسوم دار الخلافة (ص ١٧) هامش (٥) ، (ص ١٢٧) ، الرازى ـ مختار الصحاح (ص ١٧٣) ، الفيومى المصباح المنير (ص ١٦٧) ، الفيروز ابادى ـ القاموس المحيط (٣٥٧/٢) ، الزبيدى ـ تاج العروس (١٢٨/٥) .

(٢) الجاحظ ـ الحيوان (٤١٨/٣) .

(٣) الطبرى ـ م.س (٣٢٨/٩) .

(٤) الجاحظ ـ م.س (٤١٨/٣) .

الخريطة الصفـــــراء :

وهى الخريطة التى تخرج عادة من دار الخلافة الى اهل الموسم برؤية هلال ذى الحجة ٠ان اول اشارة وردت عن هذا النوع من الخرائط ترجع الى آخر عهد الخليفة المتوكل على الله ،فقد اشار الطبرى فى احداث سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م الى ان الخليفة المتوكل على الله امر فى السنة المذكورة " بانفاذ خريطة صفراء من الباب ـ دار الخلافة ـ الى اهل الموسم برؤية هلال ذى الحجة وان يسار بها كما يسار بالخريطة الواردة بسلامة الموسم"(١)٠

وهكذا فان الصفة الغالبة التى تميز الخريطة الصفراء عن غيرها هى مايفترض من سرعة انفاذها اذ يقتضى ان تصل من عاصمة الخلافة العباسية الى امير الحج فى مكة المكرمة قبل يوم التروية لتعينه فى تعيين يوم الموقف فى عرفات ٠ ويظهر من النص ايضا ان هناك خريطة اخرى مشابهة تصدر من اميرالحج فى مكة المكرمة يقصد بها الخليفة تتضمن اخبار الموسم وسلامة الحجاج ٠

الخريطة البندارية :

وهى خريطة عاجلة مفردة عن سائر الخرائط(٢) ويبدو من التسمية ان نسبتها هى الى كلمة " بندار" والتى تعنى الحافظ(٣) ٠ ان اول اشارة عن الخريطة البندارية هى تلك التى حفظها لنا الطبرى عن الرسالة الجوابية التى رد بها الخليفة المأمون على رسالة اسحاق بن ابراهيم

---

(١) الطبرى ـ م٠س (٢٣٤/٩) ٠

(٢) ن ٠ م ٠ س (٦٤٤/٨) ٠

(٣) الزبيدى ـ تاج العروس (٦٠/٣) ٠

حول موضوع الامتحان بالقول بخلق القرآن فقد نص الطبري على انه جاء فيها " وقد انفذ امير المؤمنين كتابه هذا فى خريطة بندارية ، ولم ينظر به اجتماع الكتب الخرائطية معجلا به تقربا الى الله عز وجل بما اصدر من الحكم ورجاء ما اعتمد وادرك ما امل من جزيل ثواب الله عليه فانفذ لما اتاك من امر امير المؤمنين وعجل اجابة امير المؤمنين بما يكون منك فى خريطة بندارية مفردة عن سائر الخرائط لتعرف امير المؤمنين مايعملونه ان شاء الله وكتب سنة ٢١٨هـ" (١) .

الخريطة المحلقة :

وهى الخريطة التى تحلق بعدد من الحلقات،فقد وردانه لما صرف حامد بن العباس من الوزارة بابى الحسن بن الفرات فى وزارته الثالثة سنة٣١١-٣١٢هـ/٩٢٣-٩٢٤م،اعترف حامد بان له بذمة جماعة من اهل واسط نحو ثلاثمائة الف دينار،ودائع وكتب اليهم بتسليمها الى الوزير ابن الفرات فانكروا ذلك وعاد الجواب منهم بالانكار فاخذ الوزير ابن الفرات الجواب وادخله على حامد فى سجنه فحلف واكد الايمان انه صدق،وبذل اعادة المكاتبة وتأكيد القول مما لايكون بعده مراجعة وكتب الى القوم بما استوفاه الخطاب فيه واطلع ابن الفرات على الكتاب " فقرأه وامضاه ووقع فيه توقيعا طويلا يلزمه فيه المبادرة بالمال وترك تأخيره او قبول احتجاج فى امره وامر كاتبه ابا القاسم زنجى بختمه وانفاذه فى خريطة محلقة ،فاصلحها وعنونها وحلقها باحدى عشرة حلقة وانفذ ها الى ابى مروان عبدالملك بن محمد الزيات،وكان على ديوان البريد" (٢) . ومن هذا

---

(١) الطبري – م٠س (ص ١٩٥) .

(٢) الصابى – الوزراء (ص ١٩٤ – ١٩٥) .

يظهر ان الخريطة المحلقة مأمونة مضمونة المحتويات ذلك انه يحيط بها حلقات متصلة قد تكون من الحديد ولعلها مغلقة ومختومة بما يضمن عدم امكان التلاعب بها او التعرف على محتوياتها فى الطريق، بدليل انه جرى تحليقها بعد ختمها باحدى عشرة حلقة (١)، والراجح ان الرسائل المهمة التى يرغب الوزير ضمان انفاذها ووصولها بسرية وسرعة، كانت تحلق خرائطها، حيث يتولى صاحب ديوان البريد توجيهها على العنوان الموجود عليها .

اما بالنسبة للخرائط العادية، فقد اشار الصابى الى انها كانت فى العصر العباسى كما سبق والمحنا، تتخذ من الديباج الاسود اللون ثم يشد رأسها بشرابة اخرى فى اشريجاتها، وذلك بقوله " اما الخرائط فمن ديباج اسود ويشد رأس الخريطة بشرابة اخرى فى اشريجة " (٢) .

اما الشرابة :

فهى قطعة من القماش تشد بها الخريطة، وكانت تختلف بحسب الكتاب الموجه فان كان ذلك الكتاب من كتب المقاطعات والشروط الامامية تكون الشرابة ابريسما (٣) .

---

(١) ن . م . س (ص ١٩٥) .

(٢) الصابى – رسوم دار الخلافة (ص ١٩٥) .

(٣) الصابى – رسوم (ص ١٢٧) ، الابريسم نوع من الحرير فارسى معرب انظر ادى شير – الالفاظ الفارسية (ص ٦) ، صلاح المنجد – المفضل فى الالفاظ الفارسية المعربة (ص ١٦١) .

واما الاشريجـــة :

فهى العرى التى تكون فى رأس الخريطة لتشرج فيها الشرابة لشدها[(١)] واحكام اغلاقها،وقد كانت تختلف باختلاف مقام من توجه اليه الخريطة فان كانت تحمل كتاب تولية فان اشريجات الخريطة قد تكون من الفضة[(٢)] .

علامات البريـــد :

ذهب بعض الباحثين المحدثين الى انه كان للبريد فى العصر العباسى علامات تختص به ،ويعرف بها،واضاف دون ان يكشف مصادر معلوماته بان العرب قد اتخذوا " العلامات لرسل البريد فى عهد الخلفاء العباسيين وكانت علاماتهم قطعة من فضة بقدر الكف قد كتب على احدى صفحتيها البسملة واسم الخليفة وعلى الصفحة الثانية هذه الآية (انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا)"[(٣)] .

غير ان البحث الدقيق فى المصادر لم يكشف وجود مثل هذه المعلومات ولعلها قد جرى استقاؤها من بعض المخطوطات التى لم يكشف النقاب عنها الى الان . ومن الجدير بالملاحظة ان مؤلف التراتيب الادارية قد اورد المعلومات نفسها التى عزاها الى نفس المرجع[(٤)] ،كما ان سعداوى قد ذكره معتمدا عليهما معا[(٥)] .

---

(١) الزبيدى ــ تاج العروس (٦٣/٢) .

(٢) الصابى ــ رسوم (ص ١٢٧) .

(٣) نعمان انطوان ــ الطائر الغريد فى وصف البريد (ص ٩٥) .

(٤) الكتانى ــ التراتيب الادارية (١٩٤/١) .

(٥) سعداوى ــ نظام البريد (ص ٧٥) . مما تجدر الاشارة اليه ان القلقشندى اورد ان علامات البريد اصبحت رسما جاريا فى العصر المملوكى،ومن المعروف ان بيبرس البنتدقدارى هو الذى اعاد تنظيم البريد بين مصر والشام فى سنة ٦٥٩هـ/١٢٦٠م وذلك بعد انانقطع فترة من الزمن =

رسوم مكاتبات اصحاب البريد :

لم تقدم المصادر المعاصرة لفترة البحث معلومات مفصلة حول رسوم المكاتبات واصولها . ومع ان الموضوع يقع ضمن اختصاص ديوان الرسائل اصلا فان له اهميته الخاصة عند دراسة البريد . غير ان المصادر، ابتداء من القرن الرابع الهجرى تبدأ بتقديم معلومات وافية عن ذلك . فقد قدم الصابى فى كتاب الوزراء معلومات طيبة حول هذا الموضوع، ويستفاد منها بان المخاطبات الموجهة الى كتاب البريد تتنوع بتنوع الاعمال المسندة اليهم . وبالجملة فقد جرى تقسيمهم الى ثلاث طبقات :

الطبقة الاولى ممن يتقلد الاعمال الجليلة وهم يكاتبون بالعبارة التالية " اكرمك الله ومد فى عمرك من ابى فلان " اسم الوزير" (١)، والراجح ان هذه الطبقة هى طبقة رؤساء الدواوين، وفى مايتصل بالبحث فانه كانت تنحصر فى متولى ديوان البريد . وقد ورد ان "ابا مروان عبدالملك بن محمد الزيات الذى كان يتولى ديوان الخرائط المسمى ديوان البريد وحده ثلاثين سنة كان يكاتب " مد الله فى عمرك واكرمك واتم نعمته عليك وادامها لك" (٢)، ويبدو ان المكاتبات الى هذه الطبقة تختلف باختلاف

= فى هذه المناطق من جراء الاحداث التى مرت على الدولة الاسلامية آنذاك، انظر العمرى ـ التعريف بالمصطلح (ص ١٩٩)، ابن اياس الحنفى ـ نشق الاقطار فى عجايب الازهار لوحة (٨٨)، ابن منكلى ـ الاحكام الملوكية (٢٧٦/٢) هامش (٢)، المقريزى ـ السلوك (٤٤٦/١)، القلقشندى ـ صبح الاعشى (٣٧٠/١٤)، حسن ابراهيم ـ النظم الاسلامية (ص ٢١٦)، سعداوى م.س (ص ١٢٣) .

(١) الصابى ـ الوزراء (ص ١٧٨) .

(٢) ن . م . س (ص ١٧٨) .

انتماء من يشغلها فاذا كان هو فى الاصلمن القواد او الخدم، وتقلد البريد على الوزير واصحاب الدواوين،وانفرد بذلك دون غيره ممن هو اجل منه كوتب " اعزك الله واطال بقاءك واكرمك واتم نعمته عليك واحسانه اليك" (١) . اما اذا كان من طبقة الكتاب فكان يكاتب مثل الطبقة الثالثة من كتاب الدواوين الذين يكاتبون عادة " مد الله فى عمرك واكرمك واتم نعمته عليك واحسانه اليك . العنوان لابى فلان اكرمه الله" (٢) .

الطبقة الثانية : الكتاب الذين كانوا يكاتبون بـ " اكرمك الله واتم نعمته عليك وادامها لك" (٣) .

الطبقة الثالثة : وهم اصحاب الخرائط فى النواحى فكانوا يكاتبون بـ " حفظك الله وابقاك وامتع بك " (٤) .

اما عن الكتب والتقارير التى كانت تصدر من اصحاب البرد وتوجه مباشرة الى الخليفة القائم بالامر فلعل من المفيد ان نشير الى ان احد الباحثين المحدثين اورد نموذجا لتقرير كتبه صاحب البريد فى بغداد على الرغم من ان المصادر لم تشر بجلاء الى مثل هذه التقارير،فقد ذكر بان متولى البريد فى بغداد كتب الى الخليفة المتوكل كتابا هذا نصه :

" بسم الله الرحمن الرحيم . يا امير المؤمنين ان محمد بن عبدالله قد اشترى امة بمقدار مائة الف درهم وهو يسرى بها عن نفسه من الظهر الى المساء ويهمل شئون الدولة وان امير المؤمنين لايحب

---

(١) ن . م . س (ص ١٧٧) .

(٢) ن . م . س (ص ١٧٤) .

(٣) ن . م . س (ص ١٧٨) .

(٤) ن . م . س (ص ١٧٨) .

ان يرى بغداد فى سخط لان امير المؤمنين يجد صعوبة عندئذ فى اقـــرار النظام • وان العبد الخاضع يرفع ذلك الى امير المؤمنين حفظه الله •

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته " (١) •

اختصاصات البريـــد :

لقد شملت اختصاصات البريد اطارا واسعا من الاعمال والمسؤليـــات فبالاضافة الى انه كان يتولى نقل الرسائل من الخليفة الى مختلـــف اقاليم الدولة وبالعكس فقد تولى مراقبة جميع المؤسسات فى الدولة (٢)،كمـــا كانت اجهزته المختلفة تتولى مراقبة ولاة العهد والامراء والولاة والقضـــاة وعمال الخراج وكتاب الدواوين واصحاب الشرطة والاحداث اضافة الـــى مسئوليتها الاساسية الاخرى فى الكشف عن الجواسيس الذين يدخلون حـــدود الدولة الاسلامية بهدف نقل معلومات عنها الى الاعداء ،وماكانت تلـــك الاجهزة تضطلع به فى مجال حفظ الامن الداخلى ومراقبة الخارجين علـــى الخلافة والكشف عن قوى المعارضة • ولايقتصر عمل البريد على ذلك فقط بـــل كان عليه اضافة الى ذلك ان يساهم فى ضمان الامن ضد الخطر الخارجـــى ففى مجال الامن الخارجى تقوم اجهزة البريد المختلفة بنقل اخبـــار الثغور ومراقبة تحركات العدو على حدود الدولة الاسلامية وابلاغها الـــى الجهات المختصة بها فى اسرع وقت ومن اقصر الطرق (٣)،هذا اضافة الـــى

---

(١) حسينى ـ الادارة العربية (ص ٣٠١)،نقلا عن فون كريمر ـ الشرق فـــى عهود الخلفاء الذى لم يتيسر لى الاطلاع عليه ،ومن الملاحظ ان انـــور الرفاعى ـ النظم الاسلامية ،قد نقل المعلومة دون ان يورد مصادر لهـــا (ص ٩٤) •

(٢) د•السامرائى ـ المؤسسات (ص ٢٦٨) •

(٣) الحسن بن عبد الله ـ اثار الاول وترتيب الدول (ص ٨٥) •

ماكان يضطلع به البريد فى ضمان الاستقرار الاقتصادى ومنع حصول الازمات المفتعلة وضمان عدم التصرف غير المشروع بواردات بيت المال. اضافة الى نقل الالطاف الى الخلفاء ونقل الاشخاص المطلوب نقلهم من والى العاصمة بل لقد امتدت اختصاصات البريد حتى الى نقل الاراجيف والاخبار الشاذة .

اما الرسائل التى كانت توجه الى الخلفاء او تصدر عنهم فقد كانت تمثل الاوامر الصادرة عنهم الى المسئولين فى الاطراف ونقل اخبار الاجراءات التى يتخذها المسئولون فى الاطراف اضافة الى اعطاء صورة عن اوضاعهم الى الخلافة. يتولى البريد فوق ذلك نقل اخبار هذه الاطراف الى الخليفة مما يهيىء للعاصمة فرصة الوقوف على مجريات الامور والاحداث فى الدولة[(١)] ، اما عن تبليغ الاوامر التى كانت تشمل التعميمات التى تصدر من الخليفة فقد تعددت موضوعاتها وهى تشمل اعلان البيعة للخليفة بعد وفاة السلف ،كما تتضمن اعلان ولاية العهد وتولية الوزير وعزله هذا اضافة الى ماتقتضيه مجريات الاحداث التى تستوجب انفاذ التعميمات من قبل الخلفاء كالتعليمات الخاصة بالخراج او الجبايات او اقامة العدل او غيرها . وقد اوردت المصادر انه حينما توفى الخليفة المهدى سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م واخذت البيعة للهادى كتب الرشيد بذلك الى الآفاق[(٢)] . وذكر

---

(١) بطانية ـ تاريخ الحضارة (ص ١٣٥)، الجهاز الادارى (ص ١١٢) .

(٢) الطبرى ـ م٠س (٨/١٨٨ ـ ١٨٩)، الجهشيارى ـ الوزراء (ص ١٦٧)، ابن الاثير ـ م٠س (٥/٧٤)، ابن خلدون ـ تاريخ (٣/٢١٤)، مؤلف مجهول العيون والحدائق (٣/٢٨٢ ـ ٢٨٣)، ابو الفدا ـ المختصر فى اخبار البشر (٢/١٠) .

الطبرى ايضا انه لما توفى الخليفة الهادى فى سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م كتب يحيى بن خالد كتبا من الرشيد الى العمال يعلمهم بوفاة الهادى والبيعة للرشيد كما يعلمهم بانه قد ولاهم ماكانوا يلونه من الاعمال وانفذوها على البرد،قال الطبرى : " بعثت الخيزران الى يحيى تعلمه ان الرجل لما به وتأمره بالاستعداد لما ينبغى وكانت المستولية على امر الرشيد وتدبير الخلافة الى ان هلك فاحضر الكتاب وجمعوا فى منزل الفضل فكتبوا لليلتهم كتبا من الرشيد الى العمال بوفاة الهادى وانه قد ولاهم ماكانوا يلون فلما مات الهادى انفذوها على البرد (١) ·واوردت ايضا ان الرشيد لما غزا الصائفة فى سنة ١٩٠هـ/٨٠٥م شخص الى الرقةواستخلف المأمون وفوض اليه الامور وكتب الى الافاق بالسمع والطاعة له (٢) · ومن نماذج التعميمات المشار اليها ايضا ان الامين لما اراد البيعة لابنه موسى كتب الى جميع العمال بالدعاء له بالامرة بعد الدعاء للمأمون والمؤتمن (٣) · ومنها ان المأمون كتب الى الافاق فى سنة ٢٠١هـ/٨١٦م بانه جعل ولى عهد المسلمين من بعده على بنموسى الرضى وبانه قد امر جنده بطرح السواد (٤) ومنها انالخليفة المتوكل على الله كتب الى الآفاق بالنهى عن الجدل فى القرآن وغيره (٥) · ومنها ايضا انالخليفة المنتصر بالله كتب الى الآفاق

---

(١) الطبرى – م·س (٢١٢/٨) ·

(٢) الطبرى – م·س (٩٨/١٠)، ابن الاثير – م·س (١٢٣/٥)، مؤلف مجهول العيون والحدائق (٣١٢/٣) ·

(٣) الطبرى – م·س (١٣٠/١٠)، ابن الاثير – م·س (١٣٨/٥) ·

(٤) الطبرى – م·س (٢٤٣/١٠)، ابن الاثير – م·س (١٨٣/٥)·

(٥) ابن الاثير – م·س (٢٩١/٥) ·

بمقتل المتوكل والبيعة له .(١) ومنها ان الخليفة المعتمد على الله كتب الى الآفاق فى سنة ٢٧٩هـ/٨٩٢م بخلع ابنه جعفر المفوض من ولاية العهد والبيعة لابن اخيه احمد بن الموفق " المعتضد" وليا للعهد من بعده.(٢) ومنها ان الخليفة المعتضد بالله امر فى سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥م بانشاء الكتب الى جميع النواحى والامصار بترك افتتاح الخراج فى النيروز .(٣) وبتأخير الجباية قرابة الشهرين الى انتتضح الغلال وتجمع المحاصيل الزراعية. وفى سنة ٢٨٣هـ/٨٩٦م امر المعتضد بالله كذلك بالكتاب الى جميع النواحى برد الفاضل من سهام المواريث على ذوى الارحام،وبابطال دواوين المواريث وصرف عمالها فنفذت الكتب بذلك وقرئت على المنابر .(٤) اما عن تولية الوزراء وعزلهم فقد ذكرت المصادر ان الرشيد لما نكب البرامكة فى سنة ١٨٧هـ/٨٠٢م ارسل البرد من ليلته بالاحتياط على البرامكة جميعهم من كان منهم ببغداد ومن كان منهم فى جميع البلدان وفى قبض اموالهم ورقيقهم وحواشيهم واخذ وكلائهم .(٥)

وقد اشار ابن مسكويه الى ان الخليفة المقتدر بالله لما قلد على ابن عيسى الوزارة فى سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م كتب الى العمال والى جميع الامراء واصحاب البرد والخبر والقضاة بما قلده من الوزارة .(٦) كما ان المقتدر

---

(١) الطبرى – م.س (٢٣٠/٩)، ابن الاثير – م.س (٣٠٣/٥)، ابو الفدا المختصر (٤١/٢) .

(٢) الطبرى – م.س (٢٨/١٠) .

(٣) الطبرى – م.س (٣٩/١٠) .

(٤) ن . م . س (٤٤/١٠) .

(٥) الطبرى – م.س (٢٩٦/٨)، ابن الاثير – م .س (١١٥/٥)، ابن كثير البداية والنهاية (١٩٠/١٠) .

(٦) ابن مسكويه – تجارب الامم (١٤٩/١) .

كتب فى سنة ٣١٩هـ/٩٣١م تعميما بخبر تقليد الحسين بن القاسم المعروف بابى الجمال الوزارة (١) ، وفى سنة ٣٢٥هـ/٩٣٦م كتب الخليفة الراضى بالله كتاب نفذ الى الافاق باستيزار ابى الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات (٢) . وهكذا فان ديوان البريد يؤمن انفاذ هذه التعميمات الاساسية الخطيرة الى جميع مرافق الدولة فى المركز والاطراف على السواء .

مراقبة ولاة العهد :

من اختصاصات البريد مراقبة ولاة العهد فقد اشارت المصادر الى ان ولاة العهد قد خضعوا الى مراقبة دقيقة من قبل الخلفاء عن طريق اصحاب البريد فكانوا يوافون الخليفة بتقارير دقيقة تشمل تصرفاتهم واعمالهم وهباتهم التى يبذلونها للوافدين عليهم من شعراء وغيرهم ولعل اول من رتب ذلك الخليفة المنصور،فقد جعل ابنه المهدى تحت مراقبة دقيقة من عمال البريد اثناء فترة ولايته للرى،وقد نقلت المصادر بان الشاعر المؤمل بن اميل المحاربى (٣) قد شخص الى المهدى وهو بالرى فامتدحه بقصيدة قوامها عشرون بيتا فامر له المهدى بعشرين الف درهم ،فكتب بذلك صاحب البريد الى المنصور وهو بمدينة السلام فكتب المنصور الى ابنه

---

(١) ن . م . س (٢١٩/١) .

(٢) ن . م . س (٣٦٨/١) .

(٣) المؤمل بن اميل بن اسيد المحاربى شاعر من اهل الكوفة عاصر الدولتين الاموية والعباسية ، اشتهر فى العصر العباسى،وكان احد رجال الجيش ،لازم المهدى فترة من الفترات قبل خلافته وبعدها ، انظر الخطيب ـ تاريخ بغداد (١٧٧/١٣ ـ ١٨٠) ،ياقوت ـ معجم الادباء (٢٠١/١٩ ـ ٢٠٤) ، الزركلى ـ الاعلام (٣٣٤/٧) .نورى القيسى،داود سلوم شخصيات كتاب الاغانى (ص ٢٤١ ـ ٢٤٢) .

خطابا يعذله ويلومه فيه بقوله " انما كان ينبغى لك ان تعطى الشاعر بعد ان يقيم ببابك سنة اربعة آلاف درهم" [١] • هذا وقد اخضع الخليفة موسى الهادى اخاه هارون لمراقبة دقيقة حين اراد خلعه من ولاية العهد وقد انعكست آثار تلك المراقبة على يحيى بن خالد البرمكى، فقد اتاه شخص ذكر انه رأى رؤيا حسنة، وعوضا عن ان يكرمه او يحسن اليه، فانه جافاه واعرض عنه، وقال له بعد وفاة الهادى معتذرا :" ويحك انك اتيتنا ونحن فى حال كنا نتخوف الجدر ان يكون فيها من يسعى بنا، والاخوان ان يسعوا بنا ويحتالوا علينا" [٢] • مما يعكس مدى دقة المراقبة التى كانوا يخضعون لها واستمرارها واثرها • وفى عهد الخليفة الامين شذ المأمون عن هذه القاعدة التى سار عليها الخلفاء فى مراقبة ولاة عهودهم بواسطة البريد • فقد رفض طلب اخيه الامين بتوجيه صاحب بريد اليه ليوافيه باخباره • واورد الطبرى بان محمد الامين كان قد كتب الى المأمون، قبل مكاشفة المأمون اياه بالخلافة يسأله ان يتجافى له عن كورة من كور خراسان سماها وان يوجه العمال اليها من قبله وان يحتمل توجيه رجل من قبله يوليه البريد عليه ليكتب اليه بخبره فلما ورد الى المأمون الكتاب بذلك كبر عليه • ورفض ذلك [٣]، وفى عهد الخليفة المأمون اخضع

---

(١) الطبرى – م•س (٧٣/٨)، البيهقى – المحاسن (ص ٢٤٦)، الخطيب – تاريخ بغداد (١٧٧/١٣ – ١٨٠)، ياقوت – معجم الادباء (٢٠١/١٩ – ٢٠٤) ، العبادى – فى العصر العباسى والفاطمى (ص ٦٥) •القيسى، سلوم م•س(ص ٢٤١)•

(٢) الجهشيارى – الوزراء (ص ١٧١)، البيهقى – م•س (ص ١٩٧)، د• الشيبى اصحاب الاخبار (ص ٦٢) •

(٣) الطبرى – تاريخ (٣٣٧/٨ – ٣٧٩)، ابن الاثير – الكامل (١٣٩/٥) •

القاسم بن الرشيد الملقب بالمؤتمن ولى العهد لمراقبة دقيقة من اصحاب الاخبار . وقد استغل المأمون التقارير التى كانت ترفع عن اخيه فاقدم على خلعه عن ولاية العهد . فلقد ذكر البيهقى بان القاسم بن الرشيد كان " ساقط الهمة دنىء النفس وكان المأمون على ان يعهد اليه ويؤكد له ماكان الرشيد جعله له من ولاية العهد، وكان لايزال يبلغه عنه مايكره مرة فى نفسه، واخرى فى حشمه قال فرفع اليه فى الخبر يوما انه قال لقوام حمامه نوروا الناس بالمجان ففعلوا ذلك فلم يبق محتاج الا جاء يتنور فلما علم انهم كثروا اخرج عليهم الاسد من باب كان يدخل منه الى الحمام فخرج الناس عراة مغمى عليهم مع ماعليهم من النورة هاربين من الاسد فصاروا الى شارع قصره وقد اشرف عليهم وهو يضحك . فحدثنا الحسن بن قريش قال دعانى المأمون وقال ياهذا مالى ولهذا الفتى الى كم احتمل منه هذا الاذى قال فقلت قومه يا امير المؤمنين ان رأيت فى ذلك صلاحا قال نعم فقلت ياسيدى انه عضو منك وانت اولى الناس بتقويمه قال فجعل ينهاه ويأبى لاينتهى فلما كثر هذا من فعله عزم على خلعه" (١) .

مراقبة القضاة :

اشارت المصادر الى ان اصحاب البريد كانوا يلزمون بحضور مجالس القضاة ونوابهم او ارسال من ينوب عنهم، وذلك لموافاة الخليفة باخبار القضاة ومايقضون به بين الناس . وقد اوردت المصادر لمحات عما كان يضطلع به اصحاب الاخبار فى هذا المجال منذ العهد الاموى من مسئولية فقد ذكر ابن الجوزى ان اياس بن معاوية تقدم وهو صَبى الى

---

(١) البيهقى ـ المحاسن (ص ١٧٣) .

قاضى دمشق ومعه شيخ فى امر ظلامة لاياس،فمال القاضى الى الشيخ رفقا بـه فرفع صاحب الخبر ذلك الى الخليفة عبد الملك بن مروان . وقد نقل لنا ابن الجوزى ذلك فقال : " بلغنا ان اياس بن معاوية تقدم وهو صبى الى قاضى دمشق ومعه شيخ فقال اصلح الله القاضى هذا الشيخ ظلمنى واعتدى على واخذ مالى . فقال القاضى : ارفق به ولاتستقبل الشيخ بمثل هذا الكلام فقال اياس اصلح الله القاضى ان الحق اكبر منى ومنه قال اسكت قال ان سكت فمن يقوم بحجتى قال تكلم بخير فقال لااله الا الله وحده لاشريك له فرفع صاحب الخبر هذا الخبر فعزل القاضى وولى اياس مكانه" (١) .

ومن هذا يتبين ان اصحاب الاخبار كانوا يحضرون مجالس القضاة منذ عهد عبدالملك بن مروان (٢) . اما عن دور اصحاب البريد فى حضور مجالس القضاة فى العهد العباسى ورفع التقارير الدورية عنهم الى الخليفة فقد اوردت المصادر ان اصحاب البريد فى الافاق كانوا يكتبون فى كل يوم الى الخليفة المنصور بما يقضى به القضاة وهذا يدل على دوام حضورهم مجالس القضاة فى عهد الخليفة المنصور (٣) . ومن المرجح ان يكون الخلفاء الذين جاءوا بعد الخليفة المنصور قد انتهجوا عين

---

(١) ابن الجوزى ـ كتاب الاذكياء (ص ٢٠٢)،من الجدير بالذكر ان ابن عساكر ذكر ان عبدالملك لم يعزل القاضى وانما امره بقضاء حاجة اياس واخراجه من دمشق كما ان المصادر التى ترجمت لاياس لم تشر الى انه قد تولى قضاء دمشق فى حين ذكرت ان عمر بن عبدالعزيز ولاه قضاء البصرة وقد انفرد ابن الجوزى بهذا الخبر ، انظر ابن قتيبة المعارف (ص ٤٦٧)،وكيع ـ اخبار القضاة (٣١٢/١)، ابن خلكان ـ وفيات الاعيان (٢٤٧/١) .

(٢) ابن عساكر ـ تاريخ دمشق (١٧٩/٣) .

(٣) الطبرى ـ م.س (٣١٤/٩) .

سياسة المنصور التى رسمها فى هذا المجال،فقد اوردت المصادر ان بنى عبدالملك بن الحجاج قد تظلموا الى قاضى الخليفة المهدى على البصرة عبيد الله بن الحسن العنبرى فى امر ضيعة لهم فى تلك النواحى كان السفاح قد اقطعها لسليمان بن عبيدالله بن عبدالله بن الحارث بن نوفل " فقال ائتونى بكتاب من امير المؤمنين حتى احتال لكم فخرجوا فرفعوا الى المهدى قصة يذكرون فيها ان محمد بن سليمان بن عبيد الله غصبهم ارضا وحدودها فكتب لهم المهدى كتاب نصه :" ان كان محمد بن سليمان غصبهم كما ذكروا ردت الى ايديهم الا ان تكون عند محمد بن سليمان حجة يدفع بها ماذكروه " فقدموا بالكتاب على عبيد الله وقد ورد على محمد نسخة الكتاب فارسل محمد بن سليمان الى عبيدالله يسفر بينه وبينهم فرآه متحاملا،فانطلق الى صاحب البريد فقال له ان هذا الرجل متحامل على فاحضر لتكتب بما تسمع .. فقال عبيد الله قد ورد على كتاب امير المؤمنين فهذا صاحب خبره يأمر برد هذه الضيعة على هؤلاء القوم لانك غصبتهم اياها قال اقرأ كتاب امير المؤمنين فهذا صاحب خبره وهؤلاء وجوه اهل المصر فقرأ الكتاب وترك الا ان يكون عند محمد بن سليمان حجة تدفعهم بها فقال له محمد لم تتم قراءة الكتاب قال قد قرأته قال قلت الباطل ثم ضرب بيده الى الكتاب فانتزعه من يد عبيد الله ثم قال ياصاحب الخبر وانتم ايها الناس فانظروا ثم قرأ الكتاب . فقال عبيد الله والله لاضعن فى عنقك طوقا من الحكم لاتفكه العيون اشهدكم انى قد حكمت عليه لولد عبدالملك بن الحجاج وسلمت اليهم هذه الضيعة قال محمد والله لتعلمن ان قضاءك لايجاوز اذنيك ايها الناس وانت ياصاحب الخبر اشهدوا" (١) . فخرج محمد بن سليمان الى المهدى فكتب

---

(١) وكيع - اخبار القضاة (٩٢/٢ - ٩٣) .

المهدى الى عبيد الله كتاب مع محمد بن سليمان يأمره بفسخ الحكم فقدم محمد بن سليمان بالكتاب ودفعه اليه بحضرة صاحب الخبر " فقال عبيد الله اشهدكم انى قد قبلت كتاب امير المؤمنين وفسخت حكمى" .

هذا وقد اورد وكيع وابن الجوزى موقف القاضى سوار بن عبدالله مع حماد بن موسى صديق محمد بن سليمان ونقل صاحب الخبر ذلك الى المهدى وذلك بان حماد بن موسى كان الغالب على امر محمد بن سليمان فحبس سوار رجلا فبعث حماد فاخرجه من الحبس فركب سوار حتى دخل على محمد بن سليمان وهو قاعد للناس والناس على مراتبهم فجلس حيث يراه ثم دعا بقائد فقال اسامع انت مطيع ؟ قال نعم قال اجلس ههنا فاقعده عن يمينه ثم دعا آخر ففعل ذلك بجماعة من القواد قال انطلقوا الى حماد بن موسى فضعوه فى الحبس فنظروا الى محمد فاشار اليهم ان افعلوا مايأمركم فانطلقوا فوضعوا حماد بن موسى فى الحبس فانصرف سوار الى منزله فلما كان العشى اراد ان يركب محمد بن سليمان اليه فركب اليه سوار ،ثم استوهبه محمد بن سليمان ذنب حماد فوهبه له على ان يعيد ذلك الرجل الحبس فاعاده واطلقه ،وكتب صاحب الخبر بذلك الى المهدى فكتب الى سوار يجزيه الخير ويحمده على ماصنع "(١) .

---

(١) وكيع - اخبارالقضاة (٢/٦٩ - ٧٠)، ابن الجوزى - المصباح المضئ فى خلافة المستضئ (١/٤٦٧ - ٤٦٩) .

وفى عهد الخليفة الرشيد استمر الامر على هذا المنوال فى مراقبة القضاة اذ تشير المصادر الى ان صاحب البريد فى البصرة قد كتب الى الخليفة الرشيد بان " فى يد القاضى ارضين كثيرة فيهانخل وشجر ومزارع وان غلة ذلك يبلغ شيئا كثيرا فى السنة وقد صيرها فى ايدى وكلاء من قبله يجرى على الرجل الواحد منهم الفا او الفين او اقل او اكثر وليس يدعى فيها دعوىوان القاضى ووكلائه يأكلون ذلك "(١) .

ومما يذكر فى هذا المجال ان ثمة حادثة حصلت بين صاحب البريد فى مصر وبين القاضى فيها تشير الى استمرار اصحاب البريد فى مراقبة القضاة وتصرفاتهم واحكامهم متابعة دقيقة،وان المراقبة قد اتسعت لتشمل حتى مواعيد خروجهم للجلوس فى مجالس القضاء فقد اورد ابن عبد الحكم ان صاحب البريد فى مصر كتب الى القاضى ابى طاهر الاعرج عبدالملك بن محمد بن ابى بكر بن حزم الانصارى : " انك تبطئ بالجلوس للناس فكتب اليه ابو طاهر ان كان امير المؤمنين امرك بشئ والا فان فى اكفك وبراذعك ودبر دوابك مايشغلك عن امر العامة "(٢) ،وتشير هذه الرواية الى مدى مابلغه حال القاضى ازاء المراقبة المستمرة فهى تعكس رفض القاضى تدخل صاحب البريد آنذاك فى سلطته . كما انها تلقى الضوء على حالة التأزم التى قد تصل اليها العلاقة بين اصحاب البريد وبين القضاة

---

(١) ابو يوسف ـ الخراج (ص ٣٦٠) ، الرحبى ـ الرتاج (١/٥٨٣) .

(٢) ابن عبد الحكم ـ فتوح مصر واخبارها (ص ٢٤٥)، الكندى ـ الولاة (ص ٣٨٤ ـ ٣٨٥) .

ويبدو ان ذلك ناجم عن تصور القاضى بان صاحب البريد قد تجاوز بعض سلطاته واختصاصاته . وقد ذكر الكندى ان صاحب البريد هذا قد شفع مرة عند القاضى ابىطاهر فى خصم فكتب اليه القاضى " ما انت والقضاء ؟ عليك تدبر دوابك وبراذعها وكنس زبولها" .فكتب صاحب البريد الى الخليفة هارون الرشيد يغريه بالقاضى بان الناس قد شكوه .فكتب الرشيد الى داود بن يزيد بن حاتم وكان واليا على مصر يومئذ بان يوقف القاضى للناس فاقامه داود،فاثنى عليه الناس خيرا،وتبين من ذلك افتراء صاحب البريد على القاضى الذى استعفى من الرشيد على اثر هذه الحادثة (١) .

وفى عهد الخليفة المأمون كان اصحاب الاخبار يحضرون مجالس القضاة فقد ذكرت المصادر انه " كان لابىمسهر حلقة فى جامع دمشق بين العشاء والعتمة عند حائطه الشرقى فبينا ابو مسهر ليلةمن الليالى جالس فى مجلسه اذ دخل المسجد ضوء عظيم فقال ابو مسهر ماهذا قالوا هذه النار التى تدلى من الجبل لامير المؤمنين حتى تضىء له الغوطة،فقال ابو مسهر (اتبنون بكل ريح ايه تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون) (٢) وكان فى حلقة ابى مسهر صاحب خبر للمأمون فرفع ذلك للمأمون فحقدها عليه" (٣) . ومما تجب الاشارة اليه ان بعض القضاة فى عهد المأمون قد رفض السماح لاصحاب الاخبار بحضور مجالسه الا بعد ان يأذن هو بذلك . وقد ذكر الكندى ان القاضى هارون بن عبدالله الذى ولى قضاء مصر فى سنة ٢١٧هـ/٨٣٢م قد رفض حضور شخص بعثه زكريا بن سعد صاحب البريد مجلسه فرفع زكريا ذلك

---

(١) الكندى ـ كتاب الولاة والقضاة (ص ٣٨٤) .

(٢) سورة الشعراء الآيات (١٢٨،١٢٩) .

(٣) ابن طولون ـ قضاة دمشق (ص ١٦) .

للمأمون فاخذ المأمون جانب القاضى ورد الامر اليه ،فاذن القاضى بعد ذلك للشخص بالحضور فى مجلسه ،ونص الخبر على : " ان هارون بن عبدالله لما قدم جلس معه رجل فى مجلسه فقال ماحاجتك فقال ان صاحب البريد زكريا بن سعد امرنى بالجلوس معك فقال هذا مجلس امير المؤمنين ليس يجلس فيه احد الا بأمره فركب زكريا الى كيدر وعنده اسحاق بن ابراهيم ابن تميم واحمد بن محمد بن اسباط وحضر هارون بن عبدالله فقال زكريا ايها الامير انى بعثت رجلا يجلس مع ابى يحيى فمنعه .قال احمد بن محمد بن اسباط لهارون نشهد عليك بهذا فالتفت هارون فقال من هذا الغلام فقال كاتبه ابن الماجشون : هذا احمد بن محمد بن اسباط قال له هارون لعلك ياكلب تتكلم والله لقد هممت ان لاقوم من مجلسى هذا حتى يضرب ظهرك لما صح عندى من احوالك وسوء سيرتك. فامر كيدر بانصراف احمد بن اسباط وخشى عليه من هارون،وكتب الى المأمون فى ذلك ،فورد الجواب ان احب هارون ان يجلس معه والا فلا فقال هارون اما اذا رد امير المؤمنين الامر الينا فيجلس من شاء" (١) .

اما عن دور البريد فى مراقبة الامراء من البيت العباسى فقد اورد الاصبهانى بان صاحب الخبر رفع الى الخليفة المنصور بان " اياس بن مطيع زنديق وانه يعاشر ابنه جعفر وجماعة من اهل بيته ويوشك ان يفسدوا اديانهم وينسبوا الى مذهبه فقال له المهدى انا به عارف،اما الزندقة فليس من اهلها ولكنه خبيث الدين فاسق مستحل للمحارم ،قال فاحضره وانهنه عن صحبة جعفر وسائر اهله فاحضره المهدى ، وقال له ياخبيث

---

(١) الكندى ــ الولاة والقضاة (ص ٤٤٤ ــ ٤٤٥) .

يافاسق قد افسدت اخى ومن تصحبه من اهلى والله لقد بلغنى انهم يتقادعون عليك ولايتم سرورهم الا بك فقد غررتهم وشهرتهم فى الناس ولولا انى شهدت لك عند امير المؤمنين بالبراءة مما نسبت اليه بالزندقة لقد كان امر بضرب عنقك ،وقال للربيع اضربه مائتى سوط قال ولم ياسيدى ؟ قال لانك سكير خمير قد افسدت اهلى كلهم بصحبتك .. ثم قال قد رفع الى صاحب الخبر انك تتماجن على السؤال وتضحك منهم فقال لاوالله ماذلك منفعلى ولامن شأنى ولاجرى منى قط الامرة فان سائلا اعمى اعترضنى وقد عبرت الجسر على بغلتى وظننى من الجند فرفع عصاه فى وجهى ثم صاح اللهم سخرالخليفة ان يعطى الجند ارزاقهم فيشتروا من التجار الامتعة ويربح التجار عليهم فتكثر اموالهم فتجب فيها الزكاة فيصدقوا على منها فنفرت بغلتى من صياحه ورفعه عصاه فى وجهى حتى كدت اسقط فى الماء فقلت ياهذا مارأيت اكثر فضولا منك سل الله ان يرزقك ولاتجعل هذه الحوالات والوسائط التى لايحتاج اليها فان هذه المسائل فضول فضحك الناس منه ورفع على الخبر فى قولى هذا" (١) .

واورد الشابشتى ايضا انه انتهى الخبر الى اسحاق بن ابراهيم خليفة المعتصم على بغداد ان ابا على بن الرشيد كان يلازم دير مديان ويشرب فيه وكان له قيان يحملهم اليه ويقيم به الايام لايفتر عزفا وقصفا ،فوجه اليه ابراهيم يقبح فعله وينهاه عن المعاودة لمثله (٢) . كما ورد ايضا ان الخليفة المتوكل جعل الفتح بن خاقان على اخبار الخاصة والعامة

---

(١) الاصفهانى ـ الاغانى (٣١٧/١٣ ـ ٣١٨)، القيسى،وسلوم ـ شخصيات الاغانى (ص ٢٤٠) .

(٢) الشابشتى ـ الديارات (ص ٣٤ ـ ٣٥) .

مما يؤكد ان امراء البيت العباسى ،وهم على رأس الخاصة ،قد خضعوا لمراقبة دقيقة من قبل الخلفاء عن طريق اصحاب البريد . ولعل من المفيد ان نشير هنا الى دور صاحب خبر العسكر فى عهد الخليفة المعتصم وكشفه للمؤامرة التى اقدم عليها العباس بن المأمون اذ انه استطاع من خلال مراقبته للعباس ومن يدخل عليه او يخرج من عنده ان يكشف عما دبره القوم من الفتك بالخليفة المعتصم والبيعة للعباس بن المأمون .(١)

وعلى الرغم من ندرة المعلومات عن دور البريد فى مراقبة الامراء الا ان ماورد يلقى بصيصا من الضوء على ان البريد كان يتولى ضمن اختصاصاته مراقبة الامراء . ولعل ذلك كان من دواعى ضمان امن الدولة الذى حتم على الخلفاء اتخاذ مثل تلك الاجراءات . ومن الراجح ان تتأثر مراقبة امراء البيت العباسى،بمدى هيمنة الخلفاء وتمكنهم من الدولة او ضعفهم . فقد ذكر ابن الجوزى انه كان فى عهد الخليفة المعتضد بالله " رجل من ولد على بن ريطه من ولد المهدى يقال له فلان عظيم الا انه شر الناس واظلمهم وافسدهم لحرم المسلمين،واشدهم تشوقا الى مكايدهم،وليس فى الدنيا من ينهى خبره الى المعتضد خوفا من شره ولفرط تمكنه من الدولة والمال"(٢) .

ومن الامور التى شملها اختصاص عمال البريد مراقبة اهل الذمة فى الدولة الاسلامية اذ ان من المعروف انهم كانوا لايأمن جانبهم فى الميل الى اهل ملتهم،وخاصة فيما يتصل بعلاقاتهم بالبيزنطيين . ومن

---

(١) الطبرى – تاريخ الامم والملوك (٣٤٥/١٠) .

(٢) ابن الجوزى – كتاب الاذكياء (ص ٤٤) .

المفيد ان نذكر بان البريد قد افرد لمراقبة اهل الذمة فرقة خاصة وهم الفراجلة " حيث كانت هذه الفرقة تضطلع بمهمة مراقبتهم وانهاء اخبارهم الى الخليفة او الوزير كما سبق واشرنا . ولعل فى ما اورده الصابى فى هذا المجال مايلقى شيئا من الضوء على دور الفراجلة ،فقد ذكر بانه قد " رفع الفراجلة الى ابى الحسن بن الفرات بان رجلا من اليهود ادعى بان معه كتابا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فامره باخراج الكتاب فلما قرأه قال هذا مزور لان خيبر افتتحت بعد تاريخ كتابك بسبعة وستين يوما"(١) .

ان من المسلم به ان لايتم رفع الاخبار الا بعد تأكد ومراقبة وتحر ومن الطبيعى ان ذلك لايتم الاعن طريق الاختلاط باهل الذمة والتبسط معهم والتعرف على احوالهم وعلاقاتهم .

مراقبة السجون :

ومن الاختصاصات التى يتولاها عمال البريد مراقبة السجون والتعرف على احوال السجناء وخاصة المعارضين منهم فقد ورد ان الرشيد بعث مسرور الخادم يوما للنظر فيما يصنع البرامكة بعد سجنهم على اثر النكبة التى انزلها بهم فدخل مسرور عليهم بغتة فوجد يحيى بن خالد قاعدا والفضل ساجد " فقال له يا اخى يا حبيبى فلم يجبه فدنا منه فاذا هو نائم يغط فرجع الى الرشيد فاخبره فقال له الرشيد اى شىء كان عليه قال كان عليه طمر قد سمل قال خذ ذاك الدواج فاطرحه عليه ولاتنبهه ففعل مسرور ذلك وانصرف"(٢) . وقد نقل الجهشيارى مثل ذلك فقد ذكر بانه قد

---

(١) الصابى - الوزراء (ص ٧٧ - ٧٨) .

(٢) الجهشيارى - الوزراء (ص ٢٤٦) .

" صار اليهما سعيد بن وهب فسأل عن خبر الدواج فاعلماه فسر وقال ارجو ان يكون سبب الرضا فبينا سعيد يحادثهما سمع الفضل هاتفا يذكر خشفا معه ليبيعه فذكر بذلك بعض من كان يحظيه فاظهر اغتماما وقلقا وجزعا شديدا ففطن سعيد بحاله وسأله فاعرض عن اخباره فانشده شعرا لمجنون بنى عامر فاعطاه الدواج فابى ان يفعل ذلك وطالبه الفضل بأخذه فقال ما اصنع به والسجان لايدعنى اخرجه فارسل الى السجان يسأله اطلاق اخراجه له فقال لابد من اعلان مسرور بذلك لانى لاآمن ان يتأدى اليه وكتب اليه الخبر وكتب بالخبر الى الرشيد ففكر مليا ثم قال ماوهبناه له ونحن نريد ان نرتجعه منه فليهبه لمن شاء فاخذ سعيد الدواج ثم نهض" (١) . وفى خبر آخر ذكر الجهشيارى انه " لما حبس يحيى بن خالد مع الفضل ولده وضيق عليهما ومنعا من الناس ومنع الناس منهما كتب الموكل بهما فى بعض الاوقات انى سمعتهما يضحكان ضحكا مفرطا جدا فوجه الرشيد مسرورا يستعلم ذلك ومما هو فاتاهما مسرور وقال ماهذا الضحك المفرط الذى بلغ امير المؤمنين فاحفظه وقال ماهذا الاستخفاف بغضبى فازدادا ضحكا فقال مسرور ليس هذا بصواب لانى اتخوف عليكما من عاقبة اعظم مما انتما فيه فما القصة وما السبب الذى حداكما على ما انتهى الى امير المؤمنين عنكما" (٢) .

وفى عهد الخليفة المأمون استمر اصحاب البريد فى القيام بدورهم فى مراقبة السجون والتعرف على احوال المساجين ،وقد ذكر اليعقوبى ان الخليفة المأمون لما حبس ابراهيم بن عائشة فى المطبق، استمال اهل

---

(١) ن . م . س (ص ٢٤٦ – ٢٤٧) .

(٢) ن . م . س (ص ٢٤٥ – ٢٤٦) .

المطبق حتى حملهم على الوثوب وان يشغبوا . وقد تنصروا وشدوا الزنانير في اوساطهم فرفع محمد بن عمران صاحب البريد خبرهم، فركب الخليفة المأمون اليهم وقتل ابراهيم وعدد من الذين كانوا معه (١) . ومما يذكر ان الولاة قد انتهجوا مثل هذه السياسة، فقد ورد ان احمد بن طولون انفذ صاحب خبر له الى السجن للتعرف على مايدور داخل السجن (٢) . هذا وفي عهد الخليفة المقتدر بالله كان اصحاب الاخبار يضطلعون بهذا الدور في مراقبة السجناء، ويتضح ذلك من شعر انشده الحلاج ابان القبض عليه وايداعه السجن (٣)، وقد سبق ان اشرنا الى ذلك .

نقل الالطاف والاخبار الشاذة :

اشارت المصادر الى ان البريد تولى نقل الالطاف من الفواكه والمشموم وغير ذلك الى الخلفاء حيثما يكون مقرهم في مختلف اقاليم الدولة الاسلامية . فقد اوردت المصادر ان البريد نقل الى الخليفة المأمون في سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م الى البدندون رطبا ازاديا وذلك برواية سعيد العلاف القارئ قال " دعاني المأمون يوما فوجدته جالسا على جانب البدندون والمعتصم عن يمينه وهما قد دليا ارجلهما في الماء فامرني ان اضع رجلي في الماء وقال ذقه فهل رأيت اعذب منه او اصفى صفاء او اشد بردا ففعلت وقلت يا امير المؤمنين مارأيت مثله قط فقال اي شئ يطيب ان يؤكل ويشرب عليه هذا فقلت امير المؤمنين اعلم فقال

---

(١) اليعقوبي – تاريخ (٤٥٩/٢) .

(٢) البلوي – سيرة احمد بن طولون (ص ١١٥ – ١١٧) .

(٣) قال :من بعدماحضر السجان واجتمع الاعوان واختلط اسمي صاحب الخبر انظر ديوان الحلاج (ص ٥١)، الشيبي – اصحاب الاخبار (ص ٦٦) .

الرطب الازاد فبينما هو يقول اذ سمع وقع لجم البريد فالتفت فاذا بغال البريد عليها الحقائب فيها الالطاف فقال لخادم انظر ان كان فى هذه الالطاف رطب ازاد فأت به فمضى وعاد ومعه سلتان فيهما ازاد كأنما جنى تلك الساعة" (١) . وذكر ان البريد تولى نقل البطيخ الخوارزمى الممتاز للمأمون من خوارزم الى بغداد (٢) . وذكر الصابى ايضا ان البريد كان يحمل نبات الهليون الى الخليفة المعتصم بالله من دمشق الى سر من راى فى المراكن الرصاص وكان يصل فى مدة ستة ايام ،قال : " لقد انتهت مراعاة الامور قديما الى ان كانت خريطة الموسم ترد فى اليوم الرابع وخرائط مصر فى اليوم الحادى عشر وكان الهليون يحمل الى المعتصم بالله من دمشق فى المراكن الرصاص فتصل فى اليوم السادس" (٣) .

وقد استمر الامر كذلك من نقل البريد للالطاف الى الخلفاء والسلاطين،فقد ذكر ابو شجاع ان المرتبين كانوا يحملون الى عضد الدولة ابن بويه بواكير الفواكه والمشموم من نواحى فارس وخوزستان فتصل طرية سليمة (٤) .

اما عن نقل الاخبار الطريفة والشاذة التى كانت تحدث فى مختلف الاقاليم ،فقد كتب اصحاب الاخبار الى المأمون بان شيخا يأتى خرابات البرامكة فيبكيهم ويندبهم وينشد ابياتا من الشعر . وقد ذكر البيهقى

---

(١) الطبرى - م٠س (٢٩٣/١٠) ،مسكويه - م٠س (٤٦٧/٦) ، ابن الاثير - م٠س ، (٢٢٦/٥) ،مؤلف مجهول - العيون والحدائق (٣٧٧/٣ - ٣٧٨) .

(٢) الثعالبى - لطائف المعارف (ص ١٢٩) ، الدورى - تاريخ العراق الاقتصادى (ص ١٤٤) .

(٣) الصابى - رسوم دار الخلافة (ص ١٧ - ١٨) .

(٤) الروذراورى - ذيل تجارب الامم (ص ٤٠) .

قال ان "برون الكبير قال : وجه الى المأمون وقد مضى من الليل الثلث فقال لى يابرون قد اكثر علينا اصحاب الاخبار فى ان شيخا يرد خرابات البرامكة فيبكيهم ويندبهم وينشد ابياتا من الشعر فاركب انت وعلى بن محمد ودينار بن عبدالله حتى تردواهذه الخرابات فتصيروا من وراءجدرانها فاذا رأيتم الشيخ قد ورد وبكى وانشد فاتونى به . قال برون فركبت مع القوم حتى وردنا الخرابات واذا الخادم قد اتى ومعه زلية رومية وكرسى جديد واذا شيخ وسيم جميل له صلعة وهامةفجلس يبكى.. فتراءينا له ثم قبضنا عليه"(١) . وقد اكد الاربلى ذلك الخبر غير انه نقله عن مسرور الكبير قال " قال مسرور الكبير استدعانى المأمون يوما وقال قد اكثر على اصحاب الخبر بان شيخا يأتى خرابات البرامكة فيبكى وينتحب طويلا ثم ينشد شعرا يرثيهم بهوينصرف"(٢) . ومما يذكر ايضا ان ابراهيم بن عطاء المتولى للاخبار بسامراء فى عهد الخليفة المتوكل على الله كتب فى سنة ٢٣٥هـ/٨٤٩م الى الخليفة كتابا يذكر فيه وفاة الحسن بن سهل فقد اورد الطبرىانه " ورد كتاب ابراهيم بن عطاء المتولى الاخبار بسامرا يذكر وفاة الحسن بن سهل وانه شرب شربة دواء فى صبيحة يوم الخميس لخمس ليال بقين من ذى القعدة من سنة خمس وثلاثين ومائتين افرطت عليه وانه توفى فى هذا اليوم وقت الظهر"(٣) .

وذكر الطبرى ان كتاب صاحب البريد ببغداد ورد فى اليوم التالى لكتاب ابراهيم بن عطاء بوفاة محمدبن اسحاق بن ابراهيم والذى جاء فيه

---

(١) البيهقى - المحاسن (ص١١٦ - ١١٩).

(٢) الاربلى - خلاصة الذهب المسبوك (ص١١٠) .

(٣) الطبرى - م.س (١٨٥/٩)، (٤٤:١١) .

" فلما كان من الغد وردكتاب صاحب البريد بمدينة السلام بوفاة محمد بن اسحاق بن ابراهيم بعد الظهر يوم الخميس لخمس خلون من ذى الحجة فجزع عليه المتوكل جزعا وقال تبارك الله وتعالى كيف توافت منية الحسن ومحمد بن اسحاق فى وقت واحد" (١) . وفى سنة ٢٣٧هـ/٨٥١م كتب المعروف بابن الكلبى متولى بريد بغداد الى الخليفة المتوكل على الله بخبر اجتماع الناس وتمسحهم بجنازة احمد بن نصر، قال الطبرى :" كتب صاحب البريد ببغداد وكان يعرف بابن الكلبى الى المتوكل يخبر العامة وماكان من اجتماعها وتمسحها بالجنازة جنازة احمد بن نصر وبخشبة رأسه فقال المتوكل ليحيى بن اكثم كيف دخل ابن الابزارى القبر على كبر خزاعه فقال يا امير المؤمنين كان صديقا له ، فامر المتوكل بالكتاب الى محمد بن عبدالله بن طاهر بمنع العامة من الاجتماع والحركة فى مثل هذا وشبهه" (٢) . ونقل عن ابن الكلبى المذكور انه كتب الى الخليفة المتوكل خبرا طريفا يتعلق ببعض اسرته ذلك ان زوجته خرجت مع مولاة لها الى بستان فعربدت الجارية على زوجته وقد نقل ذلك الصابى بقوله " وقلد المتوكل ابن الكلبى الخبر والبريد واحلفه على مطالعته بكل مايبلغه ويعرفه فكتب اليه يوما " ومما انهيه الى حضرة امير المؤمنين ان زوجتى خرجت مع حبه لها الى بستان فعربدت عليها حبتها وجرحتها فى صدغها" فقال ابراهيم بن العباس لما قرأ ذلك على المتوكل هذا تصحيف واظنه بالعين وفتح الصاد فضحك المتوكل وقال ماهو الا كما قال ابراهيم" (٣) .

---

(١) الطبرى ــ تاريخ الامم (٤٤/١١) .

(٢) ن . م . س (٤٧/١١) .

(٣) الصابى ــ الهفوات النادرة (ص ٢٩٣) .

وفى سنة ٢٤١هـ/٨٥٥م كتب صاحب البريد فى بغداد الى الخليفة المتوكل على الله بان القاضى ابا حسان الزيادى ضرب رجلا شهد عليه بشتم ابى بكر وعمر وعائشة وحفصة الف سوط فقد اورد الطبرى ذلك قال " ضرب عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم صاحب خان عاصم ببغداد فيما قيل الف سوط وسبب ضربه انه شهد عند ابى حسان الزيادى قاضى الشرقية عليه انه شتم ابا بكر وعمر وعائشة وحفصة سبعة عشر رجلا شهاداتهم فيما ذكر مختلفة فى هذا النحو فكتب بذلك صاحب بريد بغداد الى عبيد الله ابن يحيى بن خاقان فانهى عبيد الله ذلك الى المتوكل فامره المتوكل ان يكتب الى محمد بن عبدالله بن طاهر يأمره بضرب عيسى هذا بالسياط فاذا مات رمى به فى دجلة ولم تدفع جيفته الى اهله "(١) . وفى سنة ٢٤١هـ/٨٥٥م كتب صاحب البريد بحلب خبرا غريبا،وقد نقل ذلك ابن الجوزى فى قوله " وقع طاير ابيض دون الرخمة وفوق الغراب على دابة بحلب لسبع مضين من رمضان فصاح يامعشر الناس اتقوا الله اتقوا الله اتقوا الله ثم طار وجاء من الغد وصاح اربعين صوتا فكتب صاحب البريد بذلك واشهد خمسمائة انسان سمعوه "(٢) . ومن الاخبار الطريفة التى تولى البريد نقلها ايضا ان صاحب الخبر بمدينة السلام كتب الى اسماعيل بن بلبل فى وزارته للخليفة المعتمد بان مغنية من جوارى بدعه الكبرى غنت عند الحسن بن مخلد وهو اذ ذاك معطل بهذا الصوت :

عادات طى فى بنى اسد ... رى القنا وخضاب كل حسام

فاستعاده الحسن وطرب عليه ،فانهى اسماعيل ذلك الى الخليفة

---

(١) الطبرى – تاريخ (١١/٥١) .

(٢) ابن الجوزى – تحفة الالباء ورقة (١٥٦ آ) .

المعتمد على الله وقال هذا يسعى عليك ويتربص بك الدوائر فامر بنفيه الى مصر . وذكر ايضا " ان ابا العيناء قصد دار الواثقى وهو الامير[(١)] بالبصرة فاجلس فى الدهليز ساعة الى ان استؤذن له وجرى الحديث فقال رجل فى حديث اقتضى ذلك يا ابا العيناء انت صائم اليوم فقال اما فى هذه الدار فنعم فكتب صاحب الخبر الى الواثقى بذلك فاذن له فى الحال واعتذر اليه من اجلاس البوابين له فى الدهليز وانكر ذلك عليهم" [(٢)] .

ومن الاخبار الشاذة التى تولى البريد نقلها ان صاحب البريد رفع الى ابن الفرات فى وزارته الاولى للخليفة المقتدر بالله ٢٩٦-٢٩٩هـ/٩٠٨-٩١١م ان ام سليمان بن الحسن ماتت ببغداد ولم يحضرها ولدها ولاشاهدها قبل موتها وكان ابن الفرات قد سجن سليمان بن الحسن بن مخلد فى المطبق بواسط وذلك لانه سعى فى صرف ابن الفرات عن الوزارة فاغتم لذلك ابن الفرات وصفح عن سليمان وقلده اعمال دستميسان [(٣)] . ومن الاخبار الطريفة التى نقلها البريد ايضا ان صاحب الخبر رفع الى ابن الفرات وهو وزير ان رجلا من ارباب الحوائج اشترى جبنا وخبزا فاكله فى الدهليز فاقلقه ذلك وامر بنصب مطبخ لمن يحضر من ارباب الحوائج [(٤)] . ومن الاخبار الطريفة والشاذة التى تولى البريد نقلها ماحدث فى سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م فقد كتب صاحب البريد فى الدينور [(٥)] كتابا ونسخته

---

(١) التنوخى - نشوار المحاضرة (٨/٣٠ - ٣١)، السامرائى - المؤسسات (ص ٢٧٠) .

(٢) التنوخى - م.س (٣/٤٨) .

(٣) التنوخى - نشوار المحاضرة (١/١٩١)، الصابى - الوزراء (ص ١١٧- ١١٨)

(٤) التنوخى - م.س (٧/٢٦١) .

(٥) الدينور مدينة من اعمال اقليم الجبال بالقرب من قرميسين وهمذان . انظر ياقوت - معجم البلدان (٢/٥٤٥) .

" بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الموقظ بعبره قلوب الغافلين والمرشد بآياته الباب العارفين الخالق مايشاء بلا مثال ذلك الله البارئ المصور فى الارحام مايشاء وان الموكل بخبر التطواف بقرماسين رفع يذكر ان بغلة لرجل يعرف بابى برده من اصحاب احمد بن على المرى وضعت فلوه ويصف اجتماع الناس لذلك وتعجبهم لما عاينوا فيه فوجهت من احضرنى البغلة والفلوة فوجدت البغلة كمتاء خلوقية والفلوة سوية الخلقة تامة الاعضاء منسدلة الذنب سبحان الملك القدوس لامعقب لحكمه وهو سريع الحساب "(١) .

ومن الاخبار التى كان البريد يتولى نقلها الظواهر الطبيعية الشاذة ومن ذلك مثلا ان صاحب البريد فى مكة كتب فى اواخر سنة ٢٤٠هـ/٨٥٥م " ان امطار الخريف قد كثرت وتواترت بمكة ومنى فى هذا العام فهدمت منازل كثيرة ،وان السيل حمل فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجد ابراهيم نبى الله عليه السلام المعروف بمسجد الخيف فهدم سقوفه وعامة جدرانه وذهب بما فيه من الحصباء فاعراه وهدم دار الامارة بمنى ومافيها من الحجر وعدة ابيات وهدم العقبة المعروفة بجمرة العقبة وبركة الياقوتة وبركة المأزمين والحياض المتصلة بها وبركة العيرة "(٢) . وقدتضمن كتابه كذلك بان رخام جدران الكعبة المشرفة قد تساقط من الداخل(٣) .

---

(١) القرطبى - صلة تاريخ الطبرى (ص ٢١)، ابن الجوزى - المنتظم (١١٥/٦).

(٢) الازرقى - اخبار مكة (ص ٢٠١) .

(٣) ن . م . س (ص ٢٠٩) .

وورد فى سنة ٢٤٦هـ/٨٦٠م من بلخ (١) ان سكة هناك تعرف بسكة الدهاقين مطرت مطرا احمر شبه بالدم العبيط (٢) . كما ورد من دبيل (٣) فى سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م ان القمر قدانكسف فى شوال لاربع عشرة ليلة خلت منها ثم تجلى فى آخر الليل فاصبحوا صبيحة تلك الليلة والدنيا مظلمة ودامت عليهم الظلمة فلما كان عند العصر هبت ريح سوداء فدامت الى ثلث الليل فلما كان ثلث الليل زلزلوا وقد ذهبت المدينة فلم ينج من منازلها الا اليسيرقدرمائة دار وانهم دفنوا الى حين كتب الكتاب ثلاثين الف نفس (٤) .

وورد فى سنة ٢٨٥هـ/٨٩٨م من طريق مكة انه قد اصاب الناس فى المصعد برد شديدومطر جود وبرد اصيب فيه اكثر من خمسمائة انسان (٥) . ومن هذه الاخبار التى قام البريد بنقلها ايضا ماكتب به صاحب البريدبالكوفة سنة ٢٨٥هـ/٨٩٨م من " ان ريحا صفراء قد ارتفعت بنواحى الكوفة فلم تزل

---

(١) بلخ من اجل مدن خراسان افتتحها الاحنف بن قيس فى ايام عثمان بن عفان رضى الله عنه وهى مدينة مشهورة فى التاريخ الاسلامى . انظر ياقوت - معجم البلدان (٤٧٩/١ - ٤٨٠) .

(٢) الطبرى - تاريخ (٢٢١/٩)، ابن الاثير - الكامل (٣٠٠/٥) .

(٣) دبيل ذكرها ياقوت بفتح اولها وكسر ثانيه ،وهى مدينة فى الحدود الشمالية للدولة الاسلامية كانت ثغرا من الثغور فتحها حبيب بن مسلمة الفهرى فى ايام عثمان رضى الله عنه . انظر ياقوت - معجم البلدان (٤٣٨/٢ - ٤٣٩) .

(٤) الطبرى - م.س (٣٤/١٠ - ٣٥)، ابن الجوزى - تحفة الالباء ورقة (١٥٦ب).

(٥) الطبرى - م.س (٣٨/١٠) .

الى وقت صلاة المغرب ثم استحالت سوداء فلم يزل الناس فى تضرع الى الله وان السماء مطرت بعقب ذلك مطرا شديدا برعود هائلة وبروق متصلة ثم سقط بعد ساعة بقرية يعرف باحمد اباذ ونواحيها حجارة بيض وسود مختلفة الالوان فى اوساطها شبه افهار العطارين وانفذ منها حجر فاخرج الى الدواوين والناس حتى رآوه"[(١)] . ونقل البريد ايضا خبر ماحدث فى البصرة فى سنة ٢٨٥هـ/٨٩٨م فقد ورد الخبر " ان ريحا صفراء ارتفعت ثم استحالت سوداء ثم تتابعت الامطار بما لم يروا مثله ثم وقع برد كبار،وان الريح اقتلعت من نهر الحسين خمسمائة نخلة ومن نهر معقل مائة نخلة عددا"[(٢)] . ومن ذلك ايضا مانقله البريد عما حدث فى اذربيجان سنة ٢٨٦هـ/٨٩٩م حيث " وقع الوباء فمات خلق كثير الى ان فقد الناس مايكفنون به موتاهم،فكفنوا فى الاكسية واللبود ثم صاروا الى ان لم يجدوا من يدفن الموتى فكانوا يتركونهم مطروحين فى الطرق"[(٣)] . ومنها ايضا ماحدث فى جوى فى سنة ٢٩١هـ/٩٠٣م فقد نقل البريد انه " جاءها ومايليها سيل فغرق نحو ثلاثين فرسخا وغرق فى ذلك خلق كثير،وغرقت المواشى والغلات وخربت القرى واخرج من الغرقى الفان ومائتا نفس سوى من لم يلحق منهم"[(٤)] . ومنها ايضا ماحدث فى مكة فى سنة ٢٩٧هـ/٩٠٩م فقد

---

(١) الطبرى – م٠س (٦٧/١٠)، ابن الجوزى – المنتظم (٢/٦)،تحفة الالباء ورقة (١٥٦ ب) .

(٢) الطبرى – م٠س (٦٨/١٠)، ابن الجوزى – المنتظم (٢/٦ – ٣)، ابن الاثير الكامل (٩١/٦) .

(٣) الطبرى – م٠س (٨٣/١٠) .

(٤) الطبرى – م٠س (١١٥/١٠)، ابن الاثير – م٠س (١٠٩/٦) .

ورد الخبر بالبريد بان " اركان البيت الاربعة قد غرقت فى سيول كانت بمكة وغرق الطواف وفاضت زمزم وانه كان سيلا لم ير مثله فى قديم الزمان وحديثها"(١) . ومنها كذلك ماحدث فى حديثة الموصل فى سنة ٢٩٨هـ/٩١٠م فقد اورد البريد الخبر " ان ريحا صفراء حارة هبت بحديثة الموصل فى اول ذى الحجة فمات لشدة حرها جماعة"(٢) . ومنها ماحدث فى الدينور سنة ٣٠٠هـ/٩١٢ م فقد اورد البريد الخبر "بانخساف جبل يعرف بالتل وخروج ماء كثير من تحته غرقت منه عدة قرى"(٣) . ومنها ايضا ماحدث فى لبنان فى سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م كذلك فقد اورد البريد الخبر بانخساف قطعة عظيمة من جبل لبنان وسقوطها الى البحر،(٤) ومنها ايضا ماحدث بواسط فى سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م ، فقد ورد الخبر انه "انبثق بها سبعة عشر بثقا اكبرها الف ذراع واصغرها مائتا ذراع وغرق من امهات القرى الفان وثلاثمائة قرية"(٥) . ومنها ايضا ماحدث فى نصيبين فى سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م فقد ورد الخبر بان " ريحا عظيمة هبت فى رمضان بنصيبين حتى قلعت الشجر وهدمت المنازل"(٦) .

---

(١) القرطبى - م٠س (ص ٣٦)٠

(٢) ابن الجوزى - المنتظم (٩٨/٦)٠

(٣) القرطبى - م٠س (ص ٤٢)، ابن الجوزى - المنتظم (١١٥/٦) ٠

(٤) القرطبى - م٠س (ص ٤٢)، ابن الجوزى - المنتظم (١١٥/٦) ٠

(٥) الهمذانى - تكملة تاريخ الطبرى (ص ٢٢٧) ، الجوزى - م٠س (١٦٧/٦ - ١٦٨) ٠

(٦) ابن الجوزى - م٠س (٢٠١/٦) ٠

نفقـــات البريـــد :

شمل البريد عددا كبيرا من الوظائف الادارية والكتابية اضافة الى اعداد كبيرة من الوظائف المساعدة كالفيوج واصحاب الاخبار والمرتبين والموقعين والركابية وما اشبههم،كما تضمنت مؤسساته اعدادا كبيرة من السكك المنتشرة بامتداد طرق الدولة الاسلامية كان يقيم فى كل منها عدد من الرجال مزودون بما يحتاجون اليه لادامة حياتهم واستمرار ادائهم لعملهم بكفاءة واقتدار • وقد شمل البريد اضافة الى ذلك اعدادا كبيرة من مراكز الرقابة على امتداد الحدود والسواحل مشحونة بالرجال المترابطين مع فرسان كانوا على اهبة الاستعداد لنقل اية اخبار او معلومات بسرعة الى المراكز الاقليمية للانذار وللاستعداد،ولابلاغ العاصمة عند الضرورة كما يمتلك البريد اعدادا كبيرة جدا من الخيول والجمال والبغال والجمازات والحمام البريدى مما كان يستعمل فى النقل البريدى باختلاف انواعه واغراضه ولوازم كل منها وعلوفته • ان ذلك كله اضافة الى انتظام العمل فى البريد،كان يقتضى نفقات لابد وان تكون كبيرة • غير ان المصادر لم تزودنا بمعلومات دقيقة عن مقاديرها باستثناء مايرد احيانا فى بعض الاشارات البسيطة (١) ،والتى تعكس احيانا بعض ملامح من جزئيات نفقات البريد،ومن الجدير بالذكر ان المصادر قد اغفلت الكثير من المعلومات الخاصة بنفقات البريد فى العصر الاموى باستثناء ماذكره الماوردى من اجمالى نفقات البريد فى السنة الواحدة فى العراق ، ايام ولاية يوسف بن عمر عليه فى خلافة هشام بن عبدالملك (١٠٥ – ١٢٥هـ/٧٢٤ – ٧٤٣م) حين قال : "وكان يوسف بن عمر يحصل منه فى

---

(١) د•السامرائى – المؤسسات الادارية (ص ٢٧٤) •

كل سنة من ستين الف الف الى سبعين الف الف ويحتسب بعطاء من قبله من اهل الشام ستة عشر الف الف وفى نفقة البريد اربعة الاف الف "[١] . وهذا يعكس عظم النفقات التى كان الامويون ينفقونها على البريد اذ ان مثل هذا الرقم كان ينفق سنويا على اقليم واحد من اقاليم الدولة الاسلامية المتعددة . وحتى لو افترضنا ان هذا الرقم يمثل اجمالى نفقات البريد فى العراق وبلاد المشرق[٢] ، فان هذا المبلغ الكبير له دلالة ،فهو يعكس مدى اهتمام الامويين بالبريد،كما يوحى بان مؤسسة البريد قداستخدمت عددا لايستهان به من الموظفين . وقد توهم بعض الباحثين فذكر بان هذا المبلغ انما هو نفقات البريد لفرع اليمن[٣]، ويظهر انه اعتمد عبارة اوردها باحث آخر فى كتابه دون ان يعرف بمصادر معلوماته حيث قال بان " نفقات فرع اليمن فقط كانت تبلغ نحو اربعة ملايين درهم سنويا "[٤] ويبدو ان صاحب التراتيب الادارية قد اعتمد نفس المعلومات[٥] . وهو امر ينبغى تصحيحه والتنبيه عليه .

وباستثناء ذلك فان مصادرنا المعتمدة لم تقدم اية معلومات عن نفقات البريد فى العصر الاموى ذلك ان المؤرخين لم يقدموا معلومات

---

(١) الماوردى ـ الاحكام السلطانية (ص ١٧٥)، الفراء ـ الاحكام السلطانية (ص ١٨٥)،سعداوى ـ نظام البريد (ص ٨١) .

(٢) على اساس ان ولاية العراق فى العصر الاموى اصبحت منذ تولى الحجاج لعبد الملك بنمروان،تشرف بشكل مباشر على ادارة الولايات الشرقية .

(٣) سعداوى ـ نظام البريد (ص ٨١) .

(٤) انطوان ـ الطائر الغريد (ص ٢٢) .

(٥) الكتانى ـ التراتيب الادارية (١٩٣/١) .

مفصلة مبوبة عن نفقات الدولة الاموية فى مختلف مراحلها . ·

اما نفقات البريد فى العصر العباسى فقد اختلط الامر فيها على كثير من الباحثين ذلك انهم لم يدركوا الصورة الحقيقية لنفقات البريد فى هذا العصر وعلى رأس هؤلاء الباحثين المستشرق شبرنجر الذى اعتمد على قول ابن خرداذبه " سكك البريد فى المملكة تسعمائة وثلاثون سكة ونفقات الدواب واثمانها وارزاق البنادرة والفرانقين لسنة مائة الف دينار وتسعة وخمسون الفا ومائة دينار"(١) فذهب الى القول بان هذا المبلغ من التفاهة مايدفع موظفى البريد الى قبول الرشوة فقال " وعلى هذا الاساس تكون مصاريف السكة الواحدة مبلغا يناهز مائة وستة وستون دينارا واذا عرفنا ان مرتب الجندى الواحد كان يبلغ مائة دينار واحيانا يزيد على ذلك استطعنا ان ندرك ان هذا المبلغ من التفاهة بحيث لايمكن الاحتفاظ بعدد كبير من الخيول او من اعطاء مرتبات محترمة لموظفى البريد الذين كانوا ولابد يعيشون على الرشوة والهدايا التى تقدم لهم من رجال المنطقة التى يعملون فيها ليستعيضوا بها عن قلة مرتباتهم"(٢) . الا ان هذا القول لايثبت امام النقد لاسباب عدة منها ان راتب الجندى الواحد الذى ادعى انه بلغ مائة دينار وقارن بينه وبين ما افترضه لنفقات السكة الواحدة كان توهما ظاهرا ذلك ان نفقات الجند فى الدولة العباسية قد اشارت اليها المصادر تفصيلا، وانها لم تصل فى اى من فتراتها الى المبلغ الذى ذكره حتى فى العصر الذى وضع فيه ابن خرداذبه مؤلفه فقد كانت رواتب الجند فى عهد الخليفة السفاح

---

(١) ابن خرداذبه ـ المسالك (ص ١٥٣)، سعداوى ـ نظام البريد (ص ٨٠) ، د. السامرائى ـ المؤسسات (ص ٢٧٤) .

(٢) Spernger, Die post p. 4 نقلا عن سعداوى ـ م.س (ص ٨١) .

ثمانين درهما للراجل ومائة وستون درهما للفارس فى الشهر[١] . وفى عهد الخليفة المنصور بلغت عشرين درهما للراجل واربعين درهما للفارس فى الشهر[٢]، وفى عهد الخليفة المهدى بلغ راتب الجندى خمسين درهما فى الشهر[٣]، اما فى عهد الرشيد فقد ارتفع الى ستين درهما شهريا[٤]، وفى عهد الامين واصل راتب الجندى الارتفاع لاسباب معروفة فبلغ ثمانين درهما للراجل ومائة وستين درهما للفارس[٥]. اما فى عهد المأمون فقد عادت معدلات الرواتب الى وضع طبيعى فقد استقرت على عشرين درهما للراجل واربعين درهما للفارس[٦]. وفى عهد الخليفة المعتصم بالله بلغت

---

(١) الطبرى – م٠س (٤١/١٠)، ابن الاثير – الكامل (٣٢٨/٤)، الازدى – تاريخ الموصل (ص ١٣٤)،حسن الباشا – دراسات فى الحضارة الاسلامية (ص ٧٩)، حسينى – الادارة العربية (ص ٤٩)،فليب حتى – تاريخ العرب (٤٠٤/٢)، محمد توفيق – تطور النظم الادارية والمالية فى العراق (ص ٢٤٤)، الزهرانى – النفقات (ص ٢٧٠) .

(٢) التنوخى – الفرج بعد الشدة (٣٧٢/٢)، الاربلى – خلاصة الذهب المسبوك (ص ٨٢)،جميل نخلة – حضارة الاسلام (ص ٢٩)، الكبيسى – اسواق بغداد (ص ٩٦)، الزهرانى – النفقات (ص ٢٧٠) .

(٣) الطبرى – م٠س (٥٤٤/٨)، الزهرانى – النفقات (ص ٢٧٠).

(٤) فتحى عثمان – الحدود الاسلامية (١٤٧/٣)،حسينى – الادارة العربية (ص ٤٠٩)، الزهرانى – النفقات (ص ٢٧١) .

(٥) الطبرى – م٠س (٤٠٥/٣)، احمد الرفاعى – عصر المأمون (٣٠٩/١)، نعمان ثابت – الجندية (ص ١٠٣)، الزهرانى – النفقات (ص٢٧١).

(٦) مسكويه – تجارب الامم (٤٣٣/٦)،سيد امير على – مختصر تاريخ العرب (ص ٣٧٢)،حسينى – الادارة العربية (ص ٤٠٩) – فتحى عثمان – الحدود الاسلامية (١٤٧/٣)، احمد الرفاعى – عصر المأمون (٣٠٩/١)،حسن الباشا =

ديناريـن (فى حدود ٤٥ درهما شهريا) للراجل ، [1] وفى عهد الخليفة المعتز بالله كانت الرواتب دينارين للراجل شهريا وكذلك راتب الفارس فى الشهر الواحد ، [2] وفى عهد الخليفة المهتدى بالله كان راتب الجندى التركى ستين درهما فى الشهر فى حين كان ثلاثين درهما للمغاربة [3] وفى عهد الخليفة المعتمد على الله الذى يرجح ان يكون ابن خرداذبه قد وضع كتابه فى عهده فقد بلغت ارزاق الجندى الواحد ٥٤ دينارا فى السنة ثم خفضها الوزير عبيد الله بن سليمان الى ٢٧ دينارا فى السنة [4]. ومن هذا نجد ان فرضية شبرنجر الذى ذكر فيها ان راتب الجندى الواحد قد بلغ مائة دينار فى الشهر الواحد وقارنها بما حدده لنفقات السكة الواحدة لاتعبر عن الواقع . اضف الى ذلك ان من الامور التى تناقض قوله وتخطئ رأيه ان سكك البريد فى الدولة الاسلامية لم تكن على سوية واحدة فى جميع الطرق ذلك ان بعض الطرق اساسية تحتاج الى شحن سككها بالرجال

---

(١) اليعقوبى ــ تاريخ (٤٧٦/٢) ، ابن الاثير ــ الكامل (٢٣٣/٥) ، الزهرانى النفقات (ص ٢٧٢) .

(٢) الخضرى ــ محاضرات فى تاريخ الامم الاسلامية (الدولة العباسية) (ص ٢٨٥) ، الزهرانى ــ م.س (ص ٢٧٣) .

(٣) الطبرى ــ م.س (١٨٢٠/٢) ، " ليدن" ، الزهرانى ــ م.س (ص ٢٧٣) .

(٤) التنوخى ــ نشوار المحاضرة (٩٨/٨ ــ ٩٩) ، الزهرانى ــ النفقات (ص ٢٧٣) ، من الملاحظ ان معدلات الرواتب حتى فى عهد الخليفة المعتضد لم تصل الى الحد الذى افترضه شبرنجر اذ انه قد خصص لفرقة الرجالة ثلاثمائة دينار يوميا ولفرقة الفرسان من الاحرار المميزين الف وخمسمائة دينار ولفرقة عسكر الخدمة خمسمائة دينار ولفرقة المختارين ستمائة دينار . انظر الصابى ــ الوزراء (ص ١٥) ، السامرائى المؤسسات (ص ٢٣٨) ، الزهرانى ــ النفقات (ص ٢٧٣) .

والدواب بشكل يختلف عن سكك الطرق الفرعية او البديلة . وبجانب ذلك فان الانفاق كان يؤخذ على اساس المعدلات،وعليه فان نفقات السكك تقدر على اساس اجمالي ولم تكن كما صوره شبرنجر فالمصادر الاسلامية المعتمدة لم تذكر ان الدولة العباسية كانت قد خصصت لكل سكة مثل هذا المبلغ الذى استنتجه المستشرق اذ ان الاحتياجات الاساسية لابد ان تكون قد جرى تغطيتها منذ البداية،اما ماينفق سنويا بعد ذلك فانما هو اثمان الحاجات المتكررة وهى الاجور والطعام . اما العلوفة والنفقات الطارئة كالاصلاحات او تجديد البناء وغير ذلك مما تستلزمه الحاجة فقد كان الانفاق عليها يجرى من قبل مؤسسات اخرى مسئولة عن ذلك فى ديوان النفقات . اما النص الذى اورده ابن خرداذبه فانه لايتضمن ماذهب اليه شبرنجر الذى لجأ الى اجراء عملية قسمة حسابية بسيطة (١) . ولعل من المفيد ان نيشر اليانه حتى لو لجأنا الى طريقة شبرنجر فان معدل الانفاق المفترض للسكة الواحدة كان كبيرا خصوصا اذا ماوضعنا فى الاعتبار طبيعة النفقات الراتبة والطارئة واذا مادققنا معدلات اسعار السلع والخدمات الواقعية فى الدولة العباسية فى حدود منتصف القرن الثانى الهجرى حيث كان الكبش يباع فى حدود درهم واحد،والتمر ستون رطلا بدرهم،والزيت ستة عشر رطلا بدرهم،والسمن ثمانية ارطال بدرهم (٢) .

---

(١) Spernger . Diepost P.H.

لقد توهم شبرنجر فى اخراج حاصل قسمتها الذى يبلغ ١٧١ دينارا تقريبا بينما ذكرها (١٦٦) دينار ذلك انه اخطأ فى اقتباس الرقم الذى ذكر ابن خرداذبه فذكر انه (١٥٤١٠١) دينار وقد نقل سعداوى هذا الرقم بعلته دون تدقيق . انظر نظام البريد (ص ٨٠) .

(٢) ابن الجوزى ــ تحفة الالباء ورقة (١٢٩) .

ومع الارتفاع الحاصل فى معدلات الاسعار النسبية على السلع فيما بعد،فانها بقيت فى حدود معقولة جدا اذا اخذنا المبلغ المقترح لنفقة السكة الواحدة بنظر الاعتبار فقد ارتفع سعر التمر مثلا فى بداية القرن الرابع الهجرى فاصبح كل ١٤ رطلا بدرهم للتمور الممتازة،اما التمر الرطب فقد بلغ كل ٢٤ رطلا بدرهم،فى حين كان الرز كل كر بسبعة دنانير بمعدل ٦ ارطال بدرهم .(١) ولعل من المفيد ايضا ان نشير الى ان ماذكره ابن خرداذبه لايشمل نفقات مؤسسات البريد الحضرية ولاتخصيصات متوليه ولاكتابه واصحاب الاخبار وغيرهم . علما بان اعداد هؤلاء كبيرة ومعدلات اجورهم عالية .

ان ما اورده ابن خرداذبه عن ذلك يقتصر على نفقات الدواب وعلوفتها ورعايتها . اضافة الى ارزاق البنادرة والفروانقيين فقط .(٢) اضف الى ذلك ان مجلس الكراع فى ديوان النفقات كان يتولى شراء الدواب واستبدال مايعطب منها فى العمل .(٣) ومما هو جدير بالملاحظة ان الصابى قد نص على ان جارى الفروانقيين كان يدفع ضمن اولئك الذين يستلمون ارزاقهم كل ثلاثين يوما .(٤) اما عن ارزاق البنادرة الذين يقصد بهم " المرتبون" فان

---

(١) د.الدورى - تاريخ العراق الاقتصادى (ص ٢٣٠) .

(٢) الصابى - الوزراء (ص ١٥)،رسوم دار الخلافة (ص ٢٢ - ٢٤)،د.السامرائى المؤسسات (ص ٢٣٨) .

(٣) قدامة - الخراج (ص ١٧٠)،د.السامرائى - م.س (ص ٢٣٤)، الزهرانى النفقات (ص ٩٩) .

(٤) الصابى - الوزراء (ص ٢٤) .

المصادر لم تفصح عن اعدادهم فى السكك ولاعن معدلات رواتبهم او فترات قبضهم • اما اجمالى نفقات البريد فى الدولة الاسلامية فانها كانت تشمل جوانب ثلاثة :

اولها : رواتب الموظفين •

وتختلف رواتب الموظفين فى البريد باختلاف مكانتهم فقد كانت درجاتهم تتراوح بين متولى الديوان ومن يخدم فى دواب البريد • وكما تختلف الرواتب فقد اختلفت ايضا فترات قبضهم واوقات صرف رواتبهم بحسب فئاتهم وتصنيفهم بين موظفى الادارة فى الدولة الاسلامية •

لقد اشارت المصادر الى مبلغ راتب متولى البريد ضمن حديثها عن تخصيصات رؤساء الدواوين المختلفة فقد ذكر الطبرى ان ارزاق الكتاب والعمال فى ايام بنى امية كان نحو ثلاثمائة درهم للرجل منهم فى الشهر وان هذه الرواتب قد استمرت فى عهد بنى العباس،وانها استمرت على هذه المعدلات حتى " ايام المأمون فكان اول من سن زيادة الارزاق الفضل بن سهل" (١) • وذكر الجهشيارى نحوا من ذلك فقال "وكانت ارزاق الكتاب والعمال فى زمان ابى جعفر للرؤساء ثلاثمائة درهم للرجل ونحو ذلك وكذلك كانت فى ايام بنى امية وعلى ذلك جرت الى ايام المأمون فان الفضل بن سهل وسع الجارى" (٢) • ومن هذا نجد ان راتب صاحب البريد الذى يعد بطبيعة الحال واحدا من رؤساء الدواوين بلغ (٣٠٠) درهم شهريا منذ ايام الامويين والى نهاية عهد الخليفة الامين (١٩٣ - ١٩٨هـ/ ٨٠٩ -

---

(١) الطبرى- تاريخ (٣١٤/٩) •

(٢) الجهشيارى - الوزراء (ص ١٢٦) ،حسينى - الادارة العربية (ص ٣٣٥) ، الزهرانى - النفقات (ص ٣٣٨ - ٣٣٩) •

٨١٣م) . ومن خلال ما اوردته المصادر المعتمدة نجد انه قد طرأت في عهد المأمون زيادة على الارزاق،غير ان المصادر لم تحدد مقدار تلك الزيادة . ومما تجب الاشارة اليه ان هذا المبلغ الذى كان يصرف للكتاب قد لايمثل الجارى الذى يدفع الى متولى ديوان البريد على الرغم من رخاء الاسعار فى الدولة الاسلامية بل يرجح ان ماكان يصرف له قد يتجاوز ذلك حيث ان مهمة صاحب البريد كانت تقتضى الاطلاع على مايدور في الدواوين والمعاملات المالية وغير هذه الامور التى يحتمل فيها الانحراف باحتجان الاموال او الاراضى مما قد يدفع من تسول له نفسه بالانحراف اصطناع صاحب البريد بالهدايا والالطاف حتى لاينهى خبره مما يستلزم زيادة مخصصاته منعا لمثل ذلك . اضف الى ذلك فان هناك عددا كبيرا من اصحاب الاخبار المستورين ممن ليس لهم ذكر فى سجلات الديوان،كان على متولى الديوان فى كثير من الحالات ان يتولى منحهم تخصيصاتهم او اكرامياتهم بحسب مايجتهد ان فيه مصلحة ،وعليه فلابد وان يكون عنده حرية كبيرة فى التصرف فى الاموال وهو مؤتمن عليها . وهذا يوجب ان يكون متولى المنصب ممن ازيحت علته وتوفرت عنده الاموال مما يمنعه من ان يمد يده الى ما اوكل به اليه ،وقد تضمنت الوصايا المخلصة الموجهة الى الخلفاء بخصوص متولى البريد ضرورة ان تدر عليهم الارزاق والاينقصهم من ذلك شئ ضمانا لتوجههم السليم . ومما لاشك فيه ان الدولة الاسلامية قد درت الارزاق على اصحاب البريد بسخاء ونشير بهذه المناسبة الى نصيحة قاضى القضاة ابى يوسف للخليفة هارون الرشيد حين قال " واجرى لهم الرزق من بيت مال المسلمين وليدر عليهم" (١) . ومما يدل على

---

(١) ابو يوسف ـ الخراج (ص ٣٦١ ـ ٣٦٢) .

ان جارى صاحب البريد كان لايقل عن جارى الوزراءوكبار القادة ما امر به الخليفة هارون الرشيد جعفر بن يحيى حين طلب منه ان يقلد الفضل بن الربيع بريد ناحية يأخذ رزقها ويستعين به على خدمته . فلقد ذكر الجهشيارى ذلك بقوله " نادم الفضل بن الربيع الرشيد وخص به فقال لجعفر قلد الفضل بريد ناحية يأخذ رزقها ويستعين به على خدمتى فقال جعفر بسلاسة خلقه اختر فقال الموصل وديار ربيعة" .(١) هذا ويرجح ان يكون راتب صاحب البريد قد ارتفع خلال اواخر القرن الثالث واوائل القرن الرابع اذ تشير المصادر الى انه فى عهد الخليفة المقتدر بالله العباسى (٢٩٥ - ٣٢٠هـ/٩٠٧ - ٩٣٢م) كان يتراوح فيما بين اربعمائة الى خمسمائة دينار شهريا على اساس معدل رواتب رؤساء الدواوين .(٢) فى حين اصبح فى عهد الخليفة الراضى بالله (٣٢٢ - ٣٢٩هـ/٩٣٣ - ٩٤٠م) يتراوح فيما بين (١٠٠٠ - ٢٠٠٠) دينار شهريا على اعتبار ماكان العمل جار به فى الدواوين .(٣)

اما رواتب كتاب المجالس فى الديوان فانها كانت تتراوح بين عشرة الى ثلاثين درهما شهريا خلال الفترة الممتدة بين خلافة الخليفة ابى جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨هـ/٧٥٤ - ٧٧٥م) ونهاية عهد الخليفة الامين (١٩٣ - ١٩٨هـ/٨٠٩ - ٨١٣م) على اعتبار ماكان جاريا فى جميع

---

(١) الجهشيارى - الوزراء (ص ٢٤٩) .

(٢) الصابى - الوزراء (ص ١٥٨ - ١٩٨)، ابن الجوزى - الاذكياء (ص ٥١) ، متز - الحضارة (١٥٤/١)، الزهرانى - النفقات (ص ٣٤٠) .

(٣) ابن مسكويه - تجارب الامم (٢٩٥/١)، الهمذانى - تكملة تاريخ الطبرى (ص ٣٠٣)، الزهرانى - النفقات (ص ٣٤٢) .

الدواوين .(١) ولعلها ارتفعت نتيجة اجراءات الحسن بن سهل فى عصر المأمون اما فى عهد الخليفة المكتفى (٢٨٩ – ٢٩٥هـ/٩٠١ – ٩٠٧م) فقد كانت رواتب كتاب المجالس تتراوح بين عشرة الى ثلاثين دينار شهريا على اعتبار ماكان جاريا فى الدواوين ايضا،(٢) وفى عهد الخليفة المقتدر بالله كانت رواتبهم تتراوح بين ثلاثين ومائة دينار على اعتبار ماكان جاريا فى الدواوين .(٣)

اما رواتب اصحاب الاخبار فان المصادر اغفلت ذكرها منذ بداية الدولة العباسية . على ان اول اشارة وردت عنها ترجع الى عهد الخليفة المعتضد بالله (٢٧٩ – ٢٨٩هـ/٨٩٢ – ٩٠١م) اذ ورد فى قائمة ضمان الطائى التى نقلها الصابى بانهم كانوا يستلمون ارزاقهم ضمن السبعة عشر صنفا من الذين كان قبضهم ثلاثين يوما وذلك فى قوله " ارزاق سبعة عشر صنفا من الموسومين بخدمة الدار والرسائل الخاصة والقراءواصحاب الاخبار والمؤذنين والفنجاميين والفرانقيين والانصار والحرس والمكوس والشيعه والسند واصحاب الاعلام والبوقيين والمخرفين والمضحكين والطباليين ممن كان برسم النوبة فنقل الى المشاهرة التى ايام شهر كل منها ثلاثين يوما من جملة ثلاثة آلاف وثلاثمائة دينار بقسط كل يوم مائة وعشرة

---

(١) الجهشيارى – م.س (ص ١١٣ – ١٣٢)،شاكر مصطفى – دولة بنى العباس (٥٤١/١)، الزهرانى – م.س (ص ٣٣٨) .

(٢) الصابى – الوزراء (ص ١٥٨)، ابن الجوزى – الاذكياء (ص ٥١)، الزهرانى م.س (ص ٣٣٩) .

(٣) التنوخى – نشوار المحاضرة (٥٤/١ – ٥٥)، الصابى – الوزراء (ص ١٥٨)، الزهرانى – م.س (ص ٣٤٠) .

دنانير"[1] . ومن هنا ندرك مدى الصعوبة التى تواجه البحث فى الوصول الى نصيب اصحاب الاخبار من اجمالى المبلغ المذكور . وحتى لو عرفنا ذلك فان جهلنا بعدد المشتغلين بهذه الوظيفة يجعل الوصول الى معدلات رواتبهم امرا مستحيلا . ويفهم من نص اورده الصابى ان راتب صاحب خبر فى العاصمة له اتصال بالوزير ابن الفرات فى وزارته الاولى للخليفة المقتدر قد عزز باضافة سبعة دنانير " برسم النوبة " ،وان الوزير الخاقانى قد اوقفها عنه بان عين على بند النوبة رجلا يتقاضاها وان محاولة فاشلة قد جرت من قبل صاحب الخبر نفسه لاستعادتها فى وزارة ابن الفرات الثانية ذلك ان ابن الفرات لم يكن يرى جواز اسقاط رجل مثبت على تلك الوظيفة من اجل تحقيق الفائدة لاحد المتصلين به من اصحاب الاخبار . وبعد ان تمكن من توفير البديل فقد عاد ووقع لصاحب الخبر " بمثل ماكان له"[2] . غير ان كل ذلك لايصل بنا الى معرفة مقدار راتب صاحب الخبر . غير ان بالامكان القول بانه لميكن كبيرا وبان صاحب الخبر كان يحتاج الى مورد اضافى لضمان معيشة كريمة .

اما عن رواتب الفروانقيين فان المصادر لم تقدم معلومات عن مقدار رواتبهم ولعل اول اشارة عامة وردت عنهم ترجع الى عهد الخليفة المعتضد بالله اذ ورد انهم كانوا يستلمون مخصصاتهم فى اطار السبعة عشر صنفا الذين سبق ان اشرنا اليهم،وعليه فان فترات قبض الفرانقيين

---

(١) الصابى ـ الوزراء (ص ١٩ ـ ٢٠)، السامرائى ـ المؤسسات الادارية (ص ٢٣١ ،٢٣٨)، الزهرانى ـ النفقات (ص ٤٣٠) .

(٢) الصابى ـ الوزراء (ص ١٦٤) .

تكون مساوية لفترات قبض اصحاب الاخبار (١) . ومما تجدر الاشارة اليه ان الادارة العباسية قد احدثت فى اواخر القرن الثالث الهجرى تقليدا يقضى بتفريق عدد من الذبائح على مختلف اصناف العاملين فى الدولة بمناسبة حلول الاعياد وان ذلك قد شمل الفرانقيين وقد اشار الصابى الى ذلك بقوله " قال ابو الحسن على بن هشام كان الرسم جاريا بان يفرق على القواد والفرسان والغلمان والحجرية والرجالة والخدم والفراشين واصحاب الرسائل والفرانقيين ووجوه الكتاب واصاغرهم وخزان الدواوين فى كل عيد من شاة الى عدة بعران"، (٢) غير ان هذا الرسم يمكن ان يفسر على انه هدية تقدم بمناسبات معينة وهى طارئة لاصلة لها بالراتب .

اما رواتب اصحاب المرور :

فقد تحدثت المصادر عن اصحاب المرور بيد انها لم تذكر مقدار الرواتب التى كانت مخصصة لهم . على ان اول اشارة وردت عن مخصصاتهم تعود الى عهد الخليفة المعتضد بالله اذ وردانهم كانوا يستلمون ارزاقهم فى جملة الذين كان شهرهم خمسة وثلاثين يوما . وقد اشار الصابى الى ذلك بقوله " ارزاق اصحاب الصيد من البازياريين والفهادين والكلابين والصقارين والصيادين وثمن الطعم والعلاج للجوارح واصحاب الحراب والسباعين واصحاب الشباك واللبابيد والفحالين ومن معهم من الاعوان والحمالين واصحاب المرور وغيرهم فى كل شهر ايامه خمسة وثلاثين يوما من جملة الفين وخمسمائة دينار فى الشهر ومع القسط من خمسين

---

(١) الصابى - الوزراء (ص ١٩ - ٢٠)، السامرائى - م.س (ص ٢٣٨)، الزهرانى م.س (ص ٤٣٠) .

(٢) الصابى - الوزراء (ص ٢٨٩) .

دينارا لتجديد آلاتها سبعين دينارا" [١] . وباستثناء هذه العبارة التى لانصل من خلالها الى مايكشف عن مبلغ راتب صاحب المرور فان المصادر لم تقدم معلومات اخرى حول هذا الموضوع .

اما رواتب السواس والراضة والبياطرة :

ذكر الصابى انه قد " جمع النظر فى هذه الاصطبلات للنوشجانى لكفايته وثقته واثمان كسوة الدواب والاتها وادويتها وعلاجاتها واجور الساسة والمكارية والراضة والبياطرة والوكلاء وغيرهم من جملة اثنى عشر الف فى الشهر ليوم اربعمائة دينار" [٢] . كما ورد فى قائمة على بن عيسى التى عملها فى سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م ان " اجرة ساسة الكراع فى سائر الاصطبلات وارزاق المرتزقة وثمن العلاج وجارى من برسم خزائن السروج ومايجرى مجرى ذلك على ما استقر عليه مما يقبض فى كل سبعة وثلاثين يوما لشهر ثمانية آلاف ومائتى دينار" [٣] . غير ان هذه النصوص تشير الى مبلغ اجمالى لاجور ساسة الكراع مختلطا بغيره من ارزاق المرتزقة وثمن العلاج وجارى من برسم خزائن السروج مما لايعطى اية امكانية لاستخراج معدلات اجور اى صنف منهم على حده .

اما رواتب اصحاب الركائب والجنائب وخدمة دواب البريد :

فلقد ورد فى فقرات القائمة التى حفظها لنا الصابى عن النفقات

---

(١) الصابى ـ الوزراء (ص ٢٤) .

(٢) الصابى ـ الوزراء (ص ٢٣)، السامرائى ـ المؤسسات (ص ٢٣٩)، الزهرانى النفقات (ص ٤٣٠) .

(٣) الصابى ـ رسوم دار الخلافة (ص ٢٣) .

اليومية فى ايام الخليفة المعتضد بالله ايضا (١) " ارزاق اصحاب الركائب والجنائب والسروج ومن يخدم فى دواب البريد منجملة مائةوخمسين دينارا فى الشهر ليوم خمسة دنانير" (٢) . ويصدق على هؤلاء،ماذكرناه عن اضرابهم من استحالة الافادة من هذه النصوص لغرض الكشف عن رواتبهم .

اما مخصصات بقية الوظائف التى اشتملها البريد كخليفة صاحب البريد وولاه البريد فى الاقاليم وكتاب ولاة البريد فى الاقاليم وغيرها من الوظائف التى اشرنا اليها فان المصادر لم تذكر عنها شيئا باستثناء تلك الاشارة التى اوردها البلوى حول استخدام احمد بن طولون ابن ام عقبة على بريد ناحية من نواحى مصر واجرى عليه من الرزق عشرة دنانير فى كل شهر فقد ذكر بانه قد " دخلت ام عقبة الاعرابية يوما الى احمد ابن طولون ومعها ابنها عقبة وكان كثيرا مايأنس بها ويحب محادثتها لفصاحتها وحسن كلامها وكان يكثر برها فى كل وقت فسألته التقدم فى تصريف ابنها فيما يعود عليه بالنفع فقال لابن مهاجر وهو بين يديه انظر له فى شغل واجرى عليه من الرزق عشرة دنانير فى كل شهر" (٣) .

وهذا النص المفرد يشير الى تصرف خاص بازاء احد معارف الامير وهو لايمكن ان نستند اليه فى محاولة التعرف على رواتب ولاة البريد فى مصر ذاتها وهو بالتأكيد لايعكس معدلات رواتب ولاة البريد فى الدولة العباسية بشكل عام .

---

(١) السامرائى – م.س (ص ٢٧٤) .

(٢) الصابى – الوزراء (ص ٢٣)، السامرائى – م.س (ص ٢٣٩،٢٧٤)، الزهرانى م.س (ص ٤٣٠) .

(٣) البلوى – سيرة احمد بن طولون (ص ٢٠٨ – ٢٠٩) .

ويجدربنا ان نشير بعد ذلك، الى التقاليد والرسوم التى كانت جارية فى الدولة الاسلامية بشأن العاملين فى خدمات البريد . ففى العصر الاموى كان يضرب للبريد المرتبط بالمعسكرات والجيوش بسهم مع العساكر فى الغنائم وقد اشار الى ذلك ابن سعد بقوله " اخبرنا محمد بن عمر قال حدثنى محمد بن بشر بن حميد عن ابيه عن عمر بن عبدالعزيزانه قال الرسول والبريد والوكيل يبعثون من العسكر يجرى لهم سهامهم مع المسلمين" (١) . وفى العصر العباسى ظهر تقليد طريف سبق وان اشرنا اليه وهو ان يفرق فى المناسبات على فئات منهم هدايا اقلها شاة وقد تصل الى عدة بعران (٢) .

وبجانب ذلك فهناك <u>نفقات الدواب</u> :

فمن المعروف ان البريد قد احتيج فيه الى عدد كبير من الدواب لاغراض نقل الرسائل والحمول السلطانية بالاموال وغيرها بجانب نقل الهدايا والالطاف كما جرى استخدام الحمام الزاجل فى نقل الرسائل . فكان لابد لهذه وتلك من نفقات سواءكان ذلك لشرائها او لعلوفتها وللوازمها وكان مجلس الكراع فى ديوان النفقات هو الذى يقوم عادة بشراء هذه الدواب ومايستبدل به منها اذا عطب فى العمل ،كما انه يتولى امر علوفة الحيوانات ومحاسبة العلافين والاهتمام بامر المروج والاحراش المخصصة لها (٣) . ومع ذلك فان المصادر لم تزودنا بمعلومات مبوبة او دقيقة عن المبالغ

---

(١) ابن سعد – <u>الطبقات</u> (٣٥٣/٥) .

(٢) الصابى – <u>الوزراء</u> (ص ٢٨٩) .

(٣) قدامة – <u>الخراج</u> (ص ١٧٠ – ١٧١)، الصابى – <u>الوزراء</u> (ص ٢٣)، السامرائى م.س (ص ٢٣٤)، الشبانى – <u>نظام الحكم</u> (ص ١١٩)، الزهرانى – <u>النفقات</u> (ص ٩٩) .

الكبيرة التى بذلتها الدولة فى هذه المجالات باستثناء اشارات عن اواخر القرن الثالث الهجرى اذ ورد فى قائمة ضمان الطائى ان " مايصرف فى ثمن الكراع والابل ومايبتاع من الخيل الموصوفة فى احياء العرب ومايستبدل به اذا عطب فى العمل من جملة الفى دينار فى الشهر ليوم ستة وستين دينار وثلثى دينار" (١) . كما ورد ايضا ان ثمن علوفة الدواب فى الاصطبلات من جملة اثنى عشر الف دينار فى الشهر ليوم اربعمائة دينار كما اشرنا سابقا (٢) . وقد ورد فى قائمة على بن عيسى ان ثمن الشعير المحمول من النواحى لقظيم الكراع مع حمولته خمسون الف وسبعمائة وخمسة وخمسون دينار (٣) . وورد فى القائمة نفسها كذلك عن علوفة الكراع ماذكره الصابى بقوله " ومن ذلك للاتراك فى المطابخ الخاصة والعامة ومايقام خارج الدار وعلوفة الكراع والطير والوحش على ما استقر عليه الامر فى اصول الاقامات والاسفار على المقاطعات مياومات ومشاهرات لشهر اربعة واربعين الفا وسبعين دينارا ، ولاثنى عشر شهر خمسمائة الف وثمانية وعشرين الفا وثمانمائة واربعين دينارا" (٤) . ويبدو ان المبلغ الاخير الذى ورد فى القائمة كان يشتمل على فقرات صرف اضافية بجانب اثمان عموم علوفة الكراع فى الدولة بما فى ذلك ماكان يدفع للجند من ثمن قضيم الدواب للدابة كل خمسة وثلاثين يوما اربعة دنانير وللبغل ثلاثة دنانير ونصف وللحمار ديناران (٥) . غير ان مما ينبغى ملاحظته فى هذا المجال ان هذه

---

(١) الصابى - الوزراء (ص ٢٣) ، السامرائى - م.س (ص ٢٣٩) ، الزهرانى م.س (ص ٤٣٠) .

(٢) الصابى - الوزراء (ص ٢٣) ، السامرائى - م.س (ص ٢٣٩) ، الزهرانى م.س (ص ٤٣٠) .

(٣) الصابى - رسوم دار الخلافة (ص ٢٦) ، الزهرانى - م.س (ص ٤٣٣) .

(٤) الصابى - رسوم دار الخلافة (ص ٢٢) ، الزهرانى - م.س (ص ٤٣٢) .

(٥) الصابى - الوزراء (ص ١٨ - ١٩) .

الارقام لاتمثل اثمان العلوفة التىانفقت على دواب البريد فقط وانما تمثل اضافة الى ذلك ماكان ينفق على جميع نفقات الاصطبلات الخاصة والعامة مما لاعلاقة له بالبريد وكذلك المواشى التى يحتاج اليها فى المطابخ الخاصة والعامة سواء فى حالة استقرار الخليفة فى العاصمة او سفره الى اى موضع كان وعليه فلايمكن تصور المبلغ معبرا عن احدى فقرات الانفاق على مرفق من مرافق البريد مفردا اضافة الى ان حقيقة القائمة المذكورة لاتعبر عن حالة الانفاق فى الاوضاع الاعتيادية انما كانت قد اعدت فى ظروف طارئة .

اما عن النفقات التى بذلتها الدولة فى سبيل ترتيب وتنظيم الافادة من الحمام الزاجل فان المصادر لم تذكر عنها شيئا باستثناء ماورد عن اثمانها اذ بلغ سعر الطائر الفاره منها خمسمائة دينار ،اما سعر الفرخ فهو فى حدود ٢٠ دينارا فى حين كان سعر الانثى عشرة دنانير. وكانت البيضة تباع بخمسة دنانير . وقد ذكر الجاحظ ذلك بقوله " وللحمام من الفضيلة والفخر ان الحمام الواحد يباع بخمسمائة دينار " . واذا اردت ان تتعرف ثمن الحمام الذى جاء من الغاية ثم دخلت بغداد والبصرة وجدت ذلك بلامعاناة وفيه ان الحمام اذا جاء من الغاية بيع الفرخ الذكر من فراخه بعشرين دينارا وبيعت الانثى بعشر دنانير او اكثر وبيعت البيضة بخمسة دنانير" (١) . كما ذكر ان الحمام الذى يؤتى به من غاية واسط يباع بخمسين دينار كما يباع الفرخ بثلاثة دنانير والبيضة بدينارين. (٢)

---

(١) الجاحظ ـ الحيوان (٢١٢/٣) .

(٢) الجاحظ ـ الحيوان (٢٩٤/٣ ـ ٢٩٦) .

فى حين ذكر الحميرى انه قد بلغ ثمن الطائر الفاره فى عصره سبعمائة دينار وبلغ ثمن بعضها الف دينار (١). وتتكرر المعلومات نفسها عند القلقشندى (٢).

نفقات الطرق والسكك :

لقد تحدثت المصادر باسهاب عن طرق البريد واعمال الخلفاء فى شقها وتعبيدها واصلاحها وبناء القباب والقصور فى اماكن مخصوصة منها وتوفير مصادر المياه ووضع المنار والاميال وبناء مواقيد الانارة فيها الا انها سكتت عن النفقات التى تكلفتها الدولة فى انجاز ذلك ،ولاشك فى انها قد كلفت الدولة مبالغ طائلة (٣). ويستثنى من ذلك ماذكره ابن الجوزى من ان الخليفة المعتضد بالله امر فى سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م بتسهيل عقبة حلون وانفق عليها عشرين الف دينار فقد قال " امر المعتضد بتسهيل عقبة حلوان فسهلت وغرم عليها عشرين الف دينار وكان الناس يلقون منها مشقة شديدة " (٤).

وقد ذكرت المصادر ان الخليفة المقتدر بالله كان ينفق على الحرمين وفى طريقهما ثلاثمائة وخمسة عشر الف واربعمائة وستة وعشرين دينارا فى السنة فذكر ذلك ابن الجوزى حيث قال " كان الخليفة المقتدر سخيا جوادا وكان يصرف الى الحرمين وطريقهما ثلاثمائة الف وخمسة عشر الفا

---

(١) الحميرى ـ الروض المعطار (ص ١٠٧) .

(٢) القلقشندى ـ صبح الاعشى (١٤/٣٩٠) .

(٣) الزهرانى ـ النفقات (ص ٣٦٧ ـ ٣٦٨) .

(٤) ابن الجوزى ـ المنتظم (٥/١٤٣)، ابن كثير ـ البداية والنهاية (١١/٦٨)، الزهرانى ـ النفقات (ص ٣٦٣) .

واربعمائة وستة وعشرين دينار،وكان يجرى على القضاة فى الممالك ستة وخمسين الف وخمسمائة وتسعة وستين دينارا وكان يجرى على منيتولى الحسبة والمظالم فى جميع البلاد اربعمائة وثلاثين الفا وتسعة وثلاثين دينارا وعلى اصحاب البريد تسعة وسبعين الفا واربعمائة دينار" (١) . ومن هذه الاحصائية الطريفة عن نفقات الخليفة المقتدر بالله نجد ان نفقات الطرق كانت مقدمة على نفقات اصحاب البريد . ومنها نتبين ايضا بأن نفقات الطرق كانت تمثل فقرة مستقلة بجانب نفقات البريد وغيرها .

اما نفقات السكك فقد اشارت المصادر الى عدد كبير من السكك التى انشأتها الدولة الاسلامية فى مختلف الاقاليم والطرق حتى بلغ الرئيسى منها ٩٣٠ سكة (٢) . وهى التى ذكرها ابن خرداذبه . ومن الطبيعى ان يستلزم اقامةوادامة هذه السكك وقيامها بما ينبغى نفقات طائلة ،الاانالمصادر قد اكتفت بايراد معلومات تفصيلية عن السكك التى كانت فى طرق البريد دون ان تقدم معلومات عن تكاليف انشائها وصيانتها وترميمها وعملها ويبدو ان جزءا من المبلغ الذى ذكره ابن خرداذبه فى قوله " ونفقات الدواب واثمانها لسنة مائة الف دينار وتسعة وخمسون الفا ومائة دينار" (٣) ،

---

(١) ابن الجوزى ـ م.س (٦٩/٦ ـ ٧٠)، ابن دحيه ـ النبراس (ص ١١٢) .

(٢) ابن خرداذبه ـ المسالك (ص ١٥٣)،سعداوى ـ نظام البريد (ص ٨١) ، الزهرانى ـ النفقات (ص ٣٤٦) .

(٣) ذكر شبرنجر انالمبلغ الذى اورده ابن خرداذبه (١٥٤١٠١) دينار وهذا خطأ ،وذكر سعداوى ايضا المبلغ الذى اورده شبرنجر دون تدقيق،وذكر ايضا انه ورد فى كتاب ALi S.A. Ashort History of the Sara cens P. 117 . الاانه بعد التدقيق فانه لايوجد ذكر للمبلغ المشار اليه،وقد نقل حسينى ذلك دون تدقيق ونقل الزهرانى ذلك ايضا ،انظر Sprenger Die post P. 4 . =

كان متضمنا نفقات السكك والمرتبين فيها اذ ان سائر العاملين كانت لهم مخصصات جارية اشرنا الى بعض منها، ومما يذكر ان " نفقات الترميم " التى وردت فى قائمة على بن عيسى قد بلغت واحدا وخمسين الفا ومائة دينار فى السنة (١) ولابد ان جزءا منها كان مخصصا لترميم سكك البريد، غير ان الجزم بمثل هذا الامر لايصح بسبب غيبة النصوص .

ومما ينبغى الاشارة اليه ان رواتب الموظفين فى البريد قد خضعت لسياسة الدولة المالية بالنسبة للزيادة والنقصان وقد سبق ان اشرنا الى معدلات الرواتب والزيادة التى طرأت عليها، وكان ذلك فى حالة استقرار الاوضاع المالية للدولة، ويبدو انه فى حالات الازمات المالية التى تعرض لها بيت المال فان رواتب موظفى البريد قد شملها التخفيض اسوة بغيرهم . وقد اشار ابن مسكويه الى ما احدثه على بن عيسى من تخفيض بسبب اجراءاته الاصلاحية للميزانية فى وزارة حامد بن العباس سنة ٣١١هـ/٩٢٣م فقال " لما كثر ضجيج الحاشية من على بن عيسى لتأخيره عنهم ارزاقهم وارزاق الحرم واقتصر بالخدم والحاشية والفرسان على البعض من استحقاقهم وحط من ارزاق العمال شهرين فى كل سنة ومن ارزاق المنفقين واصحاب الاخبار والبرد والقضاة اربعة اشهر فزادت عداوة الناس له " (٢) .

وقد اتبع على بن عيسى الاسلوب نفسه فى وزارته الثانية (٣١٤ - ٣١٦هـ

= سعداوى - نظام البريد (ص ٨١ - ٨٢)، حسينى - الادارة العربية (ص ٣٣١)، الزهرانى - النفقات (ص ٣٤٥) .

(١) الصابى - رسوم دار الخلافة (ص ٢٦) .

(٢) ابن مسكويه - تجارب الامم (٨٥/١) .

٩٢٦ – ٩٢٨م) فى محاولته لاصلاح اوضاع بيت المال وتجاوز الازمة المالية التى كانت تواجه الدولة،ذلك انه خفض رواتب الموظفين اصحاب البريد وغيرهم،بمقدار الثلث فى كل سنة . وقداشار الى ذلك الصابى بقوله " اقتصر بالغلمان على جارى عشرة اشهر فى السنة وباصحاب البردو المنفقين على ثمانية اشهر" (١) . وذكر ذلك ابن مسكويه ايضا بقوله " ودخلت سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م وفيها قلدكفاه العمال واقتصر فى ارزاقهم على عشرة اشهر فى كل سنة وباصحاب البرد والمنفقين على ثمانية اشهر فى كل سنة" (٢) . مما يؤكد ان البريد كان يعامل بالطريقة التى تعامل بها بقية المؤسسات عند حصول الازمات .

---

(١) الصابى – الوزراء (ص ٣٤٠) .

(٢) ابن مسكويه – م.س (١٥٢/١) .

الفصل الثاني

وسائل نقل المعلومات والمخاطبات :

- الرجالة
- الركابية
- الحمام الزاجل
- وسائل أخرى

الفصل الثانى

وسائل البريد فى نقل المعلومات والمراسلات

لقد استخدم البريد فى نقله للمعلومات والرسائل وغير ذلك مما كان يقوم او يكلف بنقله ، اساليب مختلفة فى النقل تختلف من مكان الى آخر باختلاف الظروف الجغرافية والمناخية للمناطق التى تمر بها الطرق وكذلك باختلاف طبيعة المهمة التى يكلف بها البريد . وكان من نتيجة ذلك ان ظهرت عدد من الفرق العاملة فى البريد،سوف يحاول الباحث خلال الصفحات التالية استيفاء ماتوفره المصادر من معلومات عنها .

الرجالة :

اشار الجاحظ الى ان البريد فى الدولة الاسلامية قد تميز عن غيرها من الدول بمميزات اهمها دقة التنظيم،وخدمات فرقة الرجالة،وادخال البغال فى الخدمة . لقد وردت هذه المعلومات فى ثنايا صورة شيقة لمناظرة ذكر انها قد جرت بين رسول ملك الفرس وبين احد كبار قادة الروم اثبت لنا الجاحظ خلاصتها،واتبع ذلك بملاحظة بين فيها ان المسلمين بلغوا فى تنظيمهم للبريد شأوا لم تبلغه امة من الامم،واكد على ان تنظيم فرقة الرجالة كان اسلاميا محضا،وذلك فى قوله " ولما فخم عظيم الروم شأن ملكه قال للرسول هل عندكم بعض ماتعارضوننى به ؟ قال نعم ،لملكنا اربعون الف بغل موقوفة على ابلاغ رسائله من واسطة ملكه الى اقطار سلطانه فافحمه قال هذا،وحال البرد على غير هذه الحال،ولم

يعرفوا توجيه الخرائط فى الماء وعلى ايدى الرجال" (١) . وعلى هذا فيمكن القول ان الجاحظ نفى على الدولتين عدم معرفة تنظيم الرجال لحمل الخرائط ،واثبت لنا صورة لما كان جاريا فى الدولة الاسلامية فى عصره وبالتالى فان هذا ينفى المزاعم التى ذهبت الى ان تنظيم البريد فى الدولة الاسلامية كان مجرد اقتباس من الفرس والبيزنطيين ويؤكد ما اضافه المسلمون فى هذا المجال من اضافات وتطوير .

ومما تجدر الاشارة اليه ان فرقة الرجالة فى البريد قد انقسمت الى فئات متعددة ،من تلك الفئات التى اشارت اليها المصادر الفيوج والفرانقيون والسعاة .

الفيوج :

مفردها فيج ،والفيج فى الاصل هو رسول السلطان الذى يسعى على قدميه (٢) . ثم اطلقت على كل من اتخذ نقل الرسائل

(١) الجاحظ ـ القول فى البغال (ص ٥٩) ،اختلفت المصادر فى ذكر اسم ملك الروم ،فقد ذكر الجاحظ انه " ابن غطسه " . وابن غطسه هذا هو الذى ذكره سلم الخاسر فى قصيدته التى مدح بها الخليفة الرشيد قال :

منع ابن غطسه راسه بخراجه ... ولقد يكون وماعليه خراج

وقد ذكر ابن منكلى ان ملك الروم التى جرت معه المناظرة هو ابن ميخائيل،ولعل خطأ وقع فى اصل مخطوطة كتاب الجاحظ ولم ينبه عليه الناشر،فورد اسم ابن غطسه الذى عاصر الخليفة الرشيد كما ذكر. انظر الجاحظ ـ القول فى البغال (ص ٥٩) ،ابن منكلى ـ الاحكام الملوكية (١٧٧/٢) .

(٢) ابن منظور ـ لسان العرب (٣٥٠/٢) ،الفيومى ـ المصباح المنير (٤٨٥/٢) ،الفيروز ابادى ـ القاموس المحيط (٢٠٤/١) ،الزبيدى ـ تاج العروس (٨٩/٢) .

وظيفة له [1] . وقد اختلفت المصادر فى اصل كلمة فيج فمنها ماذكر انها عربية الاصل من " افاج" اى اسرع وعدا، [2] ومنها ما اشار الى انها فارسية الاصل عربت من " بيك" الفارسية [3] . اما عن استخدام الفيوج فى التاريخ فقد عرف العرب قبل الاسلام الفيوج اذ ورد ذكر الفيج فى حديث مقطوع نسب الى الرسول صلى الله عليه وسلم ورد فيه على لسان نعمان بن عاد قوله " خذى منى اخى ذا العفاق صفاق افاق يعمل الناقه والساق فقالت فيج لااريده "، [4] وعرف استخدام الفيوج فى صدر الدولة الاسلامية ايضا فقد اشارت المصادر الى ان خالد بن الوليد رضى الله عنه استخدم الفيوج فى نقل الاخبار بين تشكيلات الجيش الاسلامى فى اخبار معركة اجنادين وقد ذكر ذلك ابن اعثم فى قوله " فمضت الفيوج بالكتب الى الامراء ونادى خالد فى المسلمين ورحل من الغوطة فى خمسة عشر الفا يريد اجنادين" [5] . ومما يذكر ان هؤلاء الفيوج الذين استخدمهم خالد بن الوليد

(١) التنوخى ــ الفرج بعد الشدة (٢٩٨/٢) .

(٢) ابن الاثير ــ منال الطالب فى شرح طوال الغرائب (ص ١١٣)، الفيومى م٠س (٤٨٥/٢)، الزبيدى ــ م٠س (٨٩/٢) .

(٣) الجواليقى ــ المعرب (ص ٢٤٣)، الجوهرى ــ الصحاح (٣٣٦/١)، ابن الاثير منال الطالب (ص ١١٣)، النهاية فى غريب الحديث (٤٨٣/٣)، ابن منظور م٠ س(٣٥٠/٢)، الفيروز ابادى ــ م٠س (٢٠٤/١)، الزبيدى ــ م٠س (٨٩/٢) ، ابن برى ــ فى التعريب والمعرب المعروف بحاشية ابن برى على كتاب المعرب (ص ١٢٨) .

(٤) ابن الاثير ــ منال الطالب (ص ١١٠ ــ ١١٣)، العفاق : المسرع فى الذهاب، الصفاق : الذى يضرب على الامر العظيم ، الافاق : الذى يأتى من افاق الارض اى انه كثير السفر . انظر ابن الاثير ــ م٠س (ص ١١٢ــ ١١٣)

(٥) ابن اعثم ــ الفتوح (١٤٤/١) .

رضى الله عنه كانوا على علم بالطرق والمسالك المختلفة، وانهم كانوا من اهل الشام ذكر ذلك ابن اعثم بقوله "وكان هؤلاء الانباط قوم نصارى غير انهم كانوا الى المسلمين لبرهم اميل بهم، وصلتهم اياهم فكانوا فيوجا للمسلمين" (١) . وقد اكد الدياربكرى ذلك بقوله " ووجه خالد مع انباط كانوا مع المسلمين عيونا لهم وفيوجا وكان المسلمون يرضخون لهم ودعا خالد الرسول الذى بعثه منهم الى شرحبيل فقال له كيف علمك بالطريق قال كما تريد قال فادفع اليه هذا الكتاب وحذره الجيش الذى ذكر لنا وخذ به وباصحابه طريقا تعدل به عن طريق العدو الذى شخص اليه وتأتى به حتى تقدمه علينا باجنادين قال نعم فخرج الرسول الى شراحبيل ورسول آخر الى عمرو بن العاص ورسول آخر الى يزيد بن ابى سفيان" (٢) . وكان ابو عبيدة عامر بن الجراح رضى الله عنه قد استخدم الفيوج لنقل الرسائل التى كان يبعثها الى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه من الشام الى المدينة، وكان يختار منهم الاشد عدوا والسراع جريا حتى يضمن وصول الرسائل الى الخليفة فى اسرع وقت ممكن وقد اشار الى ذلك ابن اعثم فى قوله " فلما كان من غد زحف الروم نحو المسلمين وعزم ابو عبيدة على حربهم ومناجزتهم ثم دعا فيجا سريعا من انباط اهل الشام وقال له انظر اذا دفعت اليك كتابى هذا فاسرع حتى تأتى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فادفعه اليه .. ومضى الفيج يسير سيرا عنيفا حتى قدم على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلما دفع الكتاب وقرأه اقبل على الفيج وقال ويحك فهل علمت او بلغك من

---

(١) ن . م . س (١٤٣/١) .

(٢) الدياربكرى - تاريخ الخميس فى انفس احوال نفيس (٢٣٣/٢) .

امر المسلمين بعد خروجك عنهم فان ابا عبيدة خبرنى فى كتابه هذا انه نهض الى القوم حين دفع اليك الكتاب قال الفيج نعم يا امير المؤمنين انى لم ابرح حتى رجع القوم بعضهم عن بعض ولم يكن بينهم قتال" (١) .

هذا وقد استمر الفيوج فى نقل الرسائل من ابى عبيدة رضى الله عنه فى الشام الى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى المدينة وذلك لاطلاع الخليفة على مجريات الامور وطبيعة نتائج المعارك ومايستجد من امور ،فقد ورد ان ابا عبيدة رضى الله عنه لما هم بمنازلة الروم فيج الى الخليفة عمر رضى الله عنه فيوجا وكتب اليه كتابا يعلمه بما هم به اشار الى ذلك ابن اعتم بقوله " ثم سار ماهان من ارض حمص فى مائة الف فارس حتى نزل اليرموك .. وبلغ ذلك ابا عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين فنزل بهم امر عظيم وكتب ابو عبيدة الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتابا وفيج اليه فيوجا" (٢) . وذلك يدل على استخدام الفيوج فى فترة الفتوحات فى عصر الراشدين .

اما عن استخدام الفيوج فى العصر الاموى فقد اشارت المصادر الى انهم قد استمروا فى القيام بمهمتهم فى نقل الرسائل منذ عهد الخليفة معاوية بن ابى سفيان (٣) رضى الله عنه ،كما اشارت المصادر الى استمرار استخدامهم فى عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز فقد نقل قاضى القضاة ابو يوسف نص رسالة وجهها عمر بن عبدالعزيز فى فترة خلافته الى عبد الحميد بن عبدالرحمن جاء فيها : " ان طرز الارض ولاتحمل خرابا على عامر" وامرك ان لاتأخذ فى الخراج الا وزن سبعة ليس فيها تبر ولاأجور الضرابين

---

(١) ابن اعثم ـ الفتوح (١/١٨٧ ـ ١٨٨) .

(٢) ابن اعثم ـ الفتوح (١/٢٣٠) .

(٣) الثعالبى ـ تحفة الوزراء (ص ٦٨ ـ ٦٩) .

ولا اذابة الغفة ولاهديه النيروز والمهرجان ولاثمن الصحف ولا اجور الفيوج" (١) . وكان ابن عبدالحكم قد ذكر بانه : " كتب عمر بن عبدالعزيز الى عماله بالآفاق كتابا يقرأ على الناس اما بعد فاقرأ كتابى هذا على اهل الارض بما وضع الله عنهم على لسان امير المؤمنين من المظالم والتوابع التى كانت تؤخذ منهم فى النيروز وثمن الصحف واجر الفيوج وجوائز الرسل" (٢) .

اما فى العصر العباسى فان استخدام الفيوج كان على نطاقين الاول منها فى حمل البريد الذى يمثل الجانب الرسمى الحكومى ، والثانى فى نطاق الخدمات التجارية البريدية ، تلك الخدمات التى لاتمثل الجانب الرسمى ولكنها تخدم فى اطار الخدمات التجارية والاجتماعية (٣) ، اما عن الجانب الرسمى فقد استخدم منذ عهد الخليفة المنصور فقد اشار الاسكافى ان المنصور لما اتهم جماعة من اهل الكوفة فى امر ابراهيم بن عبدالله بن الحسن وخافهم كتب كتبا اليهم على لسان ابراهيم بن عبدالله يخبر فيها بانه يثق بهم ويعتمد عليهم ويأمر بالوثوب على ابى جعفر ثم اخذ فيجا فدفع الكتب اليه وهى مفضوضة وقال له انطلق بها الى من هى اليهم واعلمهم ان ابراهيم وجهك وانى ظفرت بك ففضضتها ، فلما وصلت الى اربابها هرب من كان مريبا واعتذر من كان بريئا (٤) . ولعل من المفيد ان نذكر انه كانت اوامر الخليفة الى القضاة او غيرهم والخاصة بتنفيذ

---

(١) ابو يوسف ــ الخراج (ص ١٨٦ ــ ١٨٧) ، الرحبى ــ الرتاج (٥٨٣/١) .

(٢) ابن عبدالحكم ــ سيرة عمر بن عبدالعزيز (ص ١٣٦) .

(٣) EI², Art of Islam , P. 696 .

(٤) الاسكافى ــ لطف التدبير (ص ١٨٩ ــ ١٩٠) .

عقوبات على بعض المواطنين الاساسيين كالولاة وغيرهم كان البريد يتولى انفاذها على يد فيج يتولى انفاذ الكتاب ،وقد ذكرت المصادر ان الخليفة المتوكل امر قاضي الاهواز محمد بن منصور (١) بجلد عامل الاهواز الف سوط وذلك بسبب تحقيره امر القاضى ،والقضاء ، الذى هو تنفيذ لامر الله تعالى فى اقامة العدل وهو فى الغرض نفسه عز لامير المؤمنين،وكان ذلك الامر مبعوثا عن طريق فيج من البريد اشار الى ذلك التنوخى بقوله " فخرج امر السلطان بان يضرب العامل على باب المسجد بالاهواز الف سوط فلما وقف على ذلك خليفة العامل بالحضرة اجتهد فى ازالته بكل حيلةفيما امكنة فبذل للفيج الحامل للكتاب مائة دينار ليتأخر عن النفوذ ليلة واحدة ثم بادر برسول الى العامل يصف ماجرى ومافعله من استنظار الفيج ليقدم الحيلة فى الدفع عن نفسه فلما ورد الرسول على العامل نهض من وقته الى بعض اخوان القاضى .. وسأله اصلاح قلب القاضى له فصار معه الى باب القاضى ليلا ولم يزل حتى وصل اليه واغرق فى الاعتذار اليه والخضوع له حتى قال قبلت العذر وصفحت عن الذنب فانصرف فغاداه الفيج بما امر به فى بابه فقال انى صفحت عنه" (٢) . وهكذا فان الفيج كان يتولى حمل رسالة محددة من الخليفة او الوزير لشخص معين فى غرض

---

(١) محمد بن منصور القاضى ذكر وكيع بانه ولى قضاء الاهواز ثم عزل وولى الكلبى ثم ولى مرة ثانية على قضاء الاهواز واستمر حتى سنة ٢٤٠هـ،حيث اشخص الى سر من راى ثم اعيد، انظر وكيع - اخبار القضاة (٣٢٠/٣، ٣٢٣) .

(٢) التنوخى - نشوار المحاضرة (٢٣/٢) .

محدد من نقطة البداية الى نقطة النهاية دون (١) استخدام اى نظام لتبديل الفيج فى اى مركز من مراكز البريد او سككه وهذا الامر هو الذى يجعل الفيوج يختلفون فى طبيعة اعمالهم عن غيرهم من الاصناف الاخرى من الرجالة هذا واما عن الخدمات التجارية والاهلية فقد اشارت المصادر الى الدور الذى قام به الفيوج فى نقل رسائل الافراد والتجار بين مختلف المدن فى الدولة الاسلامية (٢) اذ اصبح التفييج مهنة للتكسب اشتغل بها عدد من الافراد فى معزل عن وظائف البريد الاساسية (٣) .

ان اول اشارة وردت عن هذا النوع من الفيوج ترجع الى النصف الاول من القرن الثالث الهجرى فقد اشار ابن الجوزى الى ذلك بقوله " خرج ابو بكر بن ابى داود الى سجستان فى ايام عمرو بن الليث فاجتمع اليه اصحاب الحديث وسألوه ان يحدثهم فابى وقال ليس معى كتاب فقالوا له ابن ابى داود وكتاب قال فاثارونى فامليت عليهم ثلاثين الف حديث من حفظى فلما قدمت بغداد قال البغداديون مضى ابن ابى داود الى سجستان ولعب بالناس ثم فيجوا فيجا اكتروه بستة دنانير الى سجستان ليكتب لهم النسخة فكتبت وجىء بها" (٤) .

وكان هذا النوع من الفيوج ينقل اى عدد من الرسائل التى يكلف

---

(١) EI^2 , op , cit , P. 969.

(٢) EI^2 , op, cit , P. 669 .

(٣) التنوخى ـ الفرج بعد الشدة (٢٩٨/٢) حاشية (٩)،(١١٧/٣) .

(٤) ابن الجوزى ـ المنتظم (٢١٨/٦)، ابن ابى داود هو عبدالله بن سليمان الاشعث ابن ابى داود السجستانى ،توفى سنة ٢٧٥هـ . انظر ابى داود ـ رسالته الى اهل مكة (ص ٩) ،ابن الجوزى ـ م.س (٢١٨/٦) ، الصباغ ـ ابو داود حياته وسننه (ص ٣١) .

بنقلها وقد اشارت المصادر الى ان بعضها كان يطلب مرسلوها فيها عقد ضمان ناحية معينة عليهم فقد اشار التنوخى مثلا الى ان ابا القاسم عبد الله بن محمد بن مهرويه بن ابى علان الاهوازى قد انفذ مع فيج كان قاصدا بغداد من الاهواز الى كاتب السيدة شغب ام المقتدر يخطب ضمان نواحيها بزيادة عرضها على المبلغ الذى يقدمه ضامنها الاول الذى كان مخاصما له كما يظهر ،فقد ورد فى رسالته قوله " ففكرت فلم ار لحسم مادته عنى واذيته فى نفسى غير ضمان ضياع السيدة وتسلمه ومطالبته بالحساب وايقاعه فى المكاره ،فكتبت الى كاتب السيدة وخطبت ضمان نواحيها بزيادة ثلاثين الف دينار على ان يسلم الى لاحاسبه واطالبه بما يخرجه الحساب عليه واوفره مضافا الى هذه الزيادة ،وانفذت الكتاب مع فيج قاصد" (١) . ونقل هذا النوع من الفيوج رسائل التجار بين المدن المختلفة وذلك حول الاسعار وتبادل قيمة السلع والاستفسار عن مدى توفرها فى المدن المختلفة كما كان بعض التجار يفيد من معلومات الفيوج الشخصية ،فقد ورد ان تاجرا عرف بابن ابى عوف قد استطلع اخبار التجار من فيج ورد من الرقة قاصدا بغداد ،قد اشار الى ذلك التنوخى بقوله " عن ابى عبدالله بن ابى عوف انه قال ضاق صدرى فى وقت من الاوقات ضيقا شديد لااعرف سببه فتقدمت الى من حمل لى طعاما كثيرا وفاكهة وعدة جوارى الى بستان لى على نهر عيسى .. قال وركبت حمارى وقد تقدمنى كل ما امرت بحمله فلما قربت من البستان استقبلنى فيج معه كتب فقلت من اين وردت فقال من الرقة فتتبعت نفسى ان اقف على كتبه واخبار الرقة واسعارها فقلت له تعرفنى فقال نعم فقلت انت قريب من

---

(١) التنوخى ـ نشوار المحاضرة (٢١٢/١) .

بستان لى فتعال معى حتى اهب لك دنانير واغير حالك واطعمك وتستريح الليلة فى البستان وتدخل بغداد غدا فقال نعم ومشى معى راجعا حتى دخل البستان فامرت من فيه ان يدخله حماما فيه ويغير ثيابه ببعض ثياب غلمانى ويطعمه فابتدوا معه ذلك وتقدمت الى غلام لى فاره فسرق كتبه وجاءنى بها ففتحتها وقرأت جميع مافيها وعرفت اسرار التجار الذين يعاملونى شيئا كثيرا ووجدت جميع الكتب محشوة الى التجار بان يتمسكوا بما فى ايديهم من الزيت لايبيعوا منه شيئا فانه قد غلا عندهم وعز ويوصونهم بحفظ مافى ايديهم" (١) .

وينقل هذا الصنف من الفيوج الرسائل الخاصة التى كان يبعثها الاشخاص الى اهلهم وذويهم من مختلف المدن، اشار الى ذلك التنوخى بقوله " حدثنى ابو سعيد حسين القطربلى قال كان فى جيرانى رجل من اهل البيوتات وكانت له نعمة فزالت عنه وساءت حاله جدا وكانت له زوجة واربع بنات فحبلت زوجته واخذها المخاض فى الليل قال ولم تكن لى حيلة فى الدنيا فخرجت ليلا هاربا على وجهى امشى حتى اتيت النهروان واملت ان القى عاملها وكان يعرفنى واسأله تصريفى فى شئ وتعجيل رزق شهر لانفذه الى زوجتى فوصلت الى الموضع وقد ارتفع النهار فقعدت استريح بالقرب من بقال فاذا فيج قد جاء فوضع مخلاته وعصاه ثم قال للبقال اعطنى كذا وكذا من خبز وتمر وادام فاعطاه فاكل ووزن له الثمن ثم فتح مخلاته فميز مافيها من الكتب فرأيت فيها كتابا الى وعليه اسم منزلى واسمى وكنيتى ولا اعرف كاتبه فقلت للفيج هذا الكتاب الى قال اتدرى ماتقول فقلت له قد قلت الصحيح فاذا مضيت الى بغداد لم تجد صاحب

---

(١) التنوخى - نشوار المحاضرة (٣/٧٩ - ٨٢).

الكتاب فقال اها هنا انسان يعرفك قلت نعم العامل قال قم بنا اليه فجئت فلما دخلت على العامل قال ما اقدمك علينا يافلان فقلت له قبل كل شيء اعزك الله من انا واين منزلي ببغداد قال انت فلان ومنزلك بمدينة السلام في مدينة المنصور منها في سكة كذا وكذا فقلت للفيج عرفت صدقي قال نعم ،قال فحدثت العامل بحديثي ،واخذت الكتاب من الفيج فاذا من بعض المستورين بالدينور يذكر ان ابن عم كان لي قد توفي بعد ان اوصى اليه اني ارثه وسماني له ،ووصف منزلي ببغداد"(١) . ومن هذا يمكن القول ان الرسائل التي ينقلها الفيوج هؤلاء لم تكن الى علية القوم او كبار التجار او طبقة مميزة من المجتمع فقط،وانما الى عموم السكان مهما كان وضعهم المالي ومكانتهم الاجتماعية ،ويستفاد من ذلك ايضا بان كل رسالة كانت تحمل عنوانا واضحا بشكل بارز وان ذلك يتضمن اسم الشخص الموجهة اليه وكنيته وعنوانه مفصلا . واضافة الى ذلك فان الفيوج الذين كانوا يقومون بنقل هذا النوع من الرسائل الخاصة كانوا على علم ومعرفة بعناوين الاشخاص الذين ينقلون اليهم الرسائل،ولعلهم كانوا على معرفة تامة باحياء وخطط المدن التي ينقلون الرسائل اليها ويترددون بينها ،ويبدو ايضا ان هناك عددا من الفيوج قد اختص كل منهم بجهات معينة ينقل اليها الرسائل مما يشير الى تنظيم معين كان يجري لهم وانهم كانوا على معرفة تامة بتجار تلك المدن التي قد اختصوا بنقل الرسائل اليها ،وكذلك معرفة عناوينهم والاسواق التجارية(٢) .

---

(١) التنوخي ـ الفرج بعد الشدة (٣/٢٦٨ ـ ٢٧٢) .

(٢) EI², op, cit, P. 670 .

ومما تجب الاشارة اليه ان الفيوج قد استخدموا على نطاق واسع في شمال افريقيا ومصر خلال (٥ - ٦هـ/١١ - ١٢م)(١) ذلك انهم اسهموا في تحقيق خدمات بريدية على نطاق دولي اضافة الى النطاق الاقليمي . فبالاضافة الى حملهم الرسائل بين مدن الاقليم الواحد فانهم قدموا خدمات بريدية دولية تقريبا وخصوصا خلال فترة معينة من موسم الشتاء حينما تتوقف الطرق الملاحية بسبب اشتداد العواصف اما في الصيف والربيع والخريف حيث تستأنف السفن نشاطها، فيقل الاعتماد على خدمات الفيوج رغم استمرارها على نطاق محدود(٢)،ومما يلاحظ ان هذا النوع من الخدمات البريدية التي يقوم بها الفيوج قد لايرتبط بالتنظيم الرسمي من قبل الدولة(٣) . اذ ان هذه الخدمات اصبحت " مهنة خاصة" احترفها عدد من الاشخاص الاكفاء للتكسب وطلب العيش ويبدو ان اوقات مغادرتهم ووصولهم الى المحطات التي يقدمون فيها خدماتهم هذه لابد وان تكون مثبتة بطريقة ما(٤) . وقد ذهب البعض الى القول بان هناك خدمات بريدية اسبوعية بين القاهرة ومدن فلسطين والمدن الشامية الرئيسة الاخرى(٥) . اما الخدمات بين القاهرة والقيروان فقد كانت منتظمة ايضا ولكن حيث انها تعتمد على حركة سير العربات التي تجرها الخيول فانها في السنوات الاعتيادية كانت تقوم كما يظهر بثلاث رحلات مزدوجة (ذهابا وايابا) خلال الشتاء الواحد(٦)

---

(١) EI², op, cit , pp. 969 - 970 .

(٢) I bid , pp. 969 - 970 .

(٣) I bid , pp . 969 - 970 .

(٤) I bid , pp. 969 - 970 .

(٥) I bid , pp. 969 - 970 .

(٦) I bid , p . 970 .

اما عن المدة التى يقطع فيها الفيوج المسافات لتوصيل الرسائل ،فان المصادر لم تقدم معلومات عنها فى اقاليم مشرق الدولة الاسلامية ،وقد اوردت بعض معلومات عن الزمن الذى يقطعه الفيوج لتوصيل الرسائل بين مدن المغرب الاسلامى ويستفاد من ذلك ان الرسائل كانت تصل من القاهرة الى الاسكندرية فى اربعة ايام . ومن القاهرة الى مدن فلسطين كانت تصل فى اثنى عشر يوما ،فى حين تحتاج الرسائل التى تحمل بين مصر وتونس الى مدة تتراوح بين شهر وشهرين ونصف ويؤثر ذلك فى الفترات التى يقضيها رجال القافلة فى كل من المحطات المحلية التى يمرون بها والتى تستغل من قبل الفيوج لجمع وتوصيل رسائل اضافية .

اما عن اجرة الفيوج ،فقد ورد ان اجر الفيج الخاص الذى فيجه اهل بغداد الى سجستان كان ستة دنانير (١) . وورد ايضا ان اجرة ابراد الرسالة من القاهرة الى الرملة هو نصف درهم (٢) ، فى حين ان اجرة ابراد رسالة من القاهرة الى الاسكندرية كان درهم واحد (٣) . اما اجور ارسال رسالة من المرية الى الاسكندرية فكان درهم ونصف (٤) . ويبدو ان الاسعار الاخيرة لم تكن ثابتة وهذا امر متوقع ولكن من المحتمل ان تكون

---

(١) ابن الجوزى ــ المنتظم (٢١٨/٦) .

(٢) EI², p. 970 Goitein , S. D .. - studies in Islamic History and Institution , (Leyden , Brills1968) P . 303

صابر دياب ــ دراسات فى عالم البحر المتوسط فى العصور الوسطى (مقال نشر فى المجلة التاريخية المصرية العدد ٢٤ السنة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) (ص ٧١) .

(٣) EI² , p. 970 .

(٤) EI², p. 970 . Goitein , op, cit , p. 303 .

صابر دياب ــ م.س (ص ٧١) .

قابلة للمماكسة (المفاعلة) [١] . هذا وقد ورد مايفيد ان هناك تصنيفات خاصة بالنسبة للاجور منها ان اجور الرسل الخاصين والذين يعرفون باسم " الرسل" كانت اجورهم تعادل خمسين ضعفا من اجور الفيوج الاعتياديين [٢] والملاحظ ان هذا ينطبق على الفيج الذى فيجه اهل بغداد الى سجستان وهناك ايضا خدمات متوسطة بين الفيوج التى غالبا ماتكون بطيئة السرعة وخدمات الرسل الخاصين الذين كانوا يقدمون خدمات سريعة جدا تتكافأ معها اجورهم، اما الخدمات المتوسطة فقد كان يقدمها " الفيج الطيار" او " حامل الرسائل السريع " [٣]، ومما يذكر ان عبارة " تطير لى كتاب غالبا ماتشير الى هذه الخدمات السريعة وليس الى الحمام الذى ينقل الرسائل ،ذلك لانه فى حالة استخدام الحمام فانه يشار اليه "بالبراء" او " المنطلق " مع الطير . وربما تكون المصطلحات التقنية التى تشير الى ذلك موازية لطلبات ارسال الرسائل اما بالمراكب او مع الفيوج [٤] .

هذا ومما تجدر الاشارة اليه ان هذا الصنف من الفيوج كانوا يتعرضون فى بعض الاوقات لمخاطر الطريق مثل اعتداء بعض قطاع الطرق عليهم او هجوم حيوان مفترس او غير ذلك . وقد اشار الى ذلك التنوخى بقوله " اخبرنى بعض الشيوخ من اهل الجبل قال كنت انا مع جماعة خارجين الى اصبهان فلما صرنا الى بعض الطريق مررنا بخان قديم خراب ليس فيه

---

(١) EI², P. 970

(٢) I bid p. 970

(٣) I bid p. 970

(٤) I bid , p. 970

احد واذا صوت كلب ينبح واذا حركة شديدة فدخلنا الخان باجمعنا فاذا نحن برجل من اصحابنا نعرفه من الفيوج كان معه كلب لايفارقه حيث كان واذا بعض المبنجين قد وقع عليه وكان الفيج فطنا فلما رأى ان حيلته ليست تنفذ عليه طرح فى عنقه وترا ليخنقه به فلما رأى الكلب ذلك ثار الى المبنج فخمش وجهه وعض قفاه وطرح منه قطعة لحم فسقط المبنج مغشيا عليه فخلصنا من عنق صاحبنا الوتر وكان قد اشرف على التلف وقبضنا على المبنج"[(١)] . وقد اشار التنوخى كذلك الى قصة خروج سبع على اشخاص فى الطريق وسحبه لاحدهم لقصد افتراسه حيث قال الفيج لذلك " ان السبع ساعة جرنى وادخلنى الاجمه هزنى وسحبنى فانا لااعقل ثم سمعت صوت شىء فاذا بخنزير عظيم قد خرج فحين رآه السبع تركنى وقصد الخنزير فدقه واقبل يأكله وانا آراه ومعى بقية من عقلى فلما ان فرغ منه خرج من الاجمة وتركنى وقد جرح فخذى جراحة خفيفة فقمت فوجدتنى اطيق المشى فاقبلت امشى فى الاجمة اطلب الطريق فاذا بجيف ناس وبقر وغنم وغير ذلك مما قد صار عظاما بالية ومنها ماهو طرى فانهيت الى خرق متمعطة ومخالى للفيوج مطروحة فسولت لى نفسى تفتيش ذلك ثم وقفت على شىء مكور فاذا هو هميان فاذا فيه الف دينار صفر فاخذتها ولم افتش الباقى"[(٢)] . ومن المخاطر التى واجهها الفيوج انهم قد يتعرضون الى السجن بتهمة باطلة ومثل ذلك حدث لفيج قدم من المدائن وجد رجلا قتيلا فى بعض طرق بغداد فاخذ بانه القاتل ظلما . وقد اشار الى ذلك التنوخى الذى ذكر بان ابن ابى عوف صاحب الشرطة فى بغداد سأل حراس رحبة الجسر

---

(١) التنوخى ـ نشوار المحاضرة (٢٢٨/٤) .

(٢) التنوخى ـ نشوار المحاضرة (٤٤/٢ ـ ٤٥) .

"ماحدث فى هذه الليلة فقالوا وجدنا هذا القتيل وهذا الفيج معه فضربناه ولم يقر فرأيت به اثر ضرب عظيم فسألته عن خبره فقال انا معروف بالمدائن بسلامة الطريقة ومعاشى " التفيج" انفذنى فلان بن فلان من المدائن الى فلان بن فلان من اهل بغداد بهذه الكتب واخرج اضباره فدخلت اوائل بغداد وقت العتمة فوجدت فى الطريق رجلا مقتولا فجزعت ولم ادر اين آخذ فانا على حالى اذ ادركنى الاعوان فظنونى قتلته ووالله ما اعرفه ولارأيته قط وقد حبسونى وضربونى فالله الله فى دمى فقلت قد فرج الله عنك انطلق حيث شئت" (١) • هذا واما عن زى الفيوج فقد سبق وان اشرنا الى انزى الفيوج كان تاسومة ومرقعة وركوة (٢) • ويبدو ايضا من خلال النصوص انهم قد استخدموا المخالى (٣) لحمل الكتب التى كانت توجه معهم (٤) وربما استخدم بعضهم عصا للتوكأ عليها (٥) • وربما صحب احدهم كلبا معه لحمايته من مخاطر الطرق (٦) •

---

(١) التنوخى _ الفرج بعد الشدة (٢٩٧/٢ _ ٣٠٠) •

(٢) ن • م • س (٢٩٨/٢ _ ٢٩٩)، (١١٧/٣) •

(٣) المخالى كيس توضع فيه الاشياء ، استخدم لاغراض متعددة منها حمل الكتب ، انظر التنوخى _ الفرج (٢٦٩/٣) هامش (٥) •

(٤) ن • م • س (٢٦٨/٣)،نشوار المحاضرة (٤٤/٢) •

(٥) التنوخى _ الفرج بعد الشدة (٢٦٨/٣) •

(٦) التنوخى _ نشوار المحاضرة (٢٢٨/٤) •

الفـــرانـــــق :

البريد[١] وقيل هو الذى يـدل صاحب البريد على الطريق،[٢] والفرانق في الاصل هو الحيوان الذى ينذر قدام الاسد،[٣] وقيل هو سبع يصيح بين يدى الاسد كأنه ينذر الناس به ويقال انه شبيه بابن آوى يقال له فرانق الاسد ومنه فرانق البريد،[٤] وربما سمى دليل الجيش فرانق،[٥] والفرانق ليس بعربي صحيح الا ان المصادر اختلفت فى نسبة اصل الكلمة • فمنهم من ذهب الى انها تعريب للكلمة الفارسية "براونك" • قال الجوهرى " الفرانق البريد وهو الذى ينذر قدام الاسد وهو معرب براونك بالفارسية "[٦] • وقد قال بذلك ابن دريد ايضا فقد ذكر ان الاصل فى الكلمة فارسى الا انه لم يشر اليها،[٧] وقد تابعه فى ذلك الجواليقى دون ان يذكر ايضا الكلمة الاصل قال " الفرانق : قال ابن دريد هو فارسى معرب ،وهو سبع يصيح بين يدى الاسد،كأنه ينذر الناس،[٨] وقد ذهب ابن منظور الى ذلك وقال الا انه اختلف عن من سبقه فى اصلها، اذ اشار ان الاصل فى الذى ينذر قدام الاسد

---

(١) الجوهرى – الصحاح (١٥٤٣/٤)، ابن منظور – لسان العرب (٨٧/٣)، (٣٠٧/١٠)

(٢) القاسمى – البريد (ص ٦٩) •

(٣) الجوهرى – م•س (١٥٤٣/٤)، ابن منظور – م•س (٣٠٧/١٠) •

(٤) ابن دريد – الجمهرة (٣٩١/٣)، الجواليقى – المعرب (ص ٢٣٨)، ابن منظور – م•س (٣٠٧/١٠) •

(٥) الجوهرى – م•س (١٥٤٣/٤)، ابن منظور – م•س (٣٠٧/١٠) •

(٦) الجوهرى – م•س (١٥٤٣/٤) •

(٧) ابن دريد – م•س (٣٩١/٣) •

(٨) الجواليقى – المعرب (ص ٢٣٨) •

" بروانه " فى حين ان اصل فرانق البريد " فروانه " ،قال :" الفرانق معروف وهو دخيل والفرانق البريد الذى ينذر قدام الاسد فارسى معرب وهو بروانه بالفارسية .. وربما سموا دليل الجيش فرانق،فرانق البريد فروانه وهو فارسى معرب" (١) .هذا وذهب عدد آخر من اللغويين الى انه هندى معرب وقد ذكر ذلك الدميرى بقوله " الببر بباءين موحدتين الاولى مفتوحة والثانية مكسورة ضرب من السباع يعادى الاسد من العدو لامن العدوان ويقال له البريد ويقال له الفرانق بضم الفاء وكسر النون وهو هندى معرب شبيه بابن آوى" (٢) ، اما بالنسبة لاستخدام الفرانق فقد استخدم الفرس والهنود الفرانق كما ذكرنا آنفا وقد ورد اللفظ فى اشعار امرؤ القيس حيث قال :

ونادمت قيصر فى ملكه فاوجهنى وركبت البريدا
واذا مازدحمنا على سكة سبقت الفرانق سبقا بعيدا (٣)

مما يوحى باحتمال شيوع استعمال المصطلح عند البيزنطيين ومن المحتمل ان يكون ذلك الاستعمال قد ورد فى شعر امرىء القيس نتيجة شيوع استعمال الكلمة عند العرب قبل الاسلام فقد تكرر ذكرها فى نماذج اخرى من شعر امرىء القيس قال :

وانى اذين ان رجعت مملكا بسير ترى منه الفرانق ازورا (٤)

---

(١) ابن منظور ـ لسان العرب (٣٠٧/١٠) .

(٢) الدميرى ـ حياة الحيوان الكبرى (١١٣/١) .

(٣) الجاحظ ـ القول فى البغال (ص ٦٢، ٧١) .

(٤) الجوهرى ـ الصحاح (١٥٤٣/٤) ، ابن منظور ـ لسان العرب (٣٠٧/١٠) .

اما فى الدولة الاسلامية فقد استخدم البريد الفرانق غير ان المصادر لم تحدد بدقة تاريخ بدء استخدامها فى البريد الاسلامى، على ان اول اشارة وردت عن ذلك ترجع الى عهد الخليفة المنصور فقد اشار الطبرى الى تغرير سفيان العمى بالمنصور وذلك عندما اراد اخراج ابراهيم بن عبدالله بن الحسن من عسكر المنصور فى سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م فقد تظاهر بانه سيأتى المنصور بابراهيم بن عبدالله وطلب منه ان يكتب له ولغلام معه ولفرانق معهم جواز مرور وامرا بحملهم على البريد فقد ذكر ان :" ابراهيم لما نشب وخاف الرصد وكان معه سفيان العمى، قال قلت لابراهيم قد نزل ماترى ولابد من التغرير قال فانت وذاك فاقبل الى الربيع فسأله الاذن قال من انت قال انا سفيان العمى فادخله على ابى جعفر فلما رآه شتمه فقال يا امير المؤمنين انا اهل لما تقول غير انى اتيتك نازعا تائبا ولك عندى كل ماتحب ان اعطيتنى ما اسألك قال ومالى عندك قال آتيك بابراهيم بن عبدالله بن حسن ، انى قد بلوته واهل بيته فلم اجد فيهم خيرا ،فمالى عندك ان فعلت قال كل ماتسأل فأين ابراهيم قال دخل بغداد او هو داخلها عن قريب قال هو بعبدسى تركته فى منزل خالد بن نهيك فاكتب لى جوازا ولغلام لى ولفرانق واحملنى على البريد" (١) .

ويبدو من خلال النص ان طبيعة عمل الفرانق كانت بمثابة الشخص الذى ييسر المرور فى الطريق . ويبدو انها مقاربة لما كانت عليه طبيعة اعمال الفرانق عند الامم الاخرى السابقة على الاسلام . غير ان طبيعة عمل الفرانق قد اصابها بعض التغيير عند استعمالها فى الدولة الاسلامية ذلك ان النصوص قد تواترت على ان الفرانق هو شخص يكلف بنقل الرسائل من

---

(١) الطبرى ـ تاريخ الامم والملوك (٩/٢٤٥) .

الوزير الى شخصيات الدولة داخل المدينة • فقد اشار التنوخي الى ان الوزير عبيد الله بن سليمان ارسل فرانق الى عبيد الله بن عوف يطلبه في وقت السحر فقد ذكر "ابو عبدالله بن ابي عوف قال : استتر عندي عبيد الله بن سليمان فدخلت اليه يوما في حجرة كنت افردتها له من داري فقام الى فقلت له مازحا كما جرى على لساني ياسيدي اخبأ لي هذا الى وقت انتفع به فيه قال فلما كان بعد مدة انتقل من عندي فما مضت الايام حتى ولى الوزارة فقال لي اهلي لو قصدته وكانت حالي اذ ذاك صغيرة فقلت لهم لاافعل انا في ستر وقصدي له الآن كأنه اقتضاء لثمن معروف اسديته له ،وما ارضى لنفسي بهذا لو كان لي عنده خير لابتدائي به فبت ليلتي تلك مفكرا وكان هذا يوم الخلع فلما كان يوم السحر جائني فرانقه برقعة بخطه يعاتبني فيها على تأخري عنه ويستدعيني" (١) • هذا ويبدو ان مهمة الفرانق قد استمرت كذلك حتى النصف الاول من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) • فقد ذكر الصابي ان الوزير ابن الفرات في وزارته الثانية ارسل فرانقا لطلب ميمون الخازن وذلك بقوله " حدث ابو علي زكريا بن يحيى الكاتب قال كنت في ديوان السواد في وزارة ابي الحسن الثانية في يوم ثلاثاء وكان اكثر الكتاب يخلون بالحضور فيه واصحاب المجالس في مجلس الوزير ابي الحسن للمظالم فوافى فرانق وقال لميمون الخازن قال لك الوزير احضرني " جماعة" جازر والمدينة العتيقة لسنة اربع ومائتين فأخذها وركب بغل الفرانق حتى لحق بالمجلس" (٢) • وذكر التنوخي ايضا ان الوزير علي بن عيسى

---

(١) التنوخي – نشوار المحاضرة (٧٩/١) •

(٢) الصابي – الوزراء (ص ٧٦) •

ارسل فرانقا الى ابى يحيى بن مكرم القاضى وذلك عندما اشار عليه ان يفرض على ملك الروم ان يحسن معاملة اسرى المسلمين وذلك بقوله " فلما كان بعد شهرين وقدانسيت الحديث جاءنى فرانق من جهته يطلبنى فركبت وانا مشغول القلب"(١) . ومن هذا نجد ان الفرانق قد يستخدم الدواب لسرعة توصيل الخبر الى الشخص الموفد اليه كما انه قد يحمل رسائل شفوية مما يشير الى الثقة الكبيرة التى يتمتع الفرانق بها .

السعاة :

هم رجال خفاف تعودوا على الجرى والصبر على السير حتى كان الواحد منهم يقطع ثلاث مراحل فى مسيرة واحدة،وقيل ان بعض السعاة من رجال البريد كان يتتبع الفارس فيلحقه ويجرى وراء الغزال فيقتنصه(٢) . وقداختلف الاسم الذى كان يطلق عليهم باختلاف اقاليم الدولة الاسلامية اذ عرفوا فى منطقة الثغور "بالركاضين الثغريين" اشار اليهم الطبرى فى احداث سنة ٢٧٨هـ وذلك فى قوله " لاربع عشر خلت من ذى القعدة نزل المعتضد كنيسة السوداء فى طلب وصيف الخادم فاقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء حتى تلاحق به الناس فاتته العيون ان الخادم يريد عين زربه فاحضر الركاضين الثغريين واهل الخبرة فسألهم اقصر الطرق الى عين زربه"(٣) . اما

---

(١) التنوخى ـ نشوار المحاضرة (٥٤/١) .

(٢) الحسن بن عبدالله ـ آثار الاول (ص ٨٩)، الدورى ـ تاريخ العراق الاقتصادى (ص ١٤٥)،بطانية ـ الجهاز الادارى (ص ١١٤) .

(٣) الطبرى ـ تاريخ الامم والملوك (٧٩/١٠).

فى العراق واقاليم المشرق فقد عرفوا باسم " السعاة "[1] ،واطلق عليهم فى الهند اسم " الدواه" وقد اشار الى ذلك ابن بطوطة بقوله " واما بريد الرجالة فيكون فى مسافة الميل الواحد منه ثلاث رتب ويسمونها الداوه "[2] .

وقد عرفوا فى مصر باسم " القصاد" اشار الى ذلك القلقشندى فى قوله " النظر فى امر القصاد الذين يسافرون بالملطفات من الكتب .. وهو من اعظم مهمات السلطنة وآكدها وقد ذكر ابن الاثير ان اول من اتخذ السعاة من الملوك معز الدولة بن بويه "[3].

ومانقل عن ابن الاثير آنفا تكاد المصادر ان تجمع عليه فلقد تعددت الروايات التى وصلتنا والتى تذكر بان استخدام السعاة فى نقل الرسائل يرجع الى البويهيين . كما تؤكد النصوص ان اول نشأتهم كان فى بغداد،على يد الامير ابى الحسين احمد بن بويه الملقب بمعز الدولة والذى اراد ان يعلم على وجه السرعة اخاه ركن الدولة ابا على الحسن ابن بويه فى الرى بما يستجد من احداث فى بغداد . وقد اغدق على سعاته الجرايات واتخذهم من الذين لهم قصب السبق فى الجرى . وقد حرص بعض الشباب فى بغداد على الاشتغال بهذه الحرفة،واقبل ضعفاء الناس على ذلك مدفوعين بالاغراءات المادية فاسلموا ابنائهم الى معز الدولة لتدريبهم واختبار كفاءتهم فى الجرى . وقد برز من بين اولئك السعاة

---

(١) التنوخى ــ نشوار المحاضرة (٢١٧/٤،٢١٨)، ابو حيان ــ الامتاع والمؤانسة (١٨٨/٣)، ابن الاثير ــ الكامل (٢٢/٧)، القلقشندى ــ صبح الاعشى (١٢٦/١) .

(٢) ابن بطوطة ــ تحفة النظار (ص ٢٦٢ ــ ٢٦٣) .

(٣) القلقشندى ــ صبح الاعشى (١٢٦/١ ــ ١٢٧) .

اثنان هما " فضل" و " مرعوش " . ويبدو انه قد استغل انتمائهم المذهبي لاحداث تنافس بينهما واستباق في الجري وقد تهيأ لذلك تحقيق المراد اذ بلغت المسافة التي يقطعها كل منهما نيفا وثلاثين فرسخا من وقت طلوع الشمس الىوقت غروبها، ذكر ذلك التنوخي بقوله (١) " من اعجب الاشياء المتولدة في زمن معز الدولة السعي والصراع وذلك ان معز الدولة احتاج الى السعاة ليجعلهم فيوجا بينه وبين اخيه ركن الدولة الى الري فيقطعون تلك المسافة البعيدة في المدة القريبة،واعطى على جودة السعي الرغائب فحرص احداث بغداد وضعفاؤهم على ذلك حتى انهم انهمكوا فيه واسلموا اولادهم اليه فنشأ ركابيان لمعز الدولة يعرف احدهما بمرعوش والآخر فضل يسعى كل واحد منهما نيفا وثلاثين فرخسا في يوم من طلوع الشمس الى غروبها يترددون مابين عكبرا وبغداد وقد رتب على كل فرسخ قوما يحضون عليهم فصاروا ائمة السعاة ببغداد وانتسب السعاة اليهم وتعصب الناس لهم" (٢) .

اما ابن الاثير فقد ذكر بان معز الدولة بن بويه " هو الذي احدث امر السعاة واعطاهم عليه الجرايات الكثيرة لانه اراد ان يصل خبره الى اخيه ركن الدولة سريعا فنشأ في ايامه فضل ومرعوش وفاقا جميع السعاة وكل واحد منهما يسير في اليوم نيفا واربعين فرسخا

---

(١) متز ـ الحضارة الاسلامية (٢/٤٢٠)،حسن ابراهيم ـ تاريخ الاسلام (٣/٢٧٦)، النظم الاسلامية (ص ٢١٤)، الدوري ـ تاريخ العراق الاقتصادي (ص ١٤٥)،سعداوي ـ نظام البريد (ص ٧٦)، القاسمي ـ البريد (ص ٦٩) .

(٢) التنوخي ـنشوار المحاضرة (٤/٢١٧ ـ ٢١٨)،وقد نقله ابن الجوزي المنتظم (٦/٢٤١)،وانظر الغساني ـ العسجد المسبوك (ورقة ١٤) .

وتعصب لهم الناس وكان احدهما ساعى السنة والآخر ساعى الشيعة" .(١)

ولكن ينبغى الانتباه الى ان التنوخى هو المصدر الذى يبدو ان الآخرين قد نقلوا عنه ،مع ملاحظة تغير المسافة الواردة فى نص ابن الاثير الذى نقله القلقشندى منه بعد ان اشار الى ذلك . وهذا يعنى اننا نواجه اجماعا او تواترا كما يبدو لاول وهلة ،وانما الحقيقة هى نص ورد فى مصدر واحد اعتمده آخرون . وان نحن عارضنا ذلك بما ذكره الطبرى من امر وجود السعاة من سنة ٢٧٨هـ اى قبل وصول البويهيين الى بغداد بما ينيف على نصف قرن، ادركنا مدى ماقد يقع فيه الباحث من خطأ لو انه اعتمد الروايات المتعددة التى اوردها التنوخى وابن الجوزى وابن الاثير والقلقشندى اضافة الى الغسانى . والواقع فان ماذكره ابن الجوزى كان نقلا حرفيا لما اورده التنوخى باستثناء تحديده التاريخ الذى اتخذ فيه معز الدولة السعاة .(٢) ولاتعدو الرواية التى اوردها ابن الاثير عن كونها نقلا معدلا لما اورده التنوخى وابن الجوزى .(٣) وكذلك كانت رواية الملك الاشرف .(٤) اما القلقشندى فانه قد اشار بنفسه الى اقتباسه نص ابن الاثير.(٥) وعليه فانه من المرجح ان يكون السعاة قد ظهروا قبل فترة البويهيين

---

(١) ابن الاثير – الكامل (٢٢/٧) وقد نقله القلقشندى عنه فى صبح الاعشى (١٢٦/١ – ١٢٧)،واضاف الى ذلك قوله :"واستمر حكم السعاة ببغداد الى زماننا" .

(٢) ابن الجوزى – المنتظم (٣٤١/٦) .

(٣) ابن الاثير – الكامل (٢٢/٧) .

(٤) الملك الاشرف – الغسانى – العسجد المسبوك (ورقة ١٤) .

(٥) القلقشندى – صبح الاعشى (١٢٦/١) .

التى اشارت اليها المصادر (١) . ولعل الامر الذى حدى بالمصادر الى الاشادة بعصر معز الدولة فى هذا المجال انه شجع السعاة واظهرامرهم حتى اصبحوا الغالبين على نقل الرسائل دونباقى الفئات التى كانت مستخدمة فى البريد . اما تنظيمهم فان من الراجح من خلال النصوص المشار اليها آنفا ،ان السعاة قد نظموا على اساس طائفى ،فئةتمثل سعاة اهل السنة وكان على رأسهم الساعى المدعو " فضل" وفئة للشيعة يترأسهم " مرعوش" ويبدو ان معز الدولة البويهى قد رتب ،على طول طريق خراسان على كل فرسخ قوم يشجعون السعاة على مواصلة سيرهم . هذا ويبدو ان تنظيم السعاة قد تطور فى عهد عضدالدولة البويهى بشكل اكثر وضوحا فقد اصبح فىكل سكة عدد من السعاة مرتبين على النوبة لحمل الرسائل كما كان على كل سكة مشرف يعرف "بالطراد" اضافة الى تنظيم اوقات انطلاقهم ووصولهم . وهكذا فان الرسائل التى كانت ترسل من بغداد كانت تصل الى عضد الدولة فىوقت معلوم محدد لايتهيأ تأخيرها الا لسبب قاهر ،وقد اشار الى ذلك الروذراورى بقوله "فاذا ترحل النهار سأل عن ورد النوب المترددةبالكتب ولها وقت معلوم تصل فيه وتراعى من ساعات النهار فان اتفق ان تتأخر قامت القيامة ووقع البحث عن العارض العائق فان كان بعائق ظاهر فيه عذر قبل او امر يحتاج الى ازالته ازيل او من تقصير النوبيين انزل العذاب بهم وقد ذكر بعض الطراد ان احد المرتبين قالت له امرأته قد طبخنا ارز فتوقفلتأكل منه وتمضى فتوقف بقدر ماأكل وتأخرت النوبة ذلك المدى فضرب الطراد والمرتبون مابين شيراز الى بغداد اكثر من ثلاثة آلاف عصا" (٢) .

---

(١) القاسمى ــ البريد (ص ٦٩) .

(٢) ابو شجاع الروذراورى ــ ذيل تجارب الامم (ص ٤٠) وانظرايضا توفيق الساكر ــ العرب وتطور نظام البريد (ص ٧) .

هذا واما عن المدة التى يقطعها السعاةلتوصيل الرسائل فقد اشار الروذراورى بانهم كانوا يقطعون المسافة بين شيراز وبغدادفى مدة سبعة ايام (١) . ومن الجدير بالذكر ان السعاة فى عهد عضد الدولة لم يقتصر عملهم على المهمات الرسمية فى نقل الرسائل ،بل انه شمل اضافة الى ذلك نقل بواكير الفواكه والمشموم من نواحى فارس وخوزستان الى بغداد . كما شمل ايضا نقل رسائل شخصية غير رسمية ،وكذلك الاموال بين المدن المختلفة . وقداشار الروذراورى الى ذلك فقال " وكان يحمل مع المرتبين بواكير الفواكه والمشموم من نواحى فارس وخوزستان فتصل طرية سليمة . وقيل ان بعض اصاغر الحواشى حمل فى النوبة من همذان كتانة دنانير يسيرة الى منزله ،وقد كان عادتهم جارية بذلك فقصرت عن اهلها وعرف عضد الدولة الخبر فلميزل يكشف عن ذلك الى ان ظهر للخرائطى الذى اخذ الدنانير فامر بقطع يده" (٢) .

ولعل من المفيد ان نشير هنا الى تنظيم السعاة الذين كانوا فى الهند خلال هذه الفترة اذ اشار ابن بطوطة الىانه كان يجعل فى كل ثلث ميل قباب فيها عدد من المرتبين لحمل البريد عند كل واحدمنهم مقرعة فيها جلاجل من نحاس فاذا وصل الكتاب اليهم اخذه احدهم باعلى يده والمقرعة باليد الثانية وخرج يجرى فاذا بلغ صوت الجلاجل للرجال المرتبين فى القباب التالية تأهبوا له فاذا وصل اخذه احدهم على الصورة المذكورة ولايزال الامر كذلك حتى يصل الكتاب الى جهة قصده ،وذلك فى قوله "وترتيب ذلك ان يكون فى كل ثلث ميل قرية معمورة ويكون بخارجها ثلاث

---

(١) الروذراورى — م.س (ص ٤٠) .

(٢) ابو شجاع الروذراورى — ن . م . س (ص ٤٠ — ٤١).

قباب يقعد فيها الرجال مستعدين للحركة قد شدوا اوساطهم وعند كل واحد منهم مقرعة مقدار ذراعين باعلاها جلاجل نحاس فاذا خرج البريد من المدينة اخذ الكتاب باعلى يده والمقرعة ذات الجلاجل باليد الاخرى وخرج يشتد بمنتهى جهده فاذا سمع الرجال الذين بالقباب صوت الجلاجل تأهبوا فاذا وصلهم اخذ احدهم الكتاب من يده ومر باقصى جهده وهو يحرك المقرعة حتى يصل الى الداوه الاخرى ولايزالون كذلك حتى يصل الكتاب الى حيث يراد منه وهذا البريد اسرع من بريد الخيل وربما حملوا على هذا البريد الفواكه المستطرفة بالهند من فواكه خراسان يجعلونها فى الاطباق ويشتدون بها حتى تصل الى السلطان" (١) .

وقد اشار القلقشندى ايضا الى مايقرب من هذا اذ ذكر " ان بين امهات الاقاليم وقصر السلطان اماكن متقاربة مشبهة بمراكز البريد بمصر والشام الا ان هذه الاماكن قريبة المدى بعضها من بعض بين كل مكانين نحو اربع غلوات او دونها ،فى كل مكان عشرة سعاة ممن له خفة وقوة ويحمل الكتب بينه وبين من يليه ويعدو باشد مايمكنه الى ان يوصله الى الآخر ليعدو به كذلك الى مقصده فيصل الكتاب من المكان البعيد فى اقرب وقت وفى كل مكان من هذه الامكنة مسجد وسوق وبركة ماء" (٢) .

اما الصفات التى تراعى فى السعاة فهى الحداثة (٣) فى السن (٤)

---

(١) ابن بطوطة - تحفة النظار (ص ٢٦٢ - ٢٦٣) ،سعداوى - نظام البريد (ص ٧٦) .

(٢) القلقشندى - صبح الاعشى (٩٨/٥) .

(٣) ن . م . س (١٢٧/١) .

(٤) ن . م . س (٩٨/٥) .

والخفــــة ،والقـــوة [1] ،وسرعة المشى ،وشدة العـــدو [2] ٠

الخيالـةوالركابيـــة :

وهى احدى الفرق الرئيسية فى البريد اذ كان عليها الاعتماد بشكل اساسى فى نقل الرسائل والمعلومات ويتم ذلك بان يرتب فى كل سكة من سكك البريد المختلفة الكثيرة عدد من الرجال ذوو الجلد المتمرنين على ركوب الدواب [3] ، ويتولى احد هؤلاء المرتبين نقل الكتب والمعلومات من سكة الى اخرى بشكل دورى [4] ، وقد تلجأ الضرورة الى ان يجعل على رأس كل فرسخ مرتب ودابة من دواب البريد حتى يصل الخبر الى الاقاليم المختلفة الى دار الخلافة او من الخليفة الى الجهة المرسوم نفوذ الخبر اليها بسرعة وبوقت اقل [5] ٠

ومن الجدير بالذكر فان وجود هذا الصنف من المستخدمين ،ووجود الحاجة الماسة اليهم قد استلزم توفير اعداد كبيرة جدا من الـــدوا ب وتوزيعها على سكك البريد حيث كانت تستخدم فى عملية نقل المرتبين مع مايحملون من رسائل او معلومات او غير ذلك ٠ وتشير المصادر الى انه

---

(١) ن ٠ م ٠ س (٩٨/٥) ٠

(٢) ن ٠ م ٠ س (١٢٧/١) ،نعمان انطوان – الطائر الغريد (ص ٧ – ١٠) ، سعداوى – نظام البريد (ص ٧٦ – ٧٧) ٠

(٣) انطوان – الطائر الغريد (ص ٨٩) ،سعداوى – نظام البريد (ص ٧٩) ٠

(٤) الطبرى – تاريخ الامم والملوك (٣٠٦/١٠) ،ابن طباطبا – الفخرى (ص ١٠٦) ٠

(٥) الطبرى – م٠س (٣٣٢/١٠) ٠

كان فى كل سكة عدد من الدواب تتغير دابة بعد دابة (١) . وهذا بطبيعة الحال يستلزم جملة امورمترابطة منها توفير المواضع الصالحة لاراحتها وعلوفتها وسقيها كما تستلزم توفير آلاتها كالسروج والمطارح واللباد ومايحتاج اليه عند استخدامها، اضافة الى توفير الماء والعلوفة والبيطرة، وبجانب ذلك فانه لابد من زيادة عدد الدواب المستخدمة لهذا الغرض لتعويض ماينفق منها او يعجز . ولسنا فى هذا المجال بصدد الاشارة الى الجهات الادارية والمالية التى تتولى ذلك ، اذ سيرد ذكرها فى المبحث الرابع غير ان من الضرورى الاشارة الى ان الدواب التى كانت تستخدم فى البريد كانت متنوعة اضافة الى اعدادها الكبيرة فقد كان من بينها الخيول والبغال والهجن .

الخيول :

لقد اولت الدولة الاسلامية الخيول عناية خاصة منذ نشأتها ، ومع ان استخدام الخيول كان لاغراض اساسية اخرى فى اعداد القوة التى تحفظ امن الدولة الاسلامية وحمايتها ولم يكن قاصرا على البريد خلال عصور الدولة الاسلامية المختلفة، فلاشك فى ان البريد قد لعب دورا متميزا فى توجه الادارة الاسلامية نحو اقتناء الخيول العربية الموصوفة بالاصالة والجودة . ولعل من المناسب ايضا ان نشير الى الحمى فى صدر الاسلام والذى وضع اساسا لتوفير المرعى لخيل المسلمين فقد روى الامام احمد عن ابن عمر رضى الله عنهما " ان النبى صلى الله عليه وسلم حمى النقيع للخيل" (٢) . وحمى ايضا ابو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم الربذة

(١) ابن طباطبا ـ م٠س (ص ١٠٦) .

(٢) احمد بن حنبل ـ المسند (٢/١٥٥، ١٥٧)، السمهودى ـ وفاء الوفاء (ص ١٠٨٢ ـ ١٠٨٤) .

وضربه لابل الصدقة والخيل التى يحمل عليها فى سبيل الله (١) . ومما هو جدير بالملاحظة ان الحمى قد استمر الى العصر العباسى فقد اشار الحربى الى انه ظل كذلك حتى ولاية جعفر بن سليمان (٢) على المدينة للخليفة محمد المهدى والتى وليها بين سنتى ١٦٠ – ١٦٦هـ/٧٧٦ – ٧٨٢م (٣)، ولعل من المناسب ان نشير للاهتمام والاعتزاز الكبير بالخيل ورعايتها عند المسلمين حيث ورد ذكرها فى القرآن الكريم (٤)، وفى حديث الرسول صلى الله

---

(١) الحربى – المناسك (ص ٥٩٥ – ٥٩٦)، السمهودى – م.س (١٠٨٧/٣ – ١٠٨٩)، الجاسر – ابو على الهجرى وابحاثه فى تحديد المواضع (ص ٢٤٧ – ٢٤٨) (منشورات دار اليمامة الرياض) .

(٢) جعفر بن سليمان بن على بن عبدالله بن العباس، ولى امرة الطائف ومكة والمدينة المنورة فى عهد المنصور والمهدى، كان من سراة بنى العباس، ولد له اربعون ابنا، من اعماله فى الحرم ايام ولايته انه بلط الحجر بالرخام وشرع ابواب المسجد على المسعى، انظر خليفة بن خياط – التاريخ (ص ٤٣٠، ٤٤٠)، الازرقى – اخبار مكة (٢٠٢/١)، ابن حزم جمهرة انساب العرب (ص ٣٤)، الفاسى – العقد الثمين فى تاريخ البلد الامين (٤١٩/٣) .

(٣) الحربى – المناسك (ص ٥٩٥) .

(٤) ورد ذكر الخيل فى خمس آيات فى القرآن الكريم فى قوله تعالى "زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب" آل عمران آية (١٤)، وفى قوله تعالى " واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم وماتنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وانتم لاتظلمون" الانفال آية (٦٠)، وفى قوله تعالى : "والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق =

عليه وسلم ، كما ان المسلمين اعتنوا بالخيل عناية فائقة لم تعرف عند[1] امة من الامم الاخرى لمكانتها عندهم فالفوا فيها العديد من المؤلفات التى وصلنا بعضها فى حين لم يزل اغلبها مفقودا[2] .

= مالاتعلمون" النحل آية (٨)،وفى قوله تعالى :" وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولاركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شئ قدير" الحشرآية (٦) ،وفى قوله تعالى : "واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الاموال والاولاد وعدهم ومايعدهم الشيطان الا غرورا" الاسراء آية (٦٤) .

(١) روى البخارى عن عبدالله بن مسلمة عن مالك عن نافع عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "الخيل فى نواصيها الخير الى يوم القيامة" . وروى ايضا عن حفص بن عمر عن شعبة عن حصين وابن ابى السفر عن الشعبى عنعروة بن الجعد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال " الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة" .انظر البخارى ـ صحيح البخارى (١٤٥/٢ ـ ١٤٦) ، وانظر مسلم ـ الجامع الصحيح (٣١/٦ ـ ٣٢)، احمد بن حنبل ـ المسند (٢٩/٣)، (١٨١/٥)، ابو داود ـ السنن (٢٢/٣ ـ ٢٤)، ابن ماجة ـ سنن ابن ماجة (٩٣٢/٢)، الامام مالك ـ الموطأ (٤٦٧/٢)،وانظر فنسنك المعجم المفهرس لالفاظ الحديث (٩٦/٢، ١٠٢ ـ ١٠٥) .

(٢) اشارت المصادر الى قائمة كبيرة من المؤلفات التى وضعت فى الخيل فقد ورد ان ابا مالك عمرو بن كركره الف " كتاب الخيل" والف ايضا ابو ملحمة الشيبانى " كتاب الخيل " والف ابو ثروان العكلى ايضا كتاب " خلق الفرس" ولخلف الاحمر ايضا " كتاب الخيل" وللنضر بن شميل ايضا " كتاب الخيل" ولقطرب " كتاب خلق الفرس " وللاصمعى " كتاب الخيل" مخطوطة فى جامعة الرياض تحت رقم (٤٩٤) ،وكتاب " خلق الفرس" ولابى عبيدة " كتاب حفير الخيل " و" كتاب الخيل"=

اما عن استخدام الخيل فى البريد فلعل اول اشارة وردت عن ذلك ترجع الى النصف الاول من القرن الاول الهجرى فقد ورد ان معاوية رضى الله عنه استخدم فى ذلك الخيل عند تنظيمه للبريد (١) . وقد ظلت الخيل مستخدمة فى البريد طوال العصر الاموى، كما كان خلفاء بنى امية غالبا مايأمرون بان ينقل عليها الشخصيات المهمة فى الدولة اضافة الى استخداماتها الاساسية فى ابلاغ الرسائل العاجلة . وقد نقل عن يزيد بن

= ولاحمد بن حاتم " كتاب الخيل وسبقها واسنانها وشياتها وغرتها واضمارها ومن نسب الى فرسه" وللرياشى " كتاب الخيل الصغير" وللزجاج " كتاب خلق الفرس" ولابن دريد " كتاب الخيل الكبير" و "كتاب الخيل الصغير" ولابى عمرو " كتاب اسماء خيل العرب وفرسانها فى الجاهلية والاسلام " ،طبع بتحقيق نورى القيسى،وحاتم الضامن - بغداد ١٤٠٥هـ،ولثابت بن ابىثابت " كتاب خلق الفرس" ولابى محمد قاسم الانبارى " كتاب خلق الفرس" وللكرمانى الانصارى " كتاب خلق الفرس" ولابن قتيبة " كتاب الخيل" ولابن سعدان " كتاب الخيل" ولابن الكلبى " كتاب انساب الخيل فى الجاهلية والاسلام" طبع باعتناء احمد زكى - القاهرة ١٣٨٤هـ،ولابن الوشاء " كتاب خلق الفرس" وللمدائنى " كتاب الخيل والرهان" و " كتاب الخيل" ،وللاشنانى " كتاب الخيل" ولابن ابى قطيرة " كتاب الخيل" مخطوط جامعة الرياض رقم ٢٦٦ ، انظر ابن النديم - الفهرست (ص ٤٩ - ٨١)، مقدمة كتاب ابن الاعرابى - اسماء خيل العرب (ص ١٤ - ١٥) .

(١) ابن طباطبا - الفخرى (ص ١٠٦)، الكتانى - التراتيب الادارية (١٩٢/١)، العظم - مشاهير الاسلام (ص ٣٧٠)، احمد رمضان - الصوةوصناعة الاميال (ص ٩٣)، محمد بطانية - تاريخ الحضارة (ص ١٣٦)، الجهاز الادارى(ص١١٣)

(٢) احمد رمضان - م٠س (ص ٩٤) .

عبدالملك انه حمل عمر بن هبيرة (١) على خيل البريد فى سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م عندما عزل اخاه مسلمة بن عبدالملك عن العراق وولاه مكانه وقد ذكر ذلك صاحب كتاب العيون والحدائق فقال " وكان يزيد قد ولى مسلمة بعد ان فرغ من آل المهلب البصرة والكوفة وخراسان واستولى عليها ولم يرسل الى يزيد شيئا واستحيا يزيد ان يعزله فكتب اليه يتشوقه فخرج مسلمة الى يزيد ليزوره فلقيه عمر بن هبيرة الفزارى على خيل البريد،وكان يزيد ابن عاتكة قد ولاه مكانه" (٢) . وقد اوردت المصادر ايضا ان خيل البريد قد قدمت على هشام بن عبدالملك وهو بالرصافة فى سنة ١٠٥هـ/٧٢٣م بخبر وفاة اخيه يزيد بن عبدالملك وبعهد استخلافه ،كما حملت اليه القضيب وخاتم الخلافة ،ذكر ذلك صاحب كتاب العيون والحدائق فقال " اتته الخلافة وهو بالرصافة فجاءته خيل البريد وسلم عليه بالخلافة وسلم اليه القضيب وخاتم الخلافة" (٣) .

اما فى العصر العباسى فقد اشارت المصادر الى ان الخليفة الهادى قدم على خيل البريد من جرجان الى بغداد وذلك فى سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م ذكر ذلك صاحب كتاب العيون والحدائق بقوله " قدم الخليفة الهادى بغداد من جرجان فى اسبوعين على خيل البريد" (٤) . وقد استمر

---

(١) عمر بن هبيرة بن سعد بن عدى الفزارى امير من الدهاة الشجعان ولاه عمر بن عبدالعزيز الجزيرة واستمر عليها واليا حتى ولاه يزيد ابن عبدالملك على العراق وخراسان ، ثم عزله هشام سنة ١٠٥هـ . انظر الزركلى – الاعلام (٥/٦٨ – ٦٩) .

(٢) مؤلف مجهول – العيون والحدائق (٣/٧٥) .

(٣) ن . م . س (٣/٨٢) .

(٤) مجهول – العيون والحدائق (٣/٢٨٣) .

استخدام الخيول فى البريد فى عهد الرشيد ايضا فقد ورد انه انفذ كتب ولايته الخلافة الى العمال على خيل البريد . اشار الى ذلك صاحب العيون والحدائق بقوله " بعثت الخيزران الى يحيى بن خالد بن برمك تعلمه ان الرجل لما به فجد فى امرك فامر يحيى فكتبوا لليلتهم من الرشيد الى العمال بوفاة الهادى وانه قد ولاهم الرشيد ماكانوا يلون ولما اصبحوا انفذوهم على خيل البريد" (١) . وقد استخدمت ايضا خيل البريد فى عهد الخليفة المأمون (٢) . وفى عهد الخليفة المعتصم بالله فقد ذكر الطبرى فى احداث سنة ٢١٩هـ/٨٣٤م ان المعتصم رتب الخيل فى كل سكة من سكك البريد فيما بين البصرة وسامراء تركض اليه بالاخبار وذلك فى حرب عجيف بن عنبسة مع الزط ،فقال " وجه المعتصم عجيف بن عنبسة فى جمادى الاخرة منها لحرب الزط الذين كانوا قد عاثوا فى طريق البصرة واحتملوا الغلات من البيادر بكسكر وماليها من البصرة واخافوا السبيل ورتب الخيل فى كل سكة من سكك البريد تركض بالاخبار فكان الخبر يخرج من عجيف فيصل الى المعتصم من يومه" (٣) . ومما يذكر ايضا ان المعتصم قد اتبع ترتيبا مشابها لذلك فى حربه مع بابك الخرمى سنة ٢٢٣هـ/٨٣٨م ، ذلك بان جعل على رأس كل فرسخ فارس وفرس رتبها من سامراء الى حلوان ثم استخدموا دواب المروج من حلوان الى اذربيجان ،اشار الى ذلك الطبرى بقوله "ان المعتصم لعنايته بامر بابك واخباره ولفساد الطريق

---

(١) ن . م . س (٢٨٩/٣) .

(٢) ن . م . س (٣٧٧/٣ ــ ٣٧٨) .

(٣) الطبرى ــ تاريخ الامم والملوك (٣٣٢/١٠)، ابن مسكويه ــ تجارب الامم (٤٧٢/٦) .

بالثلج وغيره جعل من سامرا الى عقبة حلوان خيلا مضمرة على رأس كل فرسخ فرسا معه مجر مرتب فكان يركض بالخبر ركضا حتى يؤديه من واحد الى واحد يدا بيد وكان من خلف حلوان اذربيجان قد رتبوا فيه دواب المرج فكان يركض بها يوما او يومين ثم تبدل ويصير غيرها يحمل عليها غلمان من اصحاب المرج كل دابة على رأس فرسخ وجعل لهم ديادبه على رؤوس الجبال بالليل والنهار وامرهم بان ينعروا اذ جاءهم الخبر فاذا سمع الذى يليه النعير تهيأ فلا يبلغ اليه صاحبه الذى نعر حتى يقف له على الطريق فيأخذ الخريطة منه فكانت الخريطة تصل من عسكر الافشين الى سامراء فى اربعة ايام او اقل" (١) . ومن هذا يمكن القول ان استعمال الخيل قد يقتصر فى اغلب الاحيان على نقل الرسائل العاجلة فى المناطق التى تكون فيها الخيل خير وسيلة للنقل وتكون هذه المناطق عادة السهول والسهوب والمناطق المستوية (٢) وذلك لضمان وصول الخبر بسرعة الى العاصمة ،ومن الملاحظ انه كان ثمة تنظيم معين لخروج الخيل من السكك وذلك بانها تخضع لامر كتابى عرف باسم " ورقة فرس " اشار الى ذلك القلقشندى بقوله " وان كان البريد الى الوجه القبلى او البحرى او غير ذلك كتب ان يكتب ورقة فرس باسم فلان الفلانى" (٣) . فعلى الرغم من ان المعلومات التى وردت عن هذا التنظيم خاصة بارض الكنانة، اضافة الى انها تعتبر متاخرة نسبيا عن فترة البحث ،الا انه من المتوقع ان يكون هذا التنظيم هو استمرار للاجراءات التنظيمية التى كانت جارية فى البريد خلال

---

(١) الطبرى ـ تاريخ الرسل والملوك (٥٢/٩)،نعمان ثابت ـ الجندية (ص ٤٣) .

(٢) نعمان ثابت ـ م.س (ص ٤٣) .

(٣) القلقشندى ـ صبح الاعشى (١١٥/١) .

العصر العباسى (١) • ويبدو ان المتبع فى اصدار ورقة الفرس ان تكتب ورقة للبريدى المرسوم بالنفوذ من الحضرة يذكر فيها اسمه وتؤرخ بتاريخ محدد حيث كانت هذه الورقة تحفظ فى الديوان صاحب العلاقة ،كما تكتب ورقة اخرى الى المسئول عن الاصطبلات بحمل البريدى او غيره على فرس او اكثر من خيل البريد، (٢) ولعل هذا النظام قد جرى استخدامه فى الفترة المبكرة عند انطلاق اول مرتب يخرج من الحضرة بالخريطة ، او عند حمل الخليفة شخصا او اكثر على خيل من خيول البريد • اذ تشير المصادر الى ان بعض الخلفاء قد اصدروا اوامرهم بحمل عدد من الاشخاص على دواب البريد، فقد ذكر الطبرى ان هشام بن عبدالملك استعمل الجنيد على خراسان فى سنة ١١١هـ/٧٢٩م وحمله على ثمانية من البرد (٣) • وورد ايضا انه حمل سعيد الحريشى على اربعين من دواب البريد (٤) وقد امر الخليفة يزيد الثانى بان يحمل اليه احد المغنين من مكة على دواب البريد (٥) •

وقد سبق ان اشرنا الى ان بريد الخيل قد عرف فى الهند باسم "الولاق" وان عادتهم فى التنظيم تتلخص فى ان تجعل خيل للسلطان فى نهاية كل اربعة اميال (٦) •

---

(١) العمرى ـ التعريف بالمصطلح الشريف (ص ١٨٧)، القلقشندى ـ م٠س (١٤ / ٣٧٠) •

(٢) القلقشندى ـ م٠س (١/١١٥ ـ ١١٦) •

(٣) الطبرى ـ تاريخ الامم (٦٧/٧) •

(٤) ابن خلدون ـ تاريخ (٨٨/٣ ـ ٨٩) •

(٥) المسعودى ـ مروج الذهب (٢٠٨/٣ ـ ٢٠٩)، احمد رمضان ـ الصوة (ص ٩٤) •

(٦) ابن بطوطة ـ تحفة النظار (ص ٢٦٢)، سعداوى ـ نظام البريد (ص ٧٨) •

البغـــال :

تشير المصادر الى ان البغال[1] قد جرى استخدامها بشكل واسع في الدولة الاسلامية ذلك انها من انسب الحيوانات المخصصة للركوب في المناطق الجبلية ذات التضاريس المعقدة . وقد كانت البغال من الحيوانات كثيرة النفع في البريد[2] ولقد استخدمها المسلمون في البريد منذ عهد معاوية بن ابى سفيان رضى الله عنه، اشار الى ذلك الجاحظ بقوله " قالوا ووجه معاوية لما كلموه في يزيد بن ربيعة بن مفرغ رجلا مجردا لاخراجه من السجن فخرج حتى اتى سجستان فبلغ ذلك عباد بن زياد فارسل الى صمصام، فلما رأى عهد معاوية كف واقبل صمصام بابن مفرغ على بغلة من بغال البريد"[3] . والراجح ان الامويين قد استخدموا البغال في البريد على نطاق واسع اذ رتبوها في سكك البريد ومراكزه[4] . وفي العصر العباسى استخدمت ايضا في عهد الخليفة المهدى اذ اشارت المصادر الى انه قد استخدمها عندما اقام البريد بين مكة والمدينة واليمن في سنة ١٦٦هـ/ ٧٨٢م .

وقد ذكر الطبرى ذلك بقوله " وفيها امر المهدى باقامة البريد بين

---

(١) ورد ذكرها في القرآن الكريم قال تعالى " والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالاتعلمون" النحل آية (٨)، وورد ايضا ان الرسول صلى الله عليه وسلم كانت له بغلة، احمد بن حنبل – المسند (٢٠٧/١)، واعتنى علماء المسلمين بها، وقد استخدمها الفرس في بردهم قبل الاسلام، انظر الجاحظ – القول في البغال (ص ٧٣) ومابعدها .

(٢) الجاحظ – القول في البغال (ص ٥٥، ٥٩) (باعتناء شارل بلا – القاهرة ١٩٥٥م) .

(٣) ن . م . س (ص ٦٠) .

(٤) العمرى – التعريف بالمصطلح الشريف (ص ١٨٦) .

مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وبين مكة واليمن بغالا وابلا" (١) . هذا وقد اقتفى الرشيد اثر المهدى فى استخدام البغال فى البريد الا انه توسع فى استخدامها اذ لم يكن استخدامها منحصرا فى اطار منطقة عسير واليمن فى غرب وجنوب غرب الجزيرة فحسب بل شمل عامة اراضى الدولة الاسلامية . اشار الى ذلك صاحب التعريف بقوله " فلما كانت خلافة هارون الرشيد ذكر يوما حسن صنيع ابيه فى البرد التى جعلها بينهما فقال له يحيى بن خالد لو امر امير المؤمنين باجراء البريد على ماكان عليه كان صلاحا لملكه فامره به فقرره يحيى بن خالد ورتبه على ماكان عليه ايام بنى امية وجعل البغال فى المراكز" (٣) .

ويبدو ان المأمون قد انتهج نهج ابيه فى استخدام البغال فى البريد فقد اوردت كثير من المصادر خبر نقل الرطب الآزادى الى الخليفة المأمون حين كان فى البدندون، (٤) وقد ذكر الجاحظ ان الخليفة المأمون كان قد وجه ثمامة بن اشرس لتفقد احوال البريد عندما بلغه اختلاط فى اموره ،قال : " ولما بلغ المأمون اختلاط من حال البريد وجه ثمامة بن اشرس ليتعرف له ذلك فلما رجع اليه سأله قال يا امير المؤمنين تركت بغلا على معلف كذا وكذا وهو يقرأ " ومامن دابة فى الارض الا على الله رزقها" (٥)

---

(١) الطبرى - تاريخ الامم والملوك (٨/١٠) .

(٢) العمرى - التعريف (ص ١٨٦) ، القلقشندى - صبح الاعشى (٣٦٩/١٤) .

(٣) ن . م . س (ص ١٨٦) ، ن . م . س (٣٦٩/١٤) .

(٤) الطبرى - تاريخ (٦٤٧/٨) ، ابن مسكويه - تجارب الامم (٤٦٧/٦) ، ابن الاثير - الكامل (٢٢٦/٥) ،مجهول - العيون والحدائق (٣٧٧/٣ - ٣٧٨) ، اشار ان الدواب التى حملت الالطاف هى الخيل وليست البغال .

(٥) سورة هود آية رقم (٦) .

ومررت بسكة اخرى فاذا بغل قد عدا على رجل عليه طيلسان اخضر يظنه حزمة علف فعدا الرجل وعدا خلفه البغل فصحت بالرجل اطرح الطيلسان فلما طرحه وقف البغل يشمه ،ومررت بسكة اخرى واذا على المعلف بغل واذا هو يغنى :

ولقد ابيت على الطوى واظله حتى انال به كريم المأكل"(١)

ومن ذلك يتضح ان البغال كانت تستخدم على نطاق واسع فى البريد فى عصر المأمون كما انها خضعت لمراقبة صارمة ولعل السبب فى ذلك انها اصبحت الوسيلة الاساسية فى نقل الرسائل والالطاف بين سائر ارجاء الدولة . ومما يذكر ان بغال البريد قد ورد ذكرها فى بعض قصائد الهجاء التى قصد منها بعض من تولى البريد (٢) .

---

(١) الجاحظ ـ القول فى البغال (ص ٥٥ ـ ٥٦)، ابن منكلى ـ الاحكام الملوكية (١٧٩/٢) .

ثمامة بن اشرس كان من كبار المعتزلة له بالجاحظ صحبة اتصل بالرشيد والمأمون،تنسب اليه الفرقة الثمامية توفى سنة ٢١٣هـ ،انظر الخطيب ـ تاريخ بغداد (١٤٥/٧)، المقريزى ـ الخطط (٣٤٧/٢)، ابن منكلى ـ الاحكام الملوكية (١٧٩/٢) هامش (٢) .

(٢) اورد الجاحظ وياقوت قول احمد بن امية الكاتب المتوفى سنة ٢٥٠هـ فى هجاء السندى بن شاهك :

ان ابن شاهك قد وليته عملا اضحى وحقك عنه وهو مشغول
بسكة احدثت ليست بشارعه من دونها غيضة فى وسطها ميل
ترى فرانقها فى الركض مندفعا تهوى خريطته والبغل مشكول

انظر الجاحظ ـ القول فى البغال (ص ٥٧)،ياقوت ـ معجم الادباء (٢٣٥/٢) . وقد ذكر الجاحظ كذلك قصيدة دعبل فى هجاء رجل من العسكر ممن كان ولى البريد وغيره .انظر الجاحظ ـ القول فى البغال (ص ٥٧ ـ ٥٨) .

الهجن " الجمازات " :

اما بالنسبة لاستخدام الجمال فانه فى الحالات التى يمر طريق البريد فى مناطق صحراوية ومفاوز بعيدة يصعب على الخيل والبغال اجتيازها فان الجمال تكون الوسيلة المناسبة لنقل المرتبين الذين يحملون الرسائل والمعلومات الى العاصمة او منها الى الاقاليم . وعلى الرغم من ان استخدام الجمال كان من الامور الاعتيادية فى الجزيرة فالمتوقع انها كانت الوسيلة المثلى لانتقال الاشخاص بين اطراف الجزيرة العربية وعليه فلابد ان يكون الاشخاص الذين يعهد اليهم باستخدام الجمال لنقل الرسائل والمعلومات عليها من المتخصصين بسياسة الجمال وطبائع البداوة والقدرة على التحمل والجلد ذلك انهم يتعرضون على الدوام لمواقف محرجة او خطيرة اثناء قطعهم الصحارى، ومن المفروض ان يحسنوا التصرف فى مواجهتها . هذا ويبدو ان استخدام الجمال فى البريد بدأ مبكرا فى الدولة الاسلامية اذ اوردت المصادر ان المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قدم من عند الخليفة معاوية بن ابى سفيان رضى الله عنه من الشام الى المدينة سنة ٥٦هـ/٦٧٥م على دواب البريد،(١) وقد ذكر ابن عبد ربه ان دواب البريد التى قدم عليها المغيرة رضى الله عنه كانت النجب .(٢) اما عن العصر العباسى فان المصادر تشير الى انه قد انتظم

---

(١) محمد بن عبدالله الخطيب الاسكافى ـ كتاب لطف التدبير (حققه احمد عبدالباقى ،مكتبة المثنى بغداد ١٩٦٤م) (ص ٣٥ ـ ٣٦).

(٢) احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسى ـ العقد الفريد (٦٢/١)(باعتناء محمد العريان ـ دار الفكر) . =

استخدام الهجن[(١)] فى البريد منذ عصر الخليفة المهدى،وذلك عندما اقام البريد بين مكة والمدينة واليمن فجعلها بغالا وابلا[(٢)]، وقد ذكرت المصادر بان الخليفة هارون الرشيد قد استخدم النجب فى البريد وذلك فى سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م عندما خرج حاجا فى تلك السنة وقد اشار الى ذلك ابن قتيبة بقوله عن الرشيد خلال سفره وهو فى طريق الحج " فلا يشتهى شيئا من معرفة اخبار الامصار والبلدان الا وخط فيه كتابا يأمر بايصاله لحيث شاء من الاماكن مسيرة الايام والليالى فيأتيه الجواب من يومه على النجائب من مسيرة ثمانية ايام"[(٣)] • وقد اوردت المصادر انه قد جرى استخدام " الجمازات" فى البريد،وتشير المعاجم الى ان الجمازات بالضم هى النوق السريعة العدو،وهويطلق على الناقة دون الذكر[(٤)]، اما عن استخدامها فقد اشارت المصادر الى انها عرفت فى عهد الخليفة الرشيد،وان اول من امر بها والتدريب عليها هى ام جعفر زبيدة وقد اشار الى ذلك الجاحظ

= النجب النوق سريعة العدو،وقيل هى من الابل القوى الخفيف السريع وقيل ان نجائب الابل هى عتاقها التى يسابق عليها، انظر الدميرى حياة الحيوان (١٥/١)، الزبيدى - تاج العروس (٤٧٧/١) •

(١) الهجن الابل البيضاء الخالصة اللون،وقيل هى الابل البيض الكرام وقيل هى العتق من النوق، انظر الزبيدى - تاج العروس (٣٦٥/٩) •

(٢) الطبرى - تاريخ (١٠/٨) •

(٣) ابن قتيبة الدينورى - الامامة والسياسة (١٦٢/٢) (تحقيق طه الزينى دار المعارف - بيروت) •

(٤) الزبيدى - تاج العروس (١٧/٤ - ١٨)،من الجدير بالذكر ان بعض الباحثين ذهب الى ان الجمازات هى شبه محفة على عجلة تجرها الخيول السريعة • انظر حسن ابراهيم حسن - تاريخ الاسلام السياسى (٢٧٥/٣) ، النظم الاسلامية (ص ٢١٤)،سعداوى - نظام البريد (ص ٨٠) •

بقوله " قد علمتم ان اول شأن الجمازات ان ام جعفر امرت الرحالين ان يزيدوا فى سير النجيبة التى كانت عليها وخافت فوت الرشيد،فلما حركت مشت ضروبا من المشى وصنوفا من السير فجمزت فى خلال ذلك،ووافقت امرأة تحسن الاختيار وتفهم الامور فوجدت لذلك الجمز راحة ومع الراحة لذة فامرتهم ان يسيروا بها فى تلك السيرة فما زالوا يقربون ويبعدون ويخطئون ويصيبون وهى فى كل ذلك تصوبهم وتخطئهم على قدر ماعرفت حتى شدوا من معرفة ذلك ماشدوا ثم انها فرغتهم لاتمام ذلك حتى تم واستوى" (١) .

ومن الجدير بالذكر ان الجمازات قد استخدمت فى البريد بشكل واسع فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) وقد يعود الفضل فى ذلك الى الوزير على بن عيسى الذى رتبها بين بغداد ومصرليروح عليها الاخبار وبينه وبين مؤنس الخادم الذى خرج على رأس جيش انفذه الخليفة المقتدر فى سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م الى مصر لصد الهجوم الفاطمى عليها . ذلك انه " لما وردت الاخبار باستطالة صاحب القيروان بجهة مصر، انهض المقتدر مؤنسا الخادم وندب معه العساكر . وكتب الى عمال اجناد الشام بالمصير الى مصر وكتب الى ابنى كيغلغ وذكا الاعوار وابى قابوس الخراسانى باللحاق بتكين لمحاربته . وخلع على مؤنس فى شهر ربيع الاول سنة ثنتين وثلاثمائة وخرج متوجها الى مصر . وتقدم على بن عيسى الوزيربترتيب الجمازات من مصر الى بغداد ليروح عليها الاخبار فى كل يوم فورد الخبر بان جيش عبدالله الخارج مع ابنه ومع قائده حباسه

---

(١) الجاحظ ـ الحيوان (٨٣/١ ـ ٨٤)،ابو هلال العسكرى ـ الاوائل (١٦٠/٢)، ابن رستة ـ الاعلاق (ص ١٩٥) .

انهزموا وبشر على بن عيسى المقتدر بذلك" (١) .

ولقد شاع استخدام الجمازات فى الدولة الاسلامية بعد ذلك سواء كان ذلك فى البريد او فى غيره ، اذ ورد ان الوزير ابن الفرات كتب فى سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م "الى على بن بسطام والى الشام فى المصير الى مصر والقبض على الحسين بن احمد المعروف بابى زنبور وعلى ابن اخيه ابى بكر محمد بن على وحملهما الى مدينة السلام على جمازات . ولما شك الخليفة فى ان يكون الوزير انما وجه فى قتلهما فانه انفذ خادما من ثقات خدمه على الجمازات فى طريق البرية ومنها الى مصر،وامر ابن بسطام الايناظرهما الابحضرة الخادم الموجه اليه" (٢) . وقد اوردت المصادر ان السلطان انفذ فى سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م " جمازات الى الحسين بن احمد الماذرائى يأمره بالقدوم فارجف الناس ان ذلك للوزارة وقيل ايضا ليحاسب عن عمله فقدم بغداد للنصف من شهر رمضان" (٣) .

وفى سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م انفذ والى خراسان احد اكابر قواده الى عماد الدولة ابن بويه على الجمازات (٤) . واوردت المصادر ايضا ان ابن العميد شخص من بغداد من عند عضد الدولة الى ابيه ركن الدولة على جمازات عدبها مائة (٥) .

---

(١) القرطبى – صلة تاريخ الطبرى (ص ٥٢)،متز – الحضارة الاسلامية (٤٢٠/٢)، القاسمى – البريد (ص ٩٢) .

(٢) القرطبى – م.س (ص ٦٢ – ٦٣) .

(٣) ن . م . س (ص ٦٩) .

(٤) مسكويه – تجارب الامم (١٠١/٢) .

(٥) ن . م . س (٣٥٠/٢)،متز – الحضارة الاسلامية (٤٢١/٢)،حسن ابراهيم تاريخ (٢٧٦/٣) .

اما عن اعداد الدواب التى كانت ترتب فى السكك فقد استنتج زيدان - دون ان يشير الى مصادر معلوماته - بان قافلة البريد يتألف من عدد من الدواب قد تبلغ اربعين اوخمسين دابة،فقد ذكر بانه " كان قطار البريد يتألف من دابة فاكثر حتى تبلغ اربعين او خمسين دابة وكثيرا ماكانوا يستخدمون خيل البريد لحمل بعض الناس الى الخليفة اوالامير التماسا لسرعة قدومهم وتختلف سرعة البريد باختلاف الطرق ونوع المراكب بين ان تكون ابلا او خيلا وكانوا يعلقون فى اعناق الدواب جلا جل او سلاسل اذا تحركت سمعت لها قرقعة تعرف عندهم بقرقعة البريد "(١) . وقد قبل عدد من الباحثين المعاصرين ماذهب اليه زيدان فى هذا المجال،(٢) غير اننا لايمكن ان نقبل هذه الملاحظات ونعتبرها تصويرا لاوضاع البريد العامة بشكل دائم ذلك ان الاشارات التى وردت عن حمل الخلفاء للقادة وبعض الاشخاص ونقلهم بين انحاء متفرقة فى الدولة الاسلامية،كانت حالات طارئة وليست رتيبة ودائمة وقداقتضتها ضرورات قدرها الخلفاء ،فقد اوردت المصادر مثلا ان الخليفة عمر بن عبدالعزيز كان قدكتب الى عامله على الكوفة بان يسرح اليه رجلا عرفه له فى خطابه وذلك من اجل ان يعيد اليه جاريته وهى جارية كانت زوجة عمر اشترتها (٣) . كما اوردت بان

---

(١) زيدان - التمدن (٢٤١/١) .

(٢) سعداوى - نظام البريد (ص ٧٩)، القاسمى - البريد (ص ٧٠)،رمضان الصوة (ص ٩٤) .

(٣) ابن الجوزى - سيرة عمر بن عبدالعزيز (ص ١٣١)، الاربلى - خلاصة الذهب المسبوك (ص ١٧) .

الخليفة هشام بن عبدالملك امر بان يحمل الجنيد بن عبدالرحمن[1] فى سنة ١١١هـ/٧٢٩م على ثمانية من البرد وذلك عندما عهد اليه بولايةخراسانحين عزل اشرس[2] بن عبدالله السلمى[3] ٠

واوردت كذلك بانه امر بحمل سعيد الحرشى[4] على اربعين من دواب البريد وذلك اعقاب قتل الجراح الحكمى[5] والى ارمينية سنة ١١١هـ/٧٢٩م حين اجتاحت قبائل الخزر التركية حدود الدولة الاسلامية حتى شارفت

---

(١) الجنيد بن عبدالرحمن بن عمرو بن الحارث المزنى،يكنى بابى يحيى من اهل دمشق، استعمله هشام بن عبدالملك على السند وخراسان فمات بها،غزا قبائل الخزر فى طخارستان سنة ١١٣هـ/٧٣١م فنصره الله عليهم كانت وفاته سنة ١١٥هـ/٧٣٣م ،كان من الاجواد الممدحين ،انظر خليفة بن خياط ـ تاريخ (ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥)، ابن عساكر ـ تاريخ دمشق (٣/٤١٥ ـ ٤١٦) الذهبى ـ العبر فى خبر من غبر (١/١١٠) ٠

(٢) اشرس بن عبدالله السلمى ولاه هشام بن عبدالملك على خراسان سنة ١٠٩هـ/٧٢٦م وامره بمكاتبة خالد بن عبدالله القسرى ،وكان اشرس فاضلا خيرا وكانوا يسمونه بالكامل فرح اهل خراسان بقدومه وكبروا فرحا به ،وكان اول من اتخذ الرابطة ،ظل على ولايةخراسان حتى سنة ١١٧هـ/٧٣١م حيث عزله هشام وولى مكانه الجنيد، انظر خليفة بن خياط تاريخ (ص ٣٤١،٣٥٨)، الطبرى ـ تاريخ (٧/٥٢) ٠

(٣) الطبرى ـ تاريخ (٧/٦٧)، ابن خلدون ـ تاريخ (٣/٨٨) ٠

(٤) سعيد بن عمرو بن الاسود بن مالك الحرشى،ذكر ابن عساكر بانه كان فى اول امره سائلا يسأل على الابواب ثم صار يسقى الماء،ثمصار فى الجند فولى امرة خراسان من قبل عمر بن هبيرة فى عهد يزيد بن عبدالملك ثم عزل وسجن وظل كذلك حتى اطلقه خالد القسرى، انظر ابن عساكر تاريخ (٦/١٦٤ ـ ١٦٥) ٠

(٥) الجراح بن عبدالله الحكمى اليمانى من قراء اهل الشام عرف بالورع ولاه عمر بن عبدالعزيز خراسان ثم عزله عنها فى سنة ١٠٠هـ ٠ استشهد =

الموصل . وفى العصر العباسى اوردت المصادر انالخليفة ابا جعفر المنصور(١) امر ابا مسلم الخراسانى ان يخلف اثقاله ويركب هووعشرة نفردواب البريد وذلك عندما بلغه وفاة الخليفة ابى العباس السفاح وهو قافل من الحج سنة ١٣٦هـ/٧٥٣م . (٢) وذكرت المصادر ايضا انالخليفة الواثق عقد لاحمد بن سعيد بن قتيبة الباهلى (٣) على الثغور والعواصم فى سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م وامره بحضور الفداء فخرج على سبعة عشر من البرد وعجل على البريد ليكون الفداء بين يديه، (٤) وذكرت المصادر ان الخليفة المتوكل على الله حمل حمدويه بن على بن الفضل السعدى على البريد (٥) وذلك عندما هرب من السجن

= رحمه الله سنة ١١١هـ ،وقيل سنة ١١٢هـ . انظر خليفة بن خياط ـ م.س ، (ص ٣٤٢ ـ ٣٤٣)، الطبرى ـ م.س (٥٥٨/٦ ـ ٥٦٢، ٥٨٥)، الذهبى ـ العبر (١٠٥/١) .

(١) خليفة بن خياط ـ م.س (ص ٣٤٢)، ابن عساكر ـ تاريخ دمشق (١٦٥/٦) ، ابن خلدون ـ تاريخ (٨٨/٣ ـ ٨٩) .

(٢) ابو حنيفة الدنيورى ـ الاخبار الطوال (ص ٣٧٨) .

(٣) احمد بن سعيد بن سلمبن قتيبة الباهلى،ولاه الخليفة الواثق على الثغور والعواصم سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م وامره بحضور الفداء فى تلك السنة وبعد انتهاء الفداء غزا فاصاب الناس برد شديد ومطر وثلج واسر من اصحابه مائتا رجل وغرق نحو من خمسمائةرجل،وقد اشار الطبرى الى انه جبن عن لقى بعض بطارقة الروم فعزله الواثق فى السنة نفسها ،انظر خليفة ـ م.س (ص ٤٨٠)؛ الطبرى ـ م.س (ص ١٤٢ ـ ١٤٥) .

(٤) الطبرى ـ تاريخ (١٤٢/٩) .

(٥) حمدويه بن على بن الفضل السعدى، اشار الطبرى الى ان الخليفة المتوكل ولاه اذربيجان وذلك لحرب محمد بن البعيث،فسار اليه فى سنة ٢٣٤هـ/٨٤٨م فاخذه اسيرا، انظر الطبرى ـ م.س (١٦٥/٩ ـ ١٦٦) .

محمد بن البعيث في سنة ٢٣٤هـ/٨٤٨م ،وكان قد جيء به اسيرا من اذربيجان (١) الى سامراء فقصر في طلبه والى اذربيجان محمد بن حاتم بن هرثمة (٢) فاتخذ الخليفة المتوكل على الله هذا الاجراء السريع (٣) ، وهكذا فان اغلب الاشارات التى وردت فى المصادر عن عدد الدواب المستخدمة فى رحلة واحدة لاتعطى عددا موحدا محددا فقد اشارت بعض المصادر الى عدد معلوم فى حين اغفلت غالبيتها الاشارة الى ذلك . اما عن استعمال البريد فى النقل وفق اوامر الخلفاء والوزراء والاداريين الاخرين فى الدولة الاسلامية ،فهو خاضع لمقتضى ظروف مختلفة تستلزم التعجيل بانفاذ اوايصال شخص او اشخاص من مكان الى آخر فى اسرع وسيلة ممكنة وهذا بالتأكيد المبرر لاستخدام دواب البريد دون اعطاء اى تحديد ثابت لعدد دواب البريد فى الرحلة الواحدة اذ ان ذلك بالتأكيد محكوم بظروف الرحلة ومكانة واهمية الشخص المراد نقله وهذا يدلل على عدم امكان اعطاء تصور شامل عن اعداد الدواب التى كانت مرتبة فى السكك فى الظروف الاعتيادية . اضف الى ذلك فانه لم يرد فى النصوص التى تقدمها المصادر ان احد الخلفاء قد حمل على خمسين دابة من دواب البريد

---

(١) محمد بن البعيث بن حلبس احد قواد الخليفة المعتصم بالله الذين شاركوا فى حرب بابك ،ثم سولت له نفسه فخرج على الخليفة المتوكل فاخذ وسجن ثم اخبر بان الخليفة المتوكل قدتوفى فهرب الى مرند،فوجه المتوكل اليه القادة فاخذ فى سنة ٢٣٥هـ ،ثم من عليه المتوكل واطلقه . انظر الطبرى – م.س (١٢/٩ – ٢٧، ١٦٤ – ١٧١) .

(٢) محمد بن حاتم بن هرثمة كان والى مرند فى عهد الخليفة المتوكل،عزله عنها فى سنة ٢٣٤هـ وذلك لانه قصر فى طلب محمد بن البعيث . انظر الطبرى – م.س (١٦٤/٩ – ١٦٥) .

(٣) ابن الاثير – الكامل (٢٨١/٥) .

وقد اورد ابن خلدون ان الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ – ١٢٥هـ/٧٢٣ – ٧٤٢م) قد عزل اشرس بن عبدالله عن خراسان وولى مكانه الجنيد بن عبد الرحمن .. وحمله على البريد فقدم خراسان فى خمسمائة"[(١)] . والراجح ان ابن خلدون قد نقل ذلك من مصادر معينة وانه قد حصل فى الخبر بعض مايصيب الروايات احيانا من السقط والتحريف فقد ذكر الطبرى ذلك بقوله " كان سبب عزل اشرس ان شداد بن خالد الباهلى شخص الى هشام فشكاه فعزله فاستعمل الجنيد بن عبدالرحمن على خراسان سنة ١١١هـ وكان سبب استعماله اياه انه اهدى لام حكيم بنت يحيى بن الحكم امرأة هشام قلادة فيها جوهر فاعجبت هشام فاهدى لهشام قلادة اخرى فاستعمله على خراسان وحمله على ثمانية من البريد فسأله اكثر من تلك الدواب فلم يفعل فقدم خراسان فى خمسمائة"[(٢)] . وعليه فلا يمكن الاطمئنان الى ماذهب اليه زيدان من ان دواب البريد فى الرحلة الواحدة كانت تتراوح مابين دابة الى اربعين او خمسين دابة فالمصادر لم تشر الى عدد محدد للدواب التى كانت مرتبة فى السكك فى الظروف الاعتيادية ويستفاد من بعض النصوص المتأخرة ان معدل عدد الخيول التى تودع فى كل سكة فى الظروف الاعتيادية هو فى حدود ٢٥ – ٣٠ رأسا[(٣)] . على ان ذلك لايمكن اعتباره امرا ثابتا

---

(١) ابن خلدون – تاريخ (٨٨/٣ – ٨٩) .

(٢) الطبرى – تاريخ الامم (٢٠٤/٨) .

(٣) اشار ابن الشجاعى فى احداث سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١م ان نائب غزة اخذ خيل البريد من احد عشر مركزا تقدير ثلاثمائة فرس . انظر شمس الدين الشجاعى – تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون (حققته وترجمته الى الالمانية بربارة شيفر – نشر دار فرانز شتاينر،فيسبادن ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م) (ص ١٦٨) .

اذ ان العدد معرض للزيادة والنقصان تبعا للظروف التى تمر بها الدولة ومدى رتابة استخدام البريد او خلافه ذلك انه فى الاوضاع الاستثنائية قد يرتفع عدد مايحتاج اليه من الخيل المرتبة فى كل سكة فى حين ينخفض العدد فى حالات الاستقرار . هذاومن الجدير بالذكر انه كان هناك فى العاصمة احتياطى كبير فى دواب البريد يودع عادة فى الاصطبلات الخاصة او اصطبلات الخدمة وقد يستخدم بعضها لاغراض اخرى ،فقد اشار البيهقى الى ان يحيى بن خالد البرمكى قد امر لشخص من المتقربين اليه بعشرمن دواب البريد على سبيل الهبة حيث قال " لم يلبث ان توفى الهادى وافضى الامر للرشيد وصار يحيى الى ماصار اليه .. قال اذهب فاصلح شأنك وتعال فتسلم كتبك وامر لى بعشر من دواب البريد فانصرفت الى منزلى وتحتى دابة وعلى خلعة ومعى عشرة آلاف درهم .. فقلت لبعض جيراننا ما اصنع بعشر دواب البريد فقال اكرها فانك تصيب فى السكك من تقصر به دابته عن حاجته فيكترى منك قال فلما كان من الغد عدت اليه فاخذت كتبى وجوازى فلما صرت الى السكة وجدت رجلا كبيرا قد وجه الى تلك الناحية ولم يكتف بما حمل عليه من الدواب فاكريت منه ثمانى دواب وخرجت على دابتين انا على دابة وغلامى على دابة" (١) . ويبدو انه قد حصل فى عهد الخليفة المأمون تقصير فى الاشراف على دواب البريد ومراعاتها،فقد اشارت المصادر الى تكليف المأمون ثمامة بن اشرس بتفقد الخلل الذى بلغه فى احوال البريد،وبعد ان تحرى الامر ودقق فيه عاد وابلغه بقلة علف الدواب (٢) ، وقد سبق ان اشرنا الى ذلك . ومن الانحرافات

---

(١) البيهقى – المحاسن (ص ١٩٧ – ١٩٨) .

(٢) الجاحظ – القول فى البغال (ص ٥٦ – ٥٧)، ابن منكلى – الاحكام الملوكية (١٧٩/٢) .

لتى وقعت فى هذا المجال ما اشارت المصادر اليه من تأجير بعض دواب البريد خلال فترة التغلب البويهى فقد نقل عن رسول لعضد الدولة انه استأجر جملا من سكة البريد بالموصل الى بغداد [1] . ولعل من المفيد ان نشير هنا الى ان الاصطبلات كانت تحوى عددا كبيرا من الدواب حيث كان يجرى تزويد البريد بما يحتاج اليه من الدواب المختلفة ولعلها كانت تشرف على رعاية دواب البريد فى العاصمة . كما تتولى تهيئة الاعلاف فى مخازن خاصة لمصلحتها ومن اجل توزيع ماتحتاجه السكك المختلفة منه ،فقد ذكر الصابى فى خلال حديثه عن نفقات دار الخلافة فى عهد المعتضد بالله خمسة اصناف من الاصطبلات كان ديوان النفقات يتولى امر الانفاق عليها وهى :

(١) اصطبل الخاص : وكان يشتمل على الخيل والحجورة والشهارى والبراذين وغيرها . والراجح انه كان خاصا بمايحتاج اليه الخليفة او الامراء او الوزير فى اسفارهم وتنقلاتهم .

(٢) اصطبل العامة : وكان يشرف على دواب الخدم والغلمان وبقية المرتزقة.

(٣) اصطبل الدواب والحمليات : وهو الذى يعنينا فى مجال دراسة البريد ،وكانت مهمته الاشراف على مايرد الى دار الخلافة من الدواب وماكان يهدى او يبتاع لها،كما كان يشرف على علاج الدواب التى كانت تحتاج الى العلاج والمراعاة،وماكان يرد من الاسفار وفيه عقر او غمز .

(٤) اصطبل لبغال الاثقال وحمل العلوفات وهو من الاصطبلات التى تدخل فى اختصاص البريد ايضا . فمن المرجح ان تكون مهمة هذا الاصطبل

---

(١) ابو شجاع الروذراورى ــ ذيل تجارب الامم (ص ٦٣١)،د. الدورى ــ تاريخ العراق الاقتصادى (ص ١٤٤) .

هى الاشراف على توزيع العلف على سكك البريد المختلفة لتأمين حاجة الدواب فيها الى العلف لفترة طويلة • ويرجح كذلك انه كان يتعهد بنقل الوظائف والانزالات للمرتبين فى سكك البريد وغيرهم من العاملين فيها •

(٥) اصطبل لمبارك الابل والجمازات : وكان هذا الاصطبل يقع بجوار قصر الطين فى الشماسية (١) •

هذا ومن الجدير بالذكر ان هذه الاصطبلات كانت تحت سلطة صاحب البريد فى الغالب فقد ورد فى عهد الخليفة المعتضد بالله بان النوشجانى صاحب البريد كان المسئول عن جميع هذه الاصطبلات (٢) • هذا ويبدو انه باستثناء ماكان فى الاصطبل الخاص الذى كان تحت رقابة دقيقة لاتصال ذلك بحاجات الخليفة المباشرة ،فان بقية الاصطبلات كانت تخضع للتفتيش الدورى فى كل شهر حيث يطلع الخليفة شخصيا على مافيها حيث كان يتم عرضها بحضوره فى كل شهر (٣)، فقد ذكر الصابى انه " كان المعتضد بالله يعرض مافى هذه الاصطبلات فى كل شهر الا ماكان من الخاص فانه جعله قريبا منه ومشدودا فى الاواخى (٤) بين يديه ،وفى الميدان والرياضة والكر

---

(١) الصابى – الوزراء (ص ٢٢) ،د• السامرائى – المؤسسات الادارية (ص ٢٣٥)، الزهرانى – النفقات (ص ١٠٠) •

(٢) التنوخى – نشوار المحاضرة (١١٤/٨)، الصابى – الوزراء (ص ٢٣، ٩٥ – ٩٦) ،د• السامرائى – المؤسسات (ص ٢٣٦) •

(٣) د• السامرائى – م•س (ص ٢٣٥) •

(٤) الاواخى : جمع اخيه وهو حبل يدفن فى الارض بشكل مزدوج فيظهر منه شبه الحلقة تربط فيه الدابة، انظر الصابى – م•س (ص ٢٣) هامش (١)•

متصلا عليه ،ومتى احمد قيام من يقلده شيئا من ذاك زاده فى رزقه ومن اطلع منه على تقصير او اضاعة صرفه واستبدل به ،ثم جمع النظر فى هذه الاصطبلات للنوشجانى لكفايته وثقته" (١) .

ومما يذكر ان المصادر اشارت الى سوق دواب البريد للامر (٢) والتى عبر عنها " بقرع لجم البريد" (٣) . والى صوت خطاطيف لجم الدواب (٤) والتى عبر عنها "بقعقعة البريد" (٥)، وتحسب الولاة منها،فقد نقل عن المغيرة بن شعبه رضى الله عنه فى خبر غير مسند قوله " احب الامارة لثلاث واهجرها لثلاث ، احبها لرفع الاولياء ،ووضع الاعداء واسترخاص الاشياء،واكرهها لروعه البريد وموت العزل وشماتة العدو" (٦)،ونقل عنزياد بن ابيه قوله " ان لاعواد المنبر لهيبة ،ولقرع لجم البريد لفزعة" (٧) ،ونقل عن عبيد الله ابن زياد قوله "نعم الشئ الامارةلولا قعقعة البرد والتشزن للخطب" (٨) والراجح ان القصد من هذه العبارات هو امر يتصل بمسئولية الامارة ومخاطرها حيث ينبغى ان يكون الامير مستعدا متهيئا مع وصول كل بريد

---

(١) الصابى ـ م٠س (ص ٢٢ ـ ٢٣) ،د٠السامرائى ـ م٠س (ص ٢٣٤ ـ ٢٣٦) ٠

(٢) الزبيدى ـ تاج العروس (٤٦٥/٥) ٠

(٣) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد (٦١/١) ٠

(٤) ابو الحسين احمد بن فارس ـ كتاب الفرق (تحقيق رمضان عبد التوابه الرياض ١٤٠٢هـ) (ص ٧٤) ٠

(٥) الجاحظ ـ البيان والتبيين (١٣٤/١) ٠

(٦) ابن عبد ربه ـ م٠س (٥٩/١) ٠

(٧) ن ٠ م ٠ س (٦١/١) ٠

(٨) الجاحظ ـ البيان والتبيين (١٣٤/١) ٠

لتلقى الاوامر الصادرة له من الخلافة بالامور المهمة ٠

الحمام الزاجل :

من الوسائل التى استخدمها البريد فى نقل الرسائل والمعلومات الحمام الزاجل ٠ (١) كانت له اهمية خاصة فى نقل المعلومات وايصال الرسائل على وجه السرعة (٢) بين مختلف الاقاليم فى الدولة الاسلامية ٠ هذا وقد تعاقب الخلفاء على تأكيد ضرورة العناية به منذ العصر الاموى (٣) واستمر ذلك خلال العصر العباسى، ويرجع الفضل فى العناية به وتنظيمه واستخدامه فى البريد فى العصر العباسى الى الخليفة المهدى (٤) ، ثم اعقبه عدد من الخلفاء العباسيين نذكر منهم الخليفة الر شيد الذى كان ممن اعتنى باستخدامه فى نقل المعلومات فقد ذكر ابن قتيبة بان الرشيد عندما حج فى سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م استخدم الحمام للتعرف بانتظام على اخبار الدولة " وكان لايشتهى شيئا من معرفة اخبار الامصار والبلدان الا وخط فيه كتابا يأمر فيه بايصاله لحيث شاء من الاماكن مسيرة الايام والليالى فيأتيه

---

(١) سعداوى ــ نظام البريد (ص ١٣٦)، ابراهيم العدوى ــ الحمام الزاجل فى العصور الوسطى (المجلة التاريخية المصرية، العدد الاول، ١٩٤٩م) ، (ص ١٣٧)، نبيل عبدالعزيز ــ الحمام الزاجل واهميته فى عصر سلاطين المماليك (المجلة التاريخية المصرية العدد ٢٢ ،سنة ١٩٧٥م) (ص ٤١ـ ٤٣) ٠

(٢) الانصارى ــ تفريج الكروب (ص ١٣) ٠

(٣) ميشيل سماحة ــ ترقى التواصل بسرعة التراسل (مجلة المشرق العدد ١٨ سنة ١٩٠٣م) (ص ٨٢٦) ٠

(٤) القلقشندى ــ صبح الاعشى (٨٩/٢) ، (٣٩٠/١٤) ،سعداوى ــ م٠س (ص ١٣٧)، نبيل عبدالعزيز ــ الحمام (ص ٤٢) ،سماحة ــ م٠س (ص ٨٢٦) ٠

الجواب من يومه على النجائب مسيرة ثمانية ايام،ويأتيه الجواب من يومه مسيرة شهر على اجنحة الحمام يعلق الكتاب فى جناحه فيرتفع فى الجو ارتفاعا يغيب شخصه عمن فى الارض وينقض على وطنه وموضع فراخه فاذا نزل لايستقر نزوله حتى يؤخذ الكتاب من جناحه فيجاوب بما احب ثم يسرح غيره فيرتفع فى الجو حتى يوازى وطنه وموضع من بعد تلك الاماكن التى عليها طريق امير المؤمنين فيؤخذ الجواب منه وقد صار الموكلون بذلك لايهتمون بغير ماقلدوا ولايتشاغلون بغير ماحملوا"(١)، وممن اعتنى بالحمام الزاجل من الخلفاء العباسيين فى نقل المعلومات والرسائل ايضا الخليفة المعتصم بالله (٢١٨ - ٢٢٧هـ/٨٣٣ - ٨٤١م)(٢) فقد ذكر المسعودى انه وصلت الى الخليفة المعتصم بالله فى سامراء انباء اسربابك الخرمى سنة ٢٢١هـ/٨٣٦م بواسطة الحمام،قال " فتسلموا بابك ومن معه واتى به الى الافشين ومعه سهل بن سنباط فرفع منزلة سهل وخلع عليه وجمله وتوجه،وقاد بين يديه واسقط عنه الخراج،فاطلقه،واطلقت الطيور الى المعتصم ،وكتب اليه بالفتح ،فلما وصل ذلك اليه ضج الناس بالتكبير وعمهم الفرح واظهروا السرور،وكتبت الكتب الى الامصار بالفتح"(٣) . وممن اعتنى بالحمام الزاجل كذلك الخليفة هارون الواثق بالله (٢٢٧ - ٢٣٢ هـ / ٨٤١ - ٨٤٦م) فقد ذكر ذلك القلقشندى وقال " وقداعتنى الناس بشأنه فى القديم والحديث واهتم بامره الخلفاء كالمهدى ثالث خلفاء بنى العباس والواثق والناصر"(٤) . ومما هو جدير بالذكر ان الحمام الزاجل

---

(١) ابن قتيبة - الامامة والسياسة (١٦٢/٢) .

(٢) العدوى - الحمام (ص ١٣٣) .

(٣) المسعودى - مروج الذهب (٥٦/٤)، العدوى - م٠س (ص ١٣٣) .

(٤) القلقشندى - صبح الاعشى (٨٩/٢ - ٩٠) .

قد استخدم فى عهد الخليفة المعتمد على الله فى نقل الاخبار فقد ذكر ابن عساكر ان اماجور (١) والى دمشق استخدمه فى تقصى اخبار اعرابى كان يترصده بسبب اعتدائه على احد فرسانه ،وتفصيل ذلك " انه وجه مرة فارسا الى اذرعات فى رسالة فلما رجع الفارس من اذرعات نزل اليرموك فصادف رجلا من الاعراب فلما رأى الاعرابى الجندى مد يده فنتف من سبال الجندى خصلتين فلما ان رجع الفارس الى دمشق اتصل باماجور مافعله الاعرابى بالفارس فدعاه . فسأله عن القصة فاخبره ،فامر بالفارس فحبس ثم قال لكتابه اطلبوا معلما يعلم الصبيان،فجاءوا بمعلم فقال اماجور للمعلم هو ذا اعطيك نفقة واسعة وتخرج الى اليرموك واعطيك طيورا تكون معك .. فارصد لى الاعرابى الذى نتف سبال الفارس وخذ خبره واسمه ولاتبرح من القرية وان بقيت بها مدة طويلة حتى يوافى ذلك الاعرابى القرية فاذا رأيته قد وافى خذ هذا الكتاب الذى اعطيك وادفعه الى اهل القرية حتى يقرآوه ثم ارسل الطيور بخبرك طيرا بعد طير ففعل المعلم ذلك" (٢) . هذا ومما تجب الاشارة اليه انه قد شاع استخدام الحمام الزاجل فى الدولة الاسلامية بشكل كبير منذ اواخر القرن الثالث الهجرى (٣) حيث خطا المسلمون خطوات كبيرة فى خدمات البريد منها استخدام الحمام

---

(١) اماجو – مولى الخليفة المعتمد على الله ،ولى دمشق سنة ٢٥٦هـ وظل متقلدا لها حتى وفاته التى كانت فى سنة ٢٦٤هـ،كان اميرا مهابا جعل جل عنايته على تأمين السبل، انظر ابن عساكر – تاريخ دمشق (١٠٤/٣)، الحميرى – الروض المعطار (ص ١٩) .

(٢) ابن عساكر – تاريخ (١٠٤/٣ – ١٠٥)، الحميرى – الروض (ص ١٩) .

(٣) العدوى – م.س (ص ١١٣) .

الزاجل[1] ، ويبدو ان استخدام الحمام لم يكن مقتصرا على الخدمات الخاصة باجهزة الدولة ومراسلاتها الرسمية بل تعدى الى خدمات اخرى اهلية خاصة بالمواطنين . ويظهر من النصوص التى تقدمها المصادر المعتمدة بان استخدام الحمام لم يقتصر على اجهزة البريد ومؤسساته بل تعدى ذلك الى استخدامات عامة[2] . هذا وقد استمر شيوع استخدام الحمام الزاجل فى الدولة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى سواء كان ذلك على النطاق الرسمى او النطاق الشعبى فقد اشارت المصادر الى المجالات التى استخدم فيها الحمام والتى كانت فى الغالب تتضمن نقل رسائل الولاة بما يستجد من امور فى ولاياتهم الى العاصمة ونقل اجوبة الادارة ،فمثلا ورد مايفيد بان ابن كنداج امير البصرة قد بلغه خبر القاء القبض على الوزير ابى الحسن على بن الفرات بعد وزارته الاولى بواسطة الحمام ،فقد ذكر التنوخى

---

(١) متز ـ الحضارة الاسلامية (٤٢٢/٢) ،العدوى ـ م.س (ص ١٣٣) .

(٢) اشارت المصادر الى ان عبدالله القداح مؤسس فرقة القرامطة استعمله على صورة واسعة النطاق وذلك بان جعل لنفسه فى اول الامر طيورا تحمل اليه فى مقره بالعراق اخبارا من جميع البلاد ليستعين بذلك على الشعبذة وايهام الناس . ذكر ابن الجوزى ذلك فقال"وجعل لهم رأس يعرف بعبد الله بن ميمون بن عمرو القداح ويقال ابن ديصان القداح الاهوازى ،وكان مشعبذا ممخرقا ،وكان معظم مخرقته باظهار الزهد والورع وان الارض تطوى له ،وكان يبعث خواص اصحابه الى الاطراف معهم طيورا ويأمرهم ان يكتبوا له بالاخبار عن الاباعد ثم يحدث الناس بذلك" ،انظر ابن الجوزى ـ القرامطة (تحقيق محمد صباغ ،بيروت ،١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) (ص ٧١) ،متز ـ الحضارة (٤٢٢/٢) سعداوى ـ نظام البريد (ص ١٣٨) ، العدوى ـ م.س (ص ١٣٣) .

الخبر وماترتب على وصوله السريع من اجراء ضمن مصلحة الخلافة " فقبض على ابن الفرات، وابو امية لايعلم[(١)]، وورد كتاب على الطائر بذلك الى ابن كنداج[(٢)]، فركب بنفسه فى عسكره الى ابى امية فقدر انه قد جاءه مسلما فخرج اليه فقبض عليه"[(٣)] . وقد نقل ابن الجوزى ذلك ايضا فقال بانه " فى سنة ٣٠٠هـ ورد كتاب طائر الى ابن كنداج وهوامير البصرة بالقبض على ابن الفرات فركب الى الاحوص بن المفضل قاضى البصرة وواسط والاهواز وقبض عليه وادخله السجن"[(٤)] . وقد نقلت المصادر بعد ذلك بانه لما استقر

---

(١) ابو امية الاحوص بن المفضل بن غسان بن المفضل بن معاوية بن عمر بن خالد بن غلاب، كان بزازا استتر عنده ابن الفرات فلما ولى الوزارة ولاه القضاء فكان عفيفا متصونا نقل ديوان الوقف من بغداد الى البصرة فحمد الناس عمله، توفى فى السجن عقب ماقبض عليه ابن كنداج ، انظر التنوخى ــ نشوار (٢٣١/١ ــ ٢٣٨)، ابن الجوزى ــ المنتظم (١١٦/٦ ــ ١١٧) .

(٢) ابن كنداج هو محمد بن اسحاق بن كنداج كان والده اسحاق عاملا على الموصل وعامة الجزيرة سنة ٢٦٩هـ، وكان يلقب بذى السيفين وذلك لمنعه الخليفة المعتمد من الخروج الى احمد بن طولون، تقلد محمد اعمال البصرة والمعاون بها وفى ايامه ظهر تهديد القرامطة للبصرة وذلك فى سنة ٢٩٩هـ، ثم قلد الدينور بعد ذلك وظل متقلدا لها حتى وفاته التى حدثت فى سنة ٣٠٤هـ ، انظر ابن مسكويه ــ تجارب الامم (٣٣/١)، ابن الجوزى ــ المنتظم (٦٥/٥)، التنوخى ــ نشوار المحاضرة (٢٣٦/١) هامش (١) .

(٣) التنوخى ــ نشوار المحاضرة (٢٣٦/١) .

(٤) ابن الجوزى ــ المنتظم (١١٦/٦ ــ ١١٧) .

رأى المقتدر على تقليد حامد بن العباس (١) الوزارة فى سنة ٣٠٤هـ/٩١٦م ووروسل بالقدوم الى بغداد طلب منه ان يكتب على عدة طيور مخبرا بيوم خروجه (٢) فقد ذكر الصابى " ان المقتدر بالله طلب من ابن الفرات مالا لبعض مهمة فمنعه منه واعتل عليه فيه فتم بذلك امر حامد ووروسل بالاصعاد الى الحضرة وان يكتب على عدة اطيار بخروجه فى يومه ليقبض على ابن الفرات عند المعرفة بتوجهه وكتب بخبره " (٣) . وقد نقل القرطبى عند حديثه عن اخبار سنة ٣١١هـ/٩٢٣م بان القرامطة قد اشاعوا فى البصرة خبر القبض على الوزير حامد بن العباس وتقليد ابن الفرات الوزارة وذلك قبل وصول الخبر رسميا الى البصرة باربعة ايام ويعزى ذلك الى انه نقل الخبر اليهم بواسطة الحمام (٤) . وقد اشارت المصادر الى ان الوزير على بن الفرات قد اعلم وهو فى منصبه بالوزارة سنة ٣١١هـ/٩٢٣م بامر خروج حامد بن العباس

---

(١) ابو محمد حامد بن العباس، تقلد اعمال فارس ثم استوزره المقتدر سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م ، ثم تقلد ضمان واسط بعد خلعه من الوزارة سنة ٣١١هـ/٩٢٣ م وكان موسرا عظيم النعمة ، توفى سنة ٣١١هـ/٩٢٣م ، انظر ابن الجوزى م٠س (٦/١٨٠ - ١٨٤) .

(٢) متز - الحضارة (٢/٤٢٢) .

(٣) الصابى - الوزراء (ص ٣٩) ، ابن مسكويه - تجارب (١/٥٧) ، متز - م٠س ، (٢/٤٢٢) ، سعداوى - م٠س (ص ١٣٧) ، العدوى - الحمام (ص ١٣٦) ، من الملاحظ انه قد حصل لبس عند العدوى بان ذكر بان القرامطة اشاعوا هذا الخبر فى البصرة ، والصواب انهم اشاعوا خبر القبض على حامد بن العباس سنة ٣١١هـ/٩٢٣م .

(٤) القرطبى - صلة تاريخ الطبرى (ص ٩٧) ، متز - م٠س (٢/٤٢٣) ، سعداوى م٠س (ص ١٣٧) ، العدوى - م٠س (ص ١٣٦) ، من الملاحظان متز قد توهم فذكر ان المعزول هو ابن الفرات والمتولى حامد بن العباس ، وقد تابعه فى ذلك سعداوى والعدوى .

وكانت الاخبار تصله على اجنحة الطير ،قال الصابى " كتب ابن الفرات الى البزوفرى يرسم له التوكيل بحامد عند وصول من انفذ اليه ومطالبته عاجلا بالمصالح والبذور اذ ليس يأذن السلطان فى عقد الضمان مستأنفا عليه فاشاع البزوفرى ذلك قبل ورود القوم وعرف حامد الخبر فى وقته فاظهر ورود كتاب المقتدر بالله عليه بالمبادرة الى الحضرة فلم يقدر البزوفرى على منعه ولاعلى الاعتراض عليه لكنه بادر الى ابن الفرات بالخبر على الطيور"(٢) .ونقل ابن مسكويه فى احداث سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م عند اشتداد خطر القرامطة وازدياد تهديدهم للبصرة ان الوزير على بن عيسى قد اعد رجالا يحملون حماما الى الكوفة لغرض ايصال الاخبار الى العاصمة بشكل متتابع فقال " رتب على بن عيسى بين بغداد ونهر زبارا المرتبين وسلم اليهم مائة طير الى مائة رجل منهم يكتبون على اجنحتهم كتبا بخبر العدو فى كل ساعة "(٣) . وفى سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م كان الخليفة

---

(١) ابو العلاء محمد بن على البزوفرى،كانت له صلة بابن الفرات فقلده فى وزارته الثالثة اعمال الصلح والمزارعات فى واسط واوعز اليه بالتشديد على حامد بن العباس فى ضمانه ،انظر الصابى – الوزراء (ص ٤٠ – ٤١)، ابن الجوزى – المنتظم (١٨٤/٢) .

(٢) الصابى – الوزراء (ص ٤١) .

(٣) ابن مسكويه – تجارب الامم (١٧٩/١)،وقد ذكر آدم متز الخبر فى كتابه (م٠س ٤٢٣/٢) ولكنه توهم عند تحديده للتاريخ اذ جعله سنة ٣١١هـ/٩٢٣م ،وقد جاراه فى ذلك سعداوى – م٠س (ص ١٣٨) . وكذلك حصل للعدوى (م٠س ٠ ص ١٣٨) غير انه جعل تاريخ الحادثة سنة ٣١٣هـ/٩١٥م دون ان يحدد مصادر معلوماته ،وما اثبتناه فى المتن هو المعول عليه .

المقتدر بالله يتشوف الى معرفة خبر الهجرى فانفذ ابوعلى بن مقله اطيارا كوتب عليها باخبار الهجرى وقتا بوقت وكان ينفذها الى نصر الحاجب فيعرضها على الخليفة ويطرى على ابن مقله ،وقد ذكر ذلك ابن مسكويه فقال " كان مما مال به المقتدر الى ابى على بنمقله على ان ابا طاهر القرمطى لما قرب من الانبار تشوف الى علم خبره ولم يكن يكاتب بشىء من خبره غير الحسن بن اسماعيل الاسكافى عامل الانبار فلما عرف ابو على ابن مقله الصورة طلب اطيارا وانفذها الى الانبار وكوتب عليها اخبار القرمطى وقتا بعد وقت فكان ينفذها الى نصر لوقته ويعرضها نصر على المقتدر" (١) ٠ وورد ايضا بانه فى سنة ٣٢١هـ/٩٣٣م تمكن ابو بكر بن قرابة (٢)

---

(١) ابن مسكويه ـ تجارب (١/١٨٥)، ابن الجوزى ـ المنتظم (٦/٢١٦) ٠

(٢) ابو بكر بن قرابة كان من وجهاء الدولة فى اواخر عهد الخليفة المقتدر، اختص بالوزير الحسين بن القاسم وقدم له جملة من المال عن الضمناء بربح درهم فى كل دينار ،التجأ اليه الفضل بن الفرات خوفا من الوزير الحسين بن القاسم فاستتر عنده ،وكذلك استتر عند ابواحمد الخصيبى،وهو الذى اغرى الخليفة المقتدر على ورثة القاضى ابى عمر وذلكمن اجل مصادرة ابنه الحسين على مائة الف دينار،ثم عاد واستعطف المقتدر عليه ،وقداستشاره الخليفة المقتدر فى الاضاقة التى لحقت به فاشار عليه بمال هارون بن الخال الذى استطاع ان يقنع الخليفةبتسليم ابن قرابة اليهليستخرج منه الاموال،فسلمه اليه وجرى عليه من المكروه ما اشفى به التلف وظل كذلك حتى قتل المقتدر وتخلص بعد مصادرةلجزء من ماله ،ثم قبض عليه الخليفة القاهر مرةثانية وازال نعمته وقبض على املاكه وهدمت داره ، واراد قتله حتى زال امر القاهر ،ثم مضى الى ابى الحسين احمد بن بويه لما غلب على الاهواز،ثم وقع اسيرا لما انصرف ابو الحسين من نهر ديالى وصودر حتى لم يبق له بقية واضطرالى ان يخدم ناصر الدولة ابا محمد بن حمدان برزق مائة دينار فى الشهر،ومات بالموصل انظر ابن مسكويه ـ تجارب الامم (١/٢٢٠،٢٢٤،٢٢٥،٢٢٩،٢٣٠ ـ ٢٣٢)٠

ان يصحح المعلومات التى ابتدعها الوزير ابن مقله وذلك فى الحيلة التى دبرها الوزير بالتعاون مع رؤساء الجند مؤنس وعلى بن يلبق للقبض على الخليفة القاهر (٣٢٠ - ٣٢٢هـ/٩٣٢ - ٩٣٣م) (١) . فقد اشار ابن مسكويه الى ذلك بقوله " فقال لهم مؤنس اشك فى شر القاهر وقد اسرفتم فى الاستهانة به واخطأتم فى تقليده الامر فلاتعجلوا الان وترفقوا حتى تؤنسوه ويأنس وينبسط اليكم ثم حينئذ تقبضون عليه .. فلما كان يوم السبت سلخ رجب انصرف ابو على بن مقله من دار السلطان واجتمع اليه كتابه واخوه ومن جرى عادته بمواكلته وفيهم ابو بكر بن قرابة فلما فرغ من طعامه التفت الى ابى بكر بن قرابة فقال له قد وافى صديقك القرمطى الكوفة فى ثلاثة آلاف راحلة ومعه صاحبان ودخل الكوفة ونادى بانه قد امن الرعية سوى اصحاب المعروف بمحمد المتلقب بالقاهر فقال ابن قرابة ايها الوزير هذا باطل لان ابن بسر الكوفى جارى، واليوم كان عندى وقد وقعت عليه اطيار باخبار السلامة فقال ابو على سبحان الله انت وابن بسر اعرف من صاحب المعونة بالكوفة وقد سقط من عنده طائر على ابى الحسن بن يلبق وقد جاءنى سعيد بن حمدان ومعه رجل من الاعراب قد قتل نفسه وقطع عدة من الافراس فخبر عن معاينة ومشاهدة " (٢) . ومن هذا نجد انه لم يقتصر على استخدام الطيور على الجهات الرسمية بل استخدمها عامة الناس ايضا . وورد فى

---

(١) ابن يزيد - تاريخ الخلفاء (ص ٥٨)، ابن طباطبا - الفخرى (ص ٢٧٦) ، السيوطى - تاريخ الخلفاء (ص ٦١٦)، زامباور - معجم انساب الاسرات الحاكمة (ص ٣) .

(٢) ابن مسكويه - تجارب (٢٦٢/١)، ابن الاثير - الكامل (٢٢٦/٦)، متز - الحضارة (٤٢٣/٢)، سعداوى - م.س (ص ١٣٨)، العدوى - م.س (ص ١٣٦) .

سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م بعد مقتل ياقوت احد القواد الاتراك فى الحرب التى دارت بين جيش الخلافة بقيادته وبين جيش البريدى بقيادة ابى جعفر الجمال بان اطلق ابو جعفر طائرا بالخبر الى البريدى يستأذن فى حمل رأس ياقوت اليه ،ذكر ابن مسكويه ذلك بقوله " فقال انا ياقوت احملونى الى البريدى فاجتمعوا عليه وحزوا رأسه وانهزم مؤنس ومشرق واذريون الى تستر وتبعهم الاعراب والبربر فاسروهم وردوهم واطلق ابو جعفر الجمال طائرا بالخبر الى البريدى يستأذن فى رأس ياقوت فرد اليه الجواب مع غلام يركض بان يجمع الرأس والجثة ويدفن الجميع فى الموضع الذى قتل فيه" (١) . ومما لاشك فيه ان الطير الذى قد اطلقه قائد البريدى كان من جملة طيور قد اصطحبها معه وذلك لاعلام البريدى الذى كان مقيما فى الاهواز بما يستجد فى مجريات الامور فى المعركة من طلب امداد او اخبار بامر تقتضيه المعركة .

وفى سنة ٣٢٦هـ/٩٣٧م ورد على الخليفة الراضى بالله (٣٢٢ - ٣٢٩ هـ / ٩٣٣ - ٩٤٠م) (٢) وهو فى تكريت رسالة مع طائر تتضمن خبر خروج ابن رائق فى بغداد وانضمام " القرامطة" اليه وكان الاخيرون قد رجعوا الى العاصمة مغاضبين للخليفة بسبب الضائقة المالية ،فقد ذكر ابن مسكويه

---

(١) ابن مسكويه - تجارب الامم (٣٤٧/١ - ٣٤٨)،وانظر الصولى - اخبار الراضى والمتقى من كتاب الاوراق (ص ٨٥) (باعتناء هيورث دن،مطبعة الصاوى مصر)، الهمذانى- تكملة تاريخ الطبرى (ص ٣٠٠) .

(٢) الصولى -م٠س (ص ١ - ١٣٨)،زامباور - معجم الانساب (ص ٣) .

بانه " قد لحق بالقرامطة الذين مع الراضى بتكريت مضائقة فى ارزاقهم فانصرفوا مغضبين الى بغداد فلما وصلوا اليها ظهر ابن رائق من استتاره ببغداد وانضموا اليه ويقال ان انصرافهم بتكريت بمراسلة منه اليهم فى اجتذابهم وورد الخبر بذلك مع طائر الى تكريت فخاف الراضى ان يسرى اليه ابن رائق والقرامطة فيأخذونه فخرج من الماء وركب الظهر وسار الى الموصل ودخلها" (١) .

وفى سنة ٣٢٨هـ/٩٤٠م حصل ان وقع احد الطيور فى معسكر الامير بجكم وهو يحمل بخط كاتب بجكم كتابا يتضمن افشاء اخبار سيده واسراره (٢) الى خصمه البريدى فقد نقل ابن مسكويه انه " كان معه - بجكم وقت انحداره الى البريدى فى سنة ٣٢٨هـ فى الحديدى كاتب له على امر داره وجرايات حاشيته وكان له اخ فى خدمة البريد فلما جلس بجكم فى الحديدى سقط على صدر الحديدى طائر فصاده غلمان بجكم وجاءوا به الى مولاهم فوجد على ذنبه كتابا فقرىء فاذا هو كتاب من كاتبه هذا الى اخيه بخطه يعرفه فيه انحدار بجكم ومن انفذ على الظهر من الجيش وسائر اسراره وعزائمه" (٣) . وفى سنة ٣٢٨هـ/٩٤٠م ايضا اشار ابن مسكويه الى ان الحمام حمل الى البريدى من بغداد الى واسط اخبار دخول بجكم بغداد وذلك بقوله " سقطت الاطيار على البريدى بدخول بجكم بغداد وهو لايدرى اهو منهزم ام مجتاز فابلس ودهش وتحير" (٤) . كما ذكر ايضا انه

---

(١) ابن مسكويه - تجارب (٤٠٥/١) .

(٢) متز - م.س (٤٢٣/١)، سعداوى - م.س (ص ١٣٨) .

(٣) ابن مسكويه - م.س (٤١٤/١)، والحديدى هو المركب الذى اتخذه بجكم لانحداره .

(٤) ن . م . س (٤١٢/١) .

" سقط على البريدى ـ طائر قبل العصر بان بجكم قد سار الى واسط"(١) ٠

ومما اورده ايضا ان الحمام نقل رسائل الى البريدى تفيد عدم رغبة بجكم امير الامراء فى الصلح وذلك بقوله " طائر سقط عليه بما ايسه من صلاح بجكم له"(٢) ٠ ومن ذلك يمكن القول انه قد شاع استخدام الحمام فى المراسلات اذ اصبحت المراسلات العاجلة مع الخلافة فى العاصمة تجرى عن طريق استخدام الحمام دون اعتبار للمسافة التى يقطعها ،مادامت الاوضاع العامة تقتضى ذلك وقد شاع استخدام الحمام لنقل الاخبار الخاصة بالمتغلبين ،كما استخدمت فى المراسلات السرية بين امراء الاطراف والخوارج وعيونهم فى العاصمة ٠

اما فى العصر البويهى ،فان امراء بنى بويه كانوا قد استخدموا الحمام الزاجل على نطاق واسع فى نقل مراسلاتهم المختلفة وخصوصا ماله علاقة باخبار الجيوش التى كانوا ينفذونها لاقرار الامن وتوطيد حكمهم فى مختلف المناطق ذلك انهم كانوا يجعلون فى المعسكرات طيورا معدة لنقل الرسائل والاخبار بشكل متصل فقد ورد فى المصادر ان الصميرى(٣) عندما خرج فى سنة ٣٣٨هـ/٩٤٩م لحرب عمران بن شاهين فى نواحى البطيحة من

---

(١) ن ٠ م ٠ س (٤١٢/١) ٠

(٢) ن ٠ م ٠ س (٤١٣/١) ٠

(٣) ابو جعفر محمد بن احمد الصميرى كان وزيرا شجاعا قوى النفس ولاه معز الدولة محاربة عمران بن شاهين فهزمه واستأسر اهله واولاده توفى سنة ٣٣٨هـ وقيل سنة ٣٣٩هـ، انظر الهمذانى ـ تكملة تاريخ الطبرى (ص ٣٦٩ ـ ٣٧٠)، ابن مسكويه ـ تجارب (١٢٣/٢)،ياقوت ـ معجم الادباء (١٢٠/٩) ٠

سواد العراق كان معه فى معسكره طيور خصصت لنقل اخبار تحركاته وعند وفاة الصميرى جرى ارسال خبر وفاته برسالة انفذت على احد الطيور ،وقد نقل الهمذانى الخبر فذكر انه " لما خرج الصميرى فى هذا الوجه استخلف ابا محمد المهلبى .. فانفذ الى معسكره طيورا واوقف من يكتب عليها اخباره فاتاه البراج بطير قد ابتل بالماء بكتاب لم يقف عليه فقال للصابى تلطف فى قراءته فقرأه بعد جهد فاذا فيه هلاك للصميرى" (١) .

ومن الجدير بالذكر ان استخدام الحمام فى العصر البويهى لم يكن مقتصرا على خدمة النواحى العسكرية فقط بل انه استخدم فى نقل مختلف المراسلات والاخبار وقد اشار ياقوت الى انه حصل فى سنة ٣٥٢هـ/٩٦٣م ان وصل عن طريق رسائل الحمام خبر بوفاة الوزير الحسن بن محمد المهلبى (٢) وذلك فى طريق عودته الى مدينة بغداد بعد ان اعفاه معز الدولة البويهى من الذهاب الى عمان وامره بالعودة حيث قال "فلما انتهى الى زواطا وهى بليدة بين واسط وخوزستان والبصرة قضى نحبه ومضى لسبيله وسقط الطائر بمدينة السلام بذلك" (٣) . اضف الى ذلك فان افراد الاسرة البويهية قد

---

(١) الهمذانى ـ تكملة تاريخ الطبرى (ص ٣٧٠) ،ياقوت ـ معجم الادباء (١٢٠/٩) .

(٢) ابو محمد الحسن بن محمد بن هارون بن ابراهيم المهلبى ،كان وزير معز الدولة ابى الحسين احمد بن بويه ،تولى الوزارة فى سنة ٣٣٩هـ ، وصف بانه عالى القدر رحب الصدر عالى الهمة ،جواد ،غاية فى الادب ، والمحبة لاهله ،ولمعلومات اوفى انظر الثعالبى ـ يتيمة الدهر (٢٢٣/٢ ـ ٢٤٠) ،ياقوت ـ معجم الادباء (١١٨/٩ ـ ١٥١) ، ابن خلكان وفيات الاعيان (١٢٤/٢ ـ ١٢٧) .

(٣) ياقوت ـ معجم الادباء (١٢٩/٩) .

استخدموا الحمام لاغراض التجسس على بعضهم فقد اشار ابن مسكويه في احداث سنة ٣٥٧هـ/٩٦٨م بانه عندما اظهر الحبشى بن معز الدولة العصيان على اخيه بختيار واستأثر بالبصرة انفذ بختيار اليه وزيره ابا الفضل العباس بن الحسين الذى حاول خداع الحبشى وذلك باعلانه العزم على التوجه الى الاهواز وانه لايقصد البصرة وراسل قواده بذلك ثم انحدر متوجها الى البصرة وقد " كان للحبشى رسل انفذهم باطيار ليكاتبوه بخبره، فارسلت الاطيار فثار الحبشى وهاج ولم يملك نفسه واظهر المنابذة والخلاف" (١) .

لقد شاع اعتبارا من منتصف القرن الرابع الهجرى استخدام الحمام لنقل الرسائل الرسمية والخاصة فى اقاليم الدولة الاسلامية المختلفة .

اما فى مصر فقد اشارت المصادر الى انه قد جرى استخدامه فى فترات مبكرة ،ولعل اول اشارة وردت عن استخدامه فى مصر ترجع الى فترة ولاية احمد بن طولون (٢٥٤ - ٢٧٠هـ/٨٦٨ - ٨٨٣م) (٢) وقد ذكر البلوى ذلك بقوله " حدث نسيم الخادم قال كان مولاى(يعنى احمد بن طولون) اذا خرج الى نزهة يحب الولع بقوس البندق وكانت نزهته حول الجب لايعدوه فخرج يوما الى النزهة ونزل فى مرج حسن وكان قوس البندق بيده فمر به حمام طائر فضربه فسقط واخذناه فاذا فى اصل جناحه رقعة كالكتاب فاذا فيها "قد استراح مولاى محمد فخذوا حذركم وارفعوا كل شئ فقد عصا لؤلؤ" .فامر مولاى من وقته باحضار خادم كان على مخلفى لؤلؤ فاحضر وقال له من منكم له حمام هدى ومن لكم عليل فى عسكر لؤلؤ فقال ليس فى دارنا يامولاى

---

(١) ابن مسكويه - تجارب الامم (٢٤٤/٢) .

(٢) زامباور - معجم انساب الاسرات الحاكمة (ص ١٤٣) .

حمام هدى ولكن لعبيد الله بن سليمان اخى كاتبنا محمد طيور تسرح وقد كان مغموما بعلة اخيه محمد بن سليمان فامر مولاى بالقبض على عبيد الله ابن سليمان من ساعته" (١) .

اما فى العصر الفاطمى فقد اشارت المصادر الى ان الحكام الفاطميين قد حافظوا على الحمام الزاجل وخدماته وبالغوا فيه حتى افردوا له ديوانا وجرائد بانساب الحمام، ذكر العمرى ذلك بقوله " فاول مانقول انه نشأ من بلد الموصل وحافظ عليها الخلفاء الفاطميون بمصر وبالغوا حتى افردوا له ديوانا وجرائد بانساب الحمام " (٢) . وذكره ايضا ابن شاهين والقلقشندى والفيومى (٣) . هذا ويبدو ان استخدام الحمام عند الحكام الفاطميين قد بلغ شأوا فى التنظيم اذ اصبح فى كل اقليم من اقاليمهم ابراج فيها حمام زاجل من الاقاليم الاخرى الخاضعة لسلطانهم وذلك لدوام الاتصال، ونقل المعلومات . فقد ورد ان العزيز بالله ثانى الحكام الفاطميين (٣٦٥ – ٣٨٦هـ/٩٧٥ – ٩٩٦م) (٤) " ذكر لوزيره يعقوب بن كلس (٥) انه مارأى القراصية البعلبكية وانه يحب ان يراها، وكان بدمشق

---

(١) البلوى – سيرة احمد بن طولون (ص ٢٨٠) .

(٢) العمرى – التعريف بالمصطلح الشريف (ص ١٩٦) .

(٣) الظاهرى – زبدة كشف الممالك (ص ١١٧)، القلقشندى – صبح الاعشى (٣٩٠/١٤)، الفيومى – كتاب الصفوة (لوحة ٥٠) .

(٤) ابن خلكان – وفيات الاعيان (٣٧١/٥ – ٣٧٦)، ابن تغرى بردى – النجوم الزاهرة (١١٢/٤ – ١٧٦)، زامباور – معجم انساب الاسرات الحاكمة (ص١٤٤)

(٥) ابو الفرج يعقوب بن يوسف بن ابراهيم بن داود بن كلس، كان من جملة كتاب كافور الاخشيدى وهو اول وزراء الفاطميين فى مصر، كان يهوديا ثم اسلم سنة ٣٥٦هـ/٩٦٦م طمعا فى الوزارة ثم حسن اسلامه ، وظل يشغل =

حمام من مصر كما كان بمصر حمام من دمشق،فكتب الوزير لوقته بطاقة يأمر فيها من هو تحت امره بدمشق انيجمع مابها من الحمام المصرى ويعلق فى كل طائر حبات من القراصية البعلبكية ويرسلها الى مصر ففعل ذلك فلم يمض النهار حتى حضرت تلك الحمائم بما علق عليها من القراصية فجمعه الوزير يعقوب بن كلس وطلع به الى العزيز فى يومه فكان ذلك من اغرب الغرائب لديه" (١) • وذكر القلقشندى ايضا " ان الوزير اليازورى (٢) المغربى وزير المستنصر (٣) الفاطمى كان يستخدم الحمام للمراسلة بين افريقية والمغرب ومصر (٤) •

ومن خلال هذه الاشارات التى وردت عن الفاطميين يمكن القول ان استخدام الحمام كان على درجة من التنظيم ،بحيث كانت لهم اتصالات بنواحى الشام واتصالات اخرى بنواحى المغرب الاقصى وهذا يدل على ان ابراج الحمام كانت مترابطة بين المغرب الاقصى ومصر وبلاد الشام (٥) •

= منصب الوزارة فى العهد الفاطمى حتى توفى سنة ٣٨٠هـ، انظر ابن خلكان ـ وفيات الاعيان (٢٧/٧ ـ ٣٤)،زامباور ـ معجم الانساب (ص١٤٥)•

(١) الانصارى ـ تفريج الكروب (ص ١٣ ـ ١٤)، القلقشندى ـ م•س(٣٩١/١٤) •

(٢) ابو محمد الحسن بن على بن عبد الرحمن اليازورى،وزر للمستنصر بالله الفاطمى سنة ٤٤٢هـ واستمر يشغل منصب الوزير الى سنة٤٥٠ هـ ، انظر زامباور ـ م•س (ص ١٤٩) •

(٣) ابو تميم معد الملقب بالمستنصر بالله بن الظاهر لاعزاز دين الله ولى سنة ٤٢٧هـ وعمره سبع سنين وظل فى الحكم الى انتوفى سنة ٤٨٧هـ • انظر ابن خلكان ـ م•س (٢٢٩/٥ ـ ٢٣١)،زامباور ـ م•س (ص ١٤٥) •

(٤) القلقشندى ـ م•س (٣٩١/١٤) •

(٥) ابراهيم العدوى ـ الحمام (ص ١٣٧) •

ومما تجب الاشارة اليه مبلغ العناية الكبيرة بالحمام الرسائلى في العهد الفاطمى،ومدى مابلغ استخدام الحمام من تقدم ورقى حتى انهم استخدموا الحمام الرسائلى فى نقل الاخبار والمعلومات من سفن الاستطلاع التى كان يوكل اليها امر مراقبة تحركات الاساطيل المعادية التى يتوقع منها الاغارة على شواطىء الساحل الافريقى،فقد اشار ابن الاثير فى احداث سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م الى ماجرى لاحدى السفن الفاطمية التابعة لاسطول المهدية والتى وقعت فى قبضة مقدم الاسطول فى الاسطول النورمانى الصقلى عند جزيرة قوصره المدعو باسم جرجى والذى ادرك بعد استجوابه لركاب السفينة والتى وجد على ظهرها قفصا مليئا بالحمام الزاجل وبعد ان ثبت لدى مقدم الاسطول النورمانى انه لم يطلق اية حمامة برسائل تحذيرية امر المكلف به بان يكتب رسالة يخبر فيها حاكم المهدية انه لقى عند جزيرة قوصره بعض مراكب للنورمان،وانه سأل عن حركات اسطولهم فعلم انه فى طريقه الى القسطنطينية (١) ، قال ابن الاثير " فصدفوا بها مركبا وصل من المهدية فاخذوا اهله واحضروا بين يدى جرجى مقدم الاسطول فسألهم عن حال افريقية ووجد فى المركب قفص حمام فسألهم هل ارسلوا منها فحلفوا بالله انهم لم يرسلوا شيئا فامر الرجل الذى كان الحمام صحبته ان يكتب بخطه اننا لما وصلنا جزيرة قوصره وجدنا بها مراكب من صقلية فسألناهم عن الاسطول المخذول فذكروا انه اقلع الى جزائر القسطنطينية واطلق الحمام فوصلت الى المهدية وسر الامير الحسن والناس واراد جرجى بذلك ان يصل بغتة" (٢) . وعلى الرغم من ذلك فان هذه الرواية تكشف عن مدى

---

(١) ن . م . س (ص ١٣٦ - ١٣٧) .

(٢) ابن الاثير - الكامل (١٨/٩ - ١٩) ، العدوى - م.س (ص ١٣٧) .

ماوصلت اليه البحرية الفاطمية من تقدم فى الاتصالات حيث طورت وسيلة مناسبة لربط الاسطول بمقر قيادته على الساحل والعمل على توفير معلومات استخبارية خاصة بتحركات العدو ضمانا لمنع المفاجآت والاستعداد والحيطة والحذر ،وهى توضح بعد ذلك بان استخدام الحمام فى الاساطيل البحرية كان وسيلة راقية ومتطورة من اساليب نقل المراسلات البحرية • والراجح ان هذا التطور الذى بلغ مداه فى العصر الفاطمى ،يعود الى مرحلة سابقة تاريخيا، فقد تبين من الاشارات التى اوردتها المصادر (١) بان الاهتمام بتدريب الحمام فى العراق قد بدأ منذ وقت مبكر قبل العهد الفاطمى بفترة طويلة (٢) • اما بعد الفاطميين فقد اعتنى بالحمام الزاجل فى مصر والشام الشهيد نور الدين محمود زنكى وتشير المصادر الى انه اتخذ صنفا من الحمام عرف باسم " الهوادى" (٣) •وعممه فى جميع رقعة

---

(١) العدوى – م•س (ص ١٣٧) •

(٢) العدوى – م•س (ص ١٣٧) •

(٣) قسم العلماء الحمام الى قسمين احدهما برى والثانى اهلى وهو الذى يألف البيوت والمحلات والمستوطنات ويعيش فيها،وهذا النوع تعددت اصنافه واشكاله وشياته فمنه الرواعب والعداد والميساق والشداد والشقاق والمنسوب والمنسوب هو الذى اطلق عليه العراقيون "الهوادى" الذى يهتدى الى غايته ،واطلق عليه المصريون " حمام البطاقة" واشترك الاثنان فى معرفته "بالزاجل" • وقد وصف بانه كالعتاق من الخيل وماعداه من الانواع كالبراذين،وهو اغلى الاصناف قيمة واعلاها مرتبة وهو الذى يتخذه الملوك لحمل المكاتبات ويعبر عنه بالهدى ولمعلومات اوفى انظر الجاحظ – الحيوان (٧٩/٢)،(٢١٣/٣،٢١٧) ، القلقشندى – صبح الاعشى(٣٨٩/١٤)،نبيل عبدالعزيز – الحمام الزاجل (ص ٤٢) •

نفـــوذه ، ولعل السبب فى ذلك اتساع مناطق حكمه التى امتدت من حـــد[(١)] النوبة الى ماشرف همذان اذا استثنينا المناطق التى سيطر عليها الفرنج[(٢)] وكان نور الدين يرغب فى الاطلاع على اخبار بلاده المختلفة باقص سرعـــة تحسبا من تحركات الفرنجة[(٣)] . فقد اشار ابن الاثير الى" امر الملـــك العادل باتخاذ الحمام الهوادى وهى المناسيب التى تطير من البـــلاد البعيدة الى اوكارها واتخذت فى سائر بلاده وكان السبب فى ذلك انــه اتسعت بلاده فكانت من حد النوبة الى باب همذان لايتخللها سوى بـــلاد الفرنج وكان الفرنج لعنهم الله ربما نازلوا بعض الثغور فالى ان يصل الخبر ويسير اليهم يكونوا قد بلغوا الغرض فحينئذ امر بذلك وكتب بـــه الى سائر البلاد واجرى الجرايات لها ولمربيها فوجد بها راحة فكانـــت

---

(١) ابن الاثير ـ الباهر فى تاريخ الدولة الاتابكية (تحقيق عبدالقـــادر طليمات ـ القاهرة ١٣٨٢هـ) (ص ١٥٩)، ابن الاثير ـ الكامل (١١٤/٩) ، ابو شامة عبدالرحمن المقدسى ـ الروضتين فى تاريخ الدولتيـــن (تحقيق محمد حلمى ، مصر ١٩٦٢م) (١/القسم الثانى ص ١١٧)، العمـــرى التعريف بالمصطلح الشريف (ص ١٩٦)، ابو الفداء ـ المختصر فى اخبـــار البشر (٥٢/٣)، القلقشندى ـ صبح الاعشى (٣٩٠/١٤)، السيوطى ـ حســـن المحاضرة (٣١٣/٢)، مؤلف مجهول ـ كنز الاخبار (لوحة ٤٣)، ابن كمـــال باشا ـ الاوائل (لوحة ٢٥)، نبيل عبدالعزيز ـ الحمام الزاجل (ص ٤٣) .

(٢) ابن الاثير ـ الباهر (ص ١٥٩)، السيوطى ـ م٠س (٣١٣/٢)، نبيل عبـــد العزيز ـ م٠س (ص ٤٣) .

(٣) ابن الاثير ـ م٠س (ص ١٥٩)، السيوطى ـ م٠س (٣١٣/٢)، نبيل عبدالعزيـــز م٠س (ص ٤٣) .

الاخبار تأتيه لوقتها فانه كان له فى كل ثغر رجال مرتبون ومعهم من حمام المدينة التى تجاورهم فاذا رأوا او سمعوا امرا كتبوه لوقته وعلقوه على الطائر وسرحوه فيصل الى المدينة التى هو منها وهكذا الى ان تصل الاخبار اليه" (١) . ومن الملاحظ انه قد استمرت العناية بالحمام فى مصر والشام الى فترة متأخرة من القرن التاسع الهجرى اذ لعب الحمام فى تلك الفترات دورا مهما وبارزا فى تنظيم عملية القضاء على الفتن والثورات الداخلية (٢) وكذلك كان له اثره فى نقل الاخبار عن الوقائع التى كانت تجرى بين المسلمين والصليبيين والتتار (٣) .

هذا واما عن انتخاب الحمام فقد ورد فى بعض النصوص التى تهيؤها المصادر المتخصصة مايفيد بوجود مواصفات معينة فيما ينتقى من الحمام الرسائلى (٤) ، ويبدو ان بعض الناس كانوا قد تخصصوا فى الفراسة فى الحمام، فقد اشار الجاحظ الى بعض من مشاهيرهم فى البصرة فى عصره (٥) ،كما ان المصادر فصلت فى اسلوب تدريب الحمام وضمان دقة ضبطه لموضع اقامته الدائمة وقدرته على العودة اليها من مسافات مختلفة وبشكل متباعد سواء

---

(١) ابن الاثير - الباهر (ص ١٥٩) ،نبيل عبد العزيز - م٠س (ص ٤٣) .

(٢) نبيل عبد العزيز - م٠س (ص ٤٦ - ٥٠) .

(٣) ن ٠ م ٠ س (ص ٥٠ - ٥٢) .

(٤) الجاحظ - الحيوان (٢٧٠/٣ - ٢٧٢) ، النويرى - نهاية الارب (٢٦٨/١٠ - ٢٧٠) ، القلقشندى - صبح الاعشى (٩٦/٢) ، الدميرى - حياة الحيوان (٢٥٧/١) ،نبيل عبد العزيز - م٠س (ص ٤١ - ٥٥) .

(٥) ذكر الجاحظ ان ممن اشتهر فى الفراسة بالحمام فى البصرة شخص يدعى " مثنى بن زهير" وخص له يقال له " خديج" انظر الجاحظ الحيوان (١٤٦/٣، ١٦٨ - ١٦٩، ٢٠٩ - ٢١١) .

كان ذلك فى البر او البحر[(١)] . اما بخصوص الرسائل التى كانت ترسل صحبة الحمام الرسائلى فقد كانت لها مواصفات معينة ، اذ كانت تكتب فى ورق صغير خفيف من النوع الحريرى عرف باسم " البطائق " او "ورق الطير "[(٢)] وعادة مايكون هذا الورق رفيعا جدا[(٣)]، ذلك ان البطاقة كانت كافية لكتابة زبدة الخبر او المعنى بايجاز دون الشروحات[(٤)] . وقد اشارت المصادر الى ان طريقة كتابة البطائق قد اختلفت من فترة الى اخرى اذ كانت فى العهد الفاطمى لاتصدر بالبسملة[(٥)]، ثم اصبحت فيما بعد تكتب بالبسملة[(٦)] ثم اضيف الى جانب البسملة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم[(٧)]، ثم اصبحت فيما بعد ضربين الاول منها ان تكون البطاقة بعلامة شريعة وذلك بان تكون " فى نحو ثلث وصلمن ورق البطائق ،وصورتها ان يكتب فى رأس الورقة فى الوسط سواء " الاسم الشريف" وتحته ملصقا به من غير بياض سطر واحد كامل من يمين الورقة بغير هامش بما قد يذكر،ثم يخلى بيت العلامة تقدير اربعة اصابع مطبوقة ثم تكتب تتمة الكلام اسطر متلاصقة

---

(١) الجاحظ - الحيوان (٣/٢٢٢،٢٧٥،٢٧٨،٢٧٩،٢٨١ - ٢٨٢)،ميخائيل صباغ مسابقة البروق (ص ٥٣ - ٦٣)،نبيل عبدالعزيز - م.س (ص ٥٥ - ٥٦).

(٢) المقريزى - الخطط(٢/٢١٠،٢٣٠) ، السيوطى - حسن المحاضرة (٢/٣١٤) ، نبيل عبدالعزيز - م.س (ص ٥٩) .

(٣) ميخائيل صباغ - م.س (ص ٦٣).

(٤) المقريزى - م.س (٢/٢٣٠) ، السيوطى - م.س (٢/٣١٣)،صباغ - م.س (ص ٦٥) نبيل عبدالعزيز - م.س (ص ٦٠) .

(٥) المقريزى - م.س (٢/٢٣٠) ، السيوطى - م.س (٢/٣١٤)،نبيل عبدالعزيز م.س (ص ٥٩).

(٦) السيوطى - م.س (٢/٣١٤) ،ميشيل سماحة - ترقى التواصل (ص ٨٢٦).

(٧) مجهول - الاستبصار فى عجائب الامصار (باعتناء سعدزغلول ، المغرب ١٩٨٥م) (ص ١٠٦) .

بنسبة الاول بغير هامش اصلا الى آخره والذى يكتب من يمين الورقة " الله الهادى سرح الطائر الميمون ورفيقه هداهما الله تعالى فى الساعة الفلانية من اليوم الفلانى من الشهر الفلانى من سنة كذا وكذا الى المجلس الكريم او السامى ، الامير فلان أو الى فلانة او نحو ذلك يعلمه ان الامر كذا وكذا ومرسومنا اليه ان يتقدم بكذا وكذا فليعلم ذلك ويعتمده والله الموفق بمنه وكرمه ان شاء الله تعالى . حسبنا الله ونعم الوكيل. والمستند لها " حسب المرسوم الشريف"(١) . الضرب الثانى ان تكون بغير علامة ، " وصورتها ان يكتب فى رأس الورقة موضع الاسم " الله الهادى بكرمه ،والاسطر متلاصقة بغير هامش ولايخلى قبلها بيت العلامة وصورة مايكتب فيها " المرسوم بالامر الشريف ،العالى، المولوى السلطانى ، الملكى، الفلانى الفلانى اعلاه الله تعالى وصرفه – ان يسرح هذا الطائر الميمون ورفيقه هداهما الله تعالى وقت كذا وكذا ويكمل حسب ماتقدم" والله الموفق حسب المرسوم الشريف ان شاء الله تعالى"(٢) .

اما اذا اقتضى الحال نقل البطاقة الواحدة من مكان الى مكان آخر بعيد عن السلطان مثل " ان تنقل من بلبيس الى قطيا فيكتب بعد ذكر المرسوم به "ويتقدم بنقل هذه البطاقة الى فلان الفلانى ليعتمد مضمونها ويعمل بحسبها ،فاذا كانت منقولة الى مكان ثالث بعد ذلك كتب ثم ينقلها الى فلان ليعتمد مضمونها ايضا ويعمل بمقتضاها فيعلم ذلك ويعتمده"(٣) . وقد

---

(١) القلقشندى – صبح الاعشى(٢٣٤/٧) ، المقريزى – الخطط(٢٣٠/٢ – ٢٣١) ، السيوطى – حسن المحاضرة (٣١٤/٢) ،نبيل عبدالعزيز – م٠س (ص٥٩ – ٦٠).

(٢) القلقشندى – م٠س (٢٣٥/٧) ،نبيل عبدالعزيز– م٠س (ص ٦٠ – ٦١) .

(٣) القلقشندى – م٠س (٢٣٥/٧) ، المقريزى– الخطط (٢٣٠/٢ – ٢٣١) ،نبيل عبد العزيز – م٠س (ص ٦٠) .

اشار السيوطى بقوله "وينبغى الايكثر فى نعوت المخاطب ولايذكر فى البطائق حشو الالفاظ ولايكتب الا لب الكلام وزبدته ،ولابد ان يكتب سرح الطائر ورفيقه ان كانا طائرين قد سرحا حتى ان تأخر الطائر الواحد رقب حضوره او يطلق لئلا يكون قد وقع فى برج من ابراج المدينة ولايعمل للبطائق هامش ولايحمدى،وجرت العادة بان يكتب فىآخرها "وحسبنا الله ونعم الوكيل" وذلك حفظ لها" (١) . وقد اورد صاحب كتاب الاستبصار نصا لنسخة بطاقة ومع انها متأخرة عن فترة البحث لكنها تلقى ضوءا على صورة البطاقة ونص البطاقة هو كما يلى :

" بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنامحمد وآله

سرح هذا الطائر ورفيقه فى اول ساعة من نهار الاربعاء عند ورود البشرى بالمكاتبة المعظمة السلطانية بتاريخ يوم الجمعة ٢٨ من رجب سنة ٥٨٣هـ بما من الله تعالى من فتح بيت المقدس ورفع الاعلام الناصرية فى اشرف موضع فيه وتقرر على كل من فيه لشراء انفسهم الرجل بـ ١٠ دنانير والمراه بـ ٥ دنانير والطفل بدينارين وتلك نعمة لاتحصر ولاتحصى وعدد من خلص فيها من اسارى المسلمين ٤٠٠٠ اسير وكان له فى النفوس من الفرج والجزل مالاخفاء فيه " (٢) .

اما فى اوقات الحرب فكانت البطائق تختلف عن تلك الصورة اذ انها كانت تكتب بترجمة قد اصطلح عليها او رموز سرية اصطلح عليها (٣) . اما عن

---

(١) السيوطى ـ حسن المحاضرة (٣١٤/٢) .

(٢) مؤلف مجهول ـ الاستبصار فى عجائب الامصار (ص ١٠٦) .

(٣) العماد الاصفهانى ـ الفتح القسى فى الفتح القدسى (تحقيق محمد صبح مصر ١٩٦٥م) (ص ٣٦٠) ،نبيل عبدالعزيز ـ م.س (ص ٦١) .

الخط الذى كانت تكتب به البطائق فكان خط " الغبار" ، اشار الى ذلك القلقشندى بقوله "والغبار يكتب به بطائق الحمام والملطفات ومافى معناها" [(١)] . واشار اليه ثانية عند حديثه عن انواع الاقلام فقال " كأن النظر يضعف عن رؤيته لدقته كما يضعف عن رؤية الشئ عند ثوران الغبار وتغطيته له وهو الذى يكتب به القطع الصغير من ورق الطير، وبه تكتب بطائق الحمام التى تحمل على اجنحتها وبعضهم يسميه قلم الجناح" [(٢)] . اما عن تعليق البطاقة فقد اتبع فى ذلك طريقتين احداهما ان توضع البطاقة تحت الجناح [(٣)] وذلك بان تغرز فى دبوس رفيع فى النهاية الغليظة من احدى ريش الحمام طولا ويكون مغراز الدبوس من الجانب البعيد عن الجسد وذلك لئلا يؤثر على الحمامة، ثم يلف على طرف الدبوس المغروز بالريشة لفتين او اكثر بخيط رفيع ومتين جدا ثم يعقد جيدا. ولايترك للبطاقة طرفا بارزا متدليا لئلا يؤثر عليها الطيران وشدة الهواء [(٤)]. والراجح ان السبب فى وضع البطاقة تحت الجناح كان لامور متعددة منها وقاية البطاقة من بلل الامطار وغيرها وكذلك قوة الجناح [(٥)]، اما عن الطريقة الثانية التى كانت تستخدم فى تعليق البطاقة بان كانت توضع

---

(١) القلقشندى ـ م٠س (٤٨/٣) .

(٢) القلقشندى ـ م٠س (١٢٨/٣)، نبيل عبد العزيز ـ م٠س (ص ٥٩) .

(٣) المقريزى ـ الخطط (٢٣٠/٢)، السيوطى ـ حسن المحاضرة (٣١٣/٢)، نبيل عبد العزيز ـ م٠س (ص ٦١) .

(٤) صباغ ـ مسابقة البروق (ص ٦٧ ـ ٦٨).

(٥) المقريزى ـ م٠س (٢٣٠/٢)، السيوطى ـ م٠س (٣١٣/٢)، نبيل عبد العزيز م٠س (ص ٦١) .

تحت ذنب الحمام [١] . وذلك لحماية البطاقة واخفاءها عن الاعين ،وقد عبر عن ذلك بقولهم " صارت خوافيوراء الخوافي وغطت سرها المودع بكتمان سحبت عليه ذيول ريشها الضوافي" [٢] . اما عن تسريح الحمام فان المصادر قد فصلت في الحديث فيه ذلك بانه كانت ترسل الحمامة من اول المراكز في [٣] الخط وعادة ماكانت تطلق حمامتان في وقت واحد وبنسختين من خطاب واحد وذلك لزيادة الاطمئنان ولضمان توصيل احدى البطاقتين على الاقل،وكانت القاعدة فيها ان يسرح احدى الطيور اولا ثم بعد ساعتين من اطلاق الاول يسرح الثانى ،لذا كان ينص على انه " سرح هذا الطائر ورفيقه" [٤] .

اما عن " مطارات الحمام" وهى الاماكن التى تتخذ للحمام في المسارح المختلفة فقد كانت مسافاتها تزيد على مسافات سكك البريد [٥] ،ويبدو ان هذه الاماكن الفاصلة بين كل مسافة واخرى ،والمخصصة لاستبدال الطائر الذى يحمل الرسالة لم تكن شكلا واحدا فقد تعددت انواعها اذ اتخذت " الكنه" [٦] بالضم وهى جناح يخرج من حائط او سقيفة يكون للحمام

---

(١) ابن مسكويه – تجارب (٤١٤/١)، المقريزى– م٠س (٢٣٠/٢)،نبيل عبد العزيز – م٠س (ص ٦١) .

(٢) النويرى – نهاية الارب (٢٨٠/١٠)، السيوطى – م٠س (٣١٦/٢)،نبيل عبد العزيز – م٠س (ص ٦١).

(٣) المقريزى – م٠س (٢٣٠/٢)، السيوطى – م٠س (٣١٣/٢)،سعداوى – نظام البريد (ص ١٤١)،نبيل عبدالعزيز– م٠س (ص ٥٨) .

(٤) المقريزى – م٠س (٢٣٠/٢)، السيوطى – م٠س (٣١٣/٢)،سعداوى – م٠س ، (ص ١٤١)،نبيل عبدالعزيز – م٠س (ص ٥٨) .

(٥) القلقشندى – صبح الاعشى (٣٩٢/١٤) .

(٦) الجاحظ – الحيوان (٣٣٥/٢) .

واتخذت ايضا " الشريجة " وهى بيت من قصب يتخذ للحمام[١]، كما اتخذت "الابراج" وهى عبارة عن بناء مخروطى الشكل به اماكن متعددة للحمام على[٢] مستويات مختلفة ،ومن خلال برج عثر عليه فى احد المنشآت التى تعود الى العصر المملوكى والتى لم تزل قائمة ،يمكن التعرف على هيئة الابراج التى كانت تتخذ للحمام الرسائلى[٣] ٠

هذا واما عن خطوط مسارح ومطارات الحمام التى كانت تسير فيها الى الجهات المختلفة فان المصادر قد اغفلت الكثير من ذكرها باستثناء الاشارات التى وردت فى بعض المصادر عن خطوط المسارح فى كل من العراق ومصر والشام ٠

اما عن المسارح فى العراق فقد كانت هناك عدد من الخطوط التى تتفرع من بغداد على مختلف الاتجاهات ولعل اهمها بغداد - البصرة[٤] بغداد - واسط[٥] ، بغداد - الكوفة[٦] ،

---

(١) الجاحظ - م٠س (٢/٣٣٥)، ابن سيدة - المخصص (٨/١٢٩)٠

(٢) ابن شاهين - زبدة كشف الممالك (ص ١١٦)، القلقشندى - م٠س (١٤/٣٩٢) ، الفيومى - كتاب الصفوة (لوحة ٥٠ ب) ٠

(٣) Sauvagex , La postaux chevaux dans Lempiredes mamelouks PL . 6 .

(٤) التنوخى - نشوار المحاضرة (١/٢٣٦)، القرطبى - صلة تاريخ الطبرى (ص ٩٧)، ابن الجوزى - المنتظم (٦/١١٦ - ١١٧) ٠

(٥) الصابى - الوزراء (ص ٤١)، ابن مسكويه - تجارب الامم (٢/٢٤٤)، متز - الحضارة الاسلامية (٢/٤٢٣)، سعداوى - نظام البريد (ص ١٣٨)، العدوى - الحمام الزاجل (ص ١٣٦) ٠

(٦) ابن مسكويه - م٠س (١/٢٦٢)، ابن الاثير - الكامل (٦/٢٢٦)، متز - م٠س (٢/٤٢٣)، سعداوى - م٠س (ص ١٣٨)، العدوى - م٠س (ص ١٣٦) ٠

بغداد ـ خراسان ،بغداد ـ فارس (١) (٢) . اما عن المسارح فى مصر والتى ظل العمل فيها حتى العصر المملوكى فلعل اهمها (٣) : القاهرة ـ الاسكندرية وهو من القاهرة الى منوف العليا (٤) ثم الى دمنهور (٥) ثم الى الاسكندرية (٦) .

وكذلك القاهرة ـ دمياط (٧) ،وهو من القاهرة الى بنى عبيد (٨) ثم الى اشمون الرمان (٩) ثم الى دمياط (١٠) . وهناك عدد آخر من الخطوط اهمها من القاهرة الى قوص (١١) .

---

(١) المسعودى ـ مروج الذهب (٥٦/٤)، العدوى ـ م٠س (ص ١٣٣) .

(٢) الصابى ـ م٠س (ص ٣٩)، ابن مسكويه ـ م٠س (٥٧/١)،متز ـ م٠س (٤٢٢/٢)، سعداوى ـ م٠س(ص ١٣٨)، العدوى ـ م٠س (ص ١٣٦) .

(٣) نبيل عبدالعزيز ـ الحمام الزاجل (ص ٦٣) .

(٤) منوف من قرىمصر القديمة ،انظر ياقوت ـ معجم البلدان (٢١٦/٥)،وهى معروفة الان انظر الخارطة الملحقة .

(٥) دمنهور بفتح اوله وثانيه ثم نونساكنة وهاء وواو ساكنة وآخره راء، مهملة بلدة بين القاهرة والاسكندرية لاتزالمعروفة الى عصرنا هذا انظر ياقوت ـ معجم البلدان (٤٧٢/٢) .

(٦) ابن شاهين الظاهرى ـ زبدة كشف الممالك (ص ١١٧)، الفيومى ـ كتاب الصفوة (لوحة ٥٠ ب) .

(٧) دمياط مدينة معروفة فى مصر، انظر ياقوت ـ معجم البلدان(٤٧٢/٢-٤٧٥)

(٨) لم استطع العثور على ترجمة للموضع فى المصادر المتوفرة لدى .

(٩) ذكرها ياقوت اشموم طناح .انظر معجم البلدان (٢٠٠/١) .

(١٠) ابن شاهين ـ م٠س (ص ١١٧)، الفيومى ـ م٠س (لوحة ٥٠ ب)،نبيل عبد العزيز ـ م٠س (ص ٦٣) .

(١١) قوص بالضم ثم السكون وصاد مهملة ،مدينة كبيرة عظيمة كانت قصبة صعيد مصر، انظر ياقوت ـ معجم البلدان (٤١٣/٤)،وقوص لاتزال معروفة فى مصر . انظر العمرى ـ التعريف بالمصطلح (ص ١٩٧)، ابن شاهين=

القاهرة ـ غـزة • من القاهرة الى بلبيس ثم الى الصالحية (١) ثم الى قطيا (٢) ثم الى الواردة (٣) ثم الى غزة (٤)، وكذلك القاهرة السويس من طريق الحج (٥) •

هذا بالنسبة لمصر حيث كانت القاهرة المركز الرئيسى الذى تتفرع منه المسارح المختلفة•

اما عن الشام فقد كان هناك اكثر من مركز تتفرع منه عدد من المسارح ولعل اهم هذه المراكز : غزة ،وتتشعب المسارح منها الى نواحى دمشق ،وغيرها مثل غزة ـ الخليل ،وغزة ـ القدس ،غزة ـ نابلس (٦)،غـزة ـ

= م•س (ص ١١٧)، القلقشندى ـ صبح الاعشى (٣٩٢/١٤)، الفيومى ـ كتاب الصفوة (لوحة ٥٠ ب)،نبيل عبد العزيز ـ م•س (ص ٦٣) •

(١) انظر ابن شاهين ـ م•س (ص ١١٧)، الفيومى ـ م•س (لوحة ٥٠ ب) •

(٢) ذكرها ياقوت " قطيه " بالفتح ثم السكون وباء مفتوحة ،وحددها قرب القرما فى طريق مصر وسط الرمل، انظر معجم البلدان(٣٧٨/٤) •

(٣) الواردة منزل فى طريق مصر من اعمال الجفار وسط الرمل ، انظر ابن خرداذبه ـ المسالك (ص ٨٠)،قدامة ـ الخراج (ص ٤٦٥)،هامش (٦) ، المقدسى ـ احسن التقاسيم (ص ٢١٣)،ياقوت ـ معجم البلدان (١١٤/٤) ، (٣٦٠/٥) •

(٤) العمرى ـ التعريف بالمصطلح (ص ١٩٧)، ابن شاهين ـ م•س (ص ١١٧) ، القلقشندى ـ م•س (٣٩٢/١٤)، الفيومى ـ م•س (لوحة ٥٠ ب)،نبيل عبد العزيز ـ م•س (ص ٦٣) •

(٥) القلقشندى ـ م•س (٣٩٢/١٤)،نبيل عبد العزيز ـ م•س (ص ٦٣) •

(٦) نابلس بضم الباء الموحدة واللام والسين المهملة مدينة مشهورة بارض فلسطين، انظر ياقوت ـ معجم البلدان (٢٤٨/٥) •

اللد ومن اللد الى قاقون (١) من قاقون الى جينين (٢) حيث تتشعب المسارح منها الى شعبتين اولاهما جينين ـ صفد (٣) والثانية جنين ـ دمشق عن طريق بيسان (٤) ـ اربد (٥) ـ طفس ـ الصنمين ـ دمشق، ومن كل واحد من هذه المراكز الى ماجاورها من المراكز الاخرى مثل بيسان ـ اذرعات ،وطفس ـ اذرعات وذلك لغرض ايصال التعليمات الى الولاة بها" (٦) ٠

دمشق وهى المركز الرئيسى التى تتشعب منه مسارح الحمام فى بلاد الشام وتكون على ناحيتين الاولى منها باتجاه غربى وتشمل مسارح عدة هى دمشق ـ بعلبك ،دمشق ـ القريتين، دمشق ـ صيدا ،دمشق ـ بيروت (٧)

---

(١) قاقون حصن بفلسطين قرب الرملة وقيل هو من عمل قيساريه ، انظر ياقوت م٠س (٢٩٩/٤) ٠

(٢) جينين بكسر الجيم وسكون الياء ونون مكسورة وياء اخرى ساكنة ونون اخرى بليدة حسنة فى ارض فلسطين بين نابلس وميسان، انظر ابن عبد الحق ـ مراصد الاطلاع (٣٦٨/١) ٠

(٣) صفد بالتحريك مدينة فى جبال عامله المطلة على حمص وهى من جبال لبنان، انظر ياقوت ـ م٠س (٤١٢/٣) ٠

(٤) بيسان بالفتح ثم السكون وسين مهملة ونون مدينة بالاردن بالغور الشامى، انظر ياقوت ـ م٠س (٥٢٧/١) ٠

(٥) اربد بالفتح ثم السكون والباء الموحدة ذكرها ياقوت قرية بالاردن قرب طبرية عن يمين طريق المغرب، انظر معجم البلدان (١٣٦/١) ٠

(٦) انظر العمرى ـ التعريف (ص ١٩٧) ، ابن شاهين ـ زبدة (ص ١١٧) ، القلقشندى صبح الاعشى (٣٩٧/١٤) ، الفيومى ـ الصفوة (لوحة ٥٠ ب) ،نبيل عبد العزيز الحمام الزاجل (ص ٦٤) ٠

(٧) العمرى ـ التعريف (ص ١٩٧) ، القلقشندى ـ م٠س (٣٩٣/١٤) ،نبيل عبد العزيز ـ م٠س (ص ٦٤) ٠

دمشق ـ اتربله ،دمشق ـ طرابلس[(١)] .

والثانيةمنهما هو الخط الشمالى المتجه الى حلب وهى من دمشق ويمر هذا الخط بالمراكز قارا ـ حمص ـ حماة ـ المعرة ـ حلب[(٢)] . وتكون حلب مركزا رئيسا بين مسارح الحمام فى بلاد الشام،والمسارح التى تتفرع منها من حلب الى قلعة المسلمين،حلب ـ البيرة ،حلب ـ بهنسا[(٣)]،ومنها الى بقية المناطق التى لها شأن حولها[(٤)]، ومن حلب الى الرحبة مرورا بكل منقباقب وتدمر[(٥)] .

هذا بالنسبة للابراج ومراكز الحمام،ومن المعلوم ان لكل برج من الابراج المتعددة التى تقع فى المراكز المذكورة آنفا واحدا فاكثر من البراجين ممن يتولى امر الحمام ونقل البطائق من حمامة الى اخرى فى حالة مرور الرسائل الى الجهات الاخرى،وكذلك استلام الرسائل التى

---

(١) ابن شاهين ـ زبدة (ص ١١٧)، الفيومى ـ الصفوة (لوحة ٥٠ ب)،نبيل عبد العزيز ـ م.س (ص ٦٤) .

(٢) العمرى ـ م.س (ص ١٩٧)، ابن شاهين ـ م.س (ص ١١٧)، القلقشندى ـ م.س . (٣٩٣/١٤)، الفيومى ـ م.س (لوحة ٥٠ ب)،نبيل عبد العزيز ـ م.س (ص ٦٤ـ ٦٥) .

(٣) العمرى ـ م.س (ص ١٩٧)، ابن شاهين ـ م.س (ص ١١٧)، القلقشندى ـ م.س . (٣٩٣/١٤)، الفيومى ـ م.س (لوحة ٥٠ ب) ،نبيل عبدالعزيز ـ م.س(ص ٦٥).

(٤) العمرى ـ م.س (ص ١٩٧)، القلقشندى ـ م.س (٣٩٣/١٤)،نبيل عبدالعزيز م.س (ص ٦٥) .

(٥) ابن شاهين ـم.س (ص ١١٧)، الفيومى ـ م.س (لوحة ٥٠ ب) .

ترد الى المراكز، كما انه كان للحمام عدد من الاعوان ممن يعتنون به وبعلاجه وغذائه [(١)]، ويبدو ان فى كل مركز من المراكز كان هناك عدد من الاقفاص التى يجعل فيها [(٢)]، كما كان هناك عدد من الدواب التى يستعملها المدربون وذلك لحمل الحمام الى المراكز المختلفة "وتدريجها" [(٣)] [(٤)] ٠

هذا وان توفير الحمام وتدريبه واستحداث مراكزه وتهيئة المشرفين عليه وارزاقهم والقائمين على خدمته وتدريبه وانشاء ابراجه وتحضير تغذيته كان يستلزم نفقات كبيرة [(٥)]، الا ان المصادر لم تشر اليها باستثناء ماورد عن اثمان الحمام وهو ماسبقت الاشارة اليه ٠

المناظر " المناور" :

هى مواضع التخابر باستخدام الاشارات النارية فى الليل والدخانية فى النهار، وكانت عبارة عن مراقب او ابراج او محارس مبنية على مسافات مختلفة وتمتد من حدود الدولة الاسلامية البرية او الساحلية الى المناطق او المدن التى يراد انذارها وذلك عن طريق ايقاد النار او اثارة الدخان من برج الى برج حتى يصل الخبر والاشارة الى المكان المعلوم المراد انذاره [(٦)] ٠

---

(١) التنوخى ـ نشوار المحاضرة (٢٢/٣)، العبادى ـ التاريخ العباسى والفاطمى (ص ٩٥ ـ ٩٦)، محمد بطاينة ـ تاريخ الحضارة الاسلامية (ص ١٣٨)، الجهاز الادارى (ص ١١٤ـ ١١٥) ٠

(٢) ابن شاهين ـ م٠س (ص ١١٧)، الفيومى ـ م٠س (ورقة ٥٠ ب) ٠

(٣) ابن شاهين ـ م٠س (ص ١١٧)، الفيومى ـ م٠س (ورقة ٥٠ ب) ٠

(٤) ابن شاهين ـ م٠س (ص ١١٧)، الفيومى ـ م٠س (ورقة ٥١أ) ٠

(٥) ابن شاهين ـ م٠س (ص ١١٧)، الفيومى ـ م٠س (ورقة ٥١ أ) ٠

(٦) العمرى ـ التعريف (ص ١٩٩)، القلقشندى ـ م٠س (٣٩٨/١٤)، الانصارى تفريج الكروب (ص ١٢)، الكتانى ـ التراتيب الادارية (١٩٤/١)، حسن ابراهيم ـ تاريخ الاسلام (٢٧٦/٣)، النظم (ص ٢١٤)، سعداوى ـ نظام البريد (ص ١٥٣) ٠

ولعل اول اشارة وردت عن المناظر او المناور ،تلك التى ترجع الى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذ اشار البلاذرى الى ان المناظر كانت قد بنيت فى اول الامر على طول الساحل الشامى وذلك بامر صادر من الخليفة عمر بن الخطاب سنة ١٨هـ/٦٣٩م (١)، وذلك " ان معاوية كتب الى عمر بن الخطاب بعد موت اخيه يزيد يصف له حال السواحل فكتب اليه فى مرمه حصونها وترتيب المقاتلة فيها واقامة الحرس على مناظرها واتخاذ المواقيد لها" (٢) . ويبدو ان السبب فى اتخاذ المناظر فى بداية الامر هو ان المسلمين بعد ان تم لهم فتح مناطق الشام اشرفوا على سواحل البحر الابيض المتوسط وذلك قبل ان يكون لهم الاسطول البحرى الذى يتولى مراقبة العدو والدفاع عن سواحل ديار الاسلام ،ولذلك الجأتهم الضرورة الى ان يحموا سواحلهم (٣) فى البر بقوات مقاتلة تكون مهيأة فى حصون على البر وهى مستعدة للقتال وصد الهجمات المعادية حالما يصلها الانذار باقتراب السفن المعادية، وهكذا فقد كان الهدف من المناظر الموجودة على طول الساحل هو مراقبة السفن المعادية قبل اقترابها من المدن الساحلية (٤)، وابلاغ ذلك الى مقرات القوات الاسلامية للتصدى الفورى بناء على ذلك وعليه فقد كانت هذه المناور بمثابة

---

(١) محمد عبدالهادى شعيرة – تاريخ التحصينات العربية فى القرنين الاول والثانى للهجرة (مقال فى مؤتمر الاثار الرابع فى البلاد العربية فى تونس) (ص ٤٢٥) .

(٢) البلاذرى – فتوح البلدان (١٥٢/١)،شعيرة – م.س (ص ٤٢٥) .

(٣) شعيرة – م.س (ص ٤٢٥ – ٤٢٦) .

(٤) ن . م . س (ص ٤٢٤) .

وسائل للانذار المبكر اذ رتب فيها عدد من المرتبين عرفوا فيما بعد بالنظار • [(١)] ويبدو ان النظار كانوا يدربون على التفاهم مع زملائهم في المناور الاخرى على شفرات معينة يحدثونها بالدخان او النار وذلك في حالة رؤية العدو، توضح اما الاخبار برؤية السفن المعادية او عددها او حركتها ووجهتها بعد تحديد موقعها او غير ذلك من الامور التي كانت تخدم وضع الخطط المقابلة لاخطار المسلمين والتعجيل باستعدادهم وتحركهم • [(٢)]

اما عن تخطيط المناور ومساحتها وشكلها فان المصادر لاتكاد تذكر عنها شيئا باستثناء مايمكن ان تعكسه اشارة البلاذرى بان تلك المناظر كان بها عدد من الاماكن يتسع لاقامة المرتبين فيها، ويظهر انها كانت على قدر من الارتفاع بحيث تمكن المرتبون فيها من رؤية تحركات العدو عن كثب ،كما يبدو ان هناك مكانا شاهقا مخصصا لايقاد النار او اشارة الدخان ولعله كان فى اعلى المناظر، [(٣)] وهناك اشارات فى المصادر الى بعض المناور التى بنيت على قمم الجبال او فى اماكن مرتفعة فى حدود الدولة الداخلية • [(٤)] فقد اشار ياقوت الى ان الحجاج بن يوسف الثقفى اتخذ المناظر بين واسط وقزوين وذلك بقوله " واتخذ المناظر بينه وبين قزوين

---

(١) البلاذرى – م٠س (١/١٥٢)، المقدسى – احسن التقاسيم (ص ١٧٧)، سعداوى م٠س (ص ١٥٣) •

(٢) العمرى – م٠س (ص ١٩٩)، القلقشندى – م٠س (١٤/٣٩٨) •

(٣) المقدسى – م٠س (ص ١٧٧)، شعيرة – م٠س (ص ٤٢٤) •

(٤) العمرى – م٠س (ص ٢٠٠)، القلقشندى – م٠س (١٤/٣٩٨) •

وكان اذا دخن اهل قزوين دخنت المناظر ان كان نهارا وان كان ليلا اشعلوانيرانا فتجرد الخيل لهم فكانت المناظر متصلة بين قزوين وواسط" (١) .

هذا ومن الملاحظ ان انشاء المناور على الساحل الافريقى قد تأخر عن تلك المناور التى انشئت على الساحل الشامى او التى انشئت فى المشرق الاسلامى على الرغم من ان منارة الاسكندرية قد ادت وظيفة المناور فى فترة من الفترات ذلك بانه كان يوقد فيها النار ليلا، اشار الى ذلك صاحب كتاب الاستبصار فقال " وفى المنارة قوم مرتبون يوقدون النار الليل كله فى الحزام الاول فيؤم اهل السفن تلك النار من جميع البلاد ويوقد صاحب السفينة النار فى سفينته فاذا رأى المحترسون النار فى البحر زادوا فى وقود النار واوقدوها من جهة المدينة فاذا رأى ذلك محترسوا المدينة ضربوا البوقات والاجراس حذرا من العدو" (٢)، وقد ذكرت المصادر ان ابراهيم بن احمد بن الاغلب (٢٦١ - ٢٩٠هـ/٨٧٤ - ٩٠٢م) هو الذى بنى المناور على طول الساحل الافريقى فكان يوقد فيها النار ليلا ويثار فيها الدخان نهارا (٣) فكان الخبر يصل من سبته الى الاسكندرية فى ليلة واحدة ومن طرابلس الى الاسكندرية فى ثلاث او اربع ساعات (٤)، اشار الى ذلك ابن الاثير بقوله " وكان يجلس للعدل فى جامع القيروان يوم الخميس والاثنين

---

(١) ياقوت - معجم البلدان (٣٥٠/٥) .

(٢) مؤلف مجهول - الاستبصار (ص ٩٨) .

(٣) متز - الحضارة الاسلامية (٤٢٢/٢)، حسن ابراهيم - تاريخ الاسلام (٢٧٦/٣)، النظم الاسلامية (ص ٢١٤)، سعداوى - نظام البريد (ص ١٥٣) .

(٤) متز - م.س (٤٢٢/٢)، حسن ابراهيم - تاريخ الاسلام (٢٧٦/٣)، النظم (ص ٢١٤)، سعداوى - م.س (ص ١٥٣) .

ويسمع شكوى الخصوم ويصبر عليهم وينصف بينهم ،وكانت القوافل والتجار يسيرون فى الطرق آمنين وبنى الحصون والمحارس على سواحل البحر حتى كان يوقد النار من سبتة فيصل الخبر الى الاسكندرية فى الليلة الواحدة".(١)

ومن الجدير بالاشارة ان نظام المناور الذى اوجده الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى الساحل الشامى قد استمر فى اداء مهامه حتى القرن الرابع الهجرى ،(٢) حيث اشار المقدسى الى ذلك" ولهذه القصبة - قصبة فلسطين - رباطات على البحر يقع بها النفير وتقلع اليها شلنديات(٣) الروم وشواتيهم معهم اسارى المسلمين للبيع كل ثلاثة بمائة دينار وفى كل رباط قوم يعرفون لسانهم ويذهبون اليهم فى الرسالات ويحملون اليهم اصناف الاطعمة وقد ضج بالنفير لما تراءت مراكبهم فان كان ليل اوقدت منارة ذلك الرباط وان كان نهار دخنوا ومن كل رباط الى القصبة عدة منائر شاهقة قد رتب فيها اقوام فتوقد المنارة التى للرباط ثم التى تليها ثم الاخرى فلايكون ساعة الا وقد انفر بالقصبة وضرب الطبل على المنارة ونودى الى ذلك الرباط وخرج الناس بالسلاح والقوة واجتمع

---

(١) ابن الاثير - الكامل (٥/٦)، الكتانى - التراتيب الادارية (١٩٤/١).

(٢) محمد عبدالهادى شعيرة - الرملة ورباطاتها السبعة فى القرن الرابع الهجرى قبيل الحروب الصليبية نظام دفاع دائرى (مقال نشر فى المجلة التاريخية المصرية العدد الخامس عشر السنة ١٩٦٩م) (ص ٣٩).

(٣) شلنديات مفردها شلندى، وهو مركب حربى مسقف تقاتل الغزاة على ظهره ،وجذافون يجذفون تحتهم ، انظر ابن مماتى - قوانين الدواوين (ص ٣٤٠) (تحقيق عزيز عطية سوريال)،سعادماهر - البحرية فى مصر الاسلامية وآثارها الباقية (ص ٣٥٢) .

احداث الرساتيق ثم يكون الفداء ورباطات هذه الكورة التى يكون بها الفداء غزة ،ميماس ،عسقلان ،ماجوز ازدود،ماحوزيبنا ،يافه ، ارسوف" (١) .

ومن هذا يمكن القول ان المناور الساحلية فى كورة فلسطين وقصبتها الرملة كانت فى غزة وميماس وعسقلان وماحوز ازدود وماحوزيبنا ويافا وارسوف ،ويفترض ان يكون بين مناور هذه الاربطة وبين القصبة عدة مناور كما (٢) اشار المقدسى، غير انه ليس بالامكان تحديد مواضع تلك المناور، هذا ومن الطبيعى ان نشير الى ان المناور الساحلية فى منطقة الشام لم تكن قاصرة على فلسطين، بل انها كانت منتشرة على امتداد المناطق الساحلية ابتداء من الاسكندرونة فى الشمال وحتى ميماس فى اقصى الجنوب وتشمل غزة ميماس وعسقلان وماحوز ازدود ،وماحوز يبنا ،ويافا ،وارسوف وقيسارية ،وعكا ،واسكندرية ،وصور ،وعذنون ،وصيدا ،والجيه ،والناغمة وبيروت ،وجونيه ،وجبيل ،وبترون ،وانفه ،والقلمون ،وطرابلس ،وطرسوس ومراقبة ،وبلنياس ،وجبله ،واللاذقية ،وفاسرة ،والسويدة ،والصخرة والاسكندرية ،وبياس (٣) . وطبيعى ان نتوقع اعدادا اخرى من المناور الداخلية المرتبطة بما ذكرنا آنفا على امتداد الساحل الشامى وهى المناور التى تستلم اشارات الانذار بالتعاون فيما بينها وتسرع بايصالها الى الجهات المسئولة فى الداخل .

---

(١) المقدسى ـ احسن التقاسيم (ص ١٧٧) .

(٢) شعيرة ـ الرملة ورباطاتها السبعة (ص ٤٤) .

(٣) المقدسى ـ م٠س (ص ١٦٠، ١٦٢، ١٦٣، ١٧٤، ١٧٦) ، ابن حوقل ـ صورة الارض ، (ص ١٥٣) ،شعيرة ـ الرملة ورباطاتها السبعة (ص ٤٠ ـ ٤٥) .

اما بالنسبة للمناور التى كانت على الساحل الافريقى فقد استمرت فى اداء مهامها كوسائل انذار مبكر الى القرن الخامس الهجرى اذ بطلت فى سنة ٤٠٤هـ/١٠٤٨م وذلك حينما ثار اهل المغرب على الفاطميين اذ لم يعد فى امكانهم حماية الحصون من هجمات رجال القبائل (١) .

الوسائل المائية فى نقل المعلومات :

من الوسائل المائية ،توجيه الرسائل فى الماء،وقد اشار الجاحظ الى ان المسلمين كانوا قد عرفوا طريقة توجيه الرسائل بالماء،وعد ذلك مزية تميز بها المسلمون عن الفرس والبيزنطيين وذلك بقوله " ولما فخم ابن غطسة عظيم الروم شأن ملكه ثم قال للرسول هل عندكم ماتعارضوننى به قال نعم لملكنا اربعون الف بغل موقوفة على ابلاغ رسائله من واسطة ملكه الى اقطار سلطانه فافحمه يعنى بغال البريد ،قال هذا،وحال البرد على غير هذه الحال ولم يعرفوا توجيه الخرائط فى الماء وعلى ايدى الرجال" (٢) . ويبدو ان المقصود من توجيه الخرائط فى الماء هو استخدام المراكب اذ اشار الحسن بن عبدالله ان من وسائل نقل المعلومات التى استخدمت فى البريد المراكب وذلك فى البلاد التى كانت تغلب عليها الطبيعة المائية . فقد كان يتعين على والى البريد ان يتخذ عددا من المراكب التى تتلاءم مع طبيعة المنطقة،وعادة ماكان يتطلب فى المراكب التى تتخذ لهذا الغرض الخفة مما يهيأ لها السرعة،اذ ورد ذلك فى قوله " واذا كانت البلاد بحرية فليكن لصاحب الخبر مراكب خفيفة سريعة" (٣) .

---

(١) متز – الحضارة (٢/٤٢٢)،حسن ابراهيم – تاريخ الاسلام (٣/٢٧٦)، النظم (ص ٢١٤) .

(٢) الجاحظ – القول فى البغال (ص ٥٩) .

(٣) الحسن بن عبدالله – اثار الاول (ص ٨٨)،محمد بطاينة – تاريخ الحضارة (ص ١٣٧ – ١٣٨)، الجهاز الادارى (ص ١١٤) .

الكـــــلاب :

من وسائل نقل المعلومات التى استخدمت ايضا الكلاب،وذلك بان توضع الرسالة فى رقبة الكلب ويوضع على جادة الطريق فيقصد المكان الذى ارسل اليه او الذى وجه اليه (١) ، ويبدو ان هذا لايتم الا بعد تدريب جيد للكلاب التى قد تستخدم فى هذا المجال ،من اشخاص عرفوا بالكلابين ورد لهم ذكر فى قائمة ضمان الطائى "ارزاق اصحاب الصيد من البازياريين والفهادين والكلابين" (٢). هذا ويبدو ان استخدام الكلاب فى نقل الرسائل كان يجرى فى اوقات طارئة كاوقات الازمات الحادة وحالات الحصار الشديد التى تمنع نفوذ البريد او وصول الرسائل والمعلومات من مكان الى آخر،وربما استخدمت فى اماكن يصعب على الانسان اجتيازها كالجبال وغيرها غير ان عدم وجود معلومات فى المصادر تجعل الخوض فى الامر لايخرج عن الافتراضات المحضة .

---

(١) التنوخى ـ نشوار المحاضرة (٩٥/٧) .

(٢) الصابى ـ الوزراء (ص ٢٤) .

الفصل الثالث

طرق البريد وتنظيمها وأمنها :

- طرق البريد .
- تنظيم الطرق وحمايتها .

طرق البريد فى الدولة الاسلامية :

حاول بعض الباحثين المعاصرين ارجاع تنظيمات البريد واساليبه وطرقه الى جذور يونانية وبيزنطية وفارسية . وقالوا بان العرب لم يكن لهم دور ايجابى فى منشآت الطرق ذكر متز ذلك بقوله " ولم يعمل العرب ايام سيادتهم على تقدم نظام الطرق البرية فى بلاد الشرق لان العرب امة ركوب لاتميل الى تمهيد طرق الجيوش ولا الى اتخاذ المركبات بل لقد بلغ من قلة الفهم للمركبات انهم لما اخذوا الشطرنج عن الهنود لم تعجبهم صورة العربة "راثا" فاستبدلوا بها صورة " الرخ" . وكان التتر اول من اتخذ المركبات بشمال فارس على ان فرقة المشاة الرومانية كانت قد مهدت بعض الطرق فى جزء صغير من بلاد العرب لكن لم يبق من آثارها الا الفاظ قليلة مأخوذة من اللاتينية مثل كلمة " صراط" ومعناها الطريق عند اهل الدين وكلمة " ايتار" التى تستعمل نادرا بمعنى الطريق وهى مأخوذة من اللاتينية "Itar " هذا الى جانب علامات الطرق المسماة " بالاميال" . اما "الايتار الملكى" (الطريق السلطانى) فقد اخذ العرب طريقة انشائه عن الفرس كما اخذوا عنهم هذه التسمية ،ولعل الطرق فى ذلك العهد شأنها شأن طرق اليوم لم تكن الا شبكة من المسالك المطروقة لايربطها نظام ولانسمع عن عناية العرب بتعهد الطرق الا قليلا "(1) . وقد حاول سعداوى تخطيل هذا الرأى الا انه انساق خلف هذه الافكار اذ بين ان " العرب الذين كونوا امبراطورية عظيمة شملت اقطارا فى العالمين

---

(١) متز ــ الحضارة الاسلامية (٢/٤٠٤ ــ ٤٠٥) .

الشرقى والغربى لم يفتهم العناية بطرق المواصلات البرية والبحرية. غير انى لادرى اكانوا فى عنايتهم مقلدين ناقلين عن الفرس والرومان ام ان الضرورة الملحة واتساع رقعة امبراطوريتهم الزمتهم انشاء الطرق لسهولة الاتصال بين الحكومة المركزية والحكومة المحلية ،ام كان الحافز طبيعيا اكمالا لنمو حضارتهم وتمشيا مع نظرية النشوء والارتقاء ويرى البعض ان فرقة المشاة الرومانية قد مهدت بعض الطرق فى جزء صغير من بلاد العرب ،ولكن لم يبق من آثارها الا الفاظ قليلة مأخوذة من اللاتينية مثل كلمة "Via" ومعناها الصراط عند اهل الدين وكلمة " iter " التى تستعمل نادرا بمعنى الطريق هذا الى جانب علامات الطرق المسماة بالاميال . اما الطريق السلطانى فقد اخذ العرب طريقة انشائه عن الفرس كما اخذوا عنهم هذه التسمية ،ولعل طرق ذلك العهد شأن طرق اليوم لم تكن الا شبكة من المسالك المطروقة لايربطها نظام"(١). ومن هذا نجد ان الباحثين قد جانبا الصواب من عدة اوجه الاول منها انهما لم يعيا الحقيقة فى ان اهتمام المسلمين بالطرق وامنها وتنظيماتها نابع من توجيهات الدين الاسلامى الحنيف فى تأمين السبيل ،وما لابن السبيل من حقوق مالية اوجبها الله سبحانه وتعالى له ،فى اموال الغنائم والفىء(٢) ،ومن خلال هذا كان شعور الحكام المسلمين بمسئوليتهم

---

(١) سعداوى ـ نظام البريد (ص ٨٨) .

(٢) قال الله تعالى : " واعلموا انما غنمتم من شىءفان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شىء قدير" الانفال آية (٤١)،وقال تعالى: =

فى ضرورة توفير الامن والرخاء للمسلمين ،وفى تنظيم الطرق فى الدولة وتعبيدها وتسهيلها وايجاد المرافق الضرورية فيها للمسافرين الذين يمرون عليها،وهذا ماتناوله البحث بالدراسة فى المبحث الثانى من هذا الفصل .

اما الثانى منها فان ماذهب اليه متز من ان العرب لم يعملوا على تقدم نظام الطرق فى بلاد الشرق بسبب انهم امة ركوب (١) . فهذا امر غير دقيق وهو ان دل على شئ فانما يدل على الاجحاف والهوى والبعد عن الحقائق التى تعرضها المصادر المختلفة والتى تؤكد على ان من بين اعمال الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه،وضعه لاماكن للاستراحة فى الطريق وذلك لاصلاح حال المنقطعين ونقلهم (٢) . اما خلال العصر الاموى فان المصادر قدمت معلومات غاية فى الاهمية عن الاصلاحات العمرانية واسعة النطاق فى اطار الاهتمام بالطرق والتى بدأت منذ عهد الخليفة معاوية بن ابى سفيان رضى الله عنه حيث قسمت الطرق الى مراحل (٣) ،ثم فى عهد الخليفة مروان بن الحكم حيث صنعت الاميال المروانية (٤) . وفى عهد ابنه الخليفة عبدالملك بن مروان حيث جرى ربط عاصمة الدولة بالاقاليم

= "ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لايكون دولة بين الاغنياء منكم وما اتاكم الرسول فخذوه ،ومانهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب" الحشر آية (٧) .

(١) متز - م.س (٤٠٤/٢) .

(٢) ابن سعد - الطبقات (٢٨٣/٣) .

(٣) ابن طباطبا - الفخرى (ص ١٠٦)، الكتانى - التراتيب الادارية (١٩٢/١) .

(٤) الازرقى - اخبار مكة (١٨٩/٢)، ابن رستة - الاعلاق النفيسة (ص ٥٦) .

المختلفة فى ديار الاسلام بالطرق وحيث تم استعمال الصوى والعلامات [1] الدالة على اتجاه الطريق السليم ،كما جرى تحديد المسافات التى تمتد اليها الطرق والمسالك وتعليم المواضع بلوحات توضيحية للمسافات التى تم قطعها من الطريق والتى بقيت للوصول الى الموضع المطلوب [2] . وفى عهد الخليفة الوليد بن عبدالملك الذى امر بتسهيل الثنايا وحفر الابار فى البلدان ،كما انه قام باصلاح الطرق عامة [3] ،وطريق دمشق ـ مكة بشكل خاص [4] . وفى عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز الذى امر باقامة الخانات فى طريقى خراسان وسمرقند [5] ،وتشير المصادر الى مدى عناية الخليفة هشام بن عبدالملك بطريق مكة ـ دمشق حيث انه امر بان تتخذ القنى والبرك وغير ذلك من الانجازات التى حافظت على كفاءتها حتى فى صدر الدولة العباسية فاستمر استعمالها فى اغلب الاحوال فى عصرى السفاح [6] والمنصور اذ اشارت المصادر الى قصور اقامها الخليفة العباسى الاول ابى العباس السفاح فى جزء من طريق الكوفة ـ مكة فى المسافة

---

(١) احمد رمضان ـ الصوه (ص ٩٣) .

(٢) حسن الباشا ـ المدخل للاثار الاسلامية

(٣) الطبرى ـ تاريخ (٨/٦٦)، AL Rashed, Darb Zubaydah , P. 14

(٤) ابن الفقيه الهمدانى ـ مختصر كتاب البلدان (ص ١٠٦)، ابن الاثير الكامل (٤/١٠٩) .

(٥) ابن سعد ـ الطبقات (٥/٣٤٥) .

(٦) المسعودى ـ مروج الذهب (٣/٢١٧) ، AL Rashed , op , cit ,P. 9

الممتدة بين قادسية الكوفة وزبالة [١] ، كما تتحدث كذلك عن اهتمام ابى جعفر المنصور بطريق الحج العراقى ،ولعل ذلك انعكاسا لادراكه لمدى خطورة اوضاع المنطقة وانعكاساتها على النظرة العامة الى الخلافة العباسية ،وهكذا فانه امر باصلاح طريق الحج وبناء القصور على مسافات متباعدة على امتداده وكذلك تزويده بالمصانع والركايا لتوفير المياه الضرورية للمسافرين [٢] . وقد استمر هذا الاهتمام الرسمى وتدعم فى عصر الخليفة المهدى الذى امر فى سنة ١٦١هـ/ ٧٧٧م ببناء القصور فى طريق مكة بتوسيع قصور السفاح وامر باتخاذ الصهاريج التى تجمع فيها الماء والتى عرفت "بالركايا" [٣] ، وفى عهد الخليفة الرشيد ، بلغ الاهتمام بطريق الجادة اوجه واشتهر باسم زوجته السيدة زبيدة والتى كان لها باع طويل فى تعاهد هذا الطريق [٤] . وفى عهد الخليفة الامين ايضا حيث جرى الاهتمام بمصادر المياه فى الطرق [٥] ،وفى عهد الخليفة هارون الواثق بالله ايضا جرى الاهتمام بمصادر المياه فى الطرق [٦] ،وفى عهد

---

(١) الطبرى – م٠س (٤٦٥/٧)، ابن الاثير – م٠س (٣٣٤/٤)،مؤلف مجهول العيون والحدائق (٢١١/٣)، ابن فهد – اتحاف الورى باخبار ام القرى (١٧١/٢) .

(٢) الطبرى – م٠س (١٣٦/٨)، ابن الاثير – م٠س (٦٠/٥)، ابن فهد – م٠س (٢١١/٢ – ٢١٢) .

(٣) الطبرى – م٠س (١٣٦/٨)، ابن الاثير – م٠س (٦٠/٥)، ابن فهد – م٠س (٢١١/٢ – ٢١٢) .

(٤) صلاح الحلوة وآخرون – مشروع توثيق درب زبيدة (مجلة اطلال العدد ٦ (ص ٣٥) .

(٥) الحربى – المناسك (ص ٤٤٥) .

(٦) ن ٠ م ٠ س (ص ٣٠٠)، السمهودى – وفاء الوفا (١٢٢٣/٤) .

الخليفة المتوكل على الله الذى امر باتخاذ القصور فيما بين سر من راى ودمشق واعداد المنازل واصلاح الطريق (١) . وفى عهد الخليفة المعتضد بالله العباسى الذى اولى اهتماما كبيرا للطرق واتفق على ذلك مبالغ كبيرة فى الوقت الذى كانت فيه خزينة الدولة مرهقة الى درجة كبيرة بسبب ضخامة الانفاق على حرب الزنج من جهة ونتيجة الخراب الذى اصاب الزراعة واثر فى احوال الدولة الاقتصادية مما تطلب العناية والاصلاح (٢) ،فلقد امر المعتضد بالله فى سنة ٢٨٠هـ / ٨٩٣م بتسهيل عقبة حلوان التى كانت عقبة كأداء فى طريق البريد ،اذ كان يلقى الناس منها مشقة عظيمة وقد تكلف ذلك مبلغ عشرين الف دينار (٣) وهو مبلغ ليس بالقليل اذ مالوحظ وضع الميزانية من جهة،وسعر صرف الدينار من جهة ثانية وجزئية ومحدودية العمل مقارنا بالنسبة لجميع متطلبات طرق البريد وخدماته من جهة ثالثة (٤) . انانفاق مثل هذا المبلغ على جزء بسيط من طريق واحد من طرق الدولة الاسلامية يعكس بصورة واقعية مدى اهتمام الخلفاء والادارة الاسلامية بعامة فى الطرق واعمالهم فيها وقد تناول البحث بالدراسة هذا الجانب تفصيلافى المبحث الثانى من هذا الفصل

---

(١) اليعقوبى ـ التاريخ (٢/٤٩١) .

(٢) السامرائى ـ المؤسسات الادارية (ص ٤٣) .

(٣) ابن الجوزى ـ المنتظم (١٤٣/٥) .

(٤) قدر سعر الصرف فى اواخر القرن الرابع الهجرى مابين اربعة عشر درهم الى خمسة عشر درهم للدينار الواحد فعلى اقل الاحتمالات يقدر ذلك بمائتين وثمانين الف درهم ،انظر د. الدورى ـ تاريخ العراق الاقتصادى (ص ٢١٢) .

وهذا يخطل ماذهب اليه متز من ان العرب المسلمين لم يعملوا على تقدم الطرق ايام سيادتهم .

اما الوجه الثالث الذى يدحض ويخطل قول متزفهو انه قد اغفل ان الدولة الاسلامية كانت تأخذ على عاتقها انشاء الطرق وحمايتها وصيانتها، فقد جاء فى بعض عهود الخلفاء (٢) لبعض الخاضعين (١) لسلطة متولى البريد اداريا مايشير الى ان الدولة الاسلامية لم تغفل حتى فترات ضعفها الاهتمام بالطرق وتأمينها لما لذلك من اهمية تنعكس على النواحى الامنية والاقتصادية فى الدولة ،وقد وصلنا من عصر الخليفة المقتدر بالله العباسى وثيقة كاملة تعتبر فريدة من نوعها حتى الان وتحتوى على نقش كتابى محفور على حجر مؤرخ سنة ٣٠٤هـ / ٩١٦م يحتوى على ثلاثة عشر سطرا

---

(١) د. الدورى ــ م.س (ص ١٤٤) .

(٢) نص العهد ورد فى دراستنا لموضوع والى الطريق فى الفصل الاول والعهد من الخليفة المطيع الى ابى تغلب الحمدانى ومن الملاحظ ان استاذنا الدكتور عبدالعزيز الدورى قد اشار الى ان تاريخ العهد هو سنة ٣٦٦هـ ،اعتمادا على ماورد فى الديباجة التى قدمها ناشر النص لاول مرة غير ان هذا التاريخ لايمثل فترة حكم الخليفة لان الخليفة المطيع قد خلع فى سنة ٣٦٣هـ لعلة اصابته وولى ابنه الطائع ،على ان العهد مؤرخ فى يوم الخميس للنصف من ذى الحجة سنة ٣٥٦هـ كما هو واضح فى نهايته ،وهذا مايوافق ماذكره استاذنا الدورى من انه يمثل فترة حكم الخليفة المطيع ،انظر الصابى ــ رسائل (ص ١٢٦ ــ ١٥٠) ، ابن الاثير ــ م.س (٥٣/٧)،يوسف الملوانى ــ تحفة الاحصاب بمن ملك مصر من الملوك والنواب لوحة رقم (٣٢)،زامباور ــ معجم الانساب (ص ٣)،د. الدورى ــ م.س (ص ١٤٤) .

تضمنت امر الخليفة المقتدر بالله العباس بعمارة طريق الجادة الى بيت الله الحرام . ونصه :(١)

(١) بسم الله الرحمن الرحيم

(٢) امر عبدالله

(٣) جعفر الامام المقتدر بالله امير

(٤) المؤمنين اطال الله بقاءه الوزير ابا

(٥) الحسن على بن عيسى ادام الله عز

(٦) ه بعمارة طريق الجادة لحجاج بيت الله

(٧) لما رجا من جزيل ثواب الله و

(٨) جرى على يدى القاضى محمد بن مو

(٩) سى اعزه الله وتولا ذلك

(١٠) ابو احمد بن عبدالعزيز الشيعى(٢)

(١١) ومصعب بن جعفر الزبير

(١٢) ى(٣)

(١٣) فى سنة اربع وثلثمائة سنة .

---

(١) تم العثور على هذا الحجر فى درب زبيدة وهو محفوظ فى متحف ادارة الاثار فى الرياض ـ المملكة العربية السعودية ،وقد سبق وان نشره الراشد ،انظر : AL rashed , op , cit , pp. 26- 28

(٢) لم يقرأها الراشد انظر : AL Rashed , op, cit, p: 26-

(٣) وردت الياء فى سطر مفرد ،وجعلها الراشد ملحقة بكلمة " الزبير" انظر : AL Rashed , op , cit , P. 28

وبالرغم من اغفال المصادر لهذا العمل المهم من الخليفة المقتدر الانه يدعم ماقد ذكره صاحب كتاب النبراس من اهتمام الخليفة المقتدر بالله الكبير بالطرق وخاصة طريق الحرمين ،ومن انه قد بلغ اجمالى نفقاته فى السنة ثلاثمائة وخمسة عشر الف واربعمائة وستة وعشرين دينارا ونصف (١) . فاذا ماقارنا ذلك بنفقات دار الخلافة والتى بلغت مليونين وخمسمائة وثمانية واربعين الفى دينار فى السنة (٢) ،علمنا ضخامة المبلغ الذى كانت الدولة تنفقه على الطرق فى الدولة الاسلامية ،مع ملاحظة انقسطا كبيرا من هذا المبلغ الضخم كان ينفق على طريق واحد هو طريق الحرمين وهو على اهميته الكبيرة واحد من مجموعة كبيرة من شبكة الطرق المتعددة فى الدولة الاسلامية والتى تصلها بالاقاليم المختلفة والاطراف ومما يعكس ماكانت توليه الدولة بتنظيمات الطرق من عناية ورعاية ـ وهو ماتناوله البحث بالدراسة فى المبحث الثانى من هذا الفصل ـ ذلك ان مسئولية جميع الطرق فى الدولة كانت تحت اشراف صاحب البريد كما سبق ان اشرنا اما عن قول متز " بان العرب امة ركوب" (٣) فانه كلام لايجانب الصواب وهو ليس الا دليل على مدى ما اولاه العرب المسلمون

---

(١) ابو الخطاب ذى النسبين ـ كتاب النبراس فى اخبار بنى العباس (ص ١١٢)،من الملاحظ ان هذا المبلغ يقدر باربعة ملايين واربعمائة وخمسة عشر الف وتسعمائة وواحد وسبعين درهم باعتبار ان اسعار الصرف فى عهد الخليفة المقتدر كانت تتراوح مابين ١٤ ـ ١٦ درهما للدينار الواحد ،انظر د.الدورى ـ تاريخ العراق الاقتصادى (ص ٢١٢).

(٢) الصابى ـ الوزراء (ص ٢٧)،قدرت الميزانية على اساس المياومة وكانت نفقتها فى اليوم الواحد سبعة آلاف دينار .

(٣) د.الدورى ـ م.س (ص ١٤٤) .

من اهتمام بالطرق وتأمينها . والا فكيف يكون من الممكن التنقل بين ارجاء الدولة الشاسعة وتأمين حدودها وانتقال البضائع بين اطرافها ومعرفة الخلافة باخبار الاقاليم والاطراف ،هذا بالاضافة الى المعلومات الدقيقة المفصلة التى قدمها الجغرافيون المسلمون- والذين سيلى ذكرهم - عن تلك الشبكة المترابطة والغنية من الطرق والتى تعتبر شاهدا على مدى عناية ودقة المسلمين بتنظيمات الطرق ورعايتها . اما عن قول متز بانه " قد بلغ من قلة الفهم للمركبات انهم لما اخذوا الشطرنج عن الهنود لم تعجبهم صورة العربة " راثا" فاستبدلوا بها صورة " الرخ" "(١) . فانه بعيد عن الناحية العلمية والموضوعية اذ ليس من وجه او مناسبة للربط بين الطرق فى الدولة الاسلاميةورعايتها وبين لعبة الشطرنج .

وقد ارتبط امن الطرق وسلامتها وانفتاحها بالاقتصاد فى الدولة كما كان له كبير الاثر فى التأثير فى اسعار السلع الاستهلاكية زيادة ونقصانا فعلى سبيل المثال بلد كالحجاز تكاد تنعدم فيه الزراعة الا القليل الذى لايسد حاجات السكان اضافة الى الاعداد الكبيرة التى تتوجه اليه من الحجاج والمعتمرين وغيرهم . لابد وان يعتمد على الواردات التى تصل اليه بقوافل تسلك طرقا متعددة ومتنوعة ،وعلى ذلك فان انقطاع هذه الطرق او عرقلتها او ارباكها قد يؤدى الى ازمات اقتصادية خانقة ،وتشير المصادر الى ان قطع الطرق قد يتسبب فى ازمات اقتصادية وامنية على حد سواء فعندما اقدم بنو عقيل فى سنة ٢٥١هـ / ٨٦٥م

---

(١) متز - م.س (٤٠٤/٢) .

على قطع طريق جدة ـ مكة حاربهم والى مكة جعفر بن بشاشات(١) فقتل من اهل مكة مايقرب من ثلاثمائة رجل اضافة الى ذلك فانه قد ادى الى ارتفاع شديد فى اسعار السلع فى مكة كما تسبب عن اغارة الاعراب على القرى.(٢) وهكذا فان قطع مثل هذا الطريق وهو ليس بالطريق الكبير الاهمية ادى الى التأثير على الاسعار كما انه دفع الاعراب الى الاستقتال والفساد والاغارة على القرى • هذا بالاضافة الى المعلومات الدقيقة التى قدمها الجغرافيون المسلمون مثل ابن خرداذبة وقدامة وغيرهما عن تلك الشبكة المترابطة والغنية من الطرق والتى تعتبر شاهدا على مدى دقة المسلمين بتنظيمات الطرق ورعايتها •

اما عن محاولات متز التأكيد على ان نشأة الطرق فى الدولة الاسلامية يعود الى تأثير الحضارتين الرومانية والفارسية ،فان مما لاشك فيه حصول تأثيرات مختلفة واقتباسات حضارية تمثلها المجتمع الجديد وليس فى استفادة المسلمين من الطرق او بعض تنظيماتها مايغض من دورهم كأمة حية متفتحة بعيدة عنمفاهيم التعصب والغلو،وهكذا فانها حينما انساحت قواتها فى اقطار الدنيا تنشر الاسلام وتوسس الدولة

---

(١) جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى العباسى المعروف ببشاشات ،كان اميرا على مكة فى سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤م ،حارب بنو عقيل ،وهرب من مكة فى سنة ٢٥١هـ/٨٦٥م وذلك عندما ظهر بها اسماعيل بن يوسف العلوى انظر الفاسى ـ العقد الثمين (٣/٤٢٧) •

(٢) الطبرى ـ تاريخ (٣٤٦/٩)، ابن الاثير ـ الكامل (٣٣٠/٥)، الفاسى م٠س (٣/٤٢٧) •

ووجدت الطرق القديمة القائمة فانها لم تجد مايمنع من استخدامها وتطويرها وصيانتها وحمايتها، اما القول بوجود بعض الالفاظ الاعجمية فى المصطلحات الاسلامية الادارية فهذا امر معترف به وهو دليل ايجابى على حيوية الامة وقدرتها على الاستيعاب والتمثيل والابداع . وليس فى ذلك مايمسخ او يلغى دور الامة الايجابى والاضافات الجادة التى قدمتها والتى ستكون موضوع دراستنا فى المبحث الثانى من هذا الفصل،غير ان ذلك فى مجموعه اقل من ان يؤثر على الاعتراف بفضل العرب المسلمين وبالنقلة الهائلة التى عاشتها الطرق كما ونوعا تحت الحكم الاسلامى وهو امر يكشف القصور الكبير لدى بعض الباحثين عند محاولتهم هضم فضل الامة الاسلامية ونسبة ذلك الى الرومان او الفرس او غيرهم ،والغريب ان متز قد ذهب الى ابعد من انكارفضل العرب المسلمين على العالم فى هذا الاطار اذ قرر بانه لم يكن للعرب طرق منظمة كما سبق وان اشرت ،ضاربا الصفح عن طرق وسط آسيا والخليج العربى التى اشتهرت بسبب دورها فى نقل المنتجات الشرقية كالتوابل والمجوهرات والعقاقير الطبية الى اوروبا فى حين تشير الحقائق التاريخية الى انطرق البريد التى انشأتها الدولة الاسلامية كانت هى الوسيلة الوحيدة لنقل مثل هذه التجارة من اقاصى جنوب وشرق آسيا الى البلاد الاوروبية (١) . مما يمكن ان يتخذ دليلا على عناية المسلمين بالطرق البريدية ودقة تنظيماتها فى الدولة ،كما يعكس مدى يقظة رجال ديوان البريد واشرافهم المباشر والمستديم على تلك الطرق وصيانتها وحراستها (٢) ،ويكفى دليلا على ذلك

---

(١) سعداوى ـ نظام البريد (ص ٨٨ ـ ٨٩) .

(٢) ن . م . س (ص ٨٩) .

ماوصفت به الادارة الاسلامية فى عصورها المتأخرة من اهتمام كبير بطرق المواصلات وتعمير الجسور وانشاء الطرق واقامة نقاط الحراسة الدائمة للمحافظة على القوافل والسابلة وخصوصا فى ايام الشتاء حيث تكثر الثلوج والامطار فلقد كانت الطرق مقسمة وكانت مسئولية امن وحماية كل جزء على عاتق عدد معلوم من الحراس الذين كانوا يتحملون المسئولية عن كل جمل او فرس او غيره مما يسرق من القوافل التى تمر فى الطريق الذى يقع تحت اشرافهم ومسئوليتهم (١)، مع ملاحظة ان هذا الوصف كان فى عصر ضعف الدولة الاسلامية واختص بادارة الدولة فى عصر تيمور لنك الذى اعقب الهجمة التتارية الدموية التى اجتاحت المشرق الاسلامى فى عصر هولاكو حيث ان البون شاسع والفرق كبير جدا بين وضع الدولة الاسلامية فى تلك المرحلة واوضاعها فى عصر الخلافة الاسلامية وبخاصة العصور العباسية ،حيث تضمنت ميزانية الدولة النفقات التى جرى صرفها على شق الطرق وادامتها وتيسيرها بازالة العقبات واقامة الجسور والقناطر واقامة اماكن الراحة واستبدال الخيل وغير ذلك مما قد افاضت المصادر فيه من اعمال الدولة بالنسبة للطرق والتى تناولها البحث بالدراسة فى المبحث الثانى من هذا الفصل . وماكان لتلك الطرق من اثر فى امن واستقرار واقتصاد الدولة والمجتمع الاسلاميين ،فلا غرو ان نجد ان كتاب الادارة قد اعتبروا ديوان البريد والسكك والطرق من بين المؤسسات ذات الاهمية الخاصة فى الدولة ،كما ان احدا لايستطيع ان ينكر ماقدمته المصادر من معلومات تعكس مدى عناية الدولة ورعايتها وانفاقها لهذه

---

(١) سعداوى ـ م.س (ص ٨٩) .

المؤسسة [1] ،وعلى كل حال فان من الاجحاف المقارنة بين ماوصلت اليه الدولة في مرحلة الغزو التتاري الذي خرب بغداد ودمرها واسقط الخلافة العباسية وازال وجودها وبين ماكانت عليه المؤسسات المختلفة في الدولة الاسلامية قبل ذلك وخصوصا يوم ان كانت بغداد حاضرة الدنيا [2] متمتعة بالموقع الجغرافي الممتاز من جميع النواحي السياسية والاقتصادية والعمرانية [3] ٠

اما عن قول سعداوي بان " العرب الذين كونوا امبراطورية عظيمة" فانه يخالف ماكان عليه واقع الدولة الاسلامية التي قامت على اساس الخلافة ولم تقم على اساس الاستعمار الاقتصادي كما هو الحال في مفهوم الامبراطورية ،اما عن ذكره بعدم درايته عن ان المسلمين " كانوا في عنايتهم مقلدين وناقلين عن الفرس والرومان ام ان الضرورة الملحة واتساع رقعة امبراطوريتهم" فانه في جزء منه لم يجانب الصواب ذلك انه لم يستفد من النصوص التي كانت بين يديه استفادة كاملة حول اعمال الخلفاء الراشدين في الطرق وتوفيرهم لمصادر المياه والامن وغيرها من الامور التي تدل على عظيم عنايتهم وكذلك حرص الخلفاء الذين تتابعوا على الدولة الاسلامية في العصرين الاموي والعباسي ،اما الجزء الاخر من قوله فلعله كان احد الاسباب التي ادت بالخلفاء الاهتمام بالطرق ٠ اما عن قوله " ام كان الحافز طبيعيا اكمالا لنمو حضارتهم وتمشيا مع نظرية النشوء والارتقاء " فانه قد توهم في هذا القول فان نظرية

---

(١) ضيف الله الزهراني ـ النفقات (ص ٤١٨) ٠

(٢) سعداوي ـ م٠س (ص ٨٩) ٠

(٣) ن ٠ م ٠ س (ص ٨٩) ٠

النشوء والارتقاء الذى قال بها دارون وافترى فيها وذكر عملية التطور وهى بان الحياة سارت فى سلسلة طويلة من الرقى التدريجى بدأت بالكائن الوحيد الخلية وانتهت بالانسان ،فانها مخالفة ليس فقط للفكر الاسلامى بل ايضا لكل الديانات السماوية والكتب المنزلة اذ انها تنكر خلق الله سبحانه وتعالى لآدم عليه السلام • وهذا امرمرفوض قطعيا،واضافة الى ذلك فان نظرية دارون نظرية عقيمة ظهر خطلها ورفضت الا من بعض الملاحدة (١) ويبدو ان سعداوى لم يفهم مضمون تلك النظرية ،وانه ذهب الى ان التطور فى العناية بالطرق واتساعها وتنظيمها كان بحسب تلك النظرية •

---

(١) محمد قطب ـ مذاهب فكرية معاصرة (دار الشروق ،جدة ١٤٠٣هـ) (ص ٩٤) ، النظرية التى زعمها دارون كانت على النحو التالى : " كائن وحيد الخلية "كالاميبا" ـ فطريات متعددة الخلايا ـ نبات يشبه الحيوان حيوان يشبه النبات ـ حيوانات لافقارية ـ حيوانات فقارية دنيا ـ حيوانات فقارية ارقى ـ الثدييات العليا ـ القردة الدنيا ـ القردة العليا ـ الحلقة المفقودة ـ الانسان" •

انظر ن • م • س (ص ٩٤) •

لقد فصل الجغرافيون المسلمون فى الحديث عن طرق البريد فى الدولة الاسلامية تفصيلا يدل على اتساع الافق لديهم كما يدل على الدقة المتناهية التى كانت سائدة فى اعمال هذا الديوان فقد اورد قدامة فى حديثه عن الشروط التى يجب توفرها انه " لاغنى لصاحب هذا الديوان عن ان يكون معه علم منه لايحتاج فى الرجوع فيه الى غيره ،وما ان سأله الخليفة عنه فى وقت الحاجة الى شخوصه وانفاذ جيش يهمه امره وغير ذلك مما تدعو الضرورة الى علم الطرق بسببه وجده عتيدا عنده مضبوطا قبله " (١) ،وهكذا فبالاضافة الى ضرورة معرفة متولى الديوان الدقيقة لطرق البريد فلابد من معرفته للتفصيلات الجغرافية المختلفة لاقاليم الدولة الاسلامية بشكل دقيق ايضا ،وقد كان هذا التفصيل على محاور متعددة كانت العاصمة تشكل ابرز واهم تشكيلاته ،فمنذ ان كانت مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم عاصمة الدولة فانها كانت المركز الذى تفرعت منه شبكة الطرق البريدية فلقد كان البريد متواصلا من المدينة المنورة منذ اواخر عهد الخليفة ابى بكر الصديق واوائل عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهم مع مواقع الفتوحات الاسلامية (٢) ،ولقد استمر ذلك حتى سنة ٣٦هـ/٦٥٦م (٣) حين انتقلت العاصمة الى الكوفة فى عهد الخليفة على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه وبذلك اصبحت المحور الاساسى بانتقال مركز الدولة اليها وقد استمر ذلك حتى سنة ٤٢هـ/٦٦٢م وهو عام الجماعة حيث وحدت الدولة

---

(١) قدامة - الخراج (ص ٢٤٨) .

(٢) الطبرى - تاريخ (٣٤/٤ - ٣٥) ،ابن الاثير - الكامل (٥/ ٢٨٢ - ٢٨٣) ، ابن كثير - البداية والنهاية (١٢/٧) .

(٣) الطبرى - م.س (٨٣/٦) ،السيوطى - تاريخ الخلفاء (ص ٢٧٨) .

الاسلامية تحت خلافة معاوية بن ابى سفيان رضى الله تعالى عنه فاصبحت دمشق هى المحور الاساسى فى ذلك العصر (١) ،ولعبت كل من الكوفة والبصرة والفسطاط دورا بارزا بجانب العاصمة حيث كانت ابرز المحاور الاقليمية (٢) . وقد استمر الوضع كذلك حتى قيام الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م (٣) ونزول السفاح الكوفة ثم الهاشمية (٤) ،ثم الحيرة ،ثم الانبار التى اتخذها عاصمة للدولة فى سنة ١٣٤هـ/٧٥١م بدلا من الحيرة (٥) ، واستمر الوضع كذلك حتى انتقل الخليفة المنصور الى مدينة السلام بعد سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م (٦) ، حيث استقرت الامور فاصبحت هذه المدينة عاصمة الخلافة العباسية التى لاتنازع وغدت مركزا اساسيا التقت عنده خمسة طرق اساسية نافذة الى اطراف اراضى الخلافة الاسلامية المختلفة ،فلقد خرج منها طريق باتجاه شرقى الى بلاد فارس وخراسان وبلاد ماوراء النهر ،وطريق شمالى الى الموصل وبلاد الجزيرة وتلك النواحى ،وطريق غربى الى مدينة الرقة ومنها الى الشام فمصر وافريقيا ،وطريق جنوبى ـ غربى الى الكوفة ومنها الى الجزيرة العربية ،وطريق جنوبى الى البصرة والخليج ،والاهواز وبلاد الهند (٧) . وبعد ذلك بدأت العواصم الاقليمية تلعب دورا بارزا فى

---

(١) نعمان قسطلى ـ الروضة الغناء فى دمشق الفيحاء (ص ٢٧ ـ ٢٨) .

(٢) محمد الخضرى ـ محاضرات فى تاريخ الامم الاسلامية (ص ١٦١) .

(٣) ابن اعثم الكوفى ـ الفتوح (١٩٠/٨)، ابن طباطبا ـ الفخرى (ص ١٥١) ، السيوطى ـ م.س (ص ٤١٠) .

(٤) ابن الاثير ـ م.س (٣٢٦/٤) .

(٥) ن . م . س (٣٤٤/٤) .

(٦) الطبرى ـ م.س (٢٣٨/٩)، ابن الاثير ـ م.س (١٤/٥) .

(٧) د. الدورى ـ تاريخ العراق الاقتصادى (ص ٤٢) .

الادارة فاصبحت هى الاخرى محاور تلتقى عندها الطرق الاقليمية ،ويأتى فى مقدمة هذه المراكز " مكة المكرمة " التى لعبت على الدوام دورها البارز كعاصمة مقدسة للمسلمين لذلك فان اغلب المصادر الجغرافية قد فصلت فى الطرق المرتبطة بها والموصلة اليها سواء كان ذلك من العراق ،او اليمن ،او عمان او البحرين او بلاد الشام او مصر او غير هذه البلدان مما يرتبط بها من الامصار والاقاليم ،وتأتى مدينة "دمشق" فى الدرجة التالية حيث تتفرع منها شبكة الطرق البريدية المختلفة الى مدن بلاد الشام الساحلية والداخلية والى فلسطين والحجاز ومصر وكذلك الطرق المتجهة نحو الثغور الشمالية على حدود الدولة الاسلامية المواجهة للعدو البيزنطى ،ثم يأتى بعد ذلك مركز " الفسطاط" ومايتفرع منها من طرق الى افريقيا وبلاد المغرب والى ناحية الجنوب الى الصعيد وبلاد السودان والنوبة والبجة وكذلك الطرق التى تربطها ببقية طرق البريد والحج فى الدولة الاسلامية ،وسيبدأ البحث فى تتبع هذه الطرق بحسب اهميتها السياسية فى الدولة الاسلامية فى مرحلة استقرارها خلال العصر العباسى الاول على ضوء المعلومات المتوفرة عنها فى المصادر الجغرافية والتى استقى بعض مؤلفيها معلوماتهم من خبراتهم الادارية التطبيقية حيث عملوا فى هذا المجال ،ولعل اهم وابرز من قدم معلومات متوفرة عن هذا الاطار من الجغرافيين المسلمين ابو القاسم عبيدالله بن عبدالله بن خرداذبة (١) الذى ينتسب الى اسرة فارسية ،فلقد

---

(١) ابن النديم - الفهرست (ص ٢١٢)، اسماعيل البغدادى - هدية العارفين (٦٤٥/٥)، بروكلمان - تاريخ الاد ب العربى (٢٣٤/٤)، كراتشكوفسكى تاريخ الادب الجغرافى (١٥٥/١)، حميدة - اعلام الجغرافيين (ص ٩٠)، خصباك - التراث الجغرافى (ص ٢١)، يسرى الجوهرى - الفكر الجغرافى (ص٨٦).

كان جده خرداذبة مجوسيا ،ثم اعتنق الاسلام على يد البرامكةوان كانت المعلومات التي لدينا قليلة لاتكفى لتكوين صورة واضحة عنه وعن مدى علاقته بالبرامكة وما اذا كان قد لعب دورا بارزا فى الادارة فى عهدهم . وكان والده حاكما على طبرستان جنوبى بحر قزوين فى سنة ٢٠١هـ/٨١٦م (١) ،وقد اشتهر بسبب نجاحه فى اخضاع بعض مناطق الديلم التي لم تكن قد دخلت ضمن اراضى الخلافة العباسية حتى زمانه (٢) . اشار الطبرى الى ذلك بقوله " وفى هذه السنة افتتح عبدالله بن خرداذبة وهو والى طبرستان اللاز ر والشيرز من بلاد الديلم وزادهما فى بلاد الاسلام وافتتح جبال طبرستان وانزل شهريار بن شروين عنها . واشخص مازيار بن قارن الى المأمون واسر ابا ليلى ملك الديلم بغير عهد فى هذه السنة" (٣) . ان المعلومات التي وصلتنا عن والده قليلة غير انها تتضمن اضافة الى ماتقدم نجاحه فى تربية ولده عبيدالله وتوفير ثقافة متنوعة له اهلته فيما بعد ان يكون من ندماء الخليفة المعتمد (٤) ،فقد ذكر ابن النديم انه نادم الخليفة المعتمد وخص به (٥) ،ويبدو انه كان لوالده الفضل فى دراسته بعض

---

(١) بروكلمان ـ م.س (٢٣٤/٤)،كراتشكوفسكى ـ م.س (٥٥/١)، احمد رمضان الرحلة (ص ٥٥) .

(٢) كراتشكوفسكى ـ م.س (١٥٥/١)،حميدة ـ م.س (ص ٩٠) .

(٣) الطبرى ـ تاريخ (٥٥٦/٨)،كراتشكوفسكى ـ م.س (١٥٥/١)،حميدة ـ م.س (ص ٩٠) .

(٤) الخليفة المعتمد على الله العباسى تولى الخلافة سنة ٢٥٦هـ،وتوفى سنة ٢٧٩هـ ، انظر ابن النديم ـ الفهرست (ص ٢١٢)، القرمانى ـ اخبار الدول (ص ١٦٣ ـ ١٦٤) .

(٥) ابن النديم ـ م.س (ص ٢١٢)، البغدادى ـ م.س (٦٤٥/٥) .

العلوم وعلى الاخص الموسيقى اذ جعله يتتلمذ فترة من الزمن على يد اسحاق الموصلى (ت ٢٣٥هـ/٨٤٩م)(١)،وهكذا فقد تهيأ لعبيد الله بن عبدالله ابن خرداذبة ثقافة جعلته كفئا لتولى احد المناصب المهمة والحساسة فى احد اقاليم الدولة العباسية اذ شغل منصب صاحب " البريد والخبر" فى اقليم الجبال(٢)،ويبدو ان عمل ابن خرداذبة فى البريد لم يقتصر على توليه البريد فى هذه الولاية الواسعة،اذ يبدو ان نجاحه فى عمله قد هيأ له فرصة الانتقال الى العاصمة ليعمل فى ديوان البريد المركزى فى سر من راى فيما بين سنتى ٢٣٠ – ٢٣٤هـ / ٨٤٤ – ٨٤٨م(٣)،ومن الواضح ان ثقافته الواسعة والمتنوعة وخبراته العملية الغزيرة قد مكنت له

---

(١) بروكلمان – م٠س (٢٣٤/٤) ٠

(٢) ابن النديم – م٠س (ص ٢١٢)،بروكلمان – م٠س (٢٣٤/٤)،كراتشكوفسكى م٠س (١٥٦/١)،حميدة – م٠س (ص ٩٠)،علوى – الجغرافية العربية (ص ٦٢)،اقليم الجبال اشتمل على رقعة كبيرة من اراضى الدولة الاسلامية الجبلية تشتمل عددا كبيرا من المدن فقد حدد كل من الاصطخرى وابن حوقل الاقليم انه يشتمل على ماه البصرة وهى نهاوند وهمذان وقم ،وماه الكوفة وهى الدينور،ومايتصل بهما مما يدخل فى اضعافها ،فحدها الشرقى مفازة خراسان وفارس واصبهان وشرقى خوزستان وحدها الغربى اذربيجان ،والشمالى بلاد الديلم وقزوين والرى ،وحدها الجنوبى العراق وبعض خوزستان ، انظر الاصطخرى المسالك (ص ١١٥)،الاقاليم (ص ٨٥)،ابن حوقل – صورة الارض (ص ٣٠٤) ، بروكلمان – م٠س (٢٣٤/٤)،حميدة – م٠س (ص ٩٠) ٠

(٣) بروكلمان – م٠س (٢٣٤/٤)،من الملاحظ ان علوى قد اشار الى ان ابن خرداذبة قد تولى فى نفس هذا التاريخ ولاية البريد فى اقليم الجبال انظر الجغرافية العربية (ص ٦٢) ،ومن الملاحظ ايضا ان حميدة اشار بانه تولى رئاسة ديوان البريد فى بغداد وسر من راى ولم يورد =

الفرصة ليصبح واحدا من ابرز المتخصصين • وذلك ماعناه المسعودى فى قوله " وعبيد الله بن عبدالله بن خرداذبة فانه كان اماما فى التأليف متبرعا فى ملاحة التصنيف اتبعه من يعتمد واخذ منه ،ووطىء على عقبه وقفا اثره ،واذا اردت ان تعلم صحة ذلك فانظر الى كتابه الكبير فى التاريخ فانه اجمع هذه الكتب جدا وابرعها نظما واكثرها علما واحوى لاخبار الامم وملوكهم وسيرها من الاعاجم وغيرها ومن كتبه النفيسة كتابه " المسالك والممالك" وغير ذلك مما اذا طلبته وجدت واذا تفقدته حمدته" (١) • ومن هذا نجد ان ابن خرداذبة واحدا من كبار علماء عصره المعتمدين • فان من المتوقع ان يترقى فى المناصب الادارية فى الدولة كما ان اختصاص الخليفة المعتمد على الله به امر يرجح القول بتوليه مسئولية كبيرة فى ديوان البريد العاصمة ذلك انه يفترض فيمن يتولى

= مصادر معلوماته المهمة ،وكذلك فعل خصباك ،بينما ذكر بروكلمان انه كان يكتب فى ديوان البريد المركزى فى سامراء، الا اننا لانجد هذه المعلومات فى المصادر التى ترجمت لابن خرداذبة اذ لم يورد المسعودى ولاغيره اذ لانجد من خلال كلام المسعودى بانه قد تولى رئاسة ديوان البريد المركزى ،ويلاحظ ان ماذكره حميده وخصباك وسكوت المصادر عنه امر يثير الانتباه اذ انه من المحتمل ان يكون قد تولى ديوان البريد،لما ورد عن توليه البريد والخبر بنواحى اقليم الجبال ،ومن خلال ماذكر عن علمه وبراعته فى التأليف ،كذا صلته بالخليفة المعتمد التى قد تكون مترتبة على ماوصل اليه من العلم انظر ابن النديم – م٠س (ص ٢١٢)، البغدادى – م٠س (٦٤٥/٥) ،بروكلمان م٠س (٢٣٤/٤) ،كراتشكوفسكى – م٠س (١٥٦/١) ،حميدة – م٠س (ص ٩٠) ،خصباك م٠س (ص ٢١) •

(١) المسعودى – <u>مروج الذهب</u> (١٤/١) ،زونتال – <u>علم التاريخ</u> (ص ٦٩١) •

البريد ان يكون ثقة فى نفسه او عند الخليفة القائم بالامر (١) . وهذا ماينطبق على حال ابن خرداذبة فى نفسه وعلى علاقته بالخليفة المعتمد على الله وهذا يرجح ماتناقله بعض الباحثين المعاصرين من انه قد شغل منصب صاحب البريد فى العاصمة ،ولاشك فى ان الوظائف التى شغلها ابن خرداذبة والمكانة العالية التى تبوأها لدى الخليفة المعتمد على الله قد مكنته من الاطلاع على وثائق رسمية (٢) استفاد منها فى مؤلفاته المتعددة التى لم يصلنا منها باستثناء كتابه " المسالك والممالك" والقليل المنشور من مقتطفات منها من القرن الماض ،سوى اسمائها . اما كتاب "المسالك والممالك" الذى وصفه المسعودى بانه " من الكتب النفيسة" (٣) فلاشك فى ان المعلومات التى تضمنها تمثل ماكان لدى الاداريين المسلمين فى عصره من معلومات رسمية عن الطرق ومراحلها ومحطات البريد والسكك اضافة الى معلومات اضافية عن جباية الاقاليم (٤) . ذلك ان مؤلف الكتاب كان موظفا فى الادارة الاسلامية . كان يتولى شئون البريد وكان على اطلاع واسع على طبيعة العمل فيه كما انه تهيأ له الاطلاع على الكثير من المعلومات والوثائق الرسمية عن اقاليم الدولة الاسلامية انعكست على ماقدمه فى كتابه من معلومات ،وعليه فان كتاب "المسالك والممالك" لابن خرداذبة يعبر عن ماكان موجودا بالفعل فى سجلات ديوان البريد المركزى من معلومات مفصلة عن الطرق ومراكز البريد وديوان البريد

---

(١) قدامة ــ الخراج (ص ٢٤٨) .

(٢) كراتشكوفسكى ــ م.س (١/١٥٥) ،خصباك ــ م.س (ص ٢١) .

(٣) المسعودى ــ م.س (١/١٤) ،روزنتال ــ م.س (ص ٦٩١ ــ ٦٩٢) .

(٤) بروكلمان ــ م.س (٤/٢٣٤) .

وسير العمل فيه وهو لذلك تأليفا اصيلا ومبتكرا مبنيا على تجربة وخبرة شخصية كانت نتاج هذه الخبرة العملية.(١) ومن المرجح ان يكون ابن خرداذبة قد كتب كتابه القيم " المسالك والممالك" فيما بين سنتى ٢٣٢ - ٢٧٢هـ / ٨٤٦ - ٨٨٥م (٢) ، مستفيدا من عدد كبير من الوثائق الرسمية فى الدولة الاسلامية (٣) . ولعل ماتقدم يوضح مدى اصالة واهمية المعلومات التى تضمنها الكتاب ويكشف كذلك عن الدوافع التى كانت وراء اعتماد العديد من الجغرافيين الذين جاءوا بعده كاليعقوبى وابن رستة والجيهانى وابن حوقل والمسعودى (٤) ، على المعلومات التى قدمها ابن خرداذبة وثقتهم الكبيرة به . وتأتى المعلومات التى يقدمها اليعقوبى فى مجال البريد وطرقه وسككه بالدرجة التالية فى الاهمية بعد معلومات ابن خرداذبة واليعقوبى هو ابى العباس احمد بن يعقوب بن وهب بن واضح بن عبدالله المنصورى الخصى (٥) اليعقوبى (٦) ،مولى بنى هاشم المتوفى سنة ٢٨٤هـ / ٨٩٧م (٧) ، اما عن جده واضح فقد اوردت المصادر بانه كان مولى

---

(١) سوسة - الشريف الادريسى فى الجغرافية العربية (٦٩/١) .

(٢) يسرى الجوهرى - م.س (ص ٨٦) .

(٣) بروكلمان - م.س (٢٣٤/٤) .

(٤) كراتشكوفسكى - م.س (١٥٨/١) .

(٥) ياقوت - معجم الادباء (١٥٣/٥ - ١٥٤) ،بروكلمان - م.س (٢٣٦/٤) ، كراتشكوفسكى - م.س (١٥٨/١) ، الزركلى - الاعلام (٩٥/١) ،ياسين الجعفرى - اليعقوبى المؤرخ والجغرافى (ص ١٩ - ٢٢) ،حميدة - م.س (ص ١٤٥) ،خصباك - م.س (ص ٩) ،محمد السلمى - منهج كتابة التاريخ (ص ٣٧٥) .

(٦) الجعفرى - م.س (ص ٢٠) .

(٧) ياقوت - م.س (١٥٤/٥) ، السلمى - م.س (ص ٣٧٥) .

لابى جعفر المنصور ،وبان صلاته الوثيقة بالمنصور والاسرة العباسية[(١)] قد مكنته من الوصول الى ولاية ارمينية واذربيجان[(٢)] • وان الخليفة المهدى محمد بن ابى جعفر قد ولاه على خراج مصر وصلاتها سنة ١٦٢هـ / ٧٧٨م غير انه عزله بعد اربعة اشهر اشار ابن تغرى بردى الى ذلك بقوله " ولما ولى امرة مصر شد على اهلها فشكوا منه فعزله المهدى عنهم فى شهر رمضان من سنة اثنتين وستين ومائة بمنصور بن يزيد فكانت ولاية واضح نحو اربعة اشهر"[(٣)] • هذا وبعد عزله عن امرة مصر ولاه الخليفة المهدى على البريد بها وقد استمر يشغل هذا المنصب الى سنة ١٦٩هـ / ٧٨٦م حين افلت ادريس بن عبدالله بن الحسن بن ابى طالب من وقعة فخ فى الحجاز وهرب الى مصر ،ويبدو ان واضحا ،وقد كان ميالا للعلويين قد علم بمكانه فاتصل به وحمله سرا الى ارض المغرب على دواب البريد ،والراجح ان ذلك قد بقى سرا الى سنة ١٧٢هـ / ٧٨٨م حين علم الخليفة هارون الرشيد بالامر فامر بضرب عنقه وبصلبه بعد ذلك[(٤)] • اما عن والد اليعقوبى فيكاد الغموض يكتنف اخباره اذ لانجد له ذكر فى المصادر التى بين ايدينا

---

(١) مؤلف مجهول – تاريخ الخلفاء – مخطوط ورقة (١١٦) ،مصطفى الصفوى صفوة الزمان فيمن مصر من امير او سلطان – مخطوط ورقة (٨ ب) •

(٢) ابن تغرى بردى – النجوم الزاهرة (٤٠/٢) ،بروكلمان – م٠س (٢٣٦/٤) ، كراتشكوفسكى – م٠س (١٥٨/١) ،حميدة – م٠س (ص ١٤٥) •

(٣) ابن تغرى بردى – م٠س (٤٠/٢) ،مصطفى الصفوى – م٠س ورقة (٨ ب) •

(٤) ابن الفقيه الهمدانى – مختصر كتاب البلدان (ص ٨١) ،ياقوت – معجم البلدان (٣٨٤/٥) ، ابن تغرى بردى – النجوم (٤١/٢) •

وقد ذكر بعض المؤلفين المحدثين بان جد اليعقوبى ووالده كانوا من كبار عمال البريد ايضا دون الاشارة الى مصادر معلوماتهم . والواقع انه لايعرف من العبارة التى ذكرها كراتشكوفسكى من المقصود من اجداد المؤلف اليعقوبى ،هل هو جعفر ؟ ام يعقوب ؟ ام وهب ؟ وبالرغم من عدم توثيق المعلومات المذكورة الا ان هذا القول مستبعد خاصة اذا ما اخذنا فىالاعتبار تلك السابقة التى حصلت من والده واضح ،كذلك اذا ماعرف ان ميول التشيع العلوى استمر واضحا بين افراد هذه الاسرة الى عهد اليعقوبى نفسه (٢) . وعلى اى حال فاذا صح هذا القول فان ذلك يكون دليلا على اهمية المعلومات التى يقدمها اليعقوبى اذ تصبح شبه رسمية ذلك انه لابد ان يكون قد اطلع على الوثائق والمعلومات المتوفرة لدى ديوان البريد بحكم منصب والده ، اضف الى ذلك فان اعتماد اليعقوبى على كتاب ابن خرداذبة ،كما اسلفنا فى تأليفه لكتاب البلدان (٣) ،يعطى بدون شك اهمية كبيرة لما ورد فى كتاب " المسالك والممالك" من معلومات وقد يعنى ذلك تطابق معلومات ابن خرداذبة مع ما اطلع عليه اليعقوبى فى سجلات ديوان البريد والخاصة بالطرق ،وبالتالى يمكن ان يؤخذ دليلا على ترجيح ماسبق ذكره من ان ابن خرداذبة قد تولى ديوان البريد المركزى فى كل من مدينة بغداد وسامراء .

وتأتى بعد ذلك المعلومات التى وفرها لنا الحربى ،وهو ابراهيم بن

---

(١) كراتشكوفسكى ــ م.س (١٥٨/١) ،حميدة ــ م.س (ص ١٤٥) .

(٢) بروكلمان ــ م.س (٢٣٦/٤) ،كراتشكوفسكى ــ م.س (١٥٨/١) ،حميدة ــ م.س (ص ١٤٥) .

(٣) كراتشكوفسكى ــ م.س (١٥٨/١) .

اسحاق بن بشير بن عبدالله بن ديسم ابو اسحاق الحربى (١٩٨ - ٢٨٥ هـ / ٨١٣ - ٨٩٨م) واصله من مرو ، اما نسبته فتعود كما ذكر الخطيب البغدادى الى انه قد "صحب قوما من الكرخ على الحديث وعندهم ان ماجاوز قنطرة العتيقة يعد من الحربية فسموه الحربى" (١) . وقد كان الحربى رحمه الله اماما فى العلم رأسا فى الزهد عارفا بالفقه بصيرا بالاحكام حافظا للحديث مميزا لعلله قيما بالادب جماعا للغة صنف كتبا كثيرة بلغت سبعة عشر مؤلفا (٢) ،والذى يعنينا منها هنا هو كتابه الموسوم بكتاب "المناسك واماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة" (٣) ،والذى تحدث فيه عن

---

(١) الخطيب البغدادى - تاريخ بغداد (٢٧/٦ - ٤٠)،ياقوت - معجم الادباء (١١٢/١ - ١٢٩) .

(٢) الحربى - مقدمة المحقق (ص ٢٢١ - ٢٣٨) .

(٣) لم يعد هناك شك من نسبة الكتاب المذكور لابراهيم الحربى رغم وجود بعض الاختلافات التى توحى بعكس ذلك فقد نقل البكرى عن الحربى فى حمى ضريه قوله " روى الحربى عن طريق معتمر بن عاصم عن الحسن قال خلق جؤجؤ ادم من كثيب ضريه فى حين ورد ذلك فى كتاب الحربى "حدث عاصم بن سليمان عن ابى قلابة قال خلق آدم من نقا ضريه او من كثيب ضريه" دون ذكر لمعتمر فى الاسناد مع اختلاف فى النص قد وقع وقد اشار الشيخ حمد الجاسر الى ان هذا النص منسوب الى ابى على الهجرى اعتمادا على ماذكره السمهودى ،وبعد التدقيق تبين وجود اختلاف واضح بين نص البكرى ،وماورد فى كتاب وفاء الوفاء للسمهودى ولمعلومات اوفى انظر الحربى - المناسك (ص ٢٦٤)، البكرى - معجم ما استعجم (٥٢٤/٢)، (٨٦٠/٣)، السمهودى - وفاء الوفا (١٠٩٣/٣)ويلاحظ ان ياقوت قد ذكر كتاب " مناسك الحج" ضمن مؤلفات الحربى ،ياقوت معجم الادباء (١٢٨/١)،هذا وقد رجح الشيخ حمد الجاسر نسبة كتاب "المناسك واماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة" للحربى ،ولمعلومات =

الطرق المؤدية الى مكة من مختلف الاقاليم ،وتكمن اهمية هذا الكتاب فى ان المؤلف قد استقى معلوماته من مشاهداته ،فالمؤلف شاهد عيان لذا فيلاحظ عنده تكرار قوله " رأيت وفعلت"(١) ،كذلك ان المؤلف قد استقى فى جزء من هذا الكتاب عن نادر الاسود وذلك فى قوله " كان اعلم الناس بالطريق بين مكة والمدينة"(٢) ، ويبدو ان نادرا هذا والذى لانعرف عنه سوى اسمه قد عرف واشتهر فى عصر الحربى عند عدد كبير من علماء المسلمين بدقته ومعرفته لطريق مكة ـ المدينة ،وتحديده عددا من مساجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وفى هذا نقل عنه الحربى فى عشرة مواضع من كتابه • اضافة الى ذلك فالملاحظ ان المؤلف قد تتبع بعض التطورات المهمة التى حصلت فى وضع الطرق كذلك ماذكره من الطرق البديلة لطريق الجادة والتى قد تسلكها القوافل والحجيج فى اوقات الازمات او عند الحاجة ،هذا اضافة الى انه قد ذكر عددا من الطرق

= اوفى عن الحربى انظر ابن النديم ـ الفهرست (ص ٣٢٣)، الخطيب البغدادى ـ م•س (٢٧/٦)، ابن الانبارى ـ نزهة الالباء (ص ٢١٣)، السبكى طبقات الشافعية (٢٦/٢ ـ ٢٧)، ياقوت ـ معجم الادباء (١١٢/١ ـ ١١٩)، ابن ابى يعلى ـ طبقات الحنابلة (٨٦/١)، اليافعى ـ مرآة الجنان (٢٠٩/٢)، ابن العماد ـ شذرات الذهب (١٩٠/٢)، السيوطى ـ بغية الوعاة (٤٠٨/١)، الذهبى ـ تذكرة الحفاظ (١٤٧/٢)، بروكلمان ـ م•س (٢٣٤/٢)، الجاسر ـ مقدمة كتاب المناسك (ص ٩ ـ ٢٧٦) •

(١) الحربى ـ المناسك (ص ٢٦٤) •

(٢) ن • م • س (ص ٤٢٥ ، ٤٤١) •

المختصرة ، اضف الى ذلك فان المؤلف قد حدد لنا بشكل عام مواضع مراكز البريد فى عدد من الطرق المختلفة التى ذكرها ،كما انه فوق ذلك قد انفرد بتسمية البرد من الكوفة على الجادة [1] .

اما عن قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب البغدادى (٢٥٥ – ٣٣٧هـ / ٨٦٨ – ٩٤٨م) فما قدمته المصادر عن نسبه واسرته قد اتخذ دليلا على انه غير عربى الارومة [2] ،وتفيد المصادر ان جده قدامة بن زياد كان نصرانيا كتب لايتاخ مولى امير المؤمنين المتوكل على الله على الضياع ،وانه اعتنق الاسلام سنة ٢٣٥ هـ / ٨٤٩م عندما قبض على ايتاخ اذ اخذ معه هو وسليمان بن وهب وضربا فاعتنق قدامة الاسلام [3] ،وقد عرف ايضا عن قدامة بانه حكيم المشرق [4] ، اما والده جعفر بن قدامة فقد اختلفت الروايات فى تحديد مكانته وتبيان ماله وماعليه [5] .. الا انه يتضح من المصادر التى ترجمت له وجود علاقة بينه وبين بعض الاسر التى تصارعت على الوصول للوزارة كآل الجراح وآل الفرات [6] . كما كانت هناك علاقة وطيدة بينه وبين الخليفة الشاعر عبدالله بن المعتز [7] ،وقد ذكر الخطيب البغدادى بانه حدث عن ابى عيناء الضرير وحماد بن اسحاق

---

(١) ن . م . س (ص ٦٥٧) .

(٢) قدامة – المنزلة الخامسة من كتاب الخراج – مقدمة المحقق (ص ٨) ، العبادى – مقدمة نقد النثر (ص ٣٣) .

(٣) الطبرى – تاريخ (٣٤/١١) .

(٤) الجاحظ – الحيوان (٩٥/٥)،قدامة – المنزلة الخامسة – مقدمة (ص ٨).

(٥) قدامة – المنزلة الخامسة (مقدمة المحقق) (ص ٩) .

(٦) ن . م . س (ص ١١ – ١٣) .

(٧) الخطيب البغدادى – تاريخ بغداد(٢٠٥/٧)،قدامة – م.س (ص ١٠) .

الموصلى والمبرد ومحمد بن عبدالله بن مالك الخزاعى (١) ،وقد اقتصر هذا التحديث على رواية الاخبار لاالتحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) كما ذكر الخطيب ان ابا الفرج الاصفهانى روى عنه (٣) ، اما قدامة بن جعفر ابن زياد الكاتب البغدادى فقد كان واحدا من العلماء المسلمين الافذاذ الذين اسهموا بنصيب وافر فى خدمة العلم والمعرفة وطوعوا ذلك لخدمة الدولة الاسلامية ابتغاء رضى الله سبحانه وتعالى . فلقد هيأ تعالى فى كل زمان ومكان رجالا انتهلوا العلوم وسبروا اغوار المعرفة والتفقه فى الدين . ومن هؤلاء العلماء من اشتهر ومنهم من اخذ من ذلك بقدر ومنهم من ظل مجهولا وبقى جهده دفين صفحات المصادر لايلتفت اليها الابعض المتخصصين بين فترة واخرى .

والواقع فان جهود ابن خرداذبة وقدامة واليعقوبى والحربى هى جهود كبيرة ومشكورة وقد اسهمت الى درجة كبيرة فى توضيح وتجلية حقائق المعلومات الخاصة بجغرافية العالم الاسلامى وطرق مواصلاته وادارته وقد ضمنوا ذلك فى كتبهم وفيما نقل عنهم (٤) .

ان النصوص المقتضبة التى وصلت الينا عن هؤلاء النخبة الواعية من العلماء المتخصصين فى هذا الصنف من العلوم لاتفيهم البعض من حقوقهم وهذا ينطبق على قدامة بن جعفر بن زياد والذى بلغت مؤلفاته مايقرب من عشرين مؤلفا ،لانعرف منها الا القليل ،والتى من بينها كتابه الموسوم

---

(١) العبادى ـ مقدمة نقد النثر (ص ٣٥)،د.بدوى طبانة ـ قدامة والنقد الادبى (ص ٤٤)،قدامة ـ مقدمة المحقق (ص ١٥) .

(٢) الخطيب البغدادى ـ تاريخ بغداد (٢٠٥/٧)،قدامة ـ م.س (ص ١٠ ـ ٢٢).

(٣) قدامة ـ م.س (ص ٢٣) .

"بكتاب الخراج وصنعة الكتابة" . فان اقدم المظان التى ترجمت لقدامة واشادت بعلمه وفضله وهو " كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر" لابى الحسن على بن الحسن بن على المسعودى المتوفى سنة ٣٤٦هـ / ٩٥٧م ،والذى عاصر قدامة فترة من الزمن قد اشاد مؤلفه به وقرظه بقوله " فانه كان حسن التأليف بارع التصنيف موجزا للالفاظ مقربا للمعانى ،واذا اردت علم ذلك فانظر فى كتابه الاخبار المعروف بكتاب زهر الربيع واشرف على كتابه المترجم بكتاب الخراج فانك تشاهد بهما حقيقة ماقد ذكرنا وصدق ماقد وصفنا" (١) . هكذا فان هذا المؤرخ المعاصر لقدامة قد اثنى عليه وابان مكانته ودوره وفضله لكن هذا النص البسيط لايكاد يكفى لاعطاء صورة واضحة عن قدامة (٢) . وقد تلى المسعودى فى تقريظ قدامة والاشادة بفضله ابو القاسم محمد بن على الموصلى الحوقلى الذى اكمل تأليف كتابه الموسوم بـ " صورة الارض " سنة ٣٦٧هـ / ٩٥٧م (٣) . فقد اشار ابن حوقل الى قدامة بن جعفر والى كتابه المذكور فاثنى على هذا الكتاب ثناء عاطرا واشار الى انه اقتنى نسخة من هذا الكتاب لم تكن تفارقه فى حله وترحاله . على ان ابن حوقل لم يكتف بذلك فقط ،بل انه قارن بين كتاب الخراج لقدامة وبين مؤلفات كتابى ابن خرداذبة والجيهانى فى هذا المجال ففضله عليهما (٤) . وكأنما وجد فى كتاب قدامة ضالته المنشودة

---

(١) المسعودى ــ مروج الذهب (١٦/١)،قدامة ــ م.س (ص ٢٣) .

(٢) قدامة ــ م.س (ص ٢٤) .

(٣) زامباور ــ معجم الانساب (ص ٥٢٦)،د. حميدة ــ اعلام الجغرافيين (ص ١٧٤)،قدامة ــ م.س (ص ٢٥) .

(٤) قدامة ــ م.س (ص ٢٥) .

اما محمد بن اسحاق النديم (ت سنة ٣٨٥هـ / ٩٩٥م) فانه ذكر بان قدامة كان نصرانيا واسلم على يد الخليفة المكتفى بالله العباس (حكم من ٢٨٩ – ٢٩٥هـ / ٩٠١ – ٩٠٧م) وقد رجحنا، اعتمادا على ذلك، بان دخول[(١)] قدامة الاسلام قد حصل قبل سنة ٢٩٥هـ / ٩٠٧م . وقد اشار ابن النديم الى[(٢)] ان قدامة بن جعفر كان احد البلغاء الفصحاء والفلاسفة الفضلاء وانه ممن يشار اليه فى علم المنطق . وقد ختم ابن النديم ترجمته لقدامة بن جعفر بذكر قائمة مؤلفاته التى بلغت اثنى عشر كتابا[(٣)] . وممن قرظ قدامة من المتأخرين ابو الفرج ابن الجوزى (ت سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠م)[(٤)]، وابو الفتح نصر بن عبدالسيد المطرزى (ت سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م)[(٥)] كما اورد عنه ياقوت ترجمة شاملة اشاد فيها الى فضل قدامة وعلمه، والى عدد مؤلفاته، الى انه كان احد الكتاب الذين عملوا فى الدواوين منذ سنة ٢٩٧هـ/٩٠٩م فذكر بانه قد تولى رئاسة مجلس الزمام فى ديوان المشرق تحت ادارة ابى احمد المحسن بن على بن محمد بن الفرات كما اشار الى انه قد تولى الكتابة لبنى بوية[(٦)] . والحق فان اهميك ترجمة ياقوت لقدامة تكمن فى ما اوضحه من منزلته وطبيعة عمله فقد كان قدامة ضمن مجموعة الكتاب المرتبطين

---

(١) ابن النديم – الفهرست (ص ١٨٨)، ابن يزيد – تاريخ الخلفاء (ص ٥٠)، زامباور – معجم الانساب (ص ٣، ٥٢٥) .

(٢) قدامة – م.س (ص ٤٠) .

(٣) ابن النديم – الفهرست (ص ١٨٨)، قدامة – م.س (ص ٢٧) .

(٤) ابن الجوزى – المنتظم (٣٦٣/٦)، قدامة – م.س (ص ٢٩) .

(٥) المطرزى – الايضاح مخطوط ورقة (١)، قدامة – م.س (ص ٣٠)، زامباور معجم الانساب (ص ٥٢٧) .

(٦) ياقوت – معجم الادباء (١٢/١٧ – ١٥)، قدامة – م.س (ص ٣١ – ٣٣) .

بعائلة ال الفرات وانه قد تقدم فى الوظائف الكتابية فى فترات استيزارهم حتى انه وصل الى منصب متولى مجلس الزمام . ولاشك فى ان هذه الترجمة تقدم اضافات جيدةوهى تلقى الضوء على مركز قدامة الوظيفى (١)، وصلته بالسلطات العليا فى الدولة الاسلامية فى عصره . تلك الصلة التى بدأت فى خدمة جده قدامة بن زياد لايتاخ مولى امير المؤمنين المتوكل (٢)، والتى استمرت وتوطدت خلال علاقة والده جعفر بالخليفة الشاعر عبدالله بن المعتز مما قد يكون قد عرف بقدامة بن جعفر وهيأ له فرصة الانضمام الى ال الفرات فقربه منه الاطلاع على اخبار الدولة (٣) . وقد ينعكس ذلك فى موقف قدامة بن جعفر حين عمل على تأليف كتاب رد فيه على ابن المعتز فيما عاب به على ابى تمام (٤) ولعل هذا من الاسباب التى ادت بقدامة الى الاتصال بالخليفة المكتفى بالله . وليس فى المصادر ماينبىء عما اذا كان قدامة قد انتهز فرصة تولى المكتفى الخلافة ليتقرب منه ،ذلك ان المصادر التى ترجمت لقدامة قد اغفلت هذا الامر فلم توضح لنا الدواعى التى ادت الى هذا الاتصال او ظروفه ،ويبدو انالخليفة المكتفى بالله قد قدر فضل قدامة وتوسم فيه الخير ،وانه قد شجعه لذلك على اعتناق الاسلام (٥).
وقد ذكر بعض الباحثين ،دون ان يشير الى مصادر معلوماته ،بان الخليفة المكتفى لما عرف كفاية قدامة ،مناه بمنصب من المناصب التى يتطلع

---

(١) قدامة ــ م.س (ص ٣٩) .

(٢) الطبرى ــ م.س (٣٤/١١) .

(٣) قدامة ــ م.س (ص ٣٩) ،طبانة ــ م.س (ص ٥٩) .

(٤) قدامة ــ م.س (ص ٣٩) .

(٥) ن . م . س (ص ٣٩ ــ ٤٠) .

اليها امثاله ممن هم فى مثل مواهبه ،وانه حثه على الاسلام (١) وتبقى بعد ذلك احتمالات عديدة كثيرة لتوضيح حقيقة الاسباب التى دفعت قدامة الى اعتناق الاسلام فلعل الله تعالى قد شرح صدره للاسلام فاسلم ،وكان اسلامه على يد الخليفة المكتفى بسبب علاقته بالديوان وصلته بالوزير والخليفة ،ومنها انه قد يكون اعتنق الاسلام كغيره طمعا فى عرض الدنيا على يد الخليفة العباسى عسى ان يكون له نصيب عنده (٢) • وربما يكون السبب خوفه على زوال منصبه الذى شغله لعلمه لعدم جواز ولاية غير المسلم على المسلم ،خصوصا وان الاجراءات التى كان قد اصدرها الخليفة المتوكل فى عدم الاستعانة باهل الذمة قد جرى تأكيدها فى هذا العصر (٣) • ولكن الثابت ان قدامة قد اسلم ولعل اسلامه كان عن عقيدة وايمان وهو امر يمكن ان نحس به من خلال دراسة مؤلفاته والتى من بينها كتاب الخراج (٤)، فقد انعكس فى هذا الكتاب مدى استيعاب قدامة لمابحث الفقه والشريعة الاسلامية (٥) •

اما عمله فى ادارة الدواوين فهو امر ثابت ،وقد اشار ياقوت الى انه لم يزل يتردد فى اوساط الخدم الديوانية بدار السلام الى سنة تسع وسبعين ومائتين (٦) • اضافة الى ماتضمنته المعلومات التى نقلها

---

(١) قدامة ـ م٠س (ص ٤٠)،طبانة ـ م٠س (ص ٤٠) •

(٢) قدامة ـ م٠س (ص ٤٢)،طبانة ـ م٠س (ص ٤٣ ـ ٤٤) •

(٣) ابو هلال العسكرى ـ <u>الاوائل</u> (٣٧٥/١) •

(٤) قدامة ـ م٠س (ص ٤٢)،طبانة ـ م٠س (ص ٦٠) •

(٥) قدامة ـ م٠س (ص ٤٢) •

(٦) ياقوت ـ <u>معجم الادباء</u> (١٤/١٧)،وانظر <u>مقدمة المنزلة الخامسة من كتاب الخراج</u> (ص ٤٢) •

ياقوت عن صلته بال الفرات وعن توليته مجلس الزمام فى ديوان المشرق فى ولاية ابى احمد المحسن بن على بن محمد بن الفرات (١) لذلك الديوان فليست هذه الصلة بين قدامة وال الفرات بالامر الطارىء الجديد ذلك ان جذورها تعود الى صلة والده بهم فلقد نعم ابوه قبله بصلاتهم وبرهم (٢) وقد اتصلت تلك الصلة مع ال الفرات فى خلال خلافة الخليفة المكتفى بالله حيث كان محمد بن على بن الفرات واحدا من المرشحين الاساسيين لاستلام الادارة المركزية خلال فترة وزارة العباس بن الحسن الجرجرائى (٣) الذى

---

(١) ياقوت ـ م٠س (١٤/١٧)، طبانة ـ م٠س (ص ٦١)، مقدمة المنزلة الخامسة (ص ٤٣) ٠

(٢) يبدو ذلك جليا فى شعره الباكى الحزين الذىرثى فيه دولتهم والذى جسد فيه لوعته وبكائه على ايامهم الخوالى، وعطاياهم السخية وذلك فى الابيات التى مطلعها :

لما خلوت من الفوائد	والمنافع والصلات
وعدمت فى الاعياد ما	عودت من كل الجهات
وبقيت فيها حائرا	كالسفر ضلوا فى الفلاة
ناديت ياسقيا ويا	رعيا لعصر ابن الفرات
ملك اشم مسود	رطب الانامل بالهبات
يعطى الرغيب والايمن	ولاينغص بالعدات

وكذلك فى قوله :

لماغدوت وفى الحشا	نار مضرمة تشب
وانشدت ماقال ابن جهـ	ـم وهو بالاشعار طب
املقت بعدك ياعلى	ونالنى مالا احب

انظر الصابى ـ تحفة الوزراء (ص ٢٣٤)، ياقوت ـ م٠س (١٧٧/٧)، طبانة م٠س (ص ٦٢)، مقدمة المنزلة الخامسة من كتاب الخراج (ص ١٩) ٠

(٣) عريب ـ صلة تاريخ الطبرى (ص ١٢ ـ ١٦)، الصابى ـ م٠س (ص ٢٨٦)، طبانة =

تولى الوزارة فى سنة ٢٩١هـ / ٩٠٣م ،واستمر حتى قتل سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٨م . وبعد مقتل الجرجرائى حدثت فتنة ابن المعتز الذى استوزر فيها محمد بن داود الحراج ،وبعد مقتل ابن المعتز تولى ابن الفرات الوزارة للمقتدر بالله العباسى للمرة الاولى فى ربيع الثانى سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٨م التى استمرت حتى اربعة ذى الحجة سنة ٢٩٩هـ / ٩١١م (١) . ولاشك فى ان هذه الصلة قد اتاحت لقدامة فرصة التدرج فى المناصب الادارية ،ذلك انه تولى مجلس الزمام فى ديوان المشرق فى ولاية ابى احمد المحسن فى فترة وزارة ابيه الاولى (٢) ،ولم يكن من المتوقع ان يغيب عن رجل مثل ابن الفرات استخدام الكفاة من العمال كما تجلى ذلك فى ضبط قدامة للمجلس الذى تولاه مما مكن السلطة من جباية اموال لم يكن متوقعا الوصول اليها (٣) ولاشك فى ان ابن الفرات لم يغفل عن كفاءة قدامة وثقافته الواسعة وبلاغته وتمكنه من علم الحساب كذلك خبراته الادارية والمالية (٤) ،وهذه كلها خصائص ضرورية للكفاة من العمال للعمل فى ادارة الدولة ،وعلى هذا فمن المتوقع ان يكون ذلك مادفع ابن الفرات الى اصطناعه والافادة

= م٠س (ص ٦١)، السامرائى ــ المؤسسات (ص ١٨٧)،مقدمة المنزلة الخامسة (ص ٤٣) .

(١) عريب ــ م٠س (ص ١٢ ــ ١٦)، الصابى ــ م٠س (ص ٢٨٦)، السامرائى زامباور ــ م٠س (ص ٧)،د٠ طبانة ــ م٠س (ص ٦١)، السامرائى ــ م٠س (ص ١٨٧)،مقدمة المنزلة الخامسة (ص ٤٣ ــ ٤٤) .

(٢) طبانة ــ م٠س (ص ٦٢)،مقدمة المنزلة الخامسة (ص ٤٤ ــ ٤٧) .

(٣) طبانة ــ م٠س (ص ٦٢)،مقدمة المنزلة الخامسة (ص ٤٤) .

(٤) ن ٠ م ٠ س (ص ٦٢) ،ن ٠ م ٠ س (ص ٤٤) .

من كفائته الادارية مما اتاح لقدامة فرصة الاطلاع على الدواوين من خلال عمله فيها وبالتالى الافادة من ذلك فى مؤلفه الموسوم بكتاب الخراج وصنعة الكتابة ،ليس هناك من شك فى ماذكره ياقوت من تردد قدامة فى اوساط الخدم الديوانية ذلك ان قدامة نفسه قد اكد ذلك فى المنزلة السادسة من كتاب الخراج فى قوله " ولنبتدىء بذكر ارتفاع السواد بحسب ماهو عليه فى هذا الوقت وعلى عيرة سنة اربع ومائتين وهى اول سنة يوجد حسابها فى الدواوين بالحضرة لان الدواوين قد احرقت فى الفتنة التى كانت فى ايام الامين المعروف بابن زبيدة وهى سنة ثلاث وثمانين" . ولاشك فى ان فرصة الاطلاع على الدواوين والوثائق التى تحتويها قد مكنت قدامة كثيرا من تقديم معلومات دقيقة يمكن الركون اليها كثيرا فى مايتصل بالدواوين والعمل فيها ومن بين ذلك ديوان البريد والعمل فيه اضافة الى التفصيلات الدقيقة عن الطرق والسكك مما له علاقة مباشرة بعمل الديوان .

(١) (٢) (٣)

ولعل هذا يكشف عنمصادر معلومات قدامة التى ذكرها فى المنزلتين الخامسة والسادسة التى من الصعب الوصول اليها الا بالاطلاع على السجلات الرسمية للدولة ، فقد تحدث فى المنزلة الخامسة عن دواوين الجيش والنفقات وبيت المال والرسائل والتوقيع والدار والخاتم

(٤)

---

(١) ن . م . س (ص ٦٢)،ن . م . س (ص ٤٤) .

(٢) قدامة بن جعفر ــ كتاب الخراج وصنعة الكتابة مخطوط لوحة (٦٣) ،
رفاعى ــ مقدمة المنزلة الخامسة من كتاب الخراج (ص ٤٧) .

(٣) رفاعى ــ مقدمة كتاب الخراج (ص ٤٧ ــ ٤٨) .

(٤) رفاعى ــ م.س (ص ٤٨) .

كما تحدث عن سك النقود وعن العيار والاوزان وديوان دار الضرب وكذلك عن كتابة الشرطة والاحداث والبريد والسكك والطرق ،هذا بالاضافة الى المعلومات التى اوردها فى الباب السادس من المنزلة السادسة عن ارتفاعات ايرادات الدولة ومقدار ايراد كل اقليم وكل ذلك يؤكد بان مثل تلك المعلومات قد اعتمد فيها على وثائق رسمية (١) • وقد اشار احد الباحثين الى ان هناك فترة غامضة فى حياة قدامة وهى الفترة المحصورة فيما بين سنتى ٢٩٧ – ٣٢٠هـ / ٩٠٩ – ٩٣٢م (٢) ،واشار الى ان قدامة قد عرض كتابه الخراج وصنعة الكتابة على الوزير على بن عيسى بن الجراح (٣) ويبدو ان الامر قد التبس على الباحث الفاضل ، اذ ان من المعلوم ان ابن الفرات قد تولى الوزارة ثلاث مرات كان آخرها فيما بين ١٣ ربيع الثانى سنة ٣١١هـ / ٩٢٣م الى ١٣ ربيع الاول سنة ٣١٢هـ / ٩٢٤م (٤) ،كذلك ماسبق وان اشرنا اليه من صلة قدامة لابن الفرات واصطناعه له حيث اتخذه واصطنعه فاصبح من الكتاب المبرزين • وكان البحث قد تعرض لدى دقة ضبط قدامة لمجلس الزمام مما اتاح الفرصة لجباية مبالغ كبيرة من الاموال • فاذا ماأخذنا هذه الامور فى الاعتبار ،فانه ليس من المتوقع ان يتولى ابن الفرات الوزارة دفعات عديدة دون ان يستعين بقدامة كذلك رغبة ابن الفرات فى استعمال الكفاة من العمال تجعل القول ان قدامة ظل يتقلب فى المناصب الادارية حتى سنة ٣١٢هـ / ٩٢٤م ،ومن

---

(١) قدامة – الخراج (مخطوطة) لوحة (٦٢ – ٧٠)،رفاعى – م•س (ص ٤٨) •

(٢) د•السامرائى – المؤسسات الادارية (ص ١٨٧)،زامباور – معجم الانساب (ص ٧) •

(٣) د•طبانة – قدامة والنقد الادبى (ص ٦٧)،رفاعى – م•س (ص ٤٨) •

(٤) زامباور – م•س (ص ٧،٥٢٥)، السامرائى – م•س (ص ١٨٧) •

بعد هذه السنة لم ترد معلومات عن قدامة فى المصادر التى ترجمت له وحتى سنة ٣٢٠هـ / ٩٣٢م وهى السنة التى عرض فيها مؤلفه كتاب الخراج على الوزير على بن عيسى (١)، واغلب الظن ان قدامة فى خلال هذه الفترة قد الف كتاب الخراج فى حدود سنة ٣١٦هـ / ٩٢٨م (٢)، وان الغرض من تأليفه له هو تهيئة كتاب متخصصين فى الجباية وادارة دواوين الدولة الادارية وذلك مابينه المؤلف فى الورقة الاولى من المنزلة الخامسة حيث تعرض فى نص طويل الى اهمية تعليم الكتاب (٣) كما انه اقترح مارآه من الاسس لهذا الغرض (٤). واكثر من ذلك فان قدامة لم يكتف بذلك بل قدم الصفات التى ينبغى ان يتحلى بها المرشح للمناصب الادارية العالية، وهو امر قلما يصدر عن غير خبير متمرس فى هذه الامور. ولعل من المفيد ان نستعرض آراء قدامة فى هذا الخصوص اذ انه يرى ان من يرشح نفسه للرئاسة العالية ينبغى " الا يكون جاهلا بامر الاراضى ووضعها وتخيل اقطارها وعلم غامرها ومالايبلغه العمران منها، ومعرفة ثغور الاسلام واحوال الجبال والامم المطيفة بالمملكة التى يريد تدبيرها" (٥).

وعلى هذا فان المعلومات التى اوردها قدامة عند تعرضه لديوان

---

(١) ابو حيان التوحيدى ـ الامتاع والمؤانسة (٢/١٤٥ ـ ١٤٦)، طبانة م.س (ص ٦٩)، رفاعى ـ م.س (ص ٤٨ ـ ٤٩).

(٢) كراتشكوفسكى ـ م.س (١/١٦٥)، رفاعى ـ م.س (ص ٧٧).

(٣) قدامة ـ المنزلة الخامسة من كتاب الخراج (ص ١٣٠ ـ ١٣١) (رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة).

(٤) رفاعى ـ مقدمة المنزلة الخامسة لكتاب الخراج (ص ١٠٠ ـ ١٠١).

(٥) قدامة ـ الخراج (مخطوط) ورقة (١٤٩أ)، رفاعى ـ مقدمة المنزلة الخامسة من كتاب الخراج (ص ١٠١).

البريد والطرق والسكك هى غاية فى الاهمية اذ انها تعبير عن الناحية الرسمية السائدة فى دواوين البريد فى الدولة فى ذلك العصر ،اذ انه قد استقى هذه المعلومات من الوثائق الرسمية التى اطلع عليها سواء بحكم تمكنه من ذلك فى فترة عمله فى الدواوين او من خلال تهيئة الفرصة من قبل المسئولين فى الدولة ،اذ انه لايمكن ان يتصدى لمثل ذلك دون معرفة كافية بجوانب مختلفة من الامور الادارية السائدة فى دواوين الدولة والتى من ضمنها ديوان البريد • وخير دليل على هذا ان قدامة حينما عرض كتابه المذكور على الوزير على بن عيسى فى سنة ٣٢٠هـ / ٩٣٢م فان الوزير لم ينتقصه فيه عن اى من المعلومات الواردة فى ثناياه بل انه على عكس ذلك اشاد به اعجابا بما فيه وخصوصا بما اورده فى المنزلة الثالثة ــ وهى مفقودة حتى اعداد هذه الرسالة ــ ونتلمس ذلك فيما نقله ابو حيان التوحيدى عن الوزير على بن عيسى بن الجراح فى قوله :" عرض على قدامة كتابه فى سنة عشرين وثلثمائة ،واختبرته فوجدته قد بالغ واحسن وتفرد" •(١) وهذه الشهادة والتى صدرت عن الوزير على بن عيسى ــ الذى كان من اكثر الناس خبرة فى ادارة الدولة فى عصره فقد كان يلجأ اليه فى الملمات ،كما انه واحدا من بين اربعة تولوا رئاسة الدواوين فى وزارة الجرجرائى • كما انه تولى الوزارة مرتين ،وخلف حامد بن العباس ايام وزارته •(٢) وقد اشار الصابى الى ان الكتابة تناهت الى الحسنبن الفرات وعلى بن عيسى ،وانه كانت بينهما منافسة فى الاعمال

---

(١) ابو حيان التوحيدى ــ الامتاع والمؤانسة (ص ١٤٥ ــ ١٤٦)،طلال رفاعى مقدمة المنزلة الخامسة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة (ص ٤٨ ــ ٤٩)•

(٢) الصابى ــ الوزراء (ص ٣٠٥،٣١٣،٣٣٥)،زامباور ــ معجم الانساب (ص ٧ ــ ٨) •

والمنازل والكتابة والصناعة ،وقد مدحه ابن الفرات بقوله " يا ابا الحسن بعد السن والوزارة والرئاسة والاستشهاد فى الاطراف بالكفاية وعلو المنزلة" [١]،ان مثل هذا الوزير حينما يقرظ تأليف قدامة ويمتدح ماقدمه من معلومات فان ذلك دليل على علو منزلة قدامة من جهة والى مطابقة المعلومات المستقرة التى وردت فى ثنايا كتابه لواقع الحال فى الدولة الاسلامية فى عصره ولما كان سائدا فى ادارة الدولة وفى النواحى المالية اى انهاكانت مطابقة للواقع المستقر فى الدواوين والادارة مما دعى الى ان يمتدحه الوزير بما ينم عن الاعجاب الشديد [٢] بهذا المؤلف حتى انه وضعه فى مرتبة الخليل بن احمد الفراهيدى فى وصفه لعلم العروض [٣] . ولنتذكر ان المعلومات التى وردت فى كتاب قدامة هى فى مجال التخصص الادارى للوزير مما كان يمارسه طيلة خمسة عشر عاما من رئاسة للديوان او اشتغال بالوزارة [٤] . وعلى كل حال فان قيام قدامة بعرض كتابه على الوزير على بن عيسى ينبئ بوجود صلة صداقة وود بينهما اذ لايعقل ان يكون قد فعل ذلك الا على مثل هذا الاساس ،ولعل تلك الثقة قد كونتها سعة معلومات قدامة وعمق تفكيره ،وقد تكون بسبب المشاركة فى العمل ،وربما تعكس الامرين [٥] . وقد اوردت المصادر بعد ذلك معلومات عن علاقة متجددة بين قدامة والوزير ابو الفضل بن الفرات (الثانى)

---

(١) الصابى ـ م٠س (ص ٧٢،١٤٥) ٠

(٢) ن ٠ م ٠ س (ص ٧٩) ٠

(٣) د٠طبانة ـ م٠س (ص ٦٩)،رفاعى ـ م٠س (ص ٤٩) ٠

(٤) زامباور ـ م٠س (ص ٨) ٠

(٥) د٠طبانة ـ م٠س (ص ٧٠)،رفاعى ـ م٠س (ص ٤٩) ٠

فقد ذكر ابوحيان التوحيدى عرضا شيقا للمناظرة التى جرت بين متى المنطقى وابو سعيد السيرافى بحضور عدد من الاعلام من رجال العلم والفكر والادارة والسياسة والسلطان فى مجلس الوزير ابن الفرات سنة ٣٢٠هـ / ٩٣٢م كان من بين الحاضرين قدامة بن جعفر[(١)]،وقد رجح د. طبانة ان حضور قدامة هذه المناظرة قد شمله الوصف من الجهتين اى كعالم متبحر وواحد من رجال الادارة والسلطان[(٢)]،ومن خلال هذا نجد ان قدامة كانت له صلة بالوزير ابو الفضل بن الفرات وان كانت المصادر الاخرى التى ترجمت له كابن الاثير (ت ٦٣٠هـ / ١٢٢٢م)[(٣)] وابو الفدا (ت سنة ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)[(٤)]،والملك الافضل صاحب كتاب العطايا السنية والمواهب الهفية (ت ٧٧٨هـ / ١٣٧٦م)[(٥)]،وبدر الدين العينى فى كتابه " عقد الجمان"[(٦)] وابن الغزى فى كتاب " التاريخ البديع"[(٧)]،وابن تغرى بردى (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م)[(٨)]،والسيوطى (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م)[(٩)] وغيرهم ،لم

---

(١) ابو حيان التوحيدى ـ الامتاع والمؤانسة (١٠٧/١)،طبانة ـ م.س(ص ٧٠) رفاعى ـ م.س (ص ٥٥) .

(٢) طبانة ـ م.س (ص ٧٠)،رفاعى ـ م.س (ص ٥٥) .

(٣) ابن الاثير ـ الكامل فى التاريخ (٣٣١/٦)،رفاعى ـ م.س (ص ٥١) .

(٤) ابو الفدا ـ البداية والنهاية (٢٢٠/١١ ـ ٢٢١)،رفاعى ـ م.س (ص ٥١).

(٥) الملك الافضل ـ العطايا السنية ورقة (٢٠٧)،رفاعى ـ م.س (ص ٥١) .

(٦) بدر الدين العينى ـ عقد الجمان (١٦/ورقة ٦٨)،رفاعى ـ م.س (ص ٥٢).

(٧) ابن الغزى ـ التاريخ البديع لوحة (٦٨)،رفاعى ـ م.س (ص ٥٢) .

(٨) ابن تغرى بردى ـ النجوم الزاهرة (٢٩٧/٣)،رفاعى ـ م.س (ص ٥٢) .

(٩) السيوطى ـ تاريخ الخلفاء (ص ٦١٥)،رفاعى ـ م.س (ص ٥٣) .

يوضحوا شيئا من تلك الصلة اضافة الى ان اغلبهم لم يتطرق اليها اصلا ومع ذلك فان المعلومات التى وردت فى سفر ابى حيان التوحيدى قد القت ضوءا بسيطا على هذه الصلة ،خاصة واذا ماتذكرنا اشارات ياقوت (١) الى صلة قدامة بن جعفر بالوزير ابو الحسن على بن محمد بن الفرات ،عم الوزير ابو الفتح الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات (٢) ،وعليه فان من الثابت وجود صلة بين قدامة وبين الوزير ابن الفرات الثانى ،غير انها غامضة ،وكذلك حال قدامة خلال الفترة الممتدة من ٣٢٠ – ٣٣٤هـ / ٩٣١– ٩٤٥م فمما هو جدير بالملاحظة انه باستثناء الاشارات الواردة عن تسلم قدامة لمنصب الكتابة لبنى بويه فان المصادر لاتقدم اية معلومات اخرى تلقى ضوءا عن حياته خلال اواخر ايام حياته (٣) . ولم تتضح على كل حال المصادر التى استقى منها كراتشكوفسكى معلوماته والتى يستفاد منها انقدامة قد شغل منصب متولى البريد فى اواخر ايامه . ذلك ان المؤلف لم يشر الى مصادر معلوماته فى ذلك (٤) ، وعليه فلا يمكن الركون الى مثل هذه او اعتبارها من الحقائق المستقرة مع ملاحظة تناقض ذلك مع نصوص اصيلة اوردتها المصادر واشارت فيها الى انقدامة قد تولى خلال الفترة الاخيرة من حياته منصبا كتابيا لبنى بويه ،ولعل كراتشكوفسكى قد حمل النصوص اكثر مما ورد فيها متصورا ان المعلومات الواسعة

---

(١) ياقوت – معجم الادباء (١٤/١٧) .

(٢) د.السامرائى – المؤسسات الادارية (ص ١٨٨ – ١٨٩)،زامباور – معجم الانساب (ص ٧ – ٨) .

(٣) رفاعى – م.س (ص ٥٧) .

(٤) كراتشكوفسكى – تاريخ الادب الجغرافى (١٦٥/١)،رفاعى – م.س (ص ٥٧).

التى وردت عن البريد فى كتابة قدامة توحى بان يكون ذلك المنصب هو البريد .[(١)] حيث ذكر انه شغل هذا المنصب فى اواخر ايام حياته وبعد مناسبة اسلامه . وهذا على كل حال لايثبت امام النقد ذلك ان من الثابت ان قدامة بن جعفر قد توفى سنة ٣٣٧هـ / ٩٤٨م وذلك فى خلافة المطيع لله العباسى ٣٣٤ - ٣٦٣هـ / ٩٤٥ - ٩٧٣م فى حين ان ماذكره كراتشكوفسكى

يرتكز على مقولة اسلامه وذلك قد حصل فى خلافة المكتفى بالله (٢٨٩ - ٢٩٥هـ/٩٠١ - ٩٠٧م)[(٢)] وبذلك لايستقيم الربط حيث ان الفارق بين التاريخين يقرب من اربعة عقود وبذلك فان هذا يتخذ دليلا على ضعف الرواية التى اعتمد عليها ان كان لها اصل ،وقد تابع احمد سوسة ماذكره كراتشكوفسكى واختلط عليه الامر كثيرا ،انعكاسا لطبيعة الخبر وضعفه البين ،فقد ذكر بان المكتفى قد قلد قدامة بن جعفر منصب صاحب البريد وان قدامة قد صنف عند ذلك كتاب الخراج[(٣)] ،وهذا القول يستلزم التوقف ذلك ان سوسة لم يذكر هو الاخر مصادر معلوماته ، اضف الى ذلك فان قدامة لم يصنف كتابه فى الفترة التى ذكرها سوسة ،وانما بعد ذلك بكثير كما هو ثابت من النصوص التى اشرت اليها آنفا .

---

(١) كراتشكوفسكى - م.س (١٦٥/١)،والحقيقة ان هذا لم يكن مستغربا من كراتشكوفسكى او غيره من المستشرقين ممن يغلب الهوى على الحقائق فمن ذلك مثلا ماذكره كراتشكوفسكى من ان قدامة لم يعتنق الاسلام الابعد الحاح شديد من جانب الخليفة المكتفى خلافا لكل ما اوردته المصادر حول مسألة اعتناق الاسلام (١٦٥/١).

(٢) كراتشكوفسكى - م.س (١٦٥/١) .

(٣) احمد سوسة - <u>الشريف الادريسى فى الجغرافية العربية</u> (٩٨/١) .

وقد جاء بعد ذلك عبدالرحمن حميدة فتابع كل من كراتشكوفسكى واحمد سوسة الاانه كان اجرأ منهما واكثر تحديدا للتواريخ ،بان حدد السنة التى تولى فيها قدامة منصب صاحب البريد دون ان يشير هو الآخر الى مصادر معلوماته فذكر بان قدامة قداعتنق الاسلام بناء على طلب الخليفة المكتفى وكان من جراء ذلك ان اصبح طريقه الى المناصب العليا ميسورا فشغل فى عام ٢٩٧هـ/٩٠٨م منصب صاحب البريد ذلك المنصب الذى احتفظ به حتى وفاته" (١) • وليس من الصعب ادراك مدى التطابق والتناسق فى المعلومات بين ماذكره عبدالرحمن حميدة وماذكره كراتشكوفسكى (٢) •

اما تحديد الاستاذ عبدالرحمن حميدة للسنة التى اشغل فيها قدامة ابن جعفر منصب صاحب البريد بسنة ٢٩٧هـ / ٩٠٨م ،فانه يتعارض مع ماذكره ياقوت من ان قدامة بن جعفر قد تولى فى تلك السنة ديوان الزمام (٣) وعلى اى حال فان تطابق ما اورده هؤلاء الكتاب المحدثين من معلومات وتاكيدهم على تولى قدامة بن جعفر منصب صاحب البريد وسكوتهم عن الكشف عن مصادرمعلوماتهم قد يعنى اعتماد كل من سوسة وعبد الرحمن حميدة على المستشرق كراتشكوفسكى او انهم جميعا قد اخذوا بغزارة المعلومات الخاصة بالبريد والتى وردت فى كتاب قدامة والامر فى الحالتين غير دقيق بالمعيار العلمى للبحث رغم انه من الاخطاء الشائعة فى البحوث المعاصرة (٤) •

---

(١) عبدالرحمن حميدة ـ م٠س (ص ١٢٤) •

(٢) كراتشكوفسكى ـ م٠س (١/١٦٥) •

(٣) ياقوت ـ معجم الادباء (١/١٢ ـ ١٤)،رفاعى ـ م٠س (ص ٥٨) •

(٤) رفاعى ـ م٠س (ص ٥٨) •

والحق فان قدامة بن جعفر قد قدم فى كتابه الخراج وصنعة الكتابة معلومات غاية فى الدقة والاهمية والتفصيل عن ديوان البريد فى عصره قلما نجد مثلها فى مصدر من المصادر ،فقد تتبع الطرق والسكك والمواضع الى نواحى المشرق حتى بلغ حدود الصين ثم تتبع الطرق والمواضع الى نواحى الشمال الى بيزنطة ثم الى نواحى المغرب والجنوب الغربى وربما يوحى ذلك بانه قد تولى ديوان البريد فترة غير قليلة مكنته من الاطلاع على السجلات ، مما كون عنده خبرة واسعة بين ابناء عصره (١) . غير ان مثل ذلك الاحتمال لايرقى الى درجة الحقائق المستقرة الا بعد توفر النصوص التى تؤيد ذلك بشكل واضح . وهناك احتمال آخر اقترحه الاستاذ احمد رمضان الذى ذكر بان هذه الخبرة قد تمكنت له من خلال تجواله عندما كان يتولى اعمال ديوان الخراج ومن المؤكد ان قدامة قد عرف بخبرته الواسعة فى هذا المجال وهذا ما المح اليه ابن حوقل عند تقريظه لكتاب الخراج حيث قال " وكان لايفارقنى كتاب ابن خرداذبة وكتاب الجيهانى وتذكرة ابى الفرج قدامة بن جعفر واذا الكتابان الاولان لزمنى ان استغفر الله من حملهما واشتغالى بهما عما يلزمنى من توخى العلوم النافعة والسنن الواجبة" (٣) .

وقد ختم ذلك بالثناء العاطر على كتاب قدامة و ان ماجاء فيه حقا باجمعه وصدقا من سائر جهاته وذلك فى قوله " ولقيت ابا اسحاق الفارسى وقد صور هذه الصورة لارض السند فخلطها ،وصور فارس فجودها

---

(١) رفاعى – م.س (ص ٥٨) .

(٢) د.احمد رمضان – الرحلة والرحالة المسلمون (ص ٦٤) .

(٣) ابن حوقل – صورة الارض (ص ٢٨٤) ،رفاعى – م.س (ص ٢٥) .

وكنت قد صورت اذربيجان التى فى هذه الصفحة فاستحسنها والجزيرة فاستجادها واخرج التى لمصر فاسدة ،وللمغرب اكثرها خطأ ،وقال قد نظرت فى مولدك واثرك وانا اسألك اصلاح كتابى حيث ضللت فاصلحت منه غير شكل وعزوته اليه . ثم رأيت ان انفرد بهذا الكتاب واصلاحه وتصويره اجمعه وايضاحه من غير ان الم بتذكره ابى الفرج وان كانت حقا باجمعها وصدقا من سائر جهاتها،وقد كان يجب ان اذكر طرفا من هذا الكتاب لكن استقبحت الاستكثار بما تعب فيه سواى ونصب فيه غيرى" .(١)

ومن هذا يتضح ان احد جغرافى القرن الرابع الهجرى يذكر قدامة فى حقل اختصاصه ويقوم كتابه الخراج مشيدا به وبفضل مؤلفه فى حقل التأليف الجغرافى(٢) ،وعليه فان هذا الرأى يخطل الآراء القائلة بان كتاب قدامة ماهو الا تتمة لكتاب ابن خرداذبة(٣) ويضع حدا لمثل ذلك التصور الغريب . ومع هذا فليس من الممكن الجزم فيما اذا كان قدامة(٤) قد تولى اى منصب فى البريد ،وقام برحلات طويلة لغرض كتابة مؤلفه ذلك ان المصادر لم تقدم اية اشارات فى هذا الخصوص(٥) ،مع العلم بان ثقافة قدامة فى اطار العلوم الفلكية والجغرافية التى مكنته من ان يتبوأ تلك المنزلة الرفيعة بين الجغرافيين المسلمين(٦) ظاهرة فى مؤلفه الموسوم

---

(١) ابن حوقل ـ م.س (ص ٢٨٤) ،رفاعى ـ م.س (ص ٢٥ ـ ٢٦) .

(٢) رفاعى ـ م.س (ص ٢٦) .

(٣) كراتشكوفسكى ـ م.س (١٦٥/١) ،سوسة ـ م.س(٩٨/١) ،رفاعى ـ م.س (ص ٢٧).

(٤) رفاعى ـ م.س (ص ٢٧).

(٥) ن . م . س (ص ٥٩).

(٦) ن . م . س (ص ٨١) .

بـ " كتاب الخراج وصنعة الكتابة " ومما سبق نستخلص ان المعلومات التي ذكرها قدامة عن ديوان البريد والسكك والطرق هي على درجة كبيرة من الاهمية اذ انها من جانب الاختصاص الجغرافي " كانت حقا وصدقا " كما ذكر ابن حوقل ،ومن الجانب الرسمي كانت تمثل بالفعل ماكان في ديوان البريد من تنظيم لهذه الطرق وذلك من تقريظ الوزير علي بن عيسى لكتاب قدامة عندما عرضه عليه في سنة ٣٢٠هـ / ٩٣٢م ولم يعبه ولم ينتقصه بل قرظه ،وجوده واثنى عليه وعلى دقته (١) . كما سبق واشرت .

وبهذا ينتهي استعراض المصنفات التي وضعت لاغراض ادارية او اسهم في تأليفها الكتاب الذين استقوا معلوماتهم عن طريق المعايشة وطبيعة العمل (٢) .

وبجانب هذه المصنفات فان هناك عددا آخر من المؤلفين الذين تجمعهم صفة من الجغرافيين المسلمين ممن استقوا معلوماتهم نقلا عن المصادر آنفة الذكر او الذين اثبتوا معلومات دقيقة عن طرق البريد ومراكزه من خلال رحلاتهم ومن واقع مشاهداتهم الشخصية . ومن هؤلاء ابي بكر احمد بن محمد بن اسحاق المعروف بابن الفقيه الهمذاني المورخ (ت ٣٤٠ هـ / ٩٤٢م) والذي ترجم له ابن النديم فوصفه انه " من اهل الادب لايعرف (٣) من امره اكثر من هذا ،وله من الكتب كتاب البلدان نحو الف ورقة

---

(١) التوحيدي ـ م.س (١/١٤٥ ـ ١٤٦) .

(٢) كراتشكوفسكي ـ م.س (١/٦٣) .

(٣) اسماعيل البغدادي ـ هدية العارفين (١/٦٢) ،بروكلمان ـ م.س (٤/٢٣٨ـ ٢٣٩) ،كراتشكوفسكي ـ م.س (١/١٦٣) ،حميدة ـ م.س (ص ١١٢) ، احمد رمضان ـ الرحلة (ص ٨٥) .

اخذه من كتب الناس وسلخ كتاب الجيهانى"[١] . قال المقدسى " ورأيت كتابا صنفه ابن الفقيه الهمذانى فى خمس مجلدات سلك طريقة اخرى ،ولم يذكر غير المدائن العظمى وادخل فيه فنونا من العلوم مره يزهد فى الدنيا ودفعه يرغب فيها ووقتا يبكى وساعة يضحك ويلهى"[٢] . وقد انتقد المقدسى الكتاب فقال :"وربما كنت انظر فى كتاب ابن الفقيه فاقع فى حكايات وفنون انشأ اين كنت من البلدان ولم استحسن انا هذا"[٣] ،وقد اضاف ياقوت اضافات بسيطة عما ترجم له ابن النديم فقال :" محمد بن اسحاق ابن ابراهيم الفقيه ابو احمد والد ابى عبيد الاخبارى روى عن ابراهيم بن حميد البصرى وغيره ،وروى عنه ابنه ابو عبدالله ،وقال شيرويه احمد بن احمد بن محمد بن اسحاق بن ابراهيم الاخبارى ابو عبدالله يعرف بابن الفقيه ويلقب بحالان صاحب كتاب البلدان"[٤] ،ومن هذا نجد ان ابن الفقيه عرف بكتابه الموسوم ب " كتاب البلدان" الذى يقرب من الف ورقة ،والذى رتبه فى خمسة مجلدات[٥] .وهناك ثمة شك فى تاريخ تأليف الكتاب فقد قبل بروكلمان الرواية القائلة بانه قد الف فى اعقاب وفاة الخليفة المعتضد بالله العباسى سنة ٢٨٩هـ[٦] ،وقد قبل كراتشكوفسكى ذلك فجعله

---

(١) ابن النديم – الفهرست (ص ١٧١) .

(٢) المقدسى – احسن التقاسيم (ص ٤ – ٦) ،كراتشكوفسكى – م.س (١٦٢/١) .

(٣) المقدسى – احسن التقاسيم (ص ٥) .

(٤) ياقوت – معجم الادباء (١٩٩/٤ – ٢٠٠) .

(٥) ابن النديم – م.س (ص ١٧١) ، المقدسى – م.س (ص ٥) .

(٦) بروكلمان – م.س (٢٣٩/١) .

سنة ٢٩٠هـ/٩٠٣م . اما الاستاذ احمد رمضان فقد ذكر بان تاريخ تأليف الكتاب هو سنة ٢٧٩هـ/٨٩٢م [١]. والواقع فانه اذا ماقبلنا رواية ابن النديم [٢] من ان ابن الفقيه قد سلخ كتاب الجيهانى الذى اعتمد فى تأليفه على كتاب قدامة بن جعفر [٣]، فان جميع هذه التواريخ لاتخرج عن اطار الحدس غير الدقيق ذلك ان قدامة بن جعفر قد الف كتابه بعد سنة ٣١٦هـ / ٩١٩م [٤] كما سبق وان اشرنا . وحيث ان الجيهانى قد اعتمد عليه بعد ذلك ، فان تاريخ تأليف ابن الفقيه لكتابه يأتى بعد هذا التاريخ ، اى بعد سنة ٣١٦هـ / ٩١٩م بفترة مناسبة .

والملاحظ ان ابن الفقيه قد اتبع فى تأليفه البلدان اسلوب الجاحظ وقد وصف كتابه بانه كتاب جامع قصد به امتاع المثقفين [٥]، استقى فيه معلوماته من مصادر متعددة ومتنوعة كالجاحظ وابن خرداذبة ، والتاجر سليمان ، والبلاذرى ، والجيهانى [٦]. هذا وقد عنى المؤلف فى كتابه المذكور عناية خاصة باقليم العراق ، فقد حرص على ان يؤرخ لكل حادثة من حوادثه او ظاهر من ظواهره [٧]. هذا وقد ابدى العديد من الباحثين مختلف الاراء فى كتاب ابن الفقيه . فمنهم من وافق المقدسى فى رأيه [٨]

---

(١) كراتشكوفسكى ــ م.س (١٦٢/١) .

(٢) رمضان ــ الرحلة (ص ٨٥) .

(٣) بروكلمان ــ م.س (٢٤٤/٤) .

(٤) كراتشكوفسكى ــ م.س (١٦٥/١) ، رفاعى ــ م.س (ص ٧٧) .

(٥) كراتشكوفسكى ــ م.س (١٦٢/١) .

(٦) ن . م . س (١٦٣/١) .

(٧) د.رمضان ــ م.س (ص ٨٦) .

(٨) كراتشكوفسكى ــ م.س (١٦٣/١) .

ومنهم من وجه الى ابن الفقيه انتقادا لاذعا[١]،ومنهم من رأى انه كان يدلى برأيه فى حوادث التاريخ الاسلامى[٢]،والواقع ان من الصعوبة بمكان اعطاء تقويم دقيق ونهائى لكتاب البلدان لابن الفقيه الهمذانى ،ذلك ان اصله يزيد على الف ورقة ،غير انه ضائع فى غالبيته اذ لم يبق منه سوى شذرات بسيطة تتألف منها المخطوطة المحفوظة بمدينة مشهد فى خراسان والتى تمثل الجزء الثانى من اصل الكتاب ،ويبدأ على وجه التقريب بالكوفة[٣] ،وقد نشر دى غويه سنة ١٩٠٦م مختصرا لكتاب ابن الفقيه من اختصار على بن جعفر بن احمد الشيزرى[٤] ،رجح بانه يعود الى سنة ٤١٣هـ / ١٠٢٢م وذلك ضمن المكتبة الجغرافية الاسلامية . وتعود اهمية مختصر كتاب البلدان الى ان مؤلفه عالم عرف اراضى المشرق الاسلامى وتجول فى اطرافها ،وتحدث عنها تفصيلا وذكر فى كتابه بعضا من طرق البريد ومراكزه فى المشرق الاسلامى ،كما تضمن الكتاب بعض المصطلحات الخاصة بالبريد وبالمسافات والوسائل المستعملة لقياسها ،اضافة الى انه قد حدد فى كثير من الاحيان المسافات الكلية ،واعطى فى بعض الحالات تفصيلات جزئية دقيقة عن طرق البريد ومراكزه .

ومن بين الجغرافيين المسلمين الذين قدموا معلومات اسهمت فى بناء البحث ابو على احمد بن عمر بن رستة الذى يوصف بانه واحد من اعظم الجغرافيين المسلمين الذين عاشوا فى القرن الرابع الهجرى[٥] . وقد اكتنف

---

(١) حميدة ــ م٠س (ص ١١٢) .

(٢) رمضان ــ م٠س (ص ٨٥) .

(٣) كراتشكوفسكى ــ م٠س (١٦٣/١) .

(٤) بروكلمان ــ م٠س (٢٣٩/٤) .

(٥) بروكلمان ــ م٠س (٢٣٩/٤) ،كراتشكوفسكى ــ م٠س (١٦٤/١) ،خصباك ــ م٠س (ص ٣٢) ،رمضان ــ م٠س (ص ٨٩) .

الغموض الكثير من حياته ، اذ لانعرف منها سوى انه فارسى الاصل قضى الشطر الاكبر من حياته فى اصفهان (١) . ثم قام باداء فريضة الحج سنة ٢٩٠هـ / ٩٠٣م ،ثم الف موسوعته الموسومة ب " الاعلاق النفيسة" (٢) . ويرجع تاريخ كتاب ابن رستة الى مابعد سنة ٣١٦هـ / ٩٢٨م . وقد توهم العديد من الباحثين امثال بروكلمان وماكفارت وكراتشكوفسكى فى تاريخ تأليف ابن رستة لهذا الكتاب ،وقد تابعهم فى ذلك د.حميد ة ،ود. رمضان دون الاشارة الى مصادرهما (٣) ،ودون التثبت من صحة ذلك ،فقد جعل بروكلمان تاريخ التأليف بعد سنة ٣١٠هـ / ٩٢٣م ،فى حين حدد ماكفارت ذلك بسنة ٣١٠هـ / ٩٢٣م ، اما كراتشكوفسكى فقد جعله بسنة ٢٩٠هـ / ٩٠٣م معتمدا على بارتولد وبالتدقيق نجد انه اشار دون ان يشير الى مصادر معلوماته بان المؤلف يرجع الى الاعوام الاولى من القرن العاشر الميلادى (٤) ،وقد تابعهم د. حميدة فى ذلك وحدده فيما بعد سنة ٢٩٠هـ / ٩٠٣م دون اشارة الى مصادرمعلوماته ايضا ،وكذلك فعل د.رمضان الذى جعله حوالى سنة ٢٩٩هـ . ولم يشر هو الآخر الى مصادرمعلوماته . والواقع ان بعضهم قد ناقض نفسه ، اذ انكراتشكوفسكى ذكر رأى ماكفارت فى الترجيح لهذا التاريخ لان ابن رستة اعتمد بصفة اساسية على كتاب الجيهانى (٥) ،كذا اشار كراتشكوفسكى الى بارتولد اشارات خاطئة ،هذا ويبدو ان كتاب ابن

---

(١) حميدة ــ م.س (ص ٩٩) .

(٢) كراتشكوفسكى ــ م.س (١٦٤/١) ،حميدة ــ م.س (ص ٩٩) .

(٣) بروكلمان ــ م.س (٢٣٩/٤) ،كراتشكوفسكى ــ م.س (١٦٤/١) ،حميدة ــ م.س (ص ٩٩) ،رمضان ــ م.س (ص ٨٩) .

(٤) بارتولد ــ تركستان (ص ٦٧) .

(٥) كراتشكوفسكى ــ م.س (١٦٤/١) .

رستة ينضم الى ذلك النوع من المؤلفات والتى قصد بها على مايظهر زيادة ثقافة كتاب الدواوين ،كما (١) ابن رستة ينطلق من منظور اسلامى فى كتاباته باستناده على شواهد من القرآن الكريم فى محاولة اثبات وجهات نظره التى اوردها فى كتابه (٢) . وتعود اهمية كتاب ابن رستة من وجهة نظر البحث فى انه قد تتبع طرق البريد ومراحله ،بدقة لاتقل عما فعل كل من ابن خرداذبة ،وقدامة . ويبدو انه قد اعتمد فى جزئيات من كتابه على مصادر مختلفة اهمها كتاب ابن خرداذبة ،كما انه دون خلال رحلته التى قام بها لاداء فريضة الحج فى سنة ٢٩٠هـ / ٩٠٣م (٣) ، مشاهداته الشخصية اضافة الى خبراته القديمة ولهذا فان كتاباته تعبر عن خبرة واقعية صادقة لما شاهده اضافة الى مصادره التى اعتمد عليها ولعل كتاب ابن رستة يزيد فى التأكيد على ان مؤلفات كل من ابن خرداذبة ،وقدامة تعتبر بمثابة وثائق رسمية .

ومن الجغرافيين المسلمين الذين كان لهم باع واسهام فى توضيح بعض الطرق والمسالك التى استخدمت فى البريد فى فترة من الفترات التى عنى بها البحث ابو زيد احمد بن سهل البلخى الذى ذكره عدد من العلماء المسلمين واثنوا عليه ثناء عاطرا وذلك امر يشير الى مكانته العلمية الكبيرة . فقد ولد البلخى فى سنة ٢٣٥هـ / ٨٤٩م وتاقت نفسه فى شبابه الى الرحلة فى طلب العلم وتلقى العلماء . ونتلمس ذلك فى قول ياقوت "انه لما كان فى عنفوان شبابه وطراءة زمانه واول حداثته

---

(١) ن . م . س (١٦٤/١) .

(٢) ن . م . س (١٦٤/١)،حميدة - م.س (ص ٩٩) .

(٣) ن . م . س (١٦٤/١)،ن . م . س (ص ٩٩) .

ومـاثه دعته نفسه الى ان يسافر ويدخل ارض العراق ويجثو بين يدى العلماء ويقتبس منهم العلوم فتوجه اليها راجلا مع الحاج واقام بها ثمانى سنين وجازها وطوف البلدان المتاخمة لها ولف الكبار والاعيان"(١)٠وقد كشف ياقوت النقاب عن علومه ومعارفه ،فقد عرف ابو زيد بالبلاغة وذلك مانتلمسه عند ياقوت فى قوله " اتفق اهل صناعة الكلام ان متكلمى العالم ثلاثة الجاحظ وعلى بن عبيدة اللطفى وابو زيد البلخى فمنهم من يزيد لفظه على معناه وهو الجاحظ ومنهم من يزيد معناه على لفظه وهو على بن عبيدة ومنهم من توافق لفظه ومعناه وهو ابو زيد"(٢)،وكما انه عرف بالبلاغة فقد كان من العربية وعلومها بمكان حتى انه اطلق عليه جاحظ خراسان ،والف عددا من المؤلفات لانعرف منها الا اسمائها منها كتاب النحو والتصريف ،وكتاب صناعة الشعر(٣) ٠ وقد كان لابى زيد اسهام فى البحث فى العلوم الشرعية فقد ذكر ياقوت انه بحث عن اصول الدين اتم بحث وابعد استقصاء"(٤) ٠ ويبدو ان هذه المعرفة بالعلوم الشرعية قد هيأت له الفرصة لتأليف العديد من المؤلفات ذكرها ابن النديم وياقوت منها كتاب كمال الدين،وكتاب اسماء الله وصفاته ،وكتاب عصمة الانبياء ،وكتاب فوارع القرآن ،وكتاب ما اغلق من غريب القرآن وكتاب فى انسورة الحمد تنوب عن جميع القرآن ،وكتاب تفسير الفاتحة(٥)

---

(١) ياقوت ــ معجم الادباء (٣/٧٢) ٠

(٢) ن ٠ م ٠ س (٣/٧٨ ــ ٧٩) ٠

(٣) ن ٠ م ٠ س (٣/٧٩) ٠

(٤) ن ٠ م ٠ س (٣/٧٣) ٠

(٥) ابن النديم ــ م٠س (ص ١٥٣) ،ياقوت ــ م٠س (٣/٦٦ ــ ٦٨) ٠

كما ان البلخى قد اشتهر بعلوم الفلسفة والتنجيم والهيئة والطب والطبائع ،ونرى ذلك فى قول ياقوت " وتتلمذ لابى يوسف يعقوب بن اسحاق الكندى وحصل من عنده على علوم جمة وتعمق فى علم الفلسفة وهجم على اسرار علم التنجيم والهيئة وبرز فى علم الطب والطبائع "[١] . وبهذا يكشف لنا ياقوت عن واحد من اساتذته الذين تلقى عليهم العلوم التى اشتهر بها وغلبت عليه وهو الكندى الذى عاش مابين سنة ١٨٥هـ / ٩٠١م وسنة ٢٥٢هـ / ٨٦٨م والذى اشتهر بالفلسفة والمنطق والرياضيات والطب[٢] .

وبعد استعراض ياقوت لترجمة البلخى والعلوم التى اختص بها فانه اثنى عليه ثناءا عاطرا فقد نقل عن ابى حيان الفارسى قوله " والذى اقول واعتقد وآخذ به واستهم عليه انى لم اجد فى جميع من تقدم وتأخر ثلاثة لو اجتمع الثقلان على تقريظهم ومدحهم ونشر فضائلهم فى اخلاقهم وعلمهم ومصنفاتهم ورسائلهم مدى الدنيا الى ان يأذن الله بزوالها لما بلغوا آخر مايستحقه كل واحد منهم احدهم ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ،والثانى احمد بن داود الدينورى والثالث ابو زيد احمد بن سهل البلخى ،فانه لم يتقدم له شبيه فى الاعصر الاول ولايظن انه يوجد له نظير فى مستأنف الدهر ،ومن تصفح كلامه فى كتاب اقسام العلوم وفى كتاب اخلاق الامم وفى كتاب نظم القرآن وفى كتاب اخبار السير ،وفى رسائله الى اخوانه وجوابه عما يسأل عنه ويبده به علم انه بحر من البحور وانه عالم من العلماء ومارئى فى الناس من جمع بين الحكمة والشريعة سواه وان القول فيه لكثير ولو تناصرت الينا اخبارهما

---

(١) ياقوت ــ م.س (٧٣/٣) .

(٢) عبد الحليم منتصر ــ تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه (ص ١٦١) ،عمر فروخ ــ تاريخ العلوم عند العرب (ص ١٣٣) .

لكنا نحب ان نفرد لكل منهما تقريظا" [١] .

ومع ماعرف به ياقوت من دقة فانه قد نقل هذه الرواية بتمامها دون ان يضيف اى تعليق عليها رغم مايعتورها من اجحاف وتجاوز كبيرين على السلف الصالح وتاريخ الفكر الاسلامى .غير ان النص على كل حال قد اثار مسألة مهمة وهى مسألة التدقيق فى عقيدة البلخى ،فقد صدر هذا النص عن ابى حيان الفارسى الذى الف كتاب البصائر [٢] ،والذى يغلب على الظن انه من الشيعة العلوية ،وقد غلب الفارسى الميل الى العقيدة ووصف البلخى بما لايستحقه ومالايجوز ان يوصف به ،وبالتدقيق فى هذه الرواية نجد انه قد امتدح ثلاثة رجال ليس بينهم واحد من اهل السنة والجماعة فالجاحظ كان يذهب الى القول بالاعتزال ،وابو حنيفة الدينورى شيعى المذهب والهوى [٣] ،واما البلخى فقد اختلفت فيه الروايات فقد ذكر ابن النديم انه كان يرمى بالالحاد [٤] ، اما ياقوت فقد اورد حول معتقده روايات متضاربة ،فقد ذكر انه كان فى اول امره يعتقد مذهب الامامية وانه خرج فى طلب الامام الى العراق ،وانه قد عير فى ذلك ،ونتلمس هذا فى قوله " اعلم ان ابا زيد فى اول امره كان خرج فى طلب الامام الى العراق اذ كان قد تقلد مذهب الامامية" [٥] . ثم ذكر كما اسلفنا مايؤيد ذلك فى قوله ان اهل صناعة الكلام قد اتفقوا على القول بان متكلمى العالم

---

(١) ياقوت ـ م.س (٣/٢٨ ـ ٢٩) .

(٢) ياقوت ـ م.س (٣/٧٧) .

(٣) السلمى ـ منهج كتابة التاريخ الاسلامى (ص ٣٧١) .

(٤) ابن النديم ـ م.س (ص ١٥٣) .

(٥) ياقوت ـ م.س (٣/٧٤) .

ثلاثة ابرزهم البلخى ،والمعروف ان اهل صناعة الكلام هم المعتزلة . ثم عاد ياقوت فرماه بالمروق والايحال فقال عنه انه " كان يسند الامر الى النجوم والاحكام" (١) . ولم يكتف ياقوت بكل مامر ذكره ،فناقض نفسه حين قال ان ابا زيد كان حسن الاعتقاد ومن حسن اعتقاده انه كان لايثبت من علم النجوم والاحكام ،واستشهد بقول الامام ابى بكر احمد بن محمد بن العباس البزار امام بلخ والمفتى بها الذى اثنى " عليه خيرا وقال انه كان قويم المذهب حسن الاعتقاد لم يعرف بشئ فى ديانته كما ينسب اليه من نسب الى علم الفلسفة ،وانه لم يعثر له على ماله من المصنفات الجمة كلمة تدل على القدح فى عقيدته" (٢) . وايد ياقوت هذا الرأى فقال بانه " بحث عن اصول الدين اتم بحث وابعد استقصاء حتى قاده ذلك الى الحيرة وزل به عن النهج الاوضح ... ثم انه لما كتبه الله فى الاول من السعداء وحكم بانه لايتركه يتسكع فى ظلمات الاشقياء بصره الى ارشد الطرق واقوم السبل فاستمسك بعروة من الدين وثيقة وثبت من الاستقامة على بصيرة وحقيقة" (٣) . وقد ساق ياقوت ادلة على حسن اعتقاده منها انه كان " يتحرج عن تفضيل الصحابة بعضهم على بعض ،وكذلك عن مفاخرة العرب والعجم" مستندا فى ذلك الى آيات من القرآن الكريم والى حديث النبى الكريم صلى الله عليه وسلم (٤) . ومنها انه "كان يتنزه عما فى القرآن الا الظاهر المستفيض من التفسير والتأويل والمشكل من

---

(١) ن . م . س (٧٣/٣) .

(٢) ن . م . س (٧٤/٣) .

(٣) ن . م . س (٧٣/٣) .

(٤) ن . م . س (٧٧/٣ – ٧٨) .

الاقاويل وحسبك ما الفه من كتاب نظم القرآن الذى لايفوقه فى هذا الباب تاليف"[١] . كما ذكر انه " كان فاضلا يذهب فى رأى الفلسفة لكنه تكلم فى القرآن بكلام لطيف دقيق فى مواضع واخرج سرائره وسماه نظم القرآن ولم يأت على جميع المعانى فيه"[٢] . كما ذكر انه " ماصنف فى الاسلام كتاب انفع للمسلمين من كتاب البحث عن التأويلات الذى صنفه ابو زيد البلخى وهذا الكتاب يعنى كمال الدين"[٣] . ونخلص من هذا الى ان ياقوت يرى ان ابا زيد عندما درس فى بداية حياته علوم الفلسفة وغيرها تأثر ببعض الآراء فقادته الى الحيرة غير انه مالبث ان عاد الى الطريق المستقيم .

اما عن مكانته الادارية ،فقد كان على اتصال فترة من الفترات بالجيهانى وزير نصر بن احمد السامانى[٤] ،وكان الجيهانى يجرى عليه الجرايات . غير انه لم تلبث انساءت العلاقة التى كانت فيما بينهما الى درجة القطيعة ،وقد اوقف الجيهانى الجرايات التى كان يجريها عليه . والظاهر فى الخلاف يعود الى المعتقد فقد كان الجيهانى كما ذكر ابن النديم وياقوت ثنويا،وعندما املى ابو زيد كتاب القرابين وكتاب الذبائح بدأ بينهما خلاف تطور الى القطيعة[٥] ،ولعل هذا الخلاف قد ادى بابى زيد البلخى الى ان يتحول الى احمد بن سهل المروزى الذى

---

(١) ن . م . س (٧٧/٣) .

(٢) ن . م . س (٧٧/٣) .

(٣) ن . م . س (٨٠/٣) .

(٤) ابن النديم – م.س (ص ١٥٣) ،ياقوت – م.س (٦٦/٣) .

(٥) ابن النديم – م.س (ص ١٥٣) ،ياقوت – م.س (٦٦/٣) .

استولى على بلخ فيما بعد ،فقد راوده على ان يستوزره فابى عليه واختار سلامة الاولى والعقبى (١) • ولكن الامير احمد بن سهل المروزى لم يترك البلخى دون ان يستفيد من علومه ومعارفه ،فاتخذ ابو القاسم الكعبى وزيرا وابو زيد كاتبا ،وكانا من الكتاب وجعل لابى زيد خمسمائة درهم رزقا فى الشهر كما ذكر ياقوت (٢) ،وقد مكنت هذه المنزلة ابا زيد من الاطلاع على مجريات الامور فى الامارة التى عمل فيها ولعل هذا الاطلاع قد ساعده كثيرا ومكنه من كتابة مؤلفاته الجغرافية ،التى يبدو منها انها نتاج عالم مدقق استقى معلوماته من كتب سابقة كما استقاها من الرواة (٣) • ولعله قد استقى معلوماته فيها من خبرته الادارية فى الفترة التى اتصل فيها بالمروزى وعمل كاتبا فى ديوانه الى ان وافته الوفاة فى شهر ذى القعدة من سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٤م (٤) • وقد ذكر ابن النديم قائمة مؤلفاته التى بلغت خمسة واربعين مؤلفا (٥) • وذكر له ياقوت قائمة بلغت ستا وخمسين مؤلفا (٦) • وذكر فى موضع آخر انها بلغت نحو سبعين مؤلفا وقد ذكر بروكلمان انه لم يبق منها باستثناء كتاب مصالح الابدان

---

(١) ياقوت – م•س (٣/٧٥) •

(٢) ياقوت – م•س (٣/٧٥ – ٧٦) •

(٣) د•حميدة – م•س (ص ١٦٥) •

(٤) ياقوت – م•س (٣/٧٥،٧٦،٨٢)،وقد اخطأ بروكلمان فذكر وفاته فى شهر شوال ،انظر تاريخ الادب العربى (٤/٢٤٦) •

(٥) ابن النديم – م•س (ص ١٥٣) •

(٦) ياقوت – م•س (٣/٦٦ – ٦٨، ٨١) •

والانفس . وكتاب صور الاقاليم (١) ،وقد عثرت له على مؤلف موسوم بـ " ذكر المسافات وصور الاقاليم" (٢) . والغريب ان كلا من كتاب صور الاقاليم وكتاب ذكر المسافات لم يكونا ضمن القوائم التى ذكرها ابن النديم وياقوت (٣) وتعود اهمية كتاب ذكر المسافات الى ان المؤلف تحدث فيه عن الطرق الى مشرق العالم الاسلامى وشماله ،وقد حدد المؤلف المسافات فى بعض الاحيان بدقة غريبة تنبىء عن علم واسع ومعرفة واعية بهذه الطرق (٤) ،كما انها تعكس خبرة ادارية كبيرة وربما الاثنين معا . وقد اعتمد البحث كثيرا على ماقدم البلخى فى هذا الاطار .

ويعتبر لسان اليمن الحسن بن احمد بن يعقوب الهمدانى المعروف بابن الحائك (٥) من العلماء المسلمين الذين اسهموا بنصيب فى علوم شتى ،وقد قرظه عدد من العلماء وقرظه القفطى بـ " الاديب النحوى الطبيب المنجم الاخبارى اللغوى نادرة زمانه وفاضل اوانه الكبير القدر الرفيع الذكر صاحب الكتب الجليلة والمؤلفات الجميلة ،لو قال قائل لم يخرج فى اليمن مثله لم يزل لان المنجم من اهلها لاخطر له فى الطب والطبيب لابد له من الفقه ،والفقيه لابد له من علم العربية وايام العرب وانسابها واشعارها وهو قد جمع هذه الانواع" (٦) . وقال عنه ياقوت انه

---

(١) بروكلمان – تاريخ الادب العربى (٤/٢٤٦) .

(٢) البلخى – ذكر المسافات وصور الاقاليم (مخطوط) نسخة بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة رقم (٨/٩١٠) .

(٣) ابن النديم – الفهرست (ص ١٥٣) ،ياقوت – معجم الادباء (٣/٦٦ – ٦٨) .

(٤) البلخى – ذكر المسافات وصور الاقاليم لوحة (٤٦ – ٧٤) .

(٥) الهمدانى – صفة جزيرة العرب (تحقيق الاكوع) (ص ٨) ،وقد رجح الجاسر تاريخ ولادته بسنة ٢٨٠هـ .

(٦) القفطى – انباه الرواة (ص) ، الهمدانى – صفة جزيرة العرب (ص ١٨) .

من مفاخر همدان وذكره السيوطى انه [1] " الاوحد فى عصره الفاضل من سبقه المبرز على من لحقه لم يولد فى اليمن مثله علما وفهما ولسانا وشعرا ورواية وفكرا واحاطة بعلوم العرب من النحو واللغة والغريب والشعر والايام والانساب والسير والمناقب والمثالب مع علوم العجم فى النجوم والمساحة والهندسة والفلك ،ولد بصنعاء ونشأ بها ثم ارتحل وجاور مكة وعاد فنزل صعدة وهاجى شعرائها فنسبوه الى انه هجا النبى صلى الله عليه وسلم فسجن وله تصانيف فى علوم منها الاكليل فى الانساب والحيوان والقوسوالايام ،وغير ذلك وله ديوان شعر ست مجلدات" [2] •

ان هذه الشهادات التى وردتنا عن الهمدانى تنبىء عن مكانته العلمية الكبيرة واتساع آفاق المعرفة لديه اتساعا يدعو الى الدهشة والاستغراب بالنسبة لرجل عاش فى مكان يكاد ان يكون منعزلا عن مراكز الحضارة الرئيسية ذلك العصر غير ان الهمدانى تمكن من ان يستوعب جميع تلك العلوم ومن هنا اتسعت جوانب معارفه حتى انه طرق آفاقا قد لايجد الباحث احدا غيره قد طرقها [3] وقد ذكر الشيخ الجاسر "ان الدارس لكل مايتصل بحياة الهمدانى يجد ان تعصبه لقومه او للقحطانية [4] تعصبا غريبا حتى انه خرج الى تغير الحقائق [5] " • وقال عنه ايضا " انه مشهور بالكذب فى الانساب مع معرفته بها ومن كذبه انكاره دخول الحبشة اليمن وصنعاء

---

(١) ياقوت ـ معجم الادباء (٦/٢٣٠ ـ ٢٣١) •

(٢) السيوطى ـ بغية الوعاة (ص ٢٠٤) •

(٣) الهمدانى ـ صفة جزيرة العرب (ص ١٧) •

(٤) ن • م • س (ص ١٧) •

(٥) ن • م • س (ص ١٥) •

وافاد ان العرب ارفع شأنا واقوى مكانا من ان يدخلهم الحبشة انما دخلوا من ساحل جدة الى مكة"[(١)] . كما اشار الى " انه يثبت الحقائق على صحتها ما استطاع فى كل مالايمس همدانيته ويمنيته فاذا لامس العلم هذا الجانب الحساس وجد فيه ضعفا"[(٢)] . ولسنا بصدد الدفاع عن الهمدانى او الطعن عليه ذلك ان الغاية هى الوصول الى الحقيقة ويكفى لتضعيف هذه الاتهامات ان نشير الى ماذكره الشيخ الجاسر فيما بعد حين قال " لاشك ان الدامغة هى التى فتحت على الهمدانى ابواب الطعن وسبل الاتهام ولهذا وصفه الزيديون بانه كان سبابا لاهل البيت"[(٣)] ،فى حين ان ياقوت لم يذكر عن الهمدانى ذلك حيث قال " وله كتاب الاكليل فى مفاخر قحطان وحمير وله قصيدة سماها الدامغة فى فضل قحطان اولها :

الايادار لولا تنطقينا   فانا سائلوك فخبرينا"[(٤)]

وقد ذكر السيوطى انه نزل صعدة وهاجى شعرائها فنسبو اليه انه هجا النبى صلى الله عليه وسلم فسجن[(٥)] ،والفيصل فى هذا الامر هو البحث عن عقيدة الهمدانى . ويبدو ان الخلاف فى اصله خلاف مذهبى ،ذلك ان الهمدانى لما عاد الى اليمن استقر فى صعدة وهى آنذاك قاعدة ائمة الزيدية[(٦)] ،حصل حينئذ الخلاف بينه وبين ثلاثة من الشعراء وهم الشريف

---

(١) ن . م . س (ص ١٥) .

(٢) ن . م . س (ص ١١) .

(٣) ن . م . س (ص ١٥) .

(٤) ياقوت - معجم الادباء (٦/٢٣٠ - ٢٣١) .

(٥) السيوطى - بغية الوعاة (ص ٢٠٤) .

(٦) الهمدانى - صفة جزيرة العرب (ص ١٤) .

الحسين بن على الرسى وابو الحسن بن ابى الاسد السلمى ،وايوب بن محمد البرسمى . بسبب تعصبهم على القبائل اليمنية فهجاهم ،فاشتد عليهم ذلك،فالبوا عليه صاحب صعدة الناصر لدين الله بادعائهم كذبا انه هجا النبى صلى الله عليه وسلم (١) ،وعلى اثرها سجن الهمدانى فترة فيما بين ٣١٩ - ٣٢١هـ (٢) . والراجح ان الهمدانى كان من اهل السنة ،نلمس ذلك فى موقف الزيدية منه ،وتلك الصفات التى وصفوه بها كما سبق وان اشرنا ويؤيد هذا القول انه قضى فترة من حياته فى مكة المكرمة كتب فيها صدرا من الحديث والفقه ،وتتلمذ على يد الشيخ الخضر بن داود وهو من رواة السيرة عن محمد بن حاتم عن عمار بن الحسن عن سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحاق (٣) . وليس فى النصوص مايشير الى دقة القول بتحريفه للانساب والظاهر فى الامر ان الهمدانى عندما الف الدامغة نزعة فيها الاعتزاز للوطن والحنين للموطن الى الاغراق فى التفاخر والتباهى ،ويبدو ان يدا قد امتدت على قصيدته فزيد فيها بما لم يكن منها اصلا والا لوضح ياقوت والسيوطى ذلك ،ويستدل على هذا فى ان مطلع القصيدة التى ذكرها ياقوت تختلف عما ورد فى كتاب الاكليل ،ولعل اكثر آثار الهمدانى اهمية بالنسبة لهذه الرسالة كتابه الموسوم بـ " صفة جزيرة العرب" والذى ظهر الهمدانى من خلاله واحدا من فحول الجغرافيين المسلمين الذين تضلعوا فى هذا العلم ،ونقبوا فى غرائبه ونوادره ،فقد احتوى مؤلفه هذا

---

(١) الهمدانى - صفة جزيرة العرب (ص ١٤) ،حميدة - اعلام الجغرافيين العرب (ص ٢٣٧ - ٢٣٨) .

(٢) الهمدانى - صفة جزيرة العرب (ص ١٧) ،حميدة - اعلام الجغرافيين (ص٢٣٨)

(٣) الهمدانى - صفة جزيرة العرب (ص ٩) .

(٤) الهمدانى - م.س (ص ١٨) .

معلومات قيمة كانت نتاج معرفة دقيقة بل وخبرة واقعية وتعبير عن معاينة وتدقيق ،ولقد قرظ عدد من الباحثين هذا الكتاب فمنهم من افرد له مكانة خاصة وذكر انه مصنف فريد من نوعه(١)، ومنهم من ذكر بان كتاب الهمدانى هذا الى جانب كتاب المقدسى يعتبران من اهم ما انتجه العرب فى الجغرافيا(٢)،ويبدو من هذا المؤلف والذى لايزال محتفظا بقيمته العلمية ان الهمدانى كان متمكنا فى الادب واللغة(٣)،مما جعله على علم تام بمادة الجغرافية اللغوية،ويظهر انه كان علم بالجغرافية الفلكية الرياضية ،فقد بدأ مؤلفه بمقدمة رياضية جغرافية اوضح فيها الطرق المختلفة لتحديد الطول والعرض(٤)، واساس مؤلفه هذا كان فى اغلبه وصف لجزيرة العرب احتل اليمن فيه مكان الصدارة تفصيلا وبخاصة المناطق التى كانت تقطنها قبيلة همدان(٥)، كما انه خلد عددا من القصائد التى حدد فيها الكثير من مراكز البريد فى القسم الجنوبى للجزيرة العربية. كما انه تعرض الى طريق الجادة ايضا(٦)،وقد توفى الهمدانى فى سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٥م(٧) .

---

(١) كراتشكوفسكى ـ م.س (١/١٧٠).

(٢) كراتشكوفسكى ـ م.س (١/١٧٠)، Sprenger , Die post , P.(XV111)

(٣) كراتشكوفسكى ـ م.س (١/١٧٢)،حميدة ـ م.س (ص ٣٩) .

(٤) ن . م . س (١/١٧١)،ن . م . س (ص ٢٣٨) .

(٥) ن . م . س (١/١٧١)،ن . م . س (ص ٢٣٩) .

(٦) الهمدانى ـ م.س (ص ٤١٠) ومابعدها،كراتشكوفسكى ـ م.س (١/١٧٢) .

(٧) اسماعيل باشا ـ هدية العارفين (٥/٢٦٩)،كراتشكوفسكى ـ م.س (١/١٧٠) ويلاحظ ان الجاسر قد رجح ان وفاته قد تأخرت الى مابعد سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م، انظر مقدمة كتاب الهمدانى (ص ٣١) .

ومن الجغرافيين المسلمين الذين كان لهم باع طويل ونصيب وافر في هذا المجال شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد بن ابى بكر البشارى المعروف بالمقدسى (١)، ونستقرىء من خلال كتابه الموسوم بـ " كتاب احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم " شذرات عن حياته ،فقد اشار الى سنه حين الف الكتاب بقوله " واعلم انى مع هذه الوثائق والشروط لم اظهره حتى بلغت الاربعين ،ووطئت جميع الاقاليم وخدمت اهل العلم والدين واتفق وفاء ذلك بمصر فارس فى دولة امير المؤمنين ابى بكر عبدالكريم الطائع وعلى المغرب ابو منصور نزار العزيز بالله امير المؤمنين سنة ٣٧٥هـ" (٩٨٥م) (٢) وعليه فان المرجح ان تكون ولادته فى حدود سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م (٣) ، اما عن حياته واسرته ،فلا نكاد نعرف عن احد من اسلافه بعد جده ابى بكر المقدسى الذى يبدو ان له خبرة فى بناء الاسوار الحصينة ،والراجح انه قد بلغ شأوا فى هذه المهنة واشتهر بها حتى انيط اليه بناء سور عكا من قبل ابن طولون وقد ذكر المقدسى ذلك عند حديثه عنمدينة عكا فقد اشار الى انها " لم تكن على هذه الحصانة ،حتى زارها ابن طيلون وكان قد رأى صور ومنعتها واستدارة الحائط علىمينائها فاحب ان يتخذ لعكا مثل ذلك فجمع صناع الكورة وعرض عليهم ذلك فقيل لايهتدى احد الى

---

(١) المقدسى – احسن التقاسيم (ص ١)،ياقوت – معجم الادباء (٨٦/٣) ، بروكلمان – م٠س (٢٥٣/٤ – ٢٥٤)،كراتشكوفسكى – م٠س (٢٠٩/١) ميخائيل رامارى– المكتبة الصقلية (الباب ٨٧ من كتاب احسن التقاسيم)(ص ٥٤) سوسة – م٠س (١٩٣/١)،حميدة – م٠س (ص ٢١٠)،خصباك – م٠س (ص ١٠٨) ، رمضان – م٠س (ص ١٢٩) ٠

(٢) المقدسى – م٠س (ص ٨ – ٩) ٠

(٣) انظر كراتشكوفسكى – م٠س (١٠٩/١)،سوسة– م٠س (١٩٣/١)،حميدة م٠س (ص ٢١٠) ٠

البناء فى الماء فى هذا الزمان . ثم ذكر له جدنا ابو بكر البناء وقيل ان كان عند احد علم هذا فعنده فكتب الى صاحبه على بيت المقدس حتى انهضه اليه فلما صار اليه وذكر له ذلك ،قال : هذا امر هين ..." .(١)

اما والده فلاتقدم المصادر مايفصح عن حياته اومهنته ،وكذلك الحال مع كاتبنا المقدسى نفسه فان كل مالدينا عنه هوالاشارات المقتضبة التى ذكرها هو عن حياته اضافة الى بعض المعلومات اليسيرة التى وردت فى المصادر التى ترجمت له . فلقد اشار اليه ياقوت عرضا خلال ترجمة ابى زيد البلخى ودون ان يفرد له ترجمة خاصة به(٢) ،ونسبه صاحب هدية العارفين بعد ذكر اسمه الى الحنفية والى صنعة التاريخ واشار الى سنة وفاته واضاف بانه " له احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم فى مجلدات"(٣) . وقد ذكر احد الباحثين المعاصرين ،دون ان يشير الى مصادره ،بان المقدسى قدتعلم القراءةوالكتابة وحفظ القرآن الكريم وبانه قد عرف شيئا من علوم النحو وعلوم اللغة ،وبانه لما صلب عوده ارتحل الى العراق وهناك تفقه على مذهب ابى حنيفة وخالط الفقهاء والعلماء والمتكلمين"(٤) . ويضيف لنا ذلك عند التثبت منه معلومة جديدة وهى رحلة المقدسى الى العراق التى تسببت فى تخصصه فى الفقه على مذهب الامام ابى حنيفة . وقد ينسجم هذا القول مع ماذكره اسماعيل باشا البغدادى بشأن مذهبه ،الا ان ذلك لايستلزم الرحلة الى العراق

---

(١) المقدسى ـ م.س (ص ١٦٣) ،كراتشكوفسكى ـ م.س (١٠٩/١) ،حميدة ـ م.س (ص ٢١٠) .

(٢) ياقوت ـ م.س (٨٦/٣) .

(٣) اسماعيل باشا ـ هدية العارفين (٦٢/٦) .

(٤) حميدة ـ م.س (ص ٢١٠) .

بالضرورة ، اما عن مخالطة المقدسى للفقهاء والعلماء والمتكلمين وغيرهم فهوامر قد ذكره المقدسى نفسه فى مقدمة كتابه (١) . اما عن تعلمه القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم وشيئا من النحو وعلوم اللغة العربية فانه امر متوقع فى ثقافة الكتاب فى ذلك العصر . وقد ذكر كراتشكوفسكى دون ان يشير الى مصادره بان اسرة ام المقدسى تنتمى الى قرية بير (٢) من اعمال قومس ،وان هذا الاصل قد مهد له التعرف على نصف رقعة العالم الاسلامى (٣) . وقد تبنى حميدة هذا الرأى دون ان يشير الى صاحبه . على ان مثل هذا الاستنتاج لاينسجم مع منطق الامور اضافة الى تناقضه مع ماذكره المقدسى نفسه عن رحلاته وتجاربه (٤) . فقد افرد المقدسى فى كتابه بابا فى " ذكر ماعاينت من الاسباب " ذكر فيه بان " جماعة من اهل العلم والوزراء قد صنفوا فى هذا الباب وان كانت مختلة غيران اكثرها بل كلها سماع لهم ونحن فلم يبق اقليم الا وقد دخلناه واقل سبب الا وقد عرفناه وماتركنا مع ذلك البحث والسؤال والنظر فى الغيب فانتظم كتابنا

---

(١) المقدسى ـ م٠س (ص ٢) ٠

(٢) لم اجد ذكرا لموضع بهذا الاسم فى المصادر الجغرافية لدى ،ويبدو ان كراتشكوفسكى الذى ذكر هذه المعلومة دون ان يحدد مصدرها قد اخطأ فى قراءة الاسم اذ لايوجد قرية من اعمال قومس بهذا الاسم ولعل المقصود "بيار مغون" فقد ذكر المقدسى نفسه قومس وقال وقصبتها الدامغان ومدنها سمنان بسطام زغنه بيارمغون ،وذكر ياقوت كذلك ان بيار من مدن قومس وقد نقل حميدة هذه المعلومة دون ان يدقق فيها كما انه لم يشر الى كراتشكوفسكى كما هو مقتضى الامانة العلمية مع انه نقلها حرفيا منه ،انظر المقدسى ـ م٠س (ص ٣٥٣ ـ ٣٥٤) ،ياقوت <u>معجم البلدان</u> (٤١٤/٤) ،كراتشكوفسكى ـ م٠س (٢٠٩/١) ،حميدة ـ م٠س (ص ٢١٠) ٠

(٣) كراتشكوفسكى ـ م٠س (٢٠٩/١) ،حميدة ـ م٠س (ص ٢١٠) ٠

(٤) المقدسى ـ م٠س (ص ٤٤) ،رمضان ـ م٠س (ص ٣١) ٠

هذا ثلاثة اقسام احدها ماعايناه والثانى ماسمعناه من الثقات والثالث ماوجدناه فى الكتب المصنفة فى هذا الباب وفى غيره"[(١)] . واضاف بانه "مابقيت خزانة ملك الا وقد لزمتها ،ولاتصانيف فرقة الا وقد تصفحتها ولامذاهب قوم الا وقد عرفتها ،ولااهل زهد الاوقد خالطتهم ،ولامذكروا بلد الاوقد شهدتهم حتى استقام لى ما ابتغيته فى هذا الباب"[(٢)] .

وبعد هذا القول الذى لايثبت امام النقد العلمى ،يعود حميدة ليناقض نفسه فيذكر ان ولع المقدسى بالاسفار قد دفعه الى التجوال فى كل انحاء الاقطار الاسلامية[(٣)] ،وقد كان الاولى بالباحث الفاضل ان يبرز المكانة التى تبوأها المقدسى بين مصاف الجغرافيين المسلمين،وان لاينساق خلف كراتشكوفسكى الذى شكك فى مكانة المقدسى وان كان قد اعتبره "آخر الممثلين الكبار للمدرسة الكلاسيكية"[(٤)]،ويبدو ان عددا من المستشرقين قد اتضحت لهم الصورة المشرقة للمقدسى فقد وصفه بعضهم بانه " اكبر جغرافى عرفته البشرية قاطبة"[(٥)] ،ومنهم من ذكر ان كتاب المقدسى يعد " الاساس لمعرفة العالم الاسلامى فى القرن الرابع الهجرى"[(٦)] ومنهم من يرى بان المقدسى " اكثر الجغرافيين اصالة" ،وبانه " من اكثر المؤلفات الجغرافية قيمة فى الادب العربى"[(٧)] . والحق فان مكانة المقدسى

---

(١) المقدسى – م.س (ص ٤٣) ،رمضان – م.س (ص ١٣١) .

(٢) المقدسى – م.س (ص ٤٣) .

(٣) حميدة – م.س (ص ٢١٠) .

(٤) كراتشكوفسكى – م.س (٢٠٩/١) .

(٥) كراتشكوفسكى – م.س (٢٠٩/١ – ٢١٠)،

(٦) حميدة – م.س (ص ٢١١) .

(٧) كراتشكوفسكى – م.س (٢٠٩/١) .

تتضح بتحقيقاته القائمة على المشاهدة والملاحظة الشخصية (١) ،وكان ذلك نتيجة لرحلاته الواسعة واستفهاماته العديدة ونشاطه الجم فى محيط الادب . وقد عاد كراتشكوفسكى فسجل اعترافه بفضل المقدسى فقال (٢) :"ولانملك الا الاعتراف بانه قد ابدى فى هذا الصدد الكثير من التمحيص والتدقيق" (٣).

ولم يكتف المقدسى فى بناء مادته العلمية على المشاهدة والملاحظة فقط ،ذلك انه اعتمد بجانب ذلك على المصادر المصنفة فى حقل بحثه ،ومن بين تلك المصادر التى اعتمدها كتاب الخراج وصنعة الكتابة لقدامة بن جعفر الكاتب البغدادى فقد اعتمد عليه كما يظهر فى تحقيق مبالغ الواردات فى الاقاليم ،ومن ذلك مثلا قوله " وذكر قدامة بن جعفر الكاتب ان ارتفاع الحرمين مائة الف دينار واليمن ستمائة الف دينار واليمامة والبحرين خمسمائة وعشرة آلاف دينار وعمان ثلاثمائة الف دينار" (٤) . وقوله عند حديثه عن مصر : "اما الدخل فقرأت فى كتاب الخراج لقدامة بن جعفر فاذا هو يذكر ان دخل مصر من العين الفا الف وخمسمائة الف دينار" (٥) .وهذا يكشف بان المقدسى قد اطلع على كتاب قدامة اطلاع تفحص وتدقيق الا انه لم يبد نقدا او اعتراضا على مانقل عنه كما كان يفعل مع مؤلفات الآخرين التى استفاد منها ولعل ذلك يعزز القول بان كتاب الخراج وصنعة الكتابة لقدامة بن جعفر انما هو كتاب يستند فى معلوماته على مصادر رسمية عن الطرق فى الدولة الاسلامية . كما ان قبول المقدسى لتلك

---

(١) سوسة ــ م.س (١٩٣/١).

(٢) كراتشكوفسكى ــ م.س (٢٠٩/١) ،سوسة ــ م.س (١٩٣/١) .

(٣) كراتشكوفسكى ــ م.س (٢١٠/١) .

(٤) المقدسى ــ م.س (ص ١٠٥) ،رفاعى ــ مقدمة المنزلة الخامسة من كتاب الخراج (ص ٢٧).

(٥) ن . م . س (ص ٢١٢) ،ن . م . س (ص ٢٧) .

المعلومات واعتمادها انما يؤكد بان ماورد فى كتاب قدامة من معلومات عن طرق البريد انما هو حقيقة قائمة فى تنظيم هذه الطرق عمليا وهذا ماتوافق مع خبرات المقدسى العملية فى رحلاته التى قام بها ،والا لكان قد سجل لنا اعتراضه عليه كما فعل مع بقية المصنفات التى ابدى رأيه فيها ٠

هذا عن اسلوب المقدسى الذى انتهجه فى مؤلفه الذى عرف باكثر من مسمى فقد ذكره ياقوت باسم " كتاب البلدان" (١) وذكره اسماعيل البغدادى باسم " كتاب احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم" (٢) ٠ اما عن تاريخ وفاته فقد اختلف فيها الباحثون فقد ذكر البغدادى انه قد توفى سنة ٤١٤هـ / ١٠٢٣م (٣) ،فى حين يرجح كل من كراتشكوفسكى وسوسة وحميدة وخصباك بان وفاته كانت فى سنة ٣٩٠هـ / ١٠٠٠م (٤) ٠

ومن المصادر الجغرافية التى اضاف مؤلفوها الى ماقد وجدوه من معلومات عند من سبقهم من الجغرافيين المسلمين خبراتهم الشخصية كتاب "صورة الارض" لابى القاسم محمد بن على الموصلى الحوقلى ،الذى اكمل تأليفه له سنة ٣٦٧هـ / ٩٧٧م (٥) ،ومن الثابت انه كان قد اعتمد فى تأليفه لمصنفه على كتابات الجيهانى وابن خرداذبة ،ولكنه قلل من النقل عنهما

---

(١) ياقوت ــ معجم الادباء (٣/٨٦) ٠

(٢) اسماعيل باشا ــ م٠س (٦/٦٢) ٠

(٣) ن ٠ م ٠ س (٦/٦٢) ٠

(٤) كراتشكوفسكى ــ م٠س (١/٢٠٩)،سوسة ــ م٠س (١/١٩٣)،حميدة ــ م٠س (ص ٢١) خصباك ــ م٠س (ص ١٠٨) ٠

(٥) رفاعى ــ م٠س (ص ٢٤ ــ ٢٥) ٠

فيما بعد وجعل جل اعتماده على كتاب قدامة بن جعفر مسجلا اعجابه به فلقد قرظه تقريظا قلما نلحظه عند مؤلف غير ابن حوقل مما يشير الى مدى دقة معلومات قدامة ،واتفاقها مع الخبرات العملية لابن حوقل ويمكن ان نلمس هذا فى قوله " وكان لايفارقنى كتاب ابن خرداذبة وكتاب الجيهانى وتذكرة ابى الفرج قدامة بن جعفر واذا الكتابان الاولان قد لزمنى ان استغفر الله من حملهما واشتغالى بهما عن مايلزمنى من توخى العلوم النافعة والسنن الواجبة" (١) • ومضى الى القول : " ثم رأيت ان انفرد بهذا الكتاب واصلاحه من غير ان الم بتذكرة ابى الفرج وان كانت حقا باجمعها وصدقا من سائر جهاتها" (٢) • ولقد كان ابن حوقل امينا فى تعامله مع المصادر ،فعلى الرغم من اعجابه بكتاب الخراج وصنعة الكتابة لقدامة ورغبته فى ان يذكر طرفا منه الا انه لم يفعل ونلمس هذا فى قوله " وقد كان يجب ان اذكر منها طرفا (٣) فى هذا الكتاب لكنى استقبحت الاستكثار بما تعب فيه سواى ونصب فيه غيرى" (٤) ،وخلافا لهذه المصادر فقد عكف ابن حوقل على دراسة عدد من المصادر الاخرى التى ترجمت كتب بطليموس وخطل اقواله بشكل لاذع (٥) • نلمس هذا فى تعليقه على احد اقوال بطليموس " وهذا كلام عامى ركيك مرتبك لايثبت ولايمتسك ،لايعرف للمالك حقيقة ولامن الارض وجهة ولاطريقه ويحه اين بلد يأجوج ومأجوج الذى

---

(١) ابن حوقل ــ صورة الارض (٢٨٤/١) ،كراتشكوفسكى ــ م•س (٢٠١/١) •

(٢) ن • م • س (٢٨٤/١) ،ن • م • س (٢٠١/١) •

(٣) تذكرة ابى الفرج قدامة بن جعفر المقصود منها كتاب الخراج وصنعة الكتابة •

(٤) ابن حوقل ــ م•س (٢٨٤/١) ،كراتشكوفسكى ــ م•س (٢٠١/١) •

(٥) ابن حوقل ــ م•س (٤٣٠/٢) •

هو تسعون عاما وجميع بلاد ولد يافث مع ليأجوج ومأجوج منها لايبلغ مائتى مرحلة ؟ .. واين بلد السودان الذى طوله سبعة اعوام ،فى السماء ام تحت الارض ، وجميع بلدهم فى الاقليم الثانى .. لاتزيد عن خمسين ومائتى مرحلة طولا واكثر عروض ممالكهم شهرا او نحوه ،واين ممالك جميع اهل الكفر فى جنب مالالاسلام من البحر المحيط بالمغرب الى نحو البحر المحيط بالمشرق ،وجميعه لاتبلغ مسافته اربعمائة مرحلة على الحقيقة " (١) ،ولعل علم ابن حوقل بالمصنفات التى كتبها الجغرافيون المسلمون اضافة الى خبراته الشخصية قد كون له هذا الافق الواسع ودفعه الى ادراك الخطأ والى العمل على تصحيح خطأ بطليموس . وتبدو خبرات ابن حوقل فى ما افاده من رحلاته التى بدأت فى شهر رمضان سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة (٢) والتى امتهن خلالها التجارة . وقد تهيأ لابن حوقل ان يجوب اصقاعا مختلفة ومتباعدة طيلة ثلاثين عاما او نحو ذلك قضاها ، اضافة الى التجارة بدراسة الاقاليم وخصائصها وشعوبها (٣) ،وقد انتظم تجواله فى افريقيا الشمالية والاندلس من سنة ٣٣٦هـ / ٩٤٧م الى قبيل سنة ٣٤٠هـ / ٩٥١م ،ثم ارتحل الى اصطخر حيث التقى فيها بابى اسحاق الاصطخرى (٤) ،وقد تناظر معه فى بعض المعلومات الجغرافية (٥) ،وقد عهد له الاخير باصلاح كتابه اعترافا منه بفضله وقد فعل

---

(١) ن . م . س (٤٣٠/٢) .

(٢) ن . م . س (١٠/١) ،كراتشكوفسكى — م.س (٢٠٠x١) ،رمضان — م.س (ص ١٧) ، يسرى الجوهرى — <u>الفكر الجغرافى</u> (ص ٨٦) .

(٣) رمضان — م.س (ص ١١٧) .

(٤) موضع ترجمته يأتى فى الصفحات التالية .

(٥) ابن حوقل — م.س (٢٨٤/١) ،كراتشكوفسكى — م.س (٢٠٠/١ — ٢٠١) ،رمضان م.س (ص ١١٧) .

ابن حوقل ذلك ،وقد ذكر رمضان بانه " منذ ذلك الحين اصبح كتاب الاصطخرى دليل الرحالة الجغرافى" (١) ،وذكر الحينى ان ماذكره ابن حوقل الى توهين مافى كتاب الاصطخرى ،واضاف بان ابن حوقل ينقل عن الاصطخرى بالنص واللفظ (٢) • والواقع ان كتاب ابن حوقل ادق من مؤلف الاصطخرى (٣) اذ ان ابن حوقل يصف بعض المناطق بقوله " وهذا ما انتهيت اليه وادركته بالعيان او اخذته عمن نشأ فيه" (٤) • مما يعكس مدى حرص ابن حوقل على التثبت من دقة المعلومات عن طريق الملاحظة الحقلية الذاتية والاخذ عن المصادر المحلية مباشرة فى حين ان الاصطخرى قد لايتورع عن النقل عن خبرات البعض رغم كونها امور اجتماعية يشوبها الكثير من النقص الناجم عن احتمالات الكذب والمبالغة والحالة النفسية والثقافية ،ومن امثلة هذا ذكره فى قوله " وحدثنى من سلك تلك السبل الى حدود الصين" (٦) ويؤيد هذا القول ماذكره كراتشكوفسكى من " ان الدراسة المباشرة لاثر الاصطخرى تؤيد صحة ماذكره ابن حوقل " (٧) ،هذا وقد تابع ان حوقل رحلاته التى الف على اساس المعلومات التى جمعها منها فزار مصر وارمينية واذربيجان فى حدود سنة ٣٤٤هـ / ٩٥٥م ثم العراق وخراسان وفارس وبلاد

---

(١) ابن حوقل – م٠س (٢٨٤/١) ،كراتشكوفسكى – م٠س (٢٠١/١) ،رمضان – م٠س (ص ١١٧) •

(٢) رمضان – م٠س (ص ١١٧) •

(٣) الاصطخرى – المسالك والممالك (تحقيق د٠محمد جابر الحينى) (ص ٩) •

(٤) الجوهرى – م٠س (ص ٨٦) •

(٥) ابن حوقل – م٠س (ص ٨١) •

(٦) الاصطخرى – م٠س (ص ١٧٤) ،رفاعى – مقدمة المنزلة الخامسة من كتاب الخراج (ص ٥٨) •

(٧) كراتشكوفسكى – م٠س (٢٠١/١) •

ماوراء النهر فيما بين سنة ٣٥٠ - ٣٥٨هـ / ٩٦١ - ٩٦٩م (١)، واخيرا ختم رحلاته بزيارته لجزيرة صقلية فى حدود سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٣م ، ويعتبر كتاب ابن حوقل ذو اهمية كبيرة فى تحديد مسارات الكثير من الطرق وبالاخص الطرق المتجهة الى المغرب ذلك انه قد حددها بدقة كبيرة وقدم معلومات لاتكاد تقل عما قدمه كل من ابن خرداذبة وقدامة وغيرهم من الجغرافيين المسلمين الذين تحدثوا عن الطرق ، ويعتبر ابن حوقل المصدر والشاهد عيان فى طرق بعض النواحى بعد ان كان قد زارها وتجول فيها وجمع معلوماته التفصيلية عن اهلها مباشرة (٢).

ومن المصادر الجغرافية التى اسهمت بدور فعال فى توضيح ورسم طرق البريد فى الدولة الاسلامية كتاب المسالك والممالك لابى اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسى الاصطخرى (٣)، والذى يبدو انه لم يكن على قدر من الشهرة ، لذا نجد المصادر قد اغفلت الكثير عن ترجمته (٤)، لذلك فانا نجهل كثيرا عن حياته (٥) الا انه من المؤكد انه قد قضى فترة طويلة يجوب اقطار العالم الاسلامى ، فقد زار بلاد ماوراء النهر وفارس واصقاع الجزيرة

---

(١) رمضان - م.س (ص ١١٧) .

(٢) ابن حوقل - م.س (ص ٨١) .

(٣) الاصطخرى - م.س (ص ٩)، كراتشكوفسكى - م.س (١/١٩٩)، حميدة - م.س (ص ١٦٦)، رمضان - م.س (ص ٧٩) .

(٤) الاصطخرى - م.س (ص ٩)، كراتشكوفسكى - م.س (١/١٩٩)، حميدة - م.س (ص ١٦٦)، رمضان - م.س (ص ٧٩) .

(٥) الاصطخرى - م.س (ص ٩)، كراتشكوفسكى - م.س (١/١٩٩)، حميدة م.س (ص ١٦٦) .

الجزيرة العربية وبلاد الشام ومصر (١)،وقد التقى بابن حوقل فى مدينة اصطخر فى حدود سنة ٣٤٠هـ/٩٥٠م كما سبق وذكرت ،وقد اتبع فى تأليف كتابه منهجا مبتكرا بالنسبة لعصره من المصادر التى قد وصلت الينا اقتدى به ابن حوقل ،ومؤلفات الاصطخرى ذات قيمة فى تبيان صحة المعلومات الواردة عن الطرق ومسافاتها عند عدد من الجغرافيين المسلمين هذا بالاضافة الى ماقدمه من معلومات قيمة عن رباطات البريد فى المشرق الاسلامى (٢) ٠

ان الصفحات التالية من البحث قد افردت لتتبع هذه الطرق بحسب اهميتها بالنسبة لمركز الخلافة الاسلامية كما انعكست من خلال ماكتبه الجغرافيون المسلمون ابتداء من اواخر القرن الثانى واوائل القرن الثالث للهجرة النبوية ٠ ولقد جرى الاستهلال بطريق بغداد ــ مكة لما يمثله من اهمية بالغة للمسلمين فى تأمين اداء فريضة الحج وخصوصا ان الخلافة قائمة على شعائر الاسلام وهى ترعى بالدرجة الاولى حقوق وشعائر المسلمين كما ان هذا الطريق يمثل خط الاتصال بين العاصمة السياسية للدولة الاسلامية فى مدينة السلام والعاصمة الروحية للمسلمين مكة المكرمة وهى المنسك الاعظم وبيت الله الاقدم ٠ هذا كما ان الجغرافيين المسلمين الاوائل كالحربى وقدامة وابن شجاع (٣) قد ادركوا ذلك فادخلوه

---

(١) كراتشكوفسكى ــ م٠س (١/١٩٩)،حميدة ــ م٠س (ص ١٦٦) ٠

(٢) الاصطخرى ــ م٠س (ص ٨ ــ ١٠) ٠

(٣) الحربى ــ المناسك (ص ٢٨١ ــ ٤٦٨)،قدامة ــ الخراج (ص ٢٤٧)،ابراهيم ابن شجاع ــ منازل الحجاز لوحات (١ ــ ٣) ٠

فى حسابهم حينما بدأوا بالطريق نفسه فى حين اغفل آخرون كابن خرداذبة وابن رستة فبدأوا بالطرق المتجهة نحو المشرق[(١)] .

ونظرا لكون ابن خرداذبة يمثل اقدم من تحدث عن الطرق من الجغرافيين المسلمين فقد جعلته فى مقدمتهم وذلك على الرغم من ذكره للطرق بطريقة تخالف الترتيب الذى رسمته لعرضها وهى تبدأ بطريق بغداد المتجه الى مكة ونبدأ بأول هذه الطرق وهو المشهور بطريق الجادة .

---

(١) ابن خرداذبة – المسالك (ص ١٨)، ابن رستة – الاعلاق (ص ١٦٣) .

الطريق من بغداد الى مكـــة :

يسير هذا الطريق استنادا الى ابن خرداذبة (١) من بغداد الىجسركوشـــى (٢) سبعة فراسخ (٣) .

(١) ابن خرداذبة ــ المسالك (ص ١٢٥) .

(٢) جسر كوثى، بضم اوله والسكون والثاء المثلثة والف مقصورة تكتب يـاء لانها رابعة الاسم ،ويقال كوث الزرع تكويثا ،اذا صار اربع وخمـــس ورقات وهو الكوث ،وكوثى على وزن فعلى ،وكوثى فى ثلاثةمواضع ،موضع بسواد العراق،وموضع بمكة ،وكوثى نهر بالعراق ،وكوثى العـــــراق كوثيان احدهما كوثى الطريق والاخر ربى ،وكوث موضع قديم ،فتحت فـــى عهد عمر رضى الله عنه ذكر البلاذرى ان جيش المثنى بدأ فتحهـــا وذكر ياقوت ان سعد هو الذى فتحها فى سنة عشر ،والاصح ان فتحهـــا كان سنةخمسة عشر من الهجرة ، انظر البلاذرى ــ فتوح البلدان (٣١٢/٢) ، ابن رستة ــ الاعلاق (ص ١٧٤) ،قدامة ــ الخراج (ص ٢٥٠) ، البكــــرى معجم مااستعجم (١١٣٨/٤) ،ياقوت ــ معجم البلدان (٤٨٧/٤) ، ابـــن شجاع ــ المنازل لوحة (١) ، ابن عبد الحق ــ مراصد الاطلاع (١١٨٥/٣) ، ويلاحظ ان الموضع المقصود جسر على نهر الملك الذى يجرى بين دجلـــة والفرات الى الجنوب من بغداد .انظر قدامة ــ ن.م.س (ص ٢٥٠) ، سهراب ــ عجائب الاقاليم (ص ١٢٧ ــ ١٢٨) ، السامرائى ــ الزراعـــة (ص ١٥ ــ ١٦) ،لسترنج ــ بلدان الخلافة (ص ٦٥ ــ ٦٦) .

(٣) قدر ابن رستة وقدامة وابن شجاع المسافة بسبعة فراسخ متفقيـــن بذلك مع ابن خرداذبة فى تقدير المسافة ، انظر ابن رستة ــ الاعـــلاق (ص ١٧٤) ،قدامة ــ الخراج (ص ٢٥٠) ، ابن شجاع ــ منازل الحجـــاز لوحة رقم (١) .

ثم الى قصر ابن هبيرة (١) خمسة فراسخ (٢) ،

---

(١) قصر ابن هبيرة ابتناه يزيد بن عمرو بن هبيرة فى ايام مروان بن محمد بن مروان عندما اراد الابتعاد عن اهل الكوفة وهو يومئذ امير على العراق • وقد ذكر اليعقوبى عن قصر ابن هبيرة مدينة جليلة عامرة ينزلها العمال والولاة وهى على نهر يأخذ من الفرات يقال له نهر الصراه ،وذكر المقدسى فقال ان قصر ابن هبيرة مدينة كبيرة جيدة الاسواق يجيئهم الماء من الفرات ،وذكر ياقوت ان السفاح لما تولى الخلافة بعد زوال دولة بنى امية وقيام العباسيين نزله واستتم بناءه وسماه بالهاشمية ، الا ان اسم ابن هبيرة لم يزل يطلق عليه فرفضه السفاح وبنى مدينة امامه ،وقد اشار لسترنج الى ان قصر ابن هبيرة انحط وقل شأنه منذ القرن السادس الهجرى حتى ان موضعه لم يعد معروفا • وموضع الهاشمية معروف اليوم اذ هى قضاء من اقضية محافظة بابل تقع فى موقع وسط بين الحلة والكوفة ،ويبدو انه على هذا الاساس وردت اشارة لسترنج دون ان يذكر مصادره ان الخرائط اشارت الى الموضع على بضعة اميال شمال الاطلال الواسعة لبابل القديمة ،وانظر ابن رستة الاعلاق (ص ١٧٤) ، اليعقوبى – البلدان (ص ٤٠٩) ، البلاذرى – فتوح البلدان (٣٥١/٢) ،قدامة – م٠س (ص ٢٥٠) ، المقدسى– احسن التقاسيم (ص ١٢١) ،ياقوت – معجم البلدان (٣٦٥/٤) ، ابن شجاع – منازل الحجاز لوحة (١) ، ابن عبد الحق – م٠س (١١٠١/٣) ،لسترنج – بلدان الخلافة (ص ٩٦ – ٩٧) •

(٢) اتفق ابن خرداذبة وابن رستة وقدامة وابن شجاع على ذكر المسافة مفصلة وتحديدها من جسر كوثى بخمسة فراسخ بينما ذكرها اليعقوبى من بغداد الى قصر ابن هبيرة مجملة وقدرها بمرحلة ثم حددها باثنى عشر فرسخا ، انظر اليعقوبى – البلدان (ص ٣٠٨) ، ابن رستة الاعلاق (ص ١٧٤) ،قدامة – الخراج (ص ٢٥٠) ، ابن شجاع – المنازل لوحة (١) •

ثم الى سوق اسد (١) سبعة فراسخ (٢) ،ثم الى شاهى (٣)

---

(١) سوق اسد : قرية فى طسوج الفلوجة ، اتخذها اسد بن عبدالله القسرى ، اخو خالد بن عبدالله القسرى امير العراقيين ،عندما بنى خالد لامة النصرانية بيعة تتعبد فيها،بناحية الكوفة،فسوقها اسد ونقل الناس اليها فنسبت اليه ،ثم ارتقى هذا المركز حتى اصبح فى نهاية القرن الثالث الهجرى موضعا مشهورا،واستمر على هذا الحال فترة ثم ضعف شأنه حتى اصبح فى عهد ياقوت مجرد قرية صغيرة بالكوفة، انظر البلاذرى ـ فتوح البلدان (٣٥١/٢)، اليعقوبى البلدان (ص ٣٠٩)، ابن رستة ـ الاعلاق (ص ١٧٤)،قدامة ـ الخراج (ص ٢٥١)،ياقوت ـ معجم البلدان (٢٨٣/٣)، ابن عبد الحق ـ مراصد الاطلاع (٧٥٦/٢) •

(٢) اغفل البلاذرى واليعقوبى ذكر المسافة ،وحددها ابن رستة بستة فراسخ ،واتفق قدامة مع ابن خرداذبة على تحديدها بسبعة فراسخ بينما حددها ابن شجاع باربعة فراسخ ، انظر البلاذرى ـ م•س (٢ / ٤٥١)، اليعقوبى ـ م•س (ص ٣٠٩)، ابن رستة ـ الاعلاق (ص ١٧٤)،قدامة الخراج (ص ٢٥١)، ابن شجاع ـ منازل الحجاز لوحة (١) •

(٣) شاهى : ورد الموضع عند ابن خرداذبة بالشين المعجمة •وذكره ابن رستة وقدامة بالسين المهملة وجعله ابن شجاع "نشاهى" ،وذكر ياقوت شاهى اسما لموضع آخر بالقرب من القادسية ولكنه ضعف روايته تلك وذلك فى قوله "شاهى موضع قرب القادسية فيما احسب وقد ورد ذكر لموضع باسم شاهى يرجح بانه الموضع المقصود وذلك فى خبر شريك بن عبدالله عندما كان على قضاء الكوفة وخرج يتلقى الخيزران فبلغ شاهى،فابطأت عليه الخيزران ثلاثة ايام فاقام ينتظرها،وفيه قيل :

مقيما فى قرى شاهى ثلاثا بلا زاد سوى كسر وماء =

سبعة فراسخ (١) ،ثم الى الكوفة (٢)

= انظر ابن رستة – الاعلاق (ص ١٧٤) ،قدامة – الخراج (ص ٢٥١) ،ياقوت معجم البلدان (٣/٣١٦) ، ابن شجاع – منازل الحجاز لوحة (١) ، ابن عبد الحق – مراصد الاطلاع (٢/٧٧٦) .

(١) اتفق ابن خرداذبة ،وابن رستة وابن شجاع على تحديد المسافة الى شاهى بسبعة فراسخ بينما حددها قدامة بخمسة فراسخ ، انظر ابن خرداذبة – المسالك (ص ١٢٥) ، ابن رستة – الاعلاق (ص ١٧٤) ،قدامة الخراج (ص ٢٥١) ، ابن شجاع – منازل الحجاز لوحة (١) .

(٢) الكوفة بالضم ،مدينة مشهورة ،وهى ثانى مصر مصر فى الاسلام ،فى سنة ١٧هـ فى خلافة الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذلك عندما تحول سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه من المدائن اليها والسبب فى ذلك ان حذيفة بن اليمان رضى الله عنه ،كتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان العرب قد اترفت بطونها وخفت اعضاؤها وتغيرت الوانها فكتب عمر رضى الله عنه الى سعد انبئنى ما الذى غير الوان العرب ولحومهم فكتب اليه سعد ان العرب خددهم وكفى الوانهم وخومة المدائن ودجلة ،فكتب اليه ان العرب لايوافقها الاماوافق ابلها من البلدان فابعث سلمان وحذيفة فيرتادا منزلا بحريا ليس بينى وبينكم فيه بحر ولاجسر فبعثهما سعد فخرج سلمان من جهة حتى اتى الكوفة وخرج حذيفة من جهة اخرى حتى التقيا بالكوفة فاعجبتهم فنزلا فصليا " ودعوا رب السماء وما اظلت الارض وما اقلت والريح وما اذرت والنجوم وماهوت والبحار وماجرت والشياطين وما اضلت والخصاص وما اجنت بارك لنا فى هذه الكوفة واجعله منزل ثبات" . ولمعلومات اوفى انظر الطبرى– تاريخ الامم والملوك (٤/١٨٨ – ١٨٩) ،قدامة – الخراج (ص ٢٥١ – ٢٥٢) ،ياقوت معجم البلدان (٤/٤٩٠ – ٤٩١) ،وقد لعبت الكوفة دورا بارزا فى=

خمسة فراسخ (١) ،فذلك واحد وثلاثون فرسخا (٢) . ومن الكوفة الى القادسيـــــة (٣)

= احداث التاريخ الاسلامى السياسى والثقافى اذ ان الخليفة الرابـــع الراشد على بن ابى طالب رضى الله عنه جعلها عاصمة له ،ولاتـــزال المدينة قائمة الى الآن .

(١) قدر ابن رستة المسافة الى الكوفة بسبعة فراسخ فى حين جعلهـــا قدامة خمسة فراسخ متفقا بذلك مع ابن خرداذبة . انظر ابن خرداذبـة المسالك (ص ١٢٥)، ابن رستة ـ الاعلاق (ص ١٧٤)،قدامة ـ الخـــــراج (ص ٢٥١ ـ ٢٥٢)،ويلاحظ ان هذه المرحلة قد سقطت من ابن شجاع فلـــم يورد ذكرا للكوفة ولاللمسافة اليها،انظر ابن شجاع ـ منازل الحجاز لوحة (١) .

(٢) انفرد ابن خرداذبة بذكر مجمل المسافة ،ويبدو انه قصد من ذلـــك التنبيه الى انه قد استعمل حتى هذه المرحلة "الفراسخ" فـــــى تحديد المسافات فى حين انه اتبع فيما يلى ذلك الاميال فـــــى التحديد ،ويلاحظ ان اليعقوبى ذكر هذه المسافة وقدرها بثلاثيـــــن فرسخا،بينما قدرها ابن رستة باثنين وثلاثين فرسخا،اما قدامـــــة فانه اجملها بتسعةوعشرين فرسخا فى حين اسقط ابن شجاع ذكر المسافة من شاهى الى الكوفة ،وذكر القادسية وبالتالى يكون ماذكره مـــــن الطريق ينقص عن ماذكره ابن خرداذبة ثمانية فراسخ وعن ماذكـــــره اليعقوبى سبعة فراسخ وعن ماذكره ابن رستة تسعة فراسخ ،وعـــــن ماذكره قدامة ستة فراسخ ،انظر ابن خرداذبة ـ المسالك (ص ١٢٥) ، اليعقوبى ـ البلدان (ص ٣٠٨)، ابن رستة ـ الاعلاق (ص ١٧٤)،قدامـــــة الخراج (ص ٢٥٠ ـ ٢٥٢)، ابن شجاع ـ المنازل لوحة (١) .

(٣) القادسية بالسين المهملة موضع فى الحافة الغربية من ســـــواد العراق بالقرب من الكوفة ،وهى اول مرحلة لمن يخرج من الكوفة الـــى مكة ،وهى مدينة صغيرة من بناء الاكاسرة ،فيها حدائق ونخــــــل =

خمسة عشر ميلا (١) ٠

= ومشارع الماء من الفرات ،وسميت القادسية لان قوما من اهل قادس نزلوها،وقيل انها انما سميت بقادس رجل من اهل هراه قدم على كسرى فانزله هذا الموضع ليكون درءا له من العرب ،وبهذا الموضع كان فتح الله على المسلمين فى معركة القادسية المشهورة ايام امير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه بقيادة سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه فى سنة ١٦هـ ٠ وفيها قتل رستم امير جيوش الفرس ،وقد كتب امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى سعد يأمره بوصف منزله من القادسية ،فكتب سعد اليه "ان القادسية فيما بين الخندق والعتيق وانما عن يسار القادسية بحرا اخضر فى جوف لاح الى الحيرة بين طريقين فاما احدهما فعلى الظهر واما الاخر فعلى شاطئ نهر يسمى الحضوض يطلع بمن يسلكه على مابين الخورنق والحيرة ،وانما عن يمين القادسية فيض من فيوض مياههم" ، انظر قدامة - الخراج (ص ٢٥٢) ، البكرى - معجم ما استعجم (١٠٤٢/٣) ،ياقوت - معجم البلدان (٢٩٢/٤) ، ابن عبد الحق - مراصد الاطلاع (١٠٥٤/٣) ، الحميرى - الروض المعطار (ص ٤٤٧) ٠

(١) اتفق ابن خرداذبة وابن رستة وقدامة وياقوت على تحديد المسافة بخمسة عشر ميلا فى حين حددها الهمدانى باثنين وعشرين ميلا وحددها الاصطخرى وابن حوقل بمرحلتين ، اما ابن شجاع فقد جعلها ثمانية عشر ميلا ، انظر ابن خرداذبة - المسالك (ص ١٢٥) ، ابن رستة الاعلاق (ص ١٧٥) ،قدامة - الخراج (ص ٢٥٢) ، الهمدانى - صفة جزيرة العرب (ص ٣٣٦) ، الاصطخرى - المسالك (ص ٥٦) ، ابن حوقل - صورة الارض (٢١١/١) ،ياقوت - معجم البلدان (٢٩١/٤) ، ابن شجاع - منازل الحجاز لوحة (١) ٠

ثم الى العذيب (١) ستة اميال (٢) ،

---

(١) العذيب بضم اوله تصغير العذب وهو الماء الطيب ،ذكر البكري ان العذيب واد بظاهر الكوفة واستدل بقول معين بن اوس :

اذا هى حلت كربلاء فلعلعا   نجوز العذيب دونها بالنوايحا

وذكر البكرى ايضا ان العذيب ماء لبنى تميم واستدل بقول المتنبى :

تذكرت اوطانى فقلبى كما ترى   اعلله بين العذيب وبارق

وذكر ياقوت ان العذيب ماء لبنى تميم بين القادسية والمغيثة بينه وبين القادسية اربعة اميال والى المغيثة اثنان وثلاثون ميلا وذكر ايضا بانه واد لبنى تميم وهو من منازل حاج الكوفة ،كما اعتمد على رواية السكونى التى يذكر فيها ان العذيب يخرج من قادسية الكوفة ،وكانت فيه مسلحة للفرس وبينها وبين القادسية حائطان متصلان بينهما نخل وهى ستة اميال فاذا خرجت منها دخلت البادية فى نجد مبدئها العذيب الى ذات عرق .والعذيب هو آخر حد السواد،والعذيب ايضا ماء قرب الغرما من ارض مصر ،والعذيب كذلك موضع بالبصرة ومما قيل فيه :

يبا ح لانوم ولاقرارا   حق ترى لى بالعذيب نارا

ومما قيل فيه كذلك :

فمرت على عين العذيب وعينها   كوقب الصفا جليسها قد تغورا

انظر ابن خرداذبة – المسالك (ص ١٢٥)،قدامة – الخراج (ص ٢٥٢ – ٢٥٣) البكرى – معجم ما استعجم (٩٢٧/٣)،ياقوت – معجم البلدان (٩٢/٤) ، النويرى – نهاية الارب (٦٧/٢)، ابن عبد الحق – مراصد الاطلاع (٩٢٥/٤) .

(٢) وردت كذلك عند ابن رستة وقدامة ،وجعلها ياقوت اربعة اميال ،فى حين جعلها ابن شجاع خمسة اميال، انظر ابن رستة – الاعلاق (ص ١٧٥) ، قدامة – الخراج (ص ٢٥٣)،ياقوت – معجم البلدان (٩٢/٤)، ابن شجاع – المنازل لوحة (١) .

ثم الى المغيثة (١) اربعة وعشرون ميلا، (٢) (والمتعشى وادى السباع (٣) على

---

(١) المغيثة بضم اوله اسم فاعل من غاثه يغيثه اذا اغاثه ،واغاث الله البلاد اذا انزل بها الغيث والمغيثة اكثر من موضع والمقصود منها منزل فى طريق مكة بعد العذيب نحو مكة ،وكانت المغيثة مدينة قائمة لبنى نبهان شرب اهلها من ماء المطر،واستمرت الى القرن الرابع الهجرى وقد ذكر ياقوت انها خربت ،ولم يعلم تاريخ خرابها ولكنها كانت مع بداية القرن السابع الهجرى خربة ،وقد نقل ياقوت عن الازهر انها ركية بين القادسية والعذيب وهذا لايوافق الصواب لاجماع الجغرافيين على ذكرها بعد منزل العذيب ،والمغيثة ايضا منزل فى طريق المدينة ذكره البكرى فى رسم فدك ،وذكر ياقوت ان المغيثة ايضا قرية بنيسابور ،انظر ابن خرداذبة – م٠س (ص ١٢٥)، اليعقوبى – البلدان (ص ٣١١)، ابن رستة – م٠س (ص ١٧٥)،قدامة الخراج (ص ٢٥٣)، البكرى – معجم ما استعجم (١٠١٦/٣)، (١٢٤٩/٤)،ياقوت معجم البلدان (١٦٢/٥ – ١٦٣)، ابن شجاع – م٠س لوحة (١)، ابن عبد الحق مراصد الاطلاع (١٢٩٤/٣) ٠

(٢) جعل ابن رستة المسافة ثلاثين ميلا ،وجعلها قدامة اربعة عشر ميلا فى حين ذكر ياقوت ان المسافة بين القادسية والمغيثة اربعة وعشرين ميلا بما فيها المسافة بين القادسية والعذيب،وقد سبق ان ذكر بان المسافة فيما بين القادسية والعذيب هى اربعة اميال فيكون بذلك قد جعل هذه المسافة عشرين ميلا ، اما ابن شجاع فقد جعلها اربعة وثلاثين ميلا، انظر ابن رستة – م٠س (ص ١٧٥)،قدامة م٠س (ص ٢٥٣)،ياقوت – معجم البلدان (٩٢/٤)، (١٦٣/٥)، ابن شجاع م٠س لوحة (١) ٠

(٣) السباع جمع سبع والسبع يطلق على ماله ناب ويعدو على الناس والدواب فيفترسها ووادى السباع اكثر من موضع والمقصود به هنا موضع من نواحى الكوفة سمى بذلك لان اسماء بنت دريم كانت واولادها تنزله وكان يقال لها ام الاسبع ،ووادى السباع ايضا موضع =

خمسة عشر ميلا) ،ثم الى القرعاء (١) اثنان وثلاثون ميلا (٢) ،(والمتعشى (٣) مسجد

= بين مكة والبصرة على مسافة خمسة اميال من البصرة وهو الموضع الذى قتل فيه الزبير بن العوام رضى الله عنه ،انظر البكرى ـ معجم ما استعجم (٧١٥/٣)،ياقوت ـ معجم البلدان (٣٤٣/٥)،ابن عبد الحق مراصد الاطلاع (١٤١٧/٣) .

(١) اتفق ابن خرداذبة وابن رستة على تحديد المسافة وجعلها ابن شجاع تسعة عشر ميلا ولم يرد ذكر لهذا الموضع عند غيرهما،وقد اطلق مصطلح "المتعشى" فى منتصف المسافة الكلية بين منزل ،والمقصود به منزل يبلغ وقت العشاء او يمر عليه او يستأمن به فى وقت العشاء لانعدام الرقباء ،انظر ابن خرداذبة ـ المسالك (ص ١٢٦) ، ابن رستة ـ الاعلاق (ص ١٧٥)،ابن شجاع ـ منازل لوحة (١)،الزبيدى تاج العروس (٣٤٣/١٠) .

(٢) القرعاء بفتح اوله واسكان ثانيه بعده عين مهملة ممدود،والقرعاء تأنيث الاقرع سميت بذلك لقلة نباتها،وهى منزل فى طريق مكة الكوفة بعد المغيثة قبل واقصة اذا كان الشخص متجها الى مكة،وبين المغيثة والقرعاء الزبيدية ومسجد سعد والخبراء،وبين القرعاء وواقصة على ثلاثة اميال منها بئر تعرف بالمرتمى،وفى القرعاء بركة وركايا لبنى غدانة،وكانت بها وقعة بين بنى دارم بن مالك وبنى يربوع ،انظر ابن رستة ـ الاعلاق (ص ١٧٥)،قدامة ـ الخراج (ص ٢٥٤) ، البكرى ـ معجم ما استعجم (١٠٦٤/٣)،ياقوت معجم البلدان (٣٢٥/٤) ، ابن شجاع ـ منازل الحجاز لوحة (١)،ابن عبد الحق ـ مراصد الاطلاع (١٠٧٩/٣) .

(٣) اتفق ابن خرداذبة وابن رستة وقدامة على تحديد المسافة باثنين وثلاثين ميلا ،فى حين جعلها ابن شجاع خمسة وثلاثين ميلا ،انظر=

سعد (١) على اربعة عشر ميلا) (٢) ،ثم الى واقصة (٣)

= ابن خرداذبة ـ المسالك (ص ١٢٦)، ابن رستة ـ م٠س (ص ١٧٥)،قدامة ن٠م٠س (ص ٢٥٤)، ابن شجاع ـ ن٠م٠س لوحة (١) ٠

(١) مسجد سعد موضع مهم فى طريق الجادة ينسب الى سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه ،كان فيه بركة وبئر رشاؤها طويل وماؤها غليظ تشربه الابل والمضطر،وقد اتفق ابن خرداذبة ،وابن رستة،وقدامة وابن شجاع على تحديد الموضع بعد القرعاء،وحدده ياقوت بعد موضع المغيثةوالزبيدية وقبل القرعاء وذلك فى قوله " ومسجد سعد على ستة اميال من الزبيدية بين المغيثة والقرعاء فى طريق حاج الكوفة" وتعود اهمية هذا الموضع الى ان به مركزا رئيسيا للبريد يشرف على طريق السلمان الذى ذكره الحربى ،اضافة الى موقعه فى طريق الجادة ،انظر ابن خرداذبة ـ ن٠م٠س (ص ١٢٦)، الحربى المناسك (ص ٥٢٦ ، ٦٥٦)، ابن رستة ـ الاعلاق (ص ١٧٥)،قدامة ـ الخراج (ص ٢٥٤)،ياقوت ـ معجم البلدان (٢٢١/٣)، ابن شجاع ـ منازل الحجاز لوحة (١)، ابن عبد الحق ـ مراصد الاطلاع (٧١٥/٢) ٠

(٢) اتفق ابن خرداذبة وابن رستة وابن شجاع على ذلك ،انظر ابن خرداذبة ـ ن٠م٠س (ص ١٢٦)، ابن رستة ـ ن٠م٠س (ص ١٧٥)، ابن شجاع ن٠م٠س لوحة (١) ٠

(٣) واقصة بكسر القاف والصاد المهملة، اكثر من موضع ،والموضع المقصود هنا هو المنزل الذى بهذا الطريق الواقع بعد القرعاء تجاه مكة وقبل العقبة،وهو لبنى شهاب من طىء،ويقال لهذا الموضع واقصة الحزون وذكر ياقوت "ان واقصة دون زبالة بمرحلتين وانما قيل لها واقصة الحزون لان الحزون احاطت بها من كل جانب والمصعد الى مكة ينهض فى اول الحزن من العذيب فى ارض يقال لها البيضة حتى يبلغ مرحلة العقبة فى ارض يقال لها البسيطة ثم يقع فى القاع وهو سهل ويقال زبالة اسهل منه ،واذا جاوزت ذلك فاول رمل يتلقاها =

اربعة وعشرون ميلا، (والمتعشى الطرف على اربعة عشر ميلا)، ثم الـــــى
(١) (٢) (٣)

= يقال لها السيحة • وقد ذكر الاعشى واقصة فى قوله :

اريت القوم نارك لم اغمض بواقصة مشربنـــــــا زرود

وذكرها الخضل بن عبيد فى قوله :

لما بدا للعينين واقصة الغضا تزاورت ان الخائف المتـــزاور

انظر ابن رستة – ن٠م٠س (ص ١٧٥)، الهمدانى – صفة جزيرة العــــرب (ص ٣٣٦)، قدامة – الخراج (ص ٢٥٤)، ياقوت – معجم البلدان (٣٥٤/٤) ، المشترك (ص ٤٣٣)، ابن شجاع – منازل الحجاز لوحة (١)، ابن عبدالحـــق مراصد الاطلاع (١٤٢٠/٣) •

(١) اتفق ابن خرداذبة وابن رستة وقدامة وابن شجاع على تحديـــــد المسافة باربعة وعشرين ميلا، وجعلها الهمدانى اثنين وعشرين ميـــلا اما ياقوت فقد جعلها ثمانية فراسخ ، انظر ابن خرداذبة – ن٠م٠س ، (ص ١٢٦)، ابن رستة – ن٠م٠س (ص ١٧٥)، الهمدانى – صفة الجزيـــــرة (ص ٣٣٦)، قدامة – الخراج (ص ٢٥٤)، ياقوت – معجم البلدان (٣٢٩/٤) ، ابن شجاع – منازل الحجاز لوحة (١) •

(٢) الطرف اكثر من موضع ، والموضع الذى نحن بصدده انفرد بذكره ابـــن خرداذبة وابن رستة وابن شجاع فى منتصف المسافة بين واقصـــة والعقبة ، وهو احد المتعشيات المذكورة فى الطريق، والطرف ايضـــا ماء قريب من المرقى دون النخيل وهو على ستة وثلاثين ميلا مـــن المدينة ، وطرف القدوم كذلك، انظر الواقدى – المغازى (٥/١)، (٥٥٥/٢)، ابن خرداذبة – المسالك (ص ١٢٦)، ابن رستة – الاعلاق (ص١٧٥)، قدامـــة الخراج (ص ٢٦٦)، ياقوت – معجم البلدان (٣١/٤)، ابن شجاع – منـــازل الحجاز لوحة (١)، ابن عبدالحق – مراصد الاطلاع (٨٨٥/٢) •

(٣) اتفق ابن خرداذبة وابن رستة وابن شجاع على تحديد المسافة، انظـــر ابن خرداذبة – ن٠م٠س (ص ١٢٦)، ابن رستة – ن٠م٠س (ص ١٧٥)، ابـــن شجاع – ن٠م٠س لوحة (١) •

العقبة[1] تسعة وعشرون ميلا ، (والمتعشى القبيبات[2] على[3] اربعة

---

(١) العقبة بالتحريك وهو الجبل يعرض للطريق فيأخذ منه صعب الى صعود الجبل،والعقبة اكثر من موضع ،والمقصود بها هنا هو منزل فى طريق مكة بعد واقصة وقبل القاع ،وهو ماء لبنى عكرمة بن وائل، انظر اليعقوبى – البلدان (ص ٣١١)، ابن رستة – الاعلاق (ص ١٧٥)، الهمدانى صفة الجزيرة (ص ٣٣٦)،قدامة – الخراج (ص ٢٥٤)،ياقوت – معجم البلدان (١٣٥/٤)، ابن شجاع – منازل الحجاز لوحة (١)، ابن عبد الحق مراصد (٩٤٨/٤) ٠

(٢) اتفق ابن خرداذبة وابن رستة وقدامة على تحديد المسافة فقد جعلها الهمدانى خمسة وعشرين ميلا وجعلها ابن شجاع اربعة وعشرين ميلا انظر ابن خرداذبة – ن٠م٠س (ص ١٢٦)، ابن رستة – ن٠م٠س (ص ١٧٥) ، الهمدانى – صفة الجزيرة (ص ٣٣٦)،قدامة – ن٠م٠س (ص ٢٥٤)، ابن شجاع – ن٠م٠س لوحة (١) ٠

(٣) القبيبات جمع قبيبة مصغرا والقبيبات اكثر من موضع ،والموضع الذى نحن بصدده سمى بقباب كانت به ،وكان فيه بئر وحوض وماؤها عذب،وقد ذكر ابن رستة الموضع السماء،وذكره الحربى بعد القاع بعد موضع يقال له الجريسى وذلك فى قوله " وبعد الجريسى بخمسة اميال قباب يقال لموضعها القبيبات" وذكره ياقوت دون المغيثة وهذا توهم،وذلك فى قوله " بئر دون المغيثة فى طريق مكة بخمسة اميال بعد وادى السباع وهى بئر وحوض وماؤها قليل وعذب" ،وذكره ابن شجاع العنمات ، انظر ابن خرداذبة – المسالك (ص ١٢٦)، ابن رستة – الاعلاق (ص ١٧٥)، الحربى – المناسك (ص ٢٨٣)،ياقوت – معجم البلدان (٣٠٨/٤)، ابن شجاع – منازل الحجاز لوحة (١)، ابن عبدالحق مراصد الاطلاع (١٠٦٦/٣) ٠

عشر ميلا)، ثم الى القاع (١) اربعة وعشرون ميلا، (٢) (والمتعشى (٣) الجلحاء (٤)

---

(١) جعل ابن رستة المسافة الى موضع السماء من العقبة اربعة عشر ميلا وجعل ابن شجاع المسافة الى العشمات اربعة عشر ميلا وبهذا فهما متفقان مع ابن خرداذبة على تقدير المسافة مختلفان فى مسمى الموضع ، انظر ابن خرداذبة – ن٠م٠س (ص ١٢٦)، ابن رستة – ن٠م٠س ، (ص ١٧٥)، ابن شجاع – ن٠م٠س لوحة (١) ٠

(٢) القاع : هو ما انبسط من الارض ،والحرة السهلة الطين التى لايخالطها رمل فيشرب ماؤها وهى مستوية ليس بينها تطامن ولاارتفاع والقاع اكثر من موضع والموضع الذى يهمنا هنا هو الذى تدعيه اسد وطىء فى طريق مكة بعد العقبة للمتوجه الى مكة ومنه يرحل الى زباله ،وكان فى القاع يوم من ايام العرب فى الجاهلية بين بكر بن وائل وبنى تميم ،وفى ذلك قيل :

بقاع منعناه ثمانين حجة وبفعا لنا اخراجه ومسائله

والقاع ايضا اطم بالمدينة يقال له اطم البلويين وعنده بئر غدق وقاع النقيع فى ديار سليم وقاع موحوش باليمامة ، انظر اليعقوبى البلدان (ص ٣١١)، الحربى – المناسك (ص ٢٨١)، ابن رستة – الاعلاق (ص ١٧٥)، الهمدانى – صفة جزيرة العرب (ص ٣٣٦)،قدامة – الخراج (ص ٢٥٥)،ياقوت – معجم البلدان (٢٩٨/٤)، ابن شجاع – منازل الحجاز لوحة (١)، ابن عبد الحق – مراصد الاطلاع (١٠٥٨/٣) ٠

(٣) اتفق ابن خرداذبة وابن رستة وقدامة وابن شجاع فجعلوا المسافة اربعة وعشرين ميلا ، انظر ابن خرداذبة – المسالك (ص ١٢٦)، ابن رستة – الاعلاق (ص ١٧٥)،قدامة – الخراج (ص ٢٥٥)، ابن شجاع – منازل لوحة (١) ٠

(٤) الجلحاء بالفتح ثم السكون ثم حاء مهملة والف ممدودة،واحد من المتعشيات التى ذكر ابن خرداذبة وابن رستة،وقد رجح ياقوت ان هذه التسمية من قول اكمة جلحاء اذا لم يكن راسها محدود =

على ثلاثة عشر ميلا)(١)، ثم الى زباله(٢)

= ويلاحظ ان ابن شجاع ذكر الموضع باسم الجلى وحدد موضعه فى الموقع نفسه الذى اتفق عليه ابن خرداذبة وابن رستة، بينما جعله ياقوت على ستة اميال من الغوير المعروف بالزبيدية، بين القاع والعقبة وذكر ان "فيها بركة وقباب خراب وفى غربيها بئر قليلة الماء عذبة رشاؤها نحو خمسين قامة"، ويبدو ان تحديد ياقوت لم يوافق الصواب لاجماع من سبقه على تحديد الموضع بين العقبة وقبل زباله كما ان المسافة التى ذكرها اقل بكثير مما اتفق عليه الاخرون ومما يلاحظ ان قدامة لم يذكر ايا من المتعشيات والذى يعد هذا الموضع واحدا منها فى الطريق الذى نتتبعه ، انظر ابن خرداذبة ـ المسالك (ص ١٢٦)، ابن رستة ـ الاعلاق (ص ١٧٥)، ياقوت ـ معجم البلدان (١٥٠/٢)، ابن شجاع ـ منازل الحجاز لوحة (١)، ابن عبد الحق ـ مراصد الاطلاع (٣٤٠/١) .

(١) وردت المسافة كذلك عند ابن رستة وابن شجاع وجعل ياقوت المسافة من القاع الى الجلحاء ستة اميال، انظر ابن رستة ـ ن٠م٠س (ص ١٧٥) ، ياقوت ـ معجم البلدان (١٥٠/٢)، ابن شجاع ـ منازل الحجاز لوحة (١).

(٢) زباله بضم اوله منزل مشهور بطريق مكة الكوفة، قرية عامرة بها اسواق آهلة وفيها حصن وجامع وبها بركتان وهى لبنى غاضرة من اسد، وزباله قبل الشقوق بعد القاع وسميت بذلك لزبلها الماء اى ضبطها له واخذها منه ، وذكر الحربى انها سميت كذلك لان زباله ابن حارث احتفرها فنسبت اليه ، كما ذكر بانها ربما سميت بزبالة بنت مسعود امرأة من العماليق نزلت موضعها فسميت بها، وزبالة يوم من ايام العرب ايضا، ومما قيل فيها :

الاهل الى نجد وماء بقاعها ... سبيل وارواح بها عطرات
وهل لى الى تلك المنازل عودة ... على مثل تلك الحالقبل مماتى =

اربعة وعشرون ميلا(١) المتعشى الجريسى(٢)

= فاشرب من ماء الزلال وارتوى   وارعى مع الغزلان فى الفلوات
والصق احشائى برمل زبالة   وآنس بالظلمان والظبيات

انظر الحربى - المناسك (ص ٢٨٣)، اليعقوبى - البلدان (ص ٣١١)، ابن رستة - الاعلاق (ص ١٧٥)، الهمدانى - صفة الجزيرة (ص ٣٣٦)، قدامة الخراج (ص ٢٥٥)، ياقوت - معجم البلدان (١٢٩/٣- ١٣٠)، ابن شجاع منازل الحجاز لوحة (١)، ابن عبد الحق - مراصد الاطلاع (٦٥٦/٢) .

(١) ذكر الحربى المسافة من القاع الى زبالة وجعلها ثمانية عشر ميلا ونصفا، واتفق ابن خرداذبة وابن رستة وقدامة على انها اربعة وعشرين ميلا، فى حين جعلها الهمدانى ثمانية عشر ميلا، وجعلها ابن شجاع واحدا وعشرين ميلا، انظر الحربى - المناسك (ص ٢٨١)، ابن خرداذبة - المسالك (ص ١٢٦)، ابن رستة - الاعلاق (ص ١٧٥)، الهمدانى صفة الجزيرة (ص ٣٣٦)، قدامة - الخراج (ص ٢٥٥)، ابن شجاع - منازل لوحة (١) .

(٢) الجريسى، منزل من المنازل الصغار التى اطلق عليها اسم "المتعشيات" يكون فى وسط المسافة بين منزلين فى الطريق الاعظم وسمى بذلك لانه كان لقوم يقال لهم بنو جريس، وقد ورد اول ذكر لهذا الموضع عند الحربى الذى حدده قبل زباله وبعد القاع بعد بركة زبيدية يقال لها الهيثم وهى على ستة اميال من القاع وجريسى على اقل من ميل من الهيثم، وهذا يوافق ماذكره ياقوت عن الموضع بقوله " الجريسى موضع بين القاع وزباله فى طريق مكة على ميلين من الهيثم لقاصد مكة فيه بركة وقصر خراب وبينه وبين زباله احد عشر ميلا"، الا ان ذلك يخالف ما اتفق عليه ابن خرداذبة وابن رستة فى تحديد الموضع اذ جعلاه بعد زبالة وقبل الشقوق . انظر الحربى - المناسك (ص ٢٨٣)، ابن خرداذبة - المسالك (ص ١٢٦)، ابن رستة الاعلاق (ص ١٧٥)، ياقوت - معجم البلدان (١٣٢/٢)، ابن عبد الحق مراصد (٣٢٩/١) .

على اربعة عشر ميلا) ،ثم الى الشقوق (١) واحد وعشرون ميلا (٢)، (٣)

---

(١) اورد المسافة كذلك عند ابن رستة ،واختلف عنهما الحربى وياقوت لذكرهما الموضع قبل زباله وبعد القاع ،وقد ذكر الحربى بان المسافة من القاع الى الجريسى مايقرب من عشرة اميال،ومن الجريسى الى زباله ثمانية اميال . وهذا مالايتفق مع ماذكره ياقوت ان المسافة من الجريسى الى زبالة هى احد عشر ميلا . انظر الحربى ـ المناسك (ص ٢٨٠ ـ ٢٨٣)، ابن رستة ـ الاعلاق (ص ١٧٥)،ياقوت ـ معجم البلدان (١٣٢/٢) .

(٢) الشقوق جمع شق بالفتح او شق بالكسر وهو الناحية ،والشقوق موضعان الاول الذى نحن بصدده منزل بطريق مكة بعد واقصة من الكوفة .وبعده تلقاء مكة بطان وهو قبر العبادى،وهو لبنى سلامة من بنى اسد وذكر الحربى انه لبنى اسد ثم لبنى معن لمالك بن حوط ،وبه بركة تعرف بالعتيقة وبركة تعرف بالزبيدية وبها بئر تعرف بالبرود وبئر تعرف بالرزبون وبئر تعرف بالهادى وبئر تعرف بغنيمة والشقوق ايضا مياه ضبة بارض اليمامة ،انظر اليعقوبى ـ البلدان (ص ٣١١)، الحربى ـ المناسك (ص ٢٨٨)، ابن رستة ـ الاعلاق (ص ١٧٥) ، الهمدانى ـ صفة الجزيرة (ص ٣٣٦)،ياقوت ـ معجم البلدان (٣٥٦/٣) ، ابن شجاع ـ منازل لوحة (١)، ابن عبد الحق ـ مراصد (٨٠٦/٢) .

(٣) وردت المسافة كذلك عند ابن رستة ،وجعلها الحربى سبعة عشر ميلا اما الهمدانى فقد جعلها تسعة عشر ميلا،وجعلها قدامة ثمانية عشر ميلا،وجعلها ابن شجاع واحدا وعشرين ميلا متفقا بذلك مع ابن خرداذبة وابن رستة ،وانظر ابن خرداذبة ـ المسالك (ص ١٢٦)، الحربى المناسك (ص ٢٨٤)، ابن رستة ـ الاعلاق (ص ١٧٥)، الهمدانى ـ صفة الجزيرة (ص ٣٣٦)،قدامة ـ الخراج (ص ٢٥٦)، ابن شجاع ـ منازل لوحة (١) .

(والمتعشى التنانير)(١)

(١) التنانير جمع تنور ،وهو مايخبز فيه ،وقد ذكر الحربى مع الموضع موضعا آخر باسم ذات التنانير وذلك فى قوله " وعلى اربعة اميال من زبالة علم الخيزران، البطن الذى فيه النبات،ومنه يعدل يسرة الى التنانير حتى يبلغ اميال يسره على الطريق وبناء خرب يقال له ذات التنانير وهو على اثنى عشر ميلا من زباله بالاميال الصغار،وهو قاع كثير السدر ،وقد ذكر الحربى فى تحديده للموضعين بان الاول فيهما وهو ذات التنانير بعد زباله بستة اميال،والثانى منهما قبل الشقوق بتسعة اميال وفى تحديده للمسافتين قد اختلف مع ابن خرداذبة وابن رستة فى تحديدهم للمسافة التى تقدر باربعة عشر ميلا،هذا وقد ذكر ياقوت الموضع واختلف كذلك معهم،وذلك فى قوله " ذات التنانير عقبة بحذاء زباله وقيل معشى بين زبالة والشقوق وهو وادى شجير فى مزروع ترعية بنو سلامة وبنو غاضرة وفيه بركة للسلطان وكان الطريق عليه فصار المعشى بالرسم حياله وقد صوب الشيخ حمد الجاسر ذلك فذكر بان المعشى اصبح موضع الهيثم بدلا من التنانير وهذا غريب لان الهيثم بركة زبيدية بعد القاع بستة اميال . وقد ذكر الموضع شاعر يدعى مضرس بن ربعى بقوله :

تلاقين منذات التنانير سربه على ظهر عادى كثير سوافره

ونقل ياقوت من كتاب ثعلب قول الراعى :

واسجم جنان من الهزن ساقه طروقا الى جنبى زباله سائقة
فلما علا ذات التنانير صوبه تكشف عن برق قليل صواعقه

وذكر ابن شجاع الموضع باسم " المشاش" ،انظر ابن خرداذبة المسالك (ص ١٢٦)، الحربى - المناسك (ص ٢٨٥ - ٢٨٦)، ابن رستة الاعلاق (ص ١٧٥)،ياقوت - معجم البلدان (٤٧/٢)، ابن شجاع - منازل لوحة (١)، ابن عبدالحق - مراصد الاطلاع (٢٧٦/١)،وانظر تعليق الجاسر على كتاب المناسك (ص ٢٨٥) هامش (٢) .

على اربعة عشر ميلا) ، ثم الى البطان (١) وهى قبر العبادى (٢)

---

(١) جعل ابن رستة المسافة اربعة عشر ميلا متفقا بذلك مع ابن خرداذبة فى تحديده المسافة . وقد ذكر الحربى تقديرين مختلفين للمسافة اشرنا اليها فى الهامش السابق ،وذكر ابن شجاع المسافة الى الموضع الذى ذكره بلفظ " المشاش" اربعة عشر ميلا، انظر ابن خرداذبة – المسالك (ص ١٢٦)، الحربى – المناسك (ص ٢٨٥ – ٢٨٦)، ابن رستة – الاعلاق (ص ١٧٥)، ابن شجاع – المنازل لوحة (١) .

(٢) البطان بكسر اوله منزل فى الطريق بعد الشقوق،وهو لبنى ناشره من اسد به قصر خرب لام جعفر بالقرب من مركز البريد فى هذا المنزل وهذا المركز يشرف على بركة الخصى وهى قبل البطان بنحو ميل ويشرف كذلك على بركة التناهى وبركة الخربة وهما بركتان لخالصة على ثمانية اميال من بطان،كذا يشرف على مسافة مركز بريد مثير الركبان الذى قل شأنه واضمحل امره فى القرن الثالث الهجرى نتيجة لانشاء مركز بطان الذى يبدوانه قدانشىء فى وقت متأخر من القرن الثانى الهجرى،وقد كان هذا المركز على مسافة اربعة اميال من مركز بطان، انظر ابن خرداذبة – المسالك (ص ١٢٦)، الحربى المناسك (ص ٢٩١ – ٢٩٢)، ابن رستة – الاعلاق (ص ١٧٥)،ياقوت – معجم البلدان (٤٦/١)، ابن شجاع – المنازل لوحة (١) ، ابن عبد الحق مراصد الاطلاع (٢٠٣/١) . ويلاحظ ان ابن خرداذبة وابن رستة وابن شجاع ذكروا ان البطان هو قبر العبادى،وهذا يناقض ما اكده الحربى واورد موضع قبر العبادى بقوله " وقبر العبادى خارج من بطان على اقل من ميل على الطريق" ويلاحظ كذلك ان اغلب المصادر الجغرافية قد اجمعت على ان المركز الرئيسى هو بطان وقد انفرد عنهم قدامة بن جعفر حيث ذكر ان المركز الرئيسى هو قبر العبادى وذكر المسافة نفسها التى ذكرت لبطان . ويبدو ان هذا التناقض قد نتج من اتساع حدود بطان والتى اصبحت فى اواخر القرن الثالث =

تسعة وعشرون ميلا (١) (والمتعش بردين (٢) على اربعة عشر ميلا) (٣)

= الهجرى تشمل قبر العبادى على مايظهر،وفى بداية القرن الرابع الهجرى اصبح قبر العبادى هذا المركز الرئيسى . انظر ابن خرداذبة – المسالك (ص ١٢٦)، الحربى – المناسك (ص ٢٩٠ – ٢٩١)، ابن رستة – الاعلاق (ص ١٧٥)، الهمدانى – صفة جزيرة العرب (ص ٣٣٦)،قدامة الخراج (ص ٢٥٦)،ياقوت – معجم البلدان (٣٠٤/٤ – ٣٠٥)، المشترك (ص ٥٨)، ابن شجاع – منازل لوحة (١)، ابن عبد الحق – مراصد الاطلاع (١٠٦٣/٣) .

(١) وردت المسافة كذلك عند ابن رستةوقدامة،واتفق الحربى والهمدانى على جعلها اثنين وعشرين ميلا،فى حين جعلها ابن شجاع ثمانية وعشرين ميلا ، انظر ابن خرداذبة– ن٠م٠س (ص ١٢٦)، الحربى ن٠م٠س (ص ٢٨٨)، ابن رستة – الاعلاق (ص ١٧٥)، الهمدانى – ن٠م٠س (ص٣٣٦) قدامة – ن٠م٠س (ص ٢٥٦)، ابن شجاع – منازل لوحة (١) .

(٢) البردين . واحد من المتعشيات التى ذكرت فى الطريق،ذكره ابن خرداذبة بردين،وجعله ابن رستة بدرين،وذكر ياقوت البردان بالضم ثم السكون تثنيةبرد وذكر انهما غديران بنجد بينهما حاجز،وقيل هما ضغيرتان من رمل ،ومما قيل فيهما :

قال القتال الكلبى :

دعاء بذى البردين من ام طارق فياعمرو هل تبدو لنا فتجيبها

ويوم البردين من ايام العرب وهو يوم الغبيط ،ظفرت فيه بنو يربوع على بنى شيبان وفيه قال مالك بن نويره :

واصبح منهم بعد فل لقاؤنا بقيقاءة البردين فل مطرد

انظر ابن خرداذبة – المسالك (ص ١٢٦)، ابن رستة – الاعلاق (ص ١٧٥)، ياقوت – معجم البلدان (١٧٦/١)،ولمعلومات اوفى انظر ابن عبدالحق مراصد الاطلاع (١٧٩/١) .

(٣) وردت المسافة كذلك عند ابن رستة،ولم يرد ذكر لها عند غيرهما انظر ابن خرداذبة – المسالك (ص ١٢٦)، ابن رستة –الاعلاق (ص ١٧٥) .

ثم الى الثعلبيـــــة (1) (وهى ثلث الطريق)

---

(1) الثعلبيةبفتح اوله من منازل طريق الكوفة مكة ،وقيل انها ماء لبنى اسد، اما عن سبب تسميتها فقد اختلف فيه فقيل انها تنسب الى ثعلبة بن مالك لانه اول من احتفرها ،وقيل انها سميت بثعلبة بن عامر بن ماء السماء ،وقيل الى ثعلبة بن ذهل بن فهيم التنوخى لانه احتفرها فنسبت اليه ،والثعلبية تعد ثلث الطريق اجمع عليه اغلب الجغرافيين وشذ عنهم ياقوت اذ عدها ثلثى الطريق ،وذلك فى قوله " من منازل طريق مكة من الكوفة بعد الشقوق وقبل الحزيمية وهى ثلثا الطريق ،والاصح ثلث الطريق والخطأ من الناشر،وبالقرب من الثعلبية ماء يقال له الضويجعة على ميل منها،ثم تمضى فتقعفى برك يقال لها حمد السبيل ثم تقع فى رمل متصل الى الخزيمية ،وقد ذكر الحربى ان المنصور قد احتفر آبارا بالثعلبية كذلك ابنه المهدى وذكر ابن رستة الثعلبية بانها مدينة عليها سور وفيها حمامات وسوق،وذكر المقدسى بانها عامرة كثيرة البرك بها آبار عذبة وذكر البكرى انها من اعمال المدينة وهى لبنى اسد ،وذكر ابن شجاع الثعلبية مدينة بسور وحمامات وسوق ومسجد،وجامع ،وبها ماء برك ،وذكر ابن عبد الحق الثعلبية منزل فى طريق مكة كانت قرية وخربت وهىمشهورة ، انظر ابن خرداذبة ـ المسالك (ص ١٢٦) ، الحربى المناسك (ص ٢٩٣) ، ابن رستة ـ الاعلاق (ص ١٧٥) ، الهمدانى ـ صفة جزيرة العرب (ص ٣٣٧) ،قدامة ـ الخراج (ص ٢٥٦) ، المقدسى ـ احسن التقاسيم (ص ١٠٧) ، البكرى ـ معجم ما استعجم (٣٤١/١) ،ياقوت ـ معجم البلدان (٧٨/٢) ، المشترك (ص ٥٨) ، ابن شجاع ـ منازل لوحة (١) ، ابن عبد الحق ـ مراصد الاطلاع (٢٩٦/١) .

تسعة وعشرون ميلا (١) (والمتعشى بالمهلبية (٢) على اربعة عشر ميـلا) (٣)، ثم الى الخزيمية (٤)،

---

(١) اتفق ابن خرداذبة وابن رستة وقدامة والمقدسى وابن شجاع على جعل المسافة تسعةوعشرين ميلا ،وجعلها الحربى اثنين وعشرين ميلا ونصفا وقد سقطت هذه المسافة من كتاب الهمدانى ، انظر ابن خرداذبة ن٠م٠س (ص ١٢٦)، الحربى ـ ن٠م٠س (ص ٢٩٣)، ابن رستة ـ ن٠م٠س (ص ١٧٥)، قدامة ـ ن٠م٠س (ص ٢٥٦)، الهمدانى ـ صفة الجزيرة (ص ٣٣٧)، ابن شجاع ـ ن٠م٠س لوحة (١) ٠

(٢) المهلبية ،واحد من المتعشيات المذكورة فى الطريق وهى عبارة عن مستراح بين منزلين تقع فى نصف المسافة تقريبا،ذكر ابن رستة الموضع متفقا مع ابن خرداذبة،وذكره ابن شجاع الباهلية ٠ ولم اعثر على ذكر للموضع عند غيرهم منالجغرافيين ، انظر ابن خرداذبة المسالك (ص ١٢٦)، ابن رستة ـ الاعلاق (ص ١٧٥)، ابن شجاع ـ منازل لوحة (١) ٠

(٣) اتفق ابن خرداذبة وابن رستة وابن شجاع على تقدير المسافةكماورد ، ابن خرداذبة ـ ن٠م٠س (ص ١٢٦)، ابن رستة ـ ن٠م٠س (ص ١٧٥)، ابن شجاع ـ ن٠م٠س لوحة (١) ٠

(٤) الخزيمية بضم اوله ،وفتح ثانيه تصغير خزيمة وهى منسوبة الى خزيمة ابن خازم لانه صير فيها بركا وسوانى للابار يستقى منها بالابل وقد لايوجد فى بركها ماء فيوجد بقرب منه فى محلة بنى تميم وكانت تسمى زرود ،ورملها احمر ،وقد تذكر حزيمية بالحاء المهملة وزرود موضع قبل الخزيمية بميل ونصف وهى لبنى اسد وبنى نهشل ايضا ٠ وفيها الابار العامرة والمتدفقة نحو عشرين بئرا ،ماؤها غليظ وبها قصر وبركة ماءوحوض على بئر كبيرة ،ومما قيل فى زرود ،قال الشماخ بن ضرار :

وراحت رواحا من زرود فنازعت   زباله جلبابا من الليل اخضرا

ومما قيل فيها ايضا قال الشاعر :

اقول وقد جزنا زرود عشية   وراحت مطايانا تؤم بنا نجدا

على اهل بغداد السلام فاننى   ازيد بسيرى عن بلادهم بعدا =

اثنان وثلاثون ميلا • (والمتعشى الغميس(٢) على اربعة عشر(١) ميلا)

= انظر ابن خرداذبة – المسالك (ص ١٢٦)، الحربى – المناسك (ص ٢٩٩) ، ابن رستة – الاعلاق (ص ١٧٦)، قدامة – الخراج (ص ٢٥٧)، المقدسى احسن التقاسيم (ص ١٠٧)، ياقوت – معجم البلدان (٣٧٠/٢)، المشترك (ص ١٥١، ٢٩٨، ٣٠٢)، ابن شجاع – منازل لوحة (١)، ابن عبد الحق مراصد الاطلاع (٤٦٦/١) •

(١) جعل الحربى المسافة ثلاثة وعشرين ميلا، وجعلها ابن رستة اثنين وثلاثين ميلا متفقا بذلك مع ابن خرداذبة وجعلها قدامة ثلاثة وثلاثين ميلا وجعلها المقدسى اثنين وثلاثين ميلا وجعلها ابن شجاع ثمانية وعشرين ميلا ، انظر ابن خرداذبة – المسالك (ص ١٢٦)، الحربى – المناسك (ص ٢٩٦)، ابن رستة – الاعلاق (ص ١٧٥)، قدامة – الخراج (ص ٢٥٧)، المقدسى احسن التقاسيم (ص ١٠٧)، ابن شجاع – منازل لوحة (١) •

(٢) الغميس تصغير الغمس من قولك غمست الشئ فى الشئ اذا غططته فيه واخفيته، وقيل الغميس والغميم هو الاخضر من الكلأ تحت اليابس • ويجوز ان يكون التصغير للترخيم كما ذكر ياقوت، والغميس ذكره الحربى على تسعة اميال من الثعلبية وذلك فى قوله " وعلى تسعة اميال من الثعلبية عند القصر يسرة بركة يقال لها الغميس" وذكره ابن رستة " العين" واتفق مع ابن خرداذبة على تحديد موقعه بعد الخزيمية وقبل الاجفر، كذا اتفق معه فى تقدير المسافة وذكر ياقوت الموضع وحدده على تسعة اميال من الثعلبية متفقا بذلك مع الحربى وذلك فى قوله " والغميس على تسعة اميال من الثعلبية وعنده قصر خراب" ويبدو ان هذا التحديد كان على الطريق القديم اذ وجدت ثلاث طرق تتفرع من الثعلبية، العتيق منها يخرج عند بركة الغميس وقد ذكر ذلك الحربى بقوله " وعلى ثلاثة اميال من الثعلبية بركة مدورة تسمى القنعة ، وعندها الاميال الثلاثة المتفرقة الطريق العتيق يسرة الطريق الاخر قصدك وهى =

ثم الى الاجفر (١) اربعة وعشرون ميلا، (٢)

= اقرب الطريقين بميل واسهلهما تخرج عند بركة الغميس، وذكر ابن شجاع الموضع بالعين المهملة واتفق مع ابن خرداذبة على تحديد موقعه وكذلك فى تقدير المسافة، والغميس يوم من ايام العرب، وقد ورد ذكر الغميس فى اشعار العرب فقيل :

يانخلتى وادى الغميس سقيتما وان انتما لم تنفعا من سقاكما

انظر ابن خرداذبة – المسالك (ص ١٢٧)، الحربى – المناسك (ص ٢٩٨، ٢٩٩) ابن رستة – الاعلاق (ص ١٧٦)، ياقوت – معجم البلدان (٢١٣/٤)، ابن عبد الحق – مراصد الاطلاع (١٠٠٢/٢) .

(١) الاجفر بضم الفاء جمع قلة لجفروهى البئر الواسعة التى لم تطو وسميت كذلك لجفارها وسعة قاعها، والاجفر ماء لبنى يربوع انتزعته منهم بنو جذيمة، وقيل هى لسعد بن سواءة من بنى اسد، وبالاجفر قصر ومسجد وبركة كبيرة مدورة، وبها آبار كثيرة احصاها الحربى فبلغت تسعة وعشرين بئرا، ومركز الاجفر من المراكز المهمة ذلك لانه يشرف على طريق العشيرة وهذا الطريق لمن اراد الاينزل فيه، انظر ابن خرداذبة – المسالك (ص ١٢٧)، الحربى – المناسك (ص ٣٠١ – ٣٠٢) ، ابن رستة – الاعلاق (ص ١٧٦)، الهمدانى – صفة الجزيرة (ص ٣٣٧)، قدامة الخراج (ص ٢٥٧)، المقدسى – احسن التقاسيم (ص ١٠٨)، ياقوت – معجم البلدان (١٠٢/٢)، المشترك (١٥١/٨، ٢٧٠، ٣٤٢)، ابن شجاع – منازل الحجاز لوحة (١)، ابن عبد الحق – مراصد الاطلاع (٣١/١) .

(٢) ذكر الحربى الطريق نفسه وقدر المسافة بعشرين ميلا ونصف، بينما اتفق ابن خرداذبة وابن رستة وقدامة والمقدسى على تقدير المسافة باربعة وعشرين ميلا، واختلف الهمدانى معهم فحددها بعشرين ميلا فى حين حددها ابن شجاع بثمانية وعشرين ميلا ، انظر ابن خرداذبة المسالك (ص ١٢٧)، ابن رستة – الاعلاق (ص ١٧٦)، الهمدانى – صفة الجزيرة (ص ٣٣٧)، قدامة – الخراج (ص ٢٥٧)، المقدسى – احسن التقاسيم (ص ١٠٨)، ابن شجاع – منازل لوحة (١) .

(والمتعشى بطن الاغر (١) على خمسة عشر ميلا) (٢) ،ثم الى فيد (٣)

---

(١) بطن الاغر احد المتعشيات فيه حوض وقباب وحصن ،ذكر الحربى الموضع قبل الاجفر وبعد الخزيمية وذكر ابن رستة الموضع بعد الاجفر على مسافة خمسة عشر ميلا الى فيد من الاجفر،متفقا بهذا مع ابن خرداذبة فى تحديد الموقع وتقدير المسافة بينما ذكر ياقوت الموضع بين الخزيمية والاجفر على طريق مكة الكوفة ،وذلك فى قوله " بطن الاغر بين الخزيمية والاجفر على طريق مكة من الكوفة وهو على ثلاثة اميال من الخزيمية " وبهذا يتفق مع الحربى فى تحديد الموقع . وقد ذكر الاغر شعراء العرب فقيل :

فيارب بارك فى الاغر وملحه   وماء السباخ اذ علا القطران

وقيل ايضا :

سقيا لمرتبع توارثه البلى   بين الاغر وبين سود العاقر

انظر ابن خرداذبة ـ المسالك (ص ١٢٧)، الحربى ـ المناسك (ص ٣٠١) ، ابن رستة ـ الاعلاق (ص ١٧٦)،ياقوت ـ معجم البلدان (٢٢٤/١)، ابن عبد الحق ـ مراصد الاطلاع (٩٧/١) .

(٢) وردت المسافةكذلك عند ابن رستة ،واختلف معهم الحربى وياقوت فاختلاف الحربى فى تحديد الموقع ولم يذكر المسافة ،واختلاف ياقوت بانه حدد المسافة اليه بثلاثة اميال من الخزيمية وقدر ابن شجاع المسافة بخمسة عشر ميلا من الاجفر متفقا بذلك مع ابن خرداذبة وابن رستة فى تحديد الموضع وتقدير المسافة ، انظر ابن خرداذبة المسالك (ص ١٢٧)، الحربى ـ المناسك (ص ٣٠١)، ابن رستة ـ الاعلاق (ص ١٧٦)،ياقوت ـ معجم البلدان (٢٢٢/٢)، ابن شجاع ـ منازل لوحة (٢).

(٣) فيد بالفتح ثم السكون ودال مهملة ،وسميت بفيد لان من حولها يستفيد منها،وقيل سميت بفائد بن حام من بنى عمليق نزلها،وفيد منزل العامل وفيها قصر للسلطان وبساتين وحصون بعضها خربة ،ومسجد جامع ومنبر وبها بركة مربعة وثلاثة عيون،وبها آبار ليست بالعذبة وقد ورد لفيد ذكر فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فقد ذكر =

(وهى نصف الطريق) ستة وثلاثون ميلا (١)

= الحربى ان الرسول صلى الله عليه وسلم كتب لزيد الخير كتابا "قد اقطعتك فيدا وماحازت" ،وفيد هذه هى نصف الطريق الى مكة كانت كثيرة الاهل وكان الناس يودعون فيها ازوادهم ومايثقل من امتعتهم فاذا رجعوا اخذوها وذهبوا ،ولمن اودعت عندهم شيئا من ذلك وهم معونة للحاج فى مثل ذلك الموضع المنقطع ،ومعيشة اهلها من ادخار العلوفة طول العام الى ان يقدم الحاج فيبيعونه عليهم وهى اثلاث ثلث للعمريين وثلث لآل ابى سلمة من همدان وثلث لبنى نبهان من طئ . انظر ابن خرداذبة - المسالك (ص ١٢٧)، الحربى المناسك (ص ٣٠٦)، اليعقوبى - البلدان (ص ٣١٢)، ابن رستة - م.س (ص ١٧٦)، الهمدانى - م.س (ص ٣٣٧)،قدامة - م.س (ص ٢٥٨)، المقدسى م.س (ص ١٠٨)،ياقوت - معجم البلدان (٢٨٢/٤)، ابن عبد الحق م.س (١٠٤٩/٣)، ابو الفدا - تقويم البلدان (ص ٩٦)، الحميرى - الروض المعطار (ص ٤٤٣)،بامخرمة اليمنى - النسبة الى المواضع ورقة (٢٩٥) ابن خميس - المجاز بين اليمامة والحجاز (ص ٧٨)،موسل - شمال الحجاز (ص ٢٧ - ٢٨)،سيد عبدالمجيد بكر - دروبالحجيج (ص ٤٩) ، الجاسر - ابو على الهجرى وابحاثه فى تحديد المواضع (ص ٢٧٩) .

(١) ذكر الحربى المسافة وقدرها سبعةوعشرين ميلا طوالا وذلك فى قوله "ومن الاجفر الى فيد سبعة وعشرون ميلا طوال" . وقدرها ابن رستة وقدامة والمقدسى ستة وثلاثين ميلا متفقين بذلك مع ابن خرداذبة وقدرها الهمدانى ثمانية وعشرين ميلا،وقدرها ابن شجاع ستة وثلاثين ميلا ايضا،وقد اجمل ابو الفدا ذكر المسافة اليها فذكر ان المسافة اليها من الثعلبية ستة وثمانون ميلا ،بينما نجد المسافة من الثعلبية عند ابن خرداذبة وابن رستة وقدامة اثنين وتسعين ميلا انظر ابن خرداذبة - المسالك (ص ١٢٧)، الحربى - المناسك (ص ٣٠٢) ، ابن رستة - الاعلاق (ص ١٧٦)، الهمدانى - صفة الجزيرة (ص ٣٣٧)،قدامة الخراج (ص ٢٥٨)، ابن شجاع - منازل لوحة (٢)، ابو الفدا - تقويم البلدان (ص ٩٦ - ٩٧) .

(والمتعشى القرائن على عشرين ميلا) (١) (٢) ،ثم الى توز (٣)

---

(١) القرائن . جمع قرين من قرنت الشىء بالشىء اذا ضممته اليه واصله من القرن وهو الحبل يقرن به البعيران . ذكر الحربى الموضع واتفق مع ابن خرداذبة على تحديده ولكنه اختلف معه فى تقدير المسافة اذ قدرها الحربى باحد عشر ميلا ونصف ،وذكر ابن رستة الموضع بعد فيد على عشرين ميلا،متفقا بذلكمع ابن خرداذبة على تحديد الموقع وتقدير المسافة ،وذكر ياقوت الموضع بقوله "والقرائن بركة وقصر بين الاجفر وفيد" وهذا خلاف لما اتفق عليه من سبقهمن الجغرافيين، انظر ابن خرداذبة ـ المسالك (ص ١٢٧) ، الحربى ـ المناسك (ص ٣١٠)، ابن رستة ـ الاعلاق (ص ١٧٦)،ياقوت معجم البلدان (٣١٩/٤)،ابن عبد الحق ـ مراصد الاطلاع (١٠٧٤/٣) .

(٢) قدر الحربى المسافة باحد عشر ميلا،وقدرها ابن رستة بعشرين ميلا انظر ابن خرداذبة ـ المسالك (ص ١٢٧)، الحربى ـ المناسك وص ٣١٠) ، ابن رستة ـ الاعلاق (ص ١٧٦) .

(٣) توز بالضم ثم السكون،وتوز موضعان الاول الذى نحن بصدده هو المنزل الذى فى طريق مكة المكرمة دون سميراء وهو لبنى مرى من بنى اسد،وبتوز برك وآبار تسع ذكرها الحربى،وحصن بناه ابو دلف والجبل الذى بتوز يقال له صبهان وهو الذى بحذائه ضلع الماء،وذكر ابن عبد الحق توز بقوله " وهو جبل يسمى المخروق لان فى اعلاه خرقا صار مثل باب الى فضاء" ولم اجد لهذا ذكرا عند غيره ،انظر ابن خرداذبة ـ المسالك (ص ١٢٧)، الحربى ـ المناسك (ص ٣١٢) ، اليعقوبى ـ البلدان (ص ٣١٢)، ابن رستة ـ الاعلاق (ص ١٧٦)، الهمدانى صفة الجزيرة (ص ٤٣٧)،قدامة ـ الخراج (ص ٢٥٨)، المقدسى ـ احسن التقاسيم (ص ١٠٨)،ياقوت ـ معجم البلدان (٥٨/٢)، المشترك (ص ١٨) ، ابن شجاع ـ منازل لوحة (٢)، ابن عبد الحق ـ مراصد الاطلاع (٢٨٠/١ ـ ٢٨١) .

واحد وثلاثون ميـــلا (1) (والمتعشى بالقرنتين (2) على سبعة عشر ميـــلا (3))

(١) اختلف الجغرافيون فى تحديد المسافة فقد ذكرها الحربى اربعة وعشرين ميلا ونصفا،وذكرها ابن رستة واحدا وثلاثين ميلا متفقا بذلك مع ابن خرداذبة،وقدرها الهمدانى اربعةوعشرين ميلا متفقا فى ذلك مع الحربى تقريبا،وقدرها قدامة بثلاثة وثلاثين ميلا،وقدرها المقدسى ستةوثلاثين ميلا،وذكر ابن شجاع المسافة احد عشر ميلا انظر ابن خرداذبة ــ المسالك (ص ١٢٧)، الحربى ــ المناسك (ص ٣٠٩)، ابن رستة ــ الاعلاق (ص ١٧٦)، الهمدانى ــ صفة الجزيرة (ص ٣٣٧)،قدامة الخراج (ص ٢٥٩)، المقدسى ــ احسن التقاسيم (ص ١٠٩)، ابن شجاع منازل الحجار لوحة (٢) .

(٢) القرنتين بضم اوله وسكون،والقرنتان تثنية القرنة،والقرنة من كل شئ حده،والقرنتين منزل صغير فيه بركة وحوض وبئر لعبد الله بن مالك،وقد ذكر الحربى الموضع القرائن وحدده على احد عشر ميلا ونصف من فيد وهو المتعشى يسرة الطريق،وذكر ابن رستة الموضع متفقا مع ابن خرداذبة فى اللفظ وفى تحديد الموقع،وذكر ياقوت الموضع وحدده على احد عشر ميلا من فيد للقاصد مكة وبهذا يتفق مع الحربى ويختلف مع ابن خرداذبة وابن رستة وابن شجاع كذلك الذى ذكره القريين واتفق معهما فى تحديد الموقع بعد توز وقبل سميراء انظر ابن خرداذبة ــ المسالك (ص ١٢٧)، الحربى ــ المناسك (ص ٣١٠)، ابن رستة ــ الاعلاق (ص ١٧٦)،ياقوت ــ معجم البلدان (٣٣١/٤)، ابن شجاع ــ منازل لوحة (٢)، ابن عبد الحق ــ مراصد الاطلاع (١٠٨٢/٣) .

(٣) اتفق ابن خرداذبة وابن رستة على تقدير المسافة من توز الى القرنتين سبعة عشر ميلا،وقدرها ابن شجاع سبعة عشر ميلا،واما الحربى وياقوت فقد اختلفا معهم فى تحديد الموقع لذا نتج اختلاف شاسع فى تقدير المسافة،انظر ابن خرداذبة ــ ن.م.س (ص ١٢٧)، ابن رستة ن.م.س (ص ١٧٦)، ابن شجاع ــ ن.م.س لوحة (٢) .

ثم الى سميراء (١) فيها برك وآبار عشرون ميلا (والمتعشى (٢) الفحيمة (٣)

---

(١) سميراء بفتح اوله وكسر ثانيه وسميرا اكثر الناس تقوله بالقصر وقيل هما موضعان المقصور منهما ليس فيه الا الفتح وهو المنزل الذى بطريق مكة . اما الثانى بالمد فهو الموضع الذى نزله طليحة الاسدى عندما ادعى النبوة ،وسميراء موضع خصب حوله جبال واكام سود لذلكسميت سميراء ،وبه غرب وبرك وآبار وهى قرية كبيرة مسورة بها حصن وفيها قصر ومسجد وهى لبنى نصر بن قعين من بنى اسد، انظر ابن خرداذبة ــ المسالك (ص ١٢٧)، الحربى ــ المناسك (ص ٣١٣) اليعقوبى البلدان (ص ٣١٢)، ابن رستة ــ الاعلاق (ص ١٧٦)، الهمدانى ــ صفة الجزيرة (ص ٣٣٧) ،قدامة ــ الخراج (ص ٢٥٩ ــ ٢٦٠)، المقدسى ــ احسن التقاسيم (ص ١٠٨)، الاصفهانى ــ بلاد العرب (ص ٥١) ،ياقوت ــ معجم البلدان (٢٥٥/٣)، ابن شجاع ــ منازل الحجاز لوحة (٣)، ابن عبد الحق مراصد الاطلاع (٧٤٠/٢) .

(٢) ذكر الحربى المسافة من توز الى سميراء خمسة عشر ميلا ونصف وجعلها ابن رستة عشرين ميلا ،وذكر الهمدانى انها خمسة وعشرون ميلا اما قدامة فقد جعلها ستة عشر ميلا ،وذكر المقدسى المسافة عشرين ميلا متفقا بذلك مع ابن خرداذبة وابن رستة فى تقدير المسافة ،وذكر ابن شجاع اجمالى المسافة بثلاثين ميلا، انظر ابن خرداذبة ــ المسالك (ص ١٢٧)، الحربى ــ المناسك (ص ٣١٢)، ابن رستة ــ الاعلاق (ص ١٧٦) ، الهمدانى ــ صفة جزيرة العرب (ص ٣٣٧) ،قدامة ــ الخراج (ص ٢٦٠) ، المقدسى ــ احسن التقاسيم (ص ١٠٨)، ابن شجاع ــ منازل الحجاز لوحة (٢) .

(٣) الفحيمة ،موضعان الاول منهما الذى نحن بصدده فى طريق مكة ،ذكره ابن خرداذبة كذلك وذكره ابن رستة المحمية واتفق معه فى تحديده الموقع ،وذكره ابن شجاع الفحيمة كذلك متفقا مع ابن خرداذبة فى اللفظ ،والثانى على طريق الفرات عند ابن خرداذبة والمقدسى وعند =

على ثلاثة عشر ميلا) (١) ،ثم الى الحاجـــــر (٢)

= قدامة "العجيمة" انظر ابن خرداذبة ـ المسالك (ص ٧٣،١٢٧)، ابن رستة الاعلاق (ص ١٧٦)،قدامة ـ الخراج (ص ٤٥٣)، المقدسى ـ احسن التقاسيم (ص ١٣٥)، ابن شجاع ـ منازل لوحة (٢) .

(١) وردت المسافة عند ابن رستة من سميراء الى المحمية ثلاثة عشر ميلا متفقا بذلك مع ابن خرداذبة وابن شجاع انظر ابن خرداذبة ـ المسالك (ص ١٢٧)، ابن رستة ـ الاعلاق (ص ١٧٦)، ابن شجاع ـ منازل الحجاز لوحة (٢) .

(٢) الحاجـــر بالجيم المكسورة والراء المهملة،موضع ديار بنى تميم قال ابن الجوزى الحاجر من الحجر وهو محبس الماء . وذكر الحربى ان الحاجر كان اسمه المنيقة وانه كان لغنى فغلب عليه الحاجر وانما سمته الحاجر غطفان منذ ان كان فى آخر الجاهلية ،والى الحاجر هذا يخرج طريق العشيرة الذى يبدأ بالاجفر ويسلك طريق غير طريق الجادة لايمر بفيد،وقد ذكر الحاجر فى اشعار العرب فقال النابغة :

فلاسقيتن بغيث ماطـــر ولارعيتن بصوب الحاجـــر

وقال سليل بن الحارث :

فمن يذكر بلاد بنى سحيـــم بمقليه فلست بمـــن قلاهـــا
همو منعوا المنيفة من غنـــى وحاجرهم وهم احموا حماهـــا

وقال شاعر آخر :

انى حلفت برب مكة صادقـــا لولاء الحياة ونســـوة بالحاجر
لكسوت عقبة حلـة مشهـــورة ترد المدائن من كلام عائـــر

انظر ابن خرداذبة ـ المسالك (ص ١٢٧)، الحربى ـ المناسك (ص ٣١٧ ـ ٣١٨)، ابن رستة ـ الاعلاق (ص ١٧٦)، الهمدانى ـ صفة الجزيرة (ص ٣٣٧) ، قدامة ـ الخراج (ص ٢٦٠)، المقدسى ـ احسن التقاسيم (ص ١٠٨)، ابن الجوزى ـ مثير الغرام الساكن الى اشرف الاماكن ورقة (٥٠)، ابن شجاع ـ منازل الحجاز لوحة (٢)،ياقوت ـ المشترك (ص ٢١،١٤٣،٢٥٣ ، ٣١٥،٣٥٣)، ابن عبد الحق ـ مراصد الاطلاع (٣٧٠/١) .

ثلاثة وثلاثون ميلا (1) والمتعشى العباسيـــة (2)

---

(١) جعل الحربى المسافة من سميراء الى الحاجر ثلاثة وعشرين ميلا ونصفا وجعلها ابن رستة اربعة وثلاثين ميلا ،وجعلها الهمدانى ثلاثة وعشرين ميلا ،وذكر قدامة انها ثلاثة وعشرون ميلا ،وبهذا يتفق الحربى والهمدانى وقدامة على تقدير المسافة ،وذكر المقدسى بان المسافة ثلاثون ميلا هذا فى حين قدر ابن خرداذبة المسافة كما ورد فى المتن • انظر ابن خرداذبة ـ المسالك (ص ١٢٧)، الحربى المناسك (ص ٣١٥)، ابن رستة ـ الاعلاق (ص ١٧٦)، الهمدانى ـ صفة الجزيرة (ص ٣٣٧)، قدامة ـ الخراج (ص ١٨٦)، المقدسى ـ احسن التقاسيم (ص ١٠٨) •

(٢) العباسية • بفتح اولها وتشديد ثانيها وبعد الالف سين مهملة وقيل انها منسوبة الى رجل اسمه العباس من بنى اسد احتفرها فنسبت اليه ،ورجح ياقوت نسبتها الى العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه وذلك فى قوله " واكثر مايراد به العباس بن عبد المطلب ابو الخلفاء" ،وقد ذكر الحربى العباسية واشار الى انها بركة مدورة قطرها خمسون ذراعا وعمقها عشرة اذرع ولكنه اختلف مع ابن خرداذبة فى تحديد موقعها فقد حددها على مسافة عشرة اميال من سميراء وعلى مسافة ثلاثة اميال من الحسنة ،وذكرها ابن رستة ايضا واتفق مع ابن خرداذبة فى تحديد موقعها ،وذكرها ابن شجاع كذلك وحدد موقعها بعد الفحيمة ،واعتمد ياقوت رواية السكونى التى تتفق مع رواية الحربى وذلك فى قوله " قال ابو عبيد السكونى بين سميراء والحاجر الحسينية ثم العباسية على ثلاثة اميال من الحسينية قصران وبركة وكذا العباسية اكثر من موضع منها قرية بكورة الحرجة من الصعيد ،ومنها كذلك المدينة التى بناها ابراهيم بن الاغلب قرب القيروان، انظر ابن خرداذبة ـ المسالك (ص ١٢٧)، الحربى المناسك (ص ٣١٦)، ابن رستة ـ الاعلاق (ص ١٧٦)، ابن شجاع ـ منازل الحجاز لوحة (٢)، ياقوت ـ معجم البلدان (٤/٧٥)، ابن عبد الحق مراصد الاطلاع (٢/٩١٥) •

على خمسة عشر ميلا) ،ثم الى معدن النقرة (١) (معدن القرشى) (٢)

---

(١) وردت المسافة كذلك عند ابن رستة ،واختلف معهما الحربى وابن شجاع وياقوت فى تحديد المسافة وذلك نتيجة لاختلاف تحديد الموقع فقد جعلوها قبل الحاجر بينما حددها ابن خرداذبة وابن رستة بعد الحاجر بخمسة عشر ميلا . انظر ابن خرداذبة ـ المسالك (ص ١٢٧)، ابن رستة ـ الاعلاق (ص ١٧٦) .

(٢) معدن النقرة بفتح النون وسكون القاف وقيل بكسر القاف ،وهى كل ارض منصوبة فى وهدة فهى نقرة وبها سميت النقرة التى فى طريق مكة ،وقيل انه حفر فيها قليب فى زمان عطش فى صفادل عليها مهندس فنقرت فى الصفا حتى ادرك ماؤها فسميت النقرة ،وقيل سميت بنقرة من جنادة احتفرها فنسبت اليه ،وكانت لبنى فزارة ثم لبطن منهم يقال لهم ربيعة بن عدى بن فزارة واصبحت فى نهاية القرن الثالث الهجرى باديتها لهم وحاضرتها لقريش والتجار،وبالنقرة قصر ومسجد وبها بركتان وآبار ثلاث الاولى تعرف ببئر المهدى ،والثانية والثالثة تعرفان ببئرى الرشيد ويوجد بها آبار صغار تنزح عند كثرة الناس وماؤها عذب ورشاؤها طويل،ومن النقرة تفترق الطرق وفيها ثمانية اعلام لهذه الطرق علمان للدخول وعلمان للخروج اى القاصدالمغيثة على الطريق نفسه . وعلمان للعسيلة على طريق المدينة وعلمان لطريق البصرة ،ويلاحظ ان ابن خرداذبة ذكر الموضع معدن القرشى والعامة تسميه معدن النقرة ،وقد ذكر الحربى ان معدن القرشى قد ابتناه محمد بن يوسف الجعفرى كان ابتاع حوانيت من حوانيت النقرة وكان المسيب بن سليمان المخزومى ساكنا بها وكان له بها ملك فخشى ان يغلبه عليه محمد بن يوسف فاستأذن عمر بن فرج حتى اذن له فى ابتناء المعدن فابتناه فى ايام الواثق (٢٢٧ ـ ٢٣٢هـ) وخرب الحصن فى سنة ٢٧٣هـ ثم رجع الناس اليه ، انظر =

اربعة وثلاثون ميـــــــلا (والمتعشى قـــــــروري (١) (٢)

= ابن خرداذبة - المسالك (ص ١٢٧)، الحربي- المناسك (ص ٣٢٢ - ٣٢٤)، اليعقوبى - البلدان (ص ٣١٢)، ابن رستة - الاعلاق (ص ١٧٦)، الهمدانـــى صفة الجزيرة (ص ٣٣٧)، قدامة - الخراج (ص ٢٦٠ - ٢٦١)، المقدســـــى احسن التقاسيم (ص ١٠٨)، ابو عبدالله محمد بن يزيد - تاريخ الخلفاء (ص ٤٢)، ابن شجاع - منازل الحجاز لوحة (٢)، ياقوت - معجم البلـدا ن (٢٩٨/٥)، ابن عبد الحق - مراصد الاطلاع (١٣٨٥/٣) .

(١) ذكر الحربى المسافة سبعة وعشرين ميلا ونصفا، وذكرها ابن رستـــــة اربعة وثلاثين ميلا متفقا بذلك مع ابن خرداذبة ، وذكرها الهمدانـــى ثمانية وعشرين ميلا، وذكرها قدامة سبعة وعشرين ميلا متفقا مع الحربى فى تقديرها ، وذكرها المقدسى اربعة وثلاثين ميلا متفقا بذلك مـــــع ابن خرداذبة وابن رستة، انظر ابن خرداذبة - المسالك (ص ١٢٧) ، الحربى - المناسك (ص ٣١٨)، ابن رستة - الاعلاق (ص ١٧٦)، الهمدانـــى صفة الجزيرة (ص ٣٣٧)، قدامة - الخراج (ص ٢٦١)، المقدسى - احســـــن التقاسيم (ص ١٠٨) .

(٢) قـــروري بفتح اوله وثانيه وسكون الواو وراء اخرى مفتوحة مقصـــــورة والقرو هو القصد وقيل هو شبه حوض ممدود مستطيل الى جنب حــــــوض ترده الابل والغنم، وقيل هو كل شئ على طريقة واحدة، وقيل اصلـــــه النخلة ينقر فينبذ فيه ، وقروري هو الجبل المشرف على المتعشـــى مفرد وعليه علم بين وبه بركتان فى موضع واحد يمنة ويسرة عنـــــد القصر والقصر يمنة والجبل يسرة وعليه علم واحدى البركتين زبيديـة مدورة والاخرى مربعة يسرة، وقد حدد الحربى قروري قبل معدن النقـــرة بعد الحاجر بثلاثة عشر ميلا ، وذلك فى قوله " وقروري على ثلاثـــــة عشر ميلا من الحاجر وهى المتعشى وهى ارض مستوية لاترى فيهـــــــا جادة تسمى الصلعاء وفى مثلها توجد الكمأة وهى ارض معمورة لبنـــى =

على سبعة عشر ميلا)(١)، ثم الى مغيثة الماوان(٢)

= عمير" ،وذكر ابن رستة الموضع واتفق مع ابن خرداذبة فى تحديد موقعه ،وذكره الاصفهانى قرقرى وحدده قبل الحاجر وذلك فى قوله "فاول ماء ينزله بعد قرقرى الحاجر" ،وذكره ابن شجاع قبل الحاجر وبعد العباسية ،وهذا خلافا لما اتفق عليه ابن خرداذبة والحربى وابن رستة وياقوت الذى ذكره بقوله قرورى موضع بين المعدن والحاجر على اثنى عشر ميلا من الحاجر وفيها بركة لام جعفر وقصر وبئر عذبة الماء وبقرورى يفترق الطريقان طريق النقرة" وهو طريق الجادة عدل يمين،ومن اراد المدينة عدل يسرة، انظر ابن خرداذبة المسالك (ص ١٢٧)، الحربى – المناسك (ص ٣٢٠)، ابن رستة – الاعلاق (ص ١٧٦)، الاصفهانى – بلاد العرب (ص ٢٤٠)، ابن شجاع – منازل لوحة (٢)، ياقوت – معجم البلدان (٣٣٤/٤)، ابن عبد الحق – مراصد الاطلاع (١٠٨٤/٣) .

(١) قدر الحربى المسافة من الحاجر الى الموضع ثلاثة عشرميلا ،وقدر ابن رستة المسافة من الحاجر كذلك الىالموضع سبعة عشر ميلا متفقا بذلك مع ابن خرداذبة فى تحديد الموقع وتقدير المسافة ،وقدر ياقوت المسافة اليه من الحاجر كذلك اثنى عشر ميلا، انظر ابن خرداذبة المسالك (ص ١٢٧)، الحربى – المناسك (ص ٣١٩)، ابن رستة – الاعلاق (ص ١٧٦)،ياقوت – معجم البلدان (٣٣٤/٤) .

(٢) مغيثة الماوان ،بالواو المفتوحة وآخره نون ،واصله من اوى اليه يأوى ،ملتجأ،ومأوى الابل بكسر الواو ويجوز ان يكون تثنية الماء قلبت الهمزة واوا وكان القياس ان تقلب هاء فيقال ماهان ولكن شبهوه بما الهمزة فيه منقلبة عن ياء او واو ،ولما كان حكم الهاء ان لاتهمز فى هذا الموضع بل اشتبهت بحروف المد واللين فهمزوه لذلك اطرد فيه لشبهة ،وبالماوان قصر ومسجد وهى لبنى محارب بن خفصة بن قيس بن عيلان وبها بركة ولها مصفاة وبركة =

ثلاثة وثلاثون ميـــلا (١)

= مدورة فيها قطع يجرى فيها الماء شبيه بالحوض وبها ثلاث آبـــار عذبة احداها عليها حوض وبها كذلك ثلاثة آبار كلها مالحة غليظـة الماء وقال بعض الاعراب فيها :

يشربن بالماوان ماء مـــر وبالسليل مثلـــه او شـــرا

وذكرياقوت الماوان فى قوله " هو واد فيه ماء بين النقرة والربذة فغلب عليه الماء فسمى بذلك الماء ماوان وكانت منازل عبس فيمـا بين ابابين والنقرة وماوان والربذة ،وماوان هذا هو المركـــز المقصود فى طريق الجادة وهناك ماوان السنور ذكره ياقوت ليـــس بينه وبين مساكن العرب مناسبة،ومما قيل فى الماوان ،قال عروة بن الورد العبسى :

وقلت لقوم فى الكنيف تروحوا عشية يتنادون ماوان زرح

انظر ابن خرداذبة ــ المسالك (ص ١٢٧)، الحربى ــ المناسك (ص ٣٢٤ ــ ٣٢٥)، اليعقوبى ــ البلدان (ص ٣١٢)، ابن رستة ــ الاعلاق (ص ١٧٨) ، الهمدانى ــ صفة جزيرة العرب (ص ٣٣٧)،قدامة ــ الخراج (ص ٢٦١) ، المقدسى ــ احسن التقاسيم (ص ١٠٨)، الاصفهانى ــ بلاد العرب (ص ١٧٦ ــ ١٧٧)، ابن شجاع ــ منازل الحجاز لوحة (٢)،ياقوت ــ معجم البلـــدان (٤٥/٥)، ابن عبد الحق ــ مراصد الاطلاع (١٢٢٢/٣) .

(١) ذكر الحربى المسافة من المعدن الى المغيثةستة وعشرين ميـــلا وذكرها ابن رستة اربعة وثلاثين ميلا،وذكرها قدامة سبعة وعشرين ميلا وذكرها المقدسى ثلاثةوثلاثين ميلا متفقا بذلك مع ابن خرداذبـــة وذكرها ابن شجاع اربعة وثلاثين ميلا متفقا بذلك مع ابن رستـــة انظر ابن خرداذبة ــ المسالك (ص ١٣١)، الحربى ــ المناسك (ص ٣٣٤) ، ابن رستة ــ الاعلاق (ص ١٧٨)،قدامة ــ الخراج (ص ٢٦١)، المقدســـى احسن التقاسيم (ص ١٠٨)، ابن شجاع ــ منازل الحجاز لوحة (٢) .

(والمتعشى السمط (١) على ستة عشر ميلا) (٢) ، ثم الى الربذة (٣)

---

(١) السمط واحد من المتعشيات المذكورة فى الطريق والتى قلما يوجد تعريفات لها فى المصادر الجغرافية الا نزرا يسيرا ممن ذكر الموضع عرضا عند ذكر الطريق ومن هؤلاء ابن خرداذبة الذى ذكر الموضع فى الطريق بين مغيثة الماوان والربذة ، ومنهم ايضا ابن رستة فقد ذكر الموضع واتفق فى تحديد موقعه مع ابن خرداذبة ، ومنهم ايضا ابن شجاع فقد ذكر الموضع كذلك واتفق معهما فى تحديد الموقع كذا لم اجد لهذا الموضع تعريفا عند غيرهم فى المصادر الجغرافية انظر ابن خرداذبة ـ المسالك (ص ١٣١) ، ابن رستة ـ الاعلاق (ص ١٧٨) ، ابن شجاع ـ منازل الحجاز لوحة (٢) ٠

(٢) وردت المسافة كذلك عند ابن رستة وجعلها ابن شجاع اربعة عشر ميلا ، انظر ابن رستة ـ الاعلاق (ص ١٧٨) ، ابن شجاع ـ منازل الحجاز لوحة (٢) ٠

(٣) الربذة بفتح اوله وثانيه وذال معجمة مفتوحة والربذة الشدة والربذة من قرى المدينة على ثلاثة ايام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز اذا رحلت من فيد ، وسميت بالربذة نسبت الى جبل احمر او صخرة حمراء على ميل مما يلى المغرب ، وبالربذة اعراب وماء وفيها برك وآبار كثيرة ، وبها قصر ومسجد وقبر ابى ذر رضى الله تعالى عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجده ، وكانت الربذة من احسن المنازل فى الطريق ولكنها خربت بسبب الحروب التى قامت بين اهلها وضرية ، والربذة لقوم من ولد الزبير بن العوام وكانت لفزارة " والبريد خارج الربذة باقل من ميل" ٠ انظر ابن خرداذبة ـ المسالك (ص ١٣١) ، الحربى ـ المناسك (ص ٣٢٦ ـ ٣٢٨) ، اليعقوبى ـ البلدان (ص ٣١٢) ، ابن رستة ـ الاعلاق (ص ١٧٩) ، الهمدانى صفة الجزيرة (ص ٣٣٨) ، قدامة ـ الخراج (ص ٢٦١) ، المقدسى ـ احسن التقاسيم (ص ١٠٨) ، ابن شجاع ـ منازل الحجاز لوحة (٢) ، ياقوت =

اربعة وعشرون ميــــلا [1] (والمتعشـــى اريمـــــه [2] على اربعـــة عشـر ميـــلا) [3]

= معجم البلدان (٣/٢٤ – ٢٥)، ابن عبد الحق – مراصد الاطلاع (٢/٦٠١)، الجاسر – ابو على الهجرى وابحاثه (ص ٢٣٩) .

(١) وردت المسافة كذلك عند ابن رستة وقدامة والمقدسى، وشذ عنهم الحربى فقدرها عشرين ميلا كذا الهمدانى قدرها ستة وعشرين ميلا وجعلها ابن شجاع اثنين وعشرين ميلا، انظر ابن خرداذبة – المسالك (ص ١٣١)، الحربى – المناسك (ص ٣٢٥)، ابن رستة – الاعلاق (ص ١٧٩)، الهمدانى – صفة الجزيرة (ص ٣٣٨)، قدامة – الخراج (ص ٢٦١) المقدسى احسن التقاسيم (ص ١٠٨)، ابن شجاع – منازل الحجاز لوحة (٢) .

(٢) اريمـــة . جبل مستدير على يمنة، سمى به المنزل الذى نحن بصدد الحديث عنه، وقيل اريمة بركة حملت نفس الاسم وهى المتعشى، وقد اختلف الجغرافيون فى تحديد الموضع فقد حدده الحربى على مسافة عشرة اميال من الماوان اى قبل الربذة، وذكر ابن رستة الموضع اروعة وحدده بين الربذة ومعدن بنى سليم متفقا بذلك مع ابن خرداذبة فى تحديد الموضع، وذكر البكرى اريمة مضموم الاول مفتوح الثانى بالياء اخت الواو على لفظ تصغير، منازل بنى عمرو بن الحارث، هذا وقد توهم محقق كتاب البكرى فى تعديل اسم الموضع فعدله الى " اديمه " بالدال المهملة . انظر ابن خرداذبة المسالك (ص ١٣١)، الحربى – المناسك (ص ٣٢٥)، ٣٢٦)، ابن رستة الاعلاق (ص ١٧٩)، البكرى – معجم ما استعجم (١/١٤٥)، (٤/١١٦٤) .

(٣) ذكر الحربى الموضع قبل الربذة وحدد المسافة اليه بعشرة اميال من الماوان . وذكر ابن رستة الموضع " اروعه " بين الربذة ومعدن بنى سليم وحدد المسافة اليه باربعة عشر ميلا من الربذة لذلك وعليه يتفق ابن رستة وابن خرداذبة فى تحديد الموقع وذكر المسافة انظر ابن خرداذبة – المسالك (ص ١٣١)، الحربى – المناسك (ص ٣٢٥)، ابن رستة – الاعلاق (ص ١٧٩) .

ثم الى معدن بنى سليم (١) اربعة وعشرون ميلا (٢)

---

(١) معدن بنى سليم منزل من منازل الحاج لبنى سليم بن منصور بن عكرمة كثير الاهل به قصر ومسجد وبه بركة مدورة زبيدية وبه آبار كثيرة قديمة وحديثة لها اسماء وعلى ميلين ونصف من المعدن المنزل الخرب الذى يقال له ربان كان الرشيد ينزله ،وقد ذكر الحربى الموضع بعد السليلة والعمق من الربذة كذا ذكره ابن رستة متفقا معه وهذا خلافا لما ذكر عند ابن خرداذبة وقدامة ،وقد اطلق الهمدانى على الموضع حرة بنى سليم وذكره بعد العمق للقادم من النقرة وقبله للقادم من مكة ،وهذا خلافا لما ذكره الحربى ايضا لان حرة بنى سليم بعد الريان والاسلاق وعقبة كراع ،من المعدن نفسه وقد ذكر ياقوت الموضع باسم معدن قران بفتح اوله وتخفيف ثانيه وآخره نون وذكر انه ماء لبنى سليم يقال له فران به ناس كثيرون وذكر كذلك انه منسوب الى فران بن بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة نزلت على بنى سليم فدخلوا فيها فصاروا منهم فكان يقال لهم " بنو القين" وذكر كذلك فى كتاب المشترك بقوله " ومعدن بنى سليم هو معدن فران من اعمال المدينة فى طريق نجد" ،وانشد خفاف بن عمر :

متى كان للقينين قين طمه وقين بلى معدن فران

انظر ابن خرداذبة – المسالك (ص ١٣١)، الحربى – المناسك (ص ٢٣٣ – ٢٣٤)، ابن رستة – الاعلاق (ص ١٧٩)، الهمدانى – صفة الجزيرة (ص ٣٣٨) ، قدامة – الخراج (ص ٢٦٢)، المقدسى – احسن التقاسيم (ص ١٠٨)، ابن شجاع – منازل الحجاز لوحة (٣)،ياقوت – معجم البلدان (٢٤٥/٤) ، المشترك (ص ٤٠٠)، ابن عبد الحق – مراصد الاطلاع (١٢٨٨/٣) .

(٢) ذكر الحربى المسافة الى الموضع من العمق اثنين وعشرين ميلا وذكرها ابن رستة من العمق ايضا تسعة عشر ميلا وذلك حسب ذكرهم للمنازل فى الطريق وهى الربذة السليلة العمق معدن بنى سليم مختلفين فى =

(والمتعشى شـــــروری (١)

= هذا مع ابن خرداذبة ،وقدامة الذى ذكر المنازل مرتبة كما وردت عند ابن خرداذبة ولكنه اختلف معه فى المسافة فذكرها تسعة عشر ميلا والمقدسى الذى تبعهما فى ذكر ترتيب المنازل واتفق كذلك مع ابن خرداذبة فى ذكر مقدار المسافة ، انظر ابن خرداذبة ـ المسالك (ص ١٣١)، الحربى ـ المناسك (ص ٣٣٢)، ابن رستة ـ الاعلاق (ص ١٧٩)، قدامة ـ الخراج (ص ٢٦٢)، المقدسى ـ احسن التقاسيم (ص ١٠٨) .

(١) شروری بفتح اوله وثانيه بعدها واو وراء مهملة والف مقصورة ، اكثر من موضع والموضع الذى نحن بصدده لبنى سليم اختلف الجغرافيون فى تحديد موقعه ،فقد ذكره ابن خرداذبة كما هو مثبت ،وذكره الحربى بعد البريد السادس والاربعين على عشرة اميال من المعدن وقال بأن عنده بركة تسمى الصفحة . وقد اضاف بان جبلين يطلان على العمق يسمى احدهما شروری وهو غير المقصود هنا ذلك لانه ذكر شروری المتعشى وذكر شروری الجبل، ومما هو جدير بالملاحظة ان ترتيبه لتسلسل المواضع يختلف بعض الشىء عن ترتيب ابن خرداذبة لها وقد لاحظنا ذلك فى العمق حيث ان اسم هذا المتعشى قد سقط من كتاب ابن رستة وكتاب ابن شجاع ،وقد ذكر البكرى شروری واقتصر على ذكر الجبل الذى بين العمق والمعدن فى طريق الكوفة مكة ،وذكر انه لبنى اسد وبنى عامر،وقد ذكر ياقوت شروری فى اكثر من موضع الاول منها لبنى سليم وهو المقصود،وذكر فيه :

كأنها بين شروری والعمق ... نواحة تلوى بجلباب خلق

ومما قيل فيه ايضا :

كأنها بين شروری والعمق ... وقد كساها السير جلا من عرق

وانشد البكرى فى الجبل قول ابن مقبل :

اقول وقد قطعن بنا شروری ... ثوانی واستوين من الضجوع

وانشد كذلك قول الجعدى :

امانة الله وهى اعظم من ... هضب شروری والركن من خيم =

على اثنى عشر ميلا) ،ثم الى السليلة (١) ستة وعشرون ميلا (٢) (٣)

= وقول البعيث ايضا :

كون رعث سلمان حتى كأنها هضاب شرورى خالط الليل مقصرا

انظر ابن خرداذبة ــ المسالك (ص ١٣١)، الحربى ــ المناسك (ص ٣٣٢) ، البكرى ــ معجم ما استعجم (٧٩٤/٣)،ياقوت ــ معجم البلدان (٣٣٩/٣) .

(١) حدد الحربى المسافة الى المتعشى بعشرة اميال ،مختلفا مع ابن خرداذبة بفارق ميلين،ولم اجد ذكرا لهذه المسافة عند غيرهما من الجغرافيين فى المصادر المتوفرة لدى، انظر ابن خرداذبة المسالك (ص ١٣١)، الحربى ــ المناسك (ص ٣٣٢) .

(٢) السليلة بفتح اوله وكسر ثانيه ،وسميت كذلك لانها كانت لرجل من بنى سليم اختطها يقال له السليل بن زيد بن الحارث بن ذكوان فنسبت اليه ،وقد اختلف الجغرافيون فى تحديد موقع السليلة فقد ذكرها ابن خرداذبة كما هو مثبت ،بينما اختلف معه الحربى الذى ذكرها بعد الربذة وقبل العمق ومعدن بنى سليم ،وذكرها ابن رستة والهمدانى كذلك ،وسقط ذكر هذا الموضع عند قدامة،وذكر المقدسى السليلة بعد معدن بنى سليم وقبل العمق متفقا بهذا مع ابن خرداذبة ،وذكر ياقوت السليلة بعد الربذةوذلك فى قوله " وهو موضع من الربذة اليه ستة وعشرون ميلا" ، انظر ابن خرداذبة المسالك (ص ١٣١)، الحربى ــ المناسك (ص ٣٣١)، ابن رستة ــ الاعلاق (ص ١٧٩)، الهمدانى ــ صفة الجزيرة (ص ٣٣٨)، المقدسى ــ احسن التقاسيم (ص ١٠٨)،ياقوت ــ معجم البلدان (٢٤٣/٣) .

(٣) اختلف الحربى وابن رستة والهمدانى وياقوت فى تحديد المنزل مع ابن خرداذبة فقد اجمعوا على ذكره بعد الربذة وقبل العمق وبالرغم من اجماعهم على تحديد هذا الموقع الا انهم اختلفوا فى ذكر المسافة فقد حدد الحربى المسافة من الربذة الى السليلةبثلاثة وعشرين ميلا=

(والمتعشى بالكنابين على ثلاثة عشر ميلا) ثم الى العمق (١) (٢) (٣)

= ونصف ،وحددها ابن رستة بواحد وعشرين ميلا ،وحددها الهمداني بثلاثة وعشرين ميلا ،واختلف مع هؤلاء المقدسى الذى ذكر الموقع متفقا مع ابن خرداذبة فى تحديده وفى تقدير المسافة ايضا، انظر ابن خرداذبة ـ المسالك (ص ١٣١)، الحربى ـ المناسك (ص ٣٣١)، ابن رستة ـ الاعلاق (ص ١٧٩)، الهمدانى ـ صفة جزيرة العرب (ص ٣٣٨) ، المقدسى ـ احسن التقاسيم (ص ١٠٨) .

(١) الكنابين احد المتعشيات المذكورة فى الطريق ،ذكره ابن رستة كذلك واتفق مع ابن خرداذبة على تحديد موقعه بعد السليلة وقبل العمق ،بالرغم من اختلافهما فى تحديد بعض المواضع فى هذه المنطقة ،وذكر ابن شجاع متعشى باسم الكناس بعد الربذة وقبل العمق ولايراد به هذا الموضع لان ابن شجاع قد اغفل ذكر عدة مواضع فى الطريق قبل العمق،كما ان الحربى ذكر كناس متعشى بعد الربذة وقبل السليلة على مسافة ثلاثة عشر ميلا من الربذة ،وذكر ياقوت ايضا موضع باسم الكنابين بالضم وبعد الالف باء موحدة ثم ياء مثناة من تحت ثم نون ولم يحدد موقعه ولكنه ذكر ان كناب جبل بازاء عناب وعناب جبل فى طريق مكة " ولم يحدد ايضا الموقع وانشد :

دعتنا بكهف من كنابين دعوة ... على عجل دهماء والليل رائح

انظر ابن خرداذبة ـ المسالك (ص ١٣٠)، الحربى ـ المناسك (ص ٣٢٩) ، ابن رستة ـ الاعلاق (ص ١٧٩)، ابن شجاع ـ منازل الحجاز لوحة (٢)، ياقوت ـ معجم البلدان (١٥٨/٤ ، ٤٨٠)، ابن عبد الحق ـ مراصد الاطلاع (١١٧٩/٣) .

(٢) وردت المسافة كذلك عند ابن رستة، انظر الاعلاق (ص ١٧٩) .

(٣) العمق ،عمق الشىءقعره . والعمق المطمئنمن الارض،والعمق بالفتح اكثر منموضع وليس هو المقصود،وذكر ياقوت العمق بالضم على وزن زفر وقال " ان العامة تقول بضمتين خطأ ،وبالضم هو المقصود ،وقد اختلف الجغرافيون فى تحديد موقعه فذكر الحربى =

واحد وعشرين ميلا (١) [faded text]

= واليعقوبى وابن رستة والهمدانى ان العمق قبل معدن بنى سليم مختلفين بهذا مع ابن خرداذبة وقدامة والمقدسى الذين ذكروا الموضع بعد معدن بنى سليم ،وقبل افيعية ،واما بالنسبة لياقوت فقد عاد وذكر الموضع بعد معدن بنى سليم وقبل ذات عرق متفقا بهذا مع ابن خرداذبة ومن اتفق معه ،والعمق علم مرتجل على جادة الطريق لبنى سليم فيه قصر ومسجد وبئر تعرف بالخضراء من عمل المنصور واخرى تعرف بالروحاء من عمل البرامكة وآبار اخرى غيرها ذكرها الحربى منسوبة الى اصحابها،هذا ويطل على العمق جبل شرورى كما اشرنا سابقا وعند هذا الجبل البريد السادس والاربعين فى هذا الطريق، انظر ابن خرداذبة ـ المسالك (ص ١٣١)، الحربى ـ المناسك (ص ٣٣٢)، اليعقوبى ـ البلدان (ص ٣١٢)، ابن رستة ـ الاعلاق (ص ١٧٩) ، الهمدانى ـ صفة الجزيرة (ص ٣٣٨)،قدامة ـ الخراج (ص ٢٦٢)، المقدسى احسن التقاسيم (ص ١٠٨)، ابن شجاع ـ منازل الحجاز لوحة (٢) ، ياقوت ـ معجم البلدان (١٥٦/٤)، المشترك (ص ٣١٦)، ابن عبد الحق مراصد الاطلاع (٩٦٢/٢) .

(١) ذكر الحربى بان المسافة من السليلة الى العمق ثمانية عشر ميلا وجعلها ابن رستة واحدا وعشرين ميلامتفقا فى تقديرها مع ابن خرداذبة ،وقدرها الهمدانى بثلاثة وعشرين ميلا ،وقدرها المقدسى واحدا وعشرين ميلا ايضا متفقا بهذا مع ابن خرداذبة ايضا،بينما قدر قدامة المسافة من معدن بنى سليم الى العمق بستة وعشرين ميلا وهذا رأى انفرد به عن بقية الجغرافيين،انظر ابن خرداذبة ـ المسالك (ص ١٣١)، الحربى ـ المناسك (ص ٣٣١)، ابن رستة ـ الاعلاق (ص ١٧٩) ، الهمدانى ـ صفة الجزيرة (ص ٣٣٨)،قدامة ـ الخراج (ص ٢٦٢)، المقدسى احسن التقاسيم (ص ١٠٨) .

(والمتعشى السنجة[1] على اثنى عشر ميلا)[2]،ثم الى الافيعية[3]

---

(١) سنجة اكثر من موضع ،والموضع المقصود ذكره ابن رستة كأحد المتعشيات فى الطريق واتفق مع ابن خرداذبة فى تحديد موقعه بعد العمق واختلف معه حيث ان ابن خرداذبة ذكره قبل افيعية بينما ذكره ابن رستة قبل معدن بنى سليم،وذكر ابن شجاع الموضع متفقا مع ابن رستة فى تحديد موقعه بين العمق ومعدن بنى سليم والسنجة ايضا اسم لنهر يجرى بين حصن منصور وكيسوم فى ديار مضر انظرابن خرداذبة ـ المسالك (ص ١٣١)،ابن رستة ـ الاعلاق (ص ١٧٩) ، ابن شجاع ـ منازل لوحة (٣)،ياقوت ـ معجم البلدان (٢٦٤/٣) .

(٢) وردت المسافة كذلك عند ابن رستة،متفقا بهذامع ابن خرداذبة وجعل ابن شجاع المسافة ثلاثة عشر ميلا بزيادة ميل واحد ،انظر ابن خرداذبة ـ المسالك (ص ١٣١)،ابن رستة ـ الاعلاق (ص ١٧٩)،ابن شجاع ـ منازل الحجاز لوحة (٣) .

(٣) افيعية بالضم ثم الفتح،المنزل المعروف فى طريق مكة على يمين المصعد من الكوفة ،وهو لقوم من آل ابى بكر الصديق رضى الله عنه وآل الزبير رضى الله عنه،ولقوم من بنى سليم ،وسميت الافيعية بكثرة حياتها الافاعى وهى ذوالنخل،وبالافيعية بركتان ومجموعة من آبار غليظة المياه . وقد اختلف فى تحديد هذا الموضع اذ ورد عند الحربى واليعقوبى وابن رستة والهمدانى وابن شجاع بعد معدن بنى سليم،بينما ورد عند ابن خرداذبة وقدامة والمقدسى بعد العمق ،كذا اختلف فى اللفظ فقد ورد عند ابن خرداذبةوالحربى واليعقوبى وابن رستة والهمدانى والمقدسى وابن شجاع كما هو مثبت بينما ورد عند قدامة وياقوت وابن عبد الحق بصيغة" افاعية" ،انظر ابن خرداذبة ـ المسالك (ص ١٣٢)،الحربى ـ المناسك (ص ٣٤١)، اليعقوبى ـ البلدان (ص ٣١٢)،ابن رستة ـ الاعلاق (ص ١٧٩)،الهمدانى صفة جزيرة العرب (ص ٣٣٨)،قدامة ـ الخراج (ص ٢٦٣)،المقدسى احسن التقاسيم (ص ١٠٨)،ابن شجاع ـ منازل الحجاز لوحة (٣)،ياقوت معجم البلدان (٢٢٦/١،٢٣٣)،ابن عبد الحق ـ مراصد الاطلاع (٩٨/١) .